المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



جهود علماء المالكية
في تقرير توحيد الأسماء والصفات

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية ((الماجستير))

إعداد الطالب:
راضي بن عياد بن عوض القبع الحربي

المشرف:
الأستاذ الدكتور: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان

الجزء الأول

العام الجامعي:
1432-1433هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وبعد:

عنوان الرسالة: جهود علماء المالكية في تقرير توحيد الأسماء والصفات، وهي مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة لعام 1432-1433هـ.

اسم الباحث: راضي بن عياد بن عوض القبع الحربي.

اسم المشرف: الأستاذ الدكتور: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان.

والرسالة تشتمل على مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة وفهارس:

والتمهيد يتضمن تعريف التوحيد وأقسامه، وتعريف توحيد الأسماء والصفات وأهميته، والتعريف بالإمام مالك ومذهبه.

والفصل الأول يجلي نوعين من جهود علماء المالكية في تقرير توحيد الأسماء والصفات: الجهود العلمية كمصنفات علمائهم المسندة وغير المسندة، والعملية كالتدريس والمناظرات والردود على المخالفين.

والفصل الثاني يبين منهج علماء المالكية في التلقي والاستدلال، وأن مصادرهم في التلقي هي القرآن والسنة والإجماع والفطرة السليمة، كما يوضح موقفهم من العقل والقياس وعلم الكلام، ويبين أيضا منهجهم في الاستدلال بالمحكم والمتشابه والتأويل والمجاز، وأن منهجهم إجراء النصوص على ظاهرها والتسليم لفهم السلف الصالح والرجوع إلى لغة العرب.

أما الفصل الثالث فإنه يتضمن بيان جهودهم في تقرير أسماء الله تعالى وأنها توقيفية وأنها كلها حسنى.

والفصل الرابع يشرح جهودهم في تقرير صفات الله تعالى، والفصل الخامس يبين جهودهم في نوعين من الصفات:

الذاتية كالوجه واليد والعين والقدم والعلو والعلم والسمع والبصر والحياة والقدرة والعزة والكلام.

والفعلية كالاستواء والنزول والمجيء والرضا والرحمة والغضب والمحبة والكراهة والضحك والعجب والغيرة والحياء.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن الله خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56].

ومن أجل تحقيق العبادة وإفراده تعالى بها بعث الرسل وأنزل الكتب.

وقد اختار سبحانه عبده ورسوله محمد بن عبد الله ليكون خاتمهم، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، وترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وإن من الأمور التي بيّنها صلى الله عليه وسلم ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، وسار على ذلك أتباعه صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

ولقد كان لإمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله تعالى جهود موفقة في الذب عن العقيدة عموماً، وتوحيد الأسماء والصفات خصوصاً.

ولا أدل على ذلك من موقفه مع ذلك المبتدع الذي سأله قائلاً: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:5]،كيف استوى؟ فقال له الإمام مالك: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً؛ أخرجوه".[1]

فأصبحت هذه المقولة قاعدة عند أهل السنة والجماعة يبنون عليها موقفهم في جميع ما يتعلق بأسماء الله وصفاته.

وتبع الإمام مالكا على ذلك تلامذته ومن جاء بعدهم ممن اتبع طريقة الإمام مالك في الفروع، كما ثبت ذلك في أقوالهم المدونة في مؤلفاتهم، وما نقله عنهم الأئمة الأعلام كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والذهبي، وغيرهم.

---

(1) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (398/3)، وأبوبكر البيهقي في الأسماء والصفات (304/2).

ولأهمية هذا الموضوع "توحيد الأسماء والصفات" عقدت العزم على جمع أقوال أئمة المالكية وجهودهم في تقرير توحيد الأسماء والصفات وفق منهج أهل السنة والجماعة ليكون موضوع رسالتي لمرحلة الماجستير.

أسباب اختيار الموضوع:

كان من أهم أسباب اختيار الموضوع ما يلي:

أولا: أهمية توحيد الأسماء والصفات، فهو أحد أنواع التوحيد الثلاثة المقررة عند أهل السنة والجماعة.

ثانيا: عناية المتقدمين من أئمة المالكية بمنهج أهل السنة والجماعة.

ثالثا: غلبة المذهب الأشعري على أكثر متأخري المالكية؛ فلعل هذا البحث يكون سببا في بيان ما كان عليه سلفهم ومتقدموهم.

أهداف البحث:

أولا: إبراز جهود أئمة المالكية المتقدمين في باب أسماء الله وصفاته أسوة بغيرهم من أهل السنة وجمعها في مؤلف واحد لتكون في متناول طلبة العلم.

ثانيا: إقامة الحجة على المتبعين للإمام مالك في الفروع باتباعه في الأصول، ومنها الأسماء والصفات؛ لأن الباب واحد، والاتباع في الأصول أولى بالاتباع من الفروع.

ثالثا: المقارنة بين المتقدمين والمتأخرين من أئمة المالكية في توحيد الأسماء والصفات.

الدراسات السابقة:

1- أهل السنة والجماعة في المغرب وجهــودهم في مقاومة الانحرفات العقدية من الفتح الإسلامي إلى القرن الخامس: للباحث إبراهيم بن علي التهامي، نال بها درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى عام 1412هــ، حيث ذكر الباحث جملة من جهود علماء المغرب من المالكية في نصرة السنة ورد البدعة.

جعل **الباب الأول** لدراسة مجمل عقائد السلف.

و**الباب الثاني** في بيان جهود علماء أهل السنة في المغرب بعد ظهور الانحرفات العقدية، وفيه ثلاثة فصول.

تكلم في الفصل الثالث عن المسائل العقدية التي تناولها هؤلاء العلماء في كتبهم، وجعلها في ثمانية مباحث، خصص المبحث الثالث لكلامهم في صفات الله تعالى، والمبحث الرابع لكلامهم في القرآن الكريم.

الباب الثالث: مقاومة علماء المغرب للانحرفات العقدية، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: مقاومتهم لعلم الكلام.

الفصل الثاني: مقاومتهم للشيعة.

الفصل الثالث: مقاومتهم للخوارج.

الفصل الرابع: مقاومتهم للتصوف.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

وبعد دراسة هذه الرسالة تبين لي أن الباحث -وفقه الله- تكلم عن جهود علماء المغرب من بداية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس في إثبات صفات الله تعالى إجمالا، وقولهم في القرآن الكريم حيث استغرق ذلك ثلاثاً وثلاثين صفحة من مجموع صفحات الرسالة التي بلغت سبعمائة وثلاث وثمانين صفحة. وأما موضوع هذا البحث فهو يتناول جهود علماء المالكية في تقرير توحيد الأسماء والصفات على التفصيل من عصر الإمام مالك -رحمه الله- إلى هذا العصر دون التقيد بزمان أو مكان.

2- **فتاوى علماء المالكية في العقيدة**: رسالة مقدمة من الطالب فاضل نور الدين لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية عام 1420هـ، وقد اشتملت الخطة على تمهيد وأربعة أبواب وخاتمة.

جعل الباب الأول في فتاوى علماء المالكية في التوحيد والإيمان.

الباب الثاني في فتاوى علماء المالكية في النبوات.

الباب الثالث في فتاوى المالكية في المعاد

الباب الرابع في فتاوى المالكية في الرد على أهل البدع وفق الآتي:

1. الفصل الأول: الرد على الخوارج.
2. الفصل الثاني: الرد على القدرية.
3. الفصل الثالث: الرد على الرافضة.
4. الفصل الرابع: الرد على الصوفية.

الخاتمة وضمنها أهم النتائج.

وهذه الرسالة خاصة في جمع فتاوى المالكية في أبواب العقيدة والرد على المبتدعة؛ وموضوع بحثي في توحيد الأسماء والصفات وهو ما لم يتعرض له الباحث.

3- **تقرير توحيد العبادة من خلال أقوال المالكية**: تقدم بها الباحث عبد الله بن فهد

العرفج لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى عام 1423هـ، وقد جاءت خطة البحث مشتملة على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

الباب الأول: في معنى التوحيد.

الباب الثاني: في العبادة.

الباب الثالث: الشرك.

الخاتمة وفيها عرض أهم النتائج.

وهذه الرسالة قد خصصها الباحث -وفقه الله- في جهود علماء المالكية في توحيد العبادة، وقد أجاد وأفاد؛ ولكنه لم يتعرض لتوحيد الأسماء والصفات الذي هو موضوع بحثي.

4- **جهود علماء المالكية في المغرب في إنكار بدع العبادات الأربع الصلاة، الزكاة، الصيام والحج**. تقدم بها الباحث أحمد جمال الدين عيمر إلى قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1422-1424هـ لنيل درجة الماجستير وقد جاءت خطة الرسالة مشتملة على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

الباب الأول: جهود علماء المالكية في المغرب في توضيح مفهوم البدعة، وأسباب الأخذ بها، وأقسامها، وشبه الآخذين بها.

الباب الثاني: جهود علماء المالكية في المغرب في إنكار بدع الصلاة وما يتعلق بها.

الباب الثالث: جهود علماء المالكية في المغرب في إنكار بدع الصوم والزكاة والحج.

الخاتمة وضمنها أهم النتائج التي توصل إليها.

وهذه الرسالة كما هو ظاهر من عنوانها في جهود علماء المالكية في المغرب العربي في إنكار بدع العبادات الأربع -الصلاة، الزكاة، الصيام والحج- ولم يتطرق لتوحيد الأسماء والصفات الذي سوف أتناوله في هذا البحث.

5- **ابن أبي زيد القيرواني-عقيدته وموقفه من الفرق ومقاومته للبدع-** للطالب محي الدين سليمان إمام مديلي، تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى عام 1422هـ، وقد قسم الباحث رسالته إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة.

خصص الفصل الأول والثاني والثالث من الباب الثاني لبيان عقيدة الإمام ابن أبي زيد

-رحمه الله- في أسماء الله وصفاته، وهذا المبحث خاص بعقيدة ابن أبي زيد. وموضوع بحثي عام في جهود علماء المالكية في الأسماء والصفات.

6- **عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان "عرضاً ونقداً"** للباحث: سليمان بن صالح الغصن، نال بها درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1409هـ.

وقد خصص الباحث -وفقه الله- الفصل الثاني من الباب الثاني لبيان منهج ابن عبد البر في الأسماء والصفات إجمالاً، ثم تكلم عن بعض الصفات كالعلم والاستواء والنزول والرؤية، وأن القرآن كلام الله. ومع أن المؤلف أطال النفس في هذا الفصل الذي بلغت صفحاته ما يزيد على مائة صفحة وأجاد-وفقه الله- إلا أنه لم يناقش إلا الصفات التي ذكرها ابن عبد البر دون بقية صفات الله العليا وأسمائه الحسنى، كما أن البحث خاص بمنهج الحافظ بن عبد البر دون من سواه من أئمة المالكية، وموضوع بحثنا عام في جهودهم العامة.

7- **منهج الحافظ بن عبد البر في توحيد الأسماء والصفات** للباحث: صالح بن محمد العقيل، تقدم بها لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية عام 1409هـ. وقد قسم الباحث رسالته إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

الباب الأول: في بيان حقيقة مذهب أهل السنة، وبيان منهجهم في الاستدلال في توحيد الأسماء والصفات وموقفهم من خبر الآحاد ومن علم الكتاب.

الباب الثاني: في الصفات الذاتية لله عز وجل.

الباب الثالث: في الصفات الفعلية.

والباحث-وفقه الله- أكثر في رسالته من المقارنة بين مذهب الحافظ بن عبد البر وبين مذاهب الأشاعرة والمعتزلة مستدلاً على موافقة ابن عبد البر لطريقة أهل السنة والجماعة في باب الصفات فقط دون الأسماء؛ أما موضوع بحثي فهو لبيان إثبات علماء المالكية لتوحيد الأسماء والصفات.

8- **منهج الإمام مالك-رحمه الله- في إثبات العقيدة** للباحث: سعود بن عبد العزيز الدعجان، تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية عام 1413هـ، وقد قسم الباحث رسالته إلى مقدمة وتمهيد وسبعة أبواب وخاتمة.

خصص الباب الثالث لبيان منهج الإمام مالك-رحمه الله- في أسماء الله وصفاته،

وجعله في ستة فصول تضمنت قوله في القرآن وأنه كلام الله وصفة من صفاته، وقوله في الاستواء والمعية والنـــزول، وإثباته صفة الساق والصورة لله تعالى، ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة؛ وقد بلغت صفحات هذا الباب أربعاً وثلاثين صفحة من مجموع صفحات الرسالة البالغة خمسمائة وأربعة وخمسين صفحة. وقد بين الباحث-وفقه الله- في هذا الباب منهج الإمام مالك في صفات الله تعالى إجمالاً؛ وموضوعنا في بيان جهود علماء المالكية في باب الأسماء والصفات تفصيلاً.

9- **عقيدة إمام دار الهجرة مالك بن أنس**. تأليف: الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس -حفظه الله-. رسالة لطيفة تقع في 69 صفحة نشرها دار طيبة للنشر، الطبعة الأولى: 1419هـ - 1998م. قسم الباحث رسالته إلى ستة مباحث:

تكلم في المبحث الأول عن عقيدة الإمام مالك -رحمه الله- في التوحيد إجمالاً؛ وأما موضوع بحثي فهو في بيان جهود علماء المالكية في تحقيق توحيد الأسماء والصفات خاصة.

10- **جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف**. إعداد عبدالعزيز بن صالح الطويان، رسالة تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية عام 1417هـ، قسم الباحث رسالته إلى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة.

خصص الفصل الثالث من الباب الأول لبيان جهود الشيخ في توحيد الأسماء والصفات، وهذه الرسالة خاصة لبيان جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله- في توحيد الأسماء والصفات، وهو أحد علماء المالكية، وموضوع بحثي عام في جهود علماء المالكية في هذا الباب دون تخصيص.

11-**الإمام الشاطبي-عقيدته وموقفه من البدع-** تقدم بها الطالب عبد الرحمن آدم علي لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية عام 1412هـ، وهي خاصة في بيان عقيدة الإمام الشاطبي -رحمه الله- فقط، وهذا البحث عام في جهود أئمة المالكية.

12- **القاضي عياض ومنهجه في العقيدة** للطالب عبد الرحمن آدم علي، رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية عام 1414هـ، وهي خاصة في منهج القاضي عياض في أبواب العقيدة والإيمان، وموضوعي في توحيد الأسماء والصفات عند المالكية عموماً.

13- **مسائل العقيدة في كتاب المعلم للمازري والمفهم للقرطبي في شرحيهما لصحيح مسلم "عرض ونقد"** رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث عبد الله بن محمد

الرميان من جامعة أم القرى عام 1417هـ، وهو خاص في مسائل العقيدة عند المازري والقرطبي، وموضوع بحثنا عام في تقرير توحيد الأسماء والصفات عند محققي علماء المالكية.

14-**مسائل النبوة في كتاب الشفاء للقاضي عياض** تقدم بها الباحث ياسر بن إبراهيم السلامة لنيل درجة الماجستير من جامعة الملك سعود عام 1412هـ، وهو كذلك خاص في مسائل النبوة عند القاضي عياض كما هو واضح من عنوانه بخلاف موضوع هذا البحث فهو في جهود أئمة المالكية في تقرير توحيد الأسماء والصفات.

هذا وصف مجمل لما تضمنته هذه الدراسات في بيان جهود علماء المالكية في نشر العقيدة السلفية والمنافحة عنها وتصفيتها مما دخلها من البدع، جزى الله مؤلفيها خيراً على جهودهم في إبراز جهود هؤلاء العلماء والسادة النجباء. وبتأمل هذه الرسائل تبين لي أنها اختصت بذكر عقائد أفراد من علماء المالكية ولم تقتصر على جهودهم في تقرير توحيد الأسماء والصفات ومنها ما عرض لمبحث الأسماء والصفات على سبيل الإجمال، وقد رغبت في مشاركة هؤلاء الإخوة الفضلاء في جمع جهود علماء أئمة المالكية، وذلك بإبراز جهودهم في توحيد الأسماء والصفات الذي حصل فيه الخلاف بين طوائف من أهل القبلة، وكان لعلماء المالكية قصب السبق في تحقيق ذلك وفق منهج السلف الصالح والرد على المخالفين فيه.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وستة فصول وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التوحيد وبيان أقسامه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التوحيد.

المطلب الثاني: بيان أقسام التوحيد.

المبحث الثاني: توحيد الأسماء والصفات، وبيان أهميته.

المبحث الثالث: التعريف بالمذهب المالكي.

الفصل الأول: الجهود العلمية والعملية لعلماء المالكية في بيان توحيد الأسماء والصفات، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مصنفات علماء المالكية في تقرير توحيد الأسماء والصفات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المصنفات المسندة.

المطلب الثاني: المصنفات غير المسندة.

المبحث الثاني: جهود علماء المالكية: العملية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التحديث والدروس في الحلق.

المطلب الثاني: المناظرات.

المطلب الثالث: الردود على المخالفين.

الفصل الثاني: منهج علماء المالكية في التلقي والاستدلال في مسائل العقيدة وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهجهم في التلقي وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مصادرهم.

المطلب الثاني: موقفهم من خبر الآحاد.

المطلب الثالث: موقفهم من العقل والقياس.

المطلب الرابع: موقفهم من علم الكلام.

المبحث الثاني: منهجهم في الاستدلال، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: موقفهم من المحكم والمتشابه.

المطلب الثاني: موقفهم من التأويل.

المطلب الثالث: موقفهم من المجاز.

المطلب الرابع: موقفهم من فهم النص.

المطلب الخامس: موقفهم مما يوهم التعارض في النص

الفصل الثالث: جهود علماء المالكية في تقرير أسماء الله الحسنى، وفيه أحد عشر مبحثاً:

المبحث الأول: تعريف الاسم، واشتقاقه، والفرق بينه وبين الصفة.

المبحث الثاني: جهودهم في بيان الفرق بين الاسم والمسمى.

المبحث الثالث: جهودهم في بيان الفرق بين ما يسمى الله به وبين ما يخبر به عنه.

المبحث الرابع: جهودهم في بيان أن أسماء الله تعالى توقيفية.

المبحث الخامس: جهودهم في تقرير كون أسماء الله كلها حسنى ومعنى ذلك.

المبحث السادس: جهودهم في بيان ما يتعلق بِعدِّها.

المبحث السابع: جهودهم في بيان ما يتعلق بإحصائها.

المبحث الثامن: جهودهم في بيان اشتمال الأسماء على معان.

المبحث التاسع: جهودهم في بيان حكم التعبد بها.

المبحث العاشر: جهودهم في بيان حكم الحلف بها.

المبحث الحادي عشر: جهودهم في بيان آثار أسماء الله الحسنى.

الفصل الرابع: جهود علماء المالكية في تقرير صفات الله تعالى، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالصفة، والفرق بينها وبين الوصف والنعت.

المبحث الثاني : جهود علماء المالكية في بيان ما تعرف به الصفة.

المبحث الثالث: جهودهم في بيان أن الصفات توقيفية.

المبحث الرابع: جهودهم في بيان حكم التعبد بها.

المسألة الثامنة:صفة الكراهة.

المسألة التاسعة: صفة الضحك.

المسألة العاشرة: صفة العجب.

المسألة الحادية عشرة: صفة الغيرة.

المسألة الثانية عشرة: صفة الحياء.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات، وأثر التزام علماء المالكية بعقيدة الإمام مالـــك في الأسماء والصفات.

الفهارس العلمية.

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث.

فهرس الآثار.

فهرس الأعلام.

فهرس الأشعار.

فهرس الغريب.

فهرس المذاهب والفِرَق

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس المحتويات.

منهج البحث.

كان منهجي في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وفق الآتي:

- جمع كلام المالكية من كتبهم وممن نقل عنهم من الأئمة، وأتبعها بالدراسة المبينة لموافقة معتقدهم لعقيدة أهل السنة والجماعة.
- المقارنة بين المتقدمين والمتأخرين من محققي أئمة المالكية في موافقتهم لمنهج السلف في كل مسألة من مسائل البحث.

أما المنهج العلمي العام، فكان على النحو التالي:

1- عزو الآيات إلى مواضعها من المصحف.

2- تخريج الأحاديث الواردة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بالتخريج منهما عن الحكم عليه، وأما إن كان في غيرهما فإني أتوسع في تخريجه ما استطعت، ثم أنقل حكم الأئمة عليه صحة وضعفاً.

3- تخريج الآثار الواردة عن السلف.

4- عزو الأبيات إلى قائليها من الدواوين الشعرية، فإن لم أجد فمن كتب الأدب.

5- الترجمة لغير المشهورين من الأعلام.

6- التعريف بالفرق.

7- التعريف بالمواضع والأماكن.

مصطلحات بين يدي الرسالة.

- رتبت كلام المحققين من أئمة المالكية حسب تاريخ الوفاة، إلا أن يكون هناك سبب يستدعي تقديم ما حقه التأخير، فأقدمه وأبين السبب المقتضي لذلك.
- إذا قلت: الإمام القرطبي، أو أبو عبد الله القرطبي، أو القرطبي هكذا مطلقا فأقصد به: أحمد بن محمد صاحب التفسير، وإذا قلت: أبو العباس القرطبي فالمقصود به: صاحب المفهم شرح صحيح مسلم.
- التزمت عند تخريج الأحاديث من الصحيحين، أو أحدهما بذكر الكتاب والباب فقط. إلا في حال إهمال عنوان الباب، فأذكر رقم الحديث بعد ذكر الباب وهذا نادر.
- ما نقلته من كلام العلماء وتضمَّن الأحاديث أو الآثار؛ فإني لم ألتزم بتخريجه غالبا.

شكر وتقدير

امتثالا لقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [لقمان:12]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لم يشكر الله من لم يشكر الناس" فإني أحمد الله عز وجل وأشكره على نعمه التي لا تحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:18]، ومن أعظمها أن هداني للإسلام، ووفقني لاتباع منهج أهل السنة والجماعة، فإن أهل السنة في أهل الإسلام كأهل الإسلام في أهل الملل. ومن نعمه علي أن وفقني لسلوك طريق طلب العلم؛ وذلك بفضله ومنته.

وأسأله أن يختم لي بالإيمان ولزوم طريق أهل الحق، وأن يوفقني لشكره وحسن عبادته: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل:19].

ثم أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تلك الجامعة التي أحسب أنها أسست على التقوى من أول يوم، وأخص بالشكر كلية أصول الدين ممثلة في قسم العقيدة على ما لقيته من اهتمام ورعاية.

كما أخص بالشكر شيخي الفاضل الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان المشرف على هذه الرسالة الذي لقيت منه كل عون وتوجيه، وكم من عقبة اعترضتني فأزالها الله على يديه بحسن توجيهه وسداد رأيه، فلا غَرْوَ في ذلك؛ فإنه قد فتح لي صدره قبل فتح بابه، فالله أسأل أن يجزيه عني خير الجزاء وأوفره، وأن يبارك له في علمه وعمله وعَقِبِه.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لصاحبي الفضيلة الأستاذ الدكتور علي بن محمد السويلم الأستاذ بكلية أصول الدين، والأستاذ الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العسكر الأستاذ بكلية أصول الدين على تفضلهما بالموافقة على مناقشة الرسالة، وقد استفدت من ملحوظاتهما وتصويباتهما، جعل الله ذلك في ميزان حسناتهما، وجزاهما عني خير الجزاء.

ولا أنسى شكر كل من مدَّ لي يد العون والمساعدة بإرشاد إلى مصدر، أو إحضار مرجع، أو الدلالة على مظنة فائدة، فجزى الله الجميع عني خير الجزاء، والحمد لله الذي

بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التوحيد. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التوحيد.

المطلب الثاني: بيان أقسام التوحيد.

المبحث الثاني: توحيد الأسماء والصفات، وبيان أهميته.

المبحث الثالث: التعريف بالمذهب المالكي.

المبحث الأول: **تعريف التوحيد وبيان أقسامه، وفيه مطلبان**:

المطلب الأول: **تعريف التوحيد**.

المطلب الثاني: **بيان أقسام التوحيد**.

المطلب الأول: **تعريف التوحيد لغة وشرعا**.

كلمة التوحيد مصدر وحَّد يوحد توحيداً، وكلمة وحد في اللغة تدل على انفراد الشيء إما بذاته أو صفاته وحده توحيداً. جعله واحداً أو نسبه إلى الوحدانية.

يقال: وحده وأحده كما يقال ثناه وثلثه ورجل وَحَدُ ووَحِدٌ ووحيد أي منفرد وتوحد برأيه: تفرد به[1] .

وقال ابن فارس المالكي [2]: "وحد: الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد. من ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله، قال بشار [3]:

يا واحد العرب الذي ما في الأنام له نظير [4].

ولقيت القوم موحد موحد، ولقيته وحده، ولا يضاف إلا في قولهم: نسيج وحده، وعيير وحده، وجحيش وحده، ونسيج وحده أي: لا ينسج غيره لنفاسته، وهو مثل.

والواحد: المنفرد. وقول عبيد [5]:

---

(1) انظر الصحاح (547/2) مادة وحد.

(2) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المعروف بالرازي المالكي اللغوي، من مصنفاته: فقه اللغة، ومجمل اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، حلية الفقهاء. ت: 395هـ.
انظر ترجمته في ترتيب المدارك (220/2)، وسير أعلام النبلاء (103/17).

(3) أبو معاذ البصري، الضرير، بلغ شعره الفائق نحواً من ثلاثة عشر ألف بيت. نزل بغداد، ومدح الكبراء، وهو من موالي بني عقيل. اتهم بالزندقة فضربه المهدي سبعين سوطاً لِيُقِرّ فمات منها. هلك سنة مائة وسبعة وستين، وبلغ التسعين.
انظر ترجمته في السير (24/7)، والأعلام، (52/2).

(4) ديوان بشار، (872/1).

(5) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، من مضر، أبو زياد: شاعر، من دهاة الجاهلية وحكمائها. وهو أحد أصحاب "المجمهرات" المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات. وعمر طويلا حتى قتله النعمان بن المنذر.
انظر ترجمته في الشعر والشعراء (ص/84)، والأغاني (84/19)، والأعلام، (188/4).

والله لو مت ما ضرني   وما أنا إن عشت في واحده.

يريد: ما أنا إن عشت في خلة واحدة تدوم؛ لأنه لا بد لكل شيء من انقضاء"[1].

وقال الأزهري [2]: "أما اسم الله جل ثناؤه أحد" فإنه لا يوصف شيء بالأحدية غيره ، لا يقال رجل أحد ، ولا درهم أحد كما يقال رجل وحد ، أي فرد لأن أحداً صفة من صفات الله التي استأثر بها ، فلا يشركه فيها شيء ، وليس كقولك ، الله واحد ، وهذا شيء واحد، لأنه لا يقال شيء أحد ، وإن كان بعض اللغويين قال : إن الأصل في الأحد وحد... والواحد في صفة الله معناه أنه لا ثاني له[3]، ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد ، فأما أحد فلا يوصف به غير الله لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه"[4].

وقال ابن الأثير [5] في أسماء الله تعالى: " الواحد" هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر "[6].

---

(1) معجم مقاييس اللغة، باب الواو والحاء وما يثلثهما، "وحد"، (ص/1045).

(2) هو أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي الشافعي أحد أهم علماء اللغة من مصنفاته: كتاب التهذيب في اللغة وعلل القراءات ، انظر ترجمه في السير (315/16) وطبقات السبكي (62/3).

(3) هكذا قال والأولى أن يقال: معناه أنه لا شريك له.

(4) تهذيب اللغة (194/5- 198) .

(5) هو أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري ثم الموصلي ويلقب مجد الدين. من مصنفاته: النهاية في غريب الحديث، جامع الأصول في أحاديث الرسول، وغيرهما، ت: سنة (606).

انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (488/21) ، وبغية الوعاة للسيوطي ص 385. والأعلام (272/5).

(6) النهاية في غريب الحديث (159/5) .

التوحيد في الشرع.

عرَّف أهل السنة والجماعة التوحيد بتعريفات متقاربة يجمعها إفراد الله بأسمائه وصفاته وملكه وتدبيره وعبادته وحده دون من سواه. وقد جاءت تعريفات أئمة المالكية مبينة لهذا، فمن ذلك:

1- قول الإمام مالك[1] -رحمه الله- لما سئل عن التوحيد حيث قال : "محال أن نظن بالنبي – صلى الله عليه وسلم- أنه علم أمته الاستنجاء ، و لم يعلمهم التوحيد التوحيد ما قاله النبي – صلى الله عليه وسلم- " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد "[2].

2- وخرج–رحمه الله– في الموطأ عن ابن شهاب عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بجارية له سوداء، فقال : يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة ، أفأعتق هذه ؟ فقال لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم-:" أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟" قالت: نعم " قال "أتشهدين أن محمداً رسول الله ؟" قالت نعم . قال : أتوقنين بالبعث من بعد الموت ؟" قالت: نعم، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: " فأعتقها إذاً "[3].

فجعل النبي – صلى الله عليه وسلم-إقرار الجارية بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله دليلاً على الإيمان الذي هو حقيقة التوحيد ومعناه.

---

(1) ستأتي ترجمته في مبحث خاص.

(2) انظر: شرح البخاري لابن بطال المالكي، (99/5)، وسير أعلام النبلاء، (26/10)، وجهود علماء المالكية في تقرير توحيد العبادة للعرفج، (ص/35).

(3) الموطأ (2/ 405) برقم 2731.

3- ولما سأله الإمام ابن القاسم [1] عن الإسلام الذي إذا أجابت به الجارية حل وطؤها والصلاة عليها؟ قال: إذا شهدت أن لا إله إلا الله وأن محـــــمداً رسول الله أو صـــلت فقد أجابت بأمر يعرف أيضاً أنها دخلت في الإسلام"[2].

4- قول ابن القاسم: قال سحنون [3] رحمه الله: قلت لابن القاسم:

أرأيت من نزل بهم أهل الشرك بساحلنا فباعوهم منا، وهم صبيان فماتوا قبـــل أن يتكلموا بالإسلام بعدما اشتريناهم ، هل تحفظ عن مالك فيهم شيئاً ؟ قال : نعم لا يصلى عليهم حتى يجيبوا إلى الإسلام"[4].

فهذا منه بيان لمعنى التوحيد الذي هو شرط للحكم بإسلام المكلف وجواز الصلاة عليه.

5- قال أبو بكر الطرطوشي [5]-رحمه الله-: " اعلموا أرشدكم الله تعالى – أن لا إله إلا الله هي العروة الوثقى ، ومركب النجاة ، وسفينة نوح ، من عدل عنها هلك ، ومـــن

---

(1) هو: أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي مولاهم عالم الديار المصرية وفقيهها صـــاحب الإمام مالك قال عنه الإمام مالك " مثله كمثل جراب مملوء مسكا" ت سنة 191هـــ.
انظر ترجمته في السير (120/9) الانتقاء (ص/94)، ترتيب المـــدارك (250/1)، والأعـــلام (323/3).

(2) المدونه (179/1).

(3) هو: عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون ، انتهت إليه رياســـة العلـــم في المغـــرب وانشرت إمامته في المشرق والمغرب وسلم له بالإمامة أهل عصره واجتمعوا على فضله وتقديمه توفي سنة 240هـــ.
انظر في ترجمته " ترتيب المدارك (339/1-363) و رياض النفوس (345/1-375)، وسير أعلام النبلاء (63/12-65).

(4) المدونة (179/1- 180)

(5) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف الفهري الأندلسي الطرطوشي المالكي الفقيه الزاهد مـــن مؤلفاته : سراج الملوك ، الحوادث والبدع ، ت سنة (520) انظر ترجمته في بغيـــة الملـــتمس (ص/117) رقم 295، والسير (490/19)، ووفيات الأعيان (262/4).

ركبها خلص ونجا وهي قطب الإسلام ، وقاعدة الأديان ، وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه بها"[1]

6- وقال:وحسبك شرفا وإجلالا لهذه الكلمة: أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال:"لقنوا موتاكم لا إله إلا الله "[2]

فمفتاح الدخول في الإسلام لا إله إلا الله ، وخاتم الخروج من الدنيا والقدوم على الله تعالى "لا إله إلا لله"[3].

فقد ذكر رحمه الله أن كلمة التوحيد هي لا إله إلا الله وأنها مفتاح الدخول في الإسلام ولا يصح التوحيد إلا بها مما يجلي المعنى الشرعي للتوحيد .

7- قال الإمام أسد بن الفرات [4] -رحمه الله- منكراً على بشر المريسي [5] حين ألف كتاباً في التوحيد:" أو جهل الناس التوحيد حتى يضع لهم بشر فيه كتاباً! هذه نبوة ادعاها"[6].

يريد رحمه الله أن الناس يعرفون المعنى الشرعي للتوحيد فلا حاجة إلى أن يؤلف لهم المريسي كتاباً لبيان التوحيد على حد زعمه.

---

(1) الدعاء المأثور وأدابه (ص/185).

(2) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله .

(3) الدعاء المأثور وآدابة (ص/185) .

(4) هو الإمام العلامة القاضي الأمير مقدم المجاهدين، عالم المدينة أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم الحراني ثم المغربي من مؤلفاته الأسدية (ت سنة 213هـ) أنظر ترجمته في ترتيب المدارك (270/1) . والسير (225/10)، والأعلام (298/1).

(5) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المريسي أبو عبد الرحمن المتكلم المناظر كان من كبار الفقهاء ونظر في الكلام ، فغلب عليه وانسلخ من الورع والتقوى وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه حتى كان عين الجهمية في عصره مات سنه (218 هـ) انظر ترجمته في السير (199/10) وفيات الأعيان (277/1).

(6) رياض النفوس، (264/1).

8- قول القاضي عبد الوهاب البغدادي [1] – رحمه الله – حيث قال مبيناً متى تقبل توبة المرتد ومستدلاً على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم"[2][3]. فبين رحمه الله أن الإقرار بالشهادة عاصم للدم وهو دليل على الدخول في الإسلام سواء قبل الدخول فيه أو بعد الردة ، وهذا من أعظم ما يوضح المعنى الشرعي للتوحيد.

9- ومما يجلي المعنى الشرعي للتوحيد عند المالكية ما قاله ابن بطال [4]- رحمه الله – حيث قال عند شرحه لحديث عبادة – رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قال: اللهم اغفر لي- أو دعا – استجيب له ... الحديث"[5].

---

(1) هو الإمام العلامة شيخ المالكية بالعراق القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي انتهت إليه رئاسة المذهب في زمنه من مصنفاته الاشراف على مسائل الخلاف التلقين وغيرهما ت: سنة (422هـ) انظر ترجمته في : السير (129/17- 432) والإعلام (184/4) وترتيب المدارك (272/2)، وشجرة النور الزكية (154/1).

(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان – باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، ومسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ..

(3) المعونه على مذهب عالم المدنية (2 / 295)، وانظر جهود علماء المالكية في تقرير توحيد العبادة، (ص/44).

(4) هو الشيخ العلامة الفقيه أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي كان من أهل العلم والمعرفة والفهم مليح الخط حسن الضبط من مصنفاته : شرح صحيح البخاري ، وكتاب الزهد والرقائق : ت سنة : 449هـ انظر ترجمته في السير (247/18) الصلة ص332 برقم 892، ترتيب المدارك (365/2).

(5) أخرجه البخاري في كتاب التهجد . باب فضل من قام من الليل .

قال رحمه الله: "وفيه ما وعد الله عباده على التيقظ من نومهم لهجة السنتهم بشهادة التوحيد له، والربوبية والإذعان له بالملك والاعتراف له بالحمد على جزيل نعمه التي لا تحصى"[1].

وقال عند شرحه لحديث شداد بن أوس أن رسول الله قال : سيد الاستغفار أن يقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت . الخ .... الحديث [2]

قوله عليه السلام " أنا على عهدك ووعدك ما استطعت " يعني : العهد الذي أخذه الله على عباده في أصل خلقتهم حين أخرجهم من أصلاب أبائهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[الأعراف:172]فأقروا له في أصل خلقتهم بالربوبية ، وأذعنوا له بالوحدانية.

والوعد: هو ما وعدهم تعالى أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً وأدى ما افترض الله عليه أن يدخل الجنة"[3]

فبين رحمه الله أن وعد الله الجنة لمن جاء بالتوحيد وهو إفراده تعالى بالوحدانية وإخلاص العمل له والسلامة من الشرك وهذا فيه بيان لمعنى التوحيد.

وقال رحمه الله عند شرحه لحديث إدبار الشيطان عند سماع الأذان : "إنما يهرب –والله أعلم– من اتفاق الكل على الإعلان بشهادة التوحيد لله كما يفعل يوم عرفة لما يرى من اتفاق الكل على الإعلان بشهادة التوحيد لله تعالى"[4].

وقال في حديث كفه ﷺ عن قتال من يسمع منهم أذاناً" إنما يحقن الدم بالأذان لأن فيه الشهادة بالتوحيد لله و الإقرار بالرسول" [5]

(1) شرح صحيح البخاري (3/117-118) .
(2) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات – باب أفضل الاستغفار .
(3) شرح صحيح البخاري (10/75-76)
(4) شرح صحيح البخاري (2/234)
(5) شرح صحيح البخاري (2/239)

فقد أوضح رحمه الله أن التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله وهو الذي به تحقن الدماء وهذا من أوضح ما يكون في بيان المعنى الشرعي للتوحيد.

10- وأما ابن العربي [1] فعند شرحه حديث " لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا.... " [2]

فقد قال: أما فضل النداء فمعلوم ،وأصوله أربعة:أحدها: ما فيه من توحيد الله تعالى وتعظيمه، والشهادة لرسوله والدعاء لعبادته [3]

وقال في أثناء كلامه على التوحيد:"وبهذا المعنى وقع البيان في قوله ﷺ لأبي ابن كعب:" أي آية في القرآن أعظم" قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:255] قال: ليهنك العلم يا أبا المنذر" [4] وإنما كانت أعظم آية لأنها توحيد كلها، كما صار قوله ﷺ: " أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله ..." الحديث [5] . أفضل الذكر لأنها كلمات حوت جميع علوم التوحيد.. ثم قال: فإن الله عز وجل جمع التوحيد كله في آية الكرسي..." [6]

---

(1) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي قاض من حفاظ الحديث كان فصيحا أديباً شاعراً كثير الخير مليح المجلس ، من مؤلفاته : أحكام القرآن ، العواصم من القواصم" ت سنة (543 هـ) انظر ترجمته – الأعلام (230/6) – الديباج ص 376

(2) أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الآذان باب الاستهام في الأذان ، ومسلم في كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف وأقامتها.

(3) القبس (198/1).

(4) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي.

(5) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة ، والبيهقي في السنن الكبرى (284/4) وعبدالرزاق في مصنفه(378/4) وقال عنه الألباني – رحمه الله - حسن لغيره أنظر صحيح الترغيب (226/2).

(6) القبس (232/1-233)

فسمى رحمه الله – ما في النداء الأول توحيد وهو قول المؤذن أشـــهد أن لا إلـــه إلا الله وذلك؛ لأنها حوت جميع أقسام التوحيد كما سيأتي بيانه .

11- ذكر ابن أبي جمرة [1] أنه لابد من الإقرار بكلمة التوحيد وإعلانها حيث قـــال في كتابه " بهجة النفوس " تحت عنوان " حديث قتال المشركين حتى يعلنوا بكلمة التوحيد " ثم أورد قوله ﷺ:"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله"[2].

ثم قال مبينا معنى ذلك : " على ما جئت به، وما جاء ﷺ به هو الإقرار بالوحدانية على ما هي عليه من الجلال والكمال ونفي الشريك والضد"[3].

فبين رحمه الله أن التوحيد الذي يعصم الدم والمال الشهادة بـــ" لا إلـــه إلا الله" الـــذي يتضمن الإقرار والإعلان بهذه الكلمة وذلك معنى التوحيد في الشرع.

وهكذا نجد أن هؤلاء المحققين من أئمة المالكية قد بينوا المعنى الشرعي للتوحيد وهو مـــا تضمنته كلمة التوحيد لا إله إلا الله وهذا من تفسير الشيء بذكر بعض أفراده فإن شهادة أن لا إله إلا الله تدل على أنواع التوحيد الثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات دلالة مطابقة وتضمن والتزام؛ وذلك أن هذه الأنواع الثلاثة متلازمـــة وكل واحد منها يشمل بقية الأقسام عند الإطلاق والخلو من القرينة، فإذا ذكر توحيـــد الأسماء والصفات دخل فيه توحيد الربوبية والألوهية؛ لأن الرب والإله قد وردت أسماء لله تعالى فقد قال ﷺ : "فأما الركوع فعظموا فيه الرب"[4].

---

(1) هو أبو محمد عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة مالكي أصله من الأندلس توفي بمصر سنة 695هـــ من مؤلفاته " مختصر البخاري " وشرحه " بهجة النفوس " انظر ترجمته في نيل الابتهاج (230/1) والأعلام (89/4).

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ إلى الاسلام والنبوة.... ومسلم في كتاب " الإيمان" باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(3) بهجة النفوس (132/3)، وانظر جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة للدكتور عبد الله العرفج (ص/53)

(4) خرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب : النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود.

يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله– في بيان هذا الأمر:" إن صفات الرب جل جلاله داخلة في مسمي اسمه ، فليس اسمه " الله " والرب " و" الإله" أسماء لذات مجردة لا صفة لها البتة فإن الذات المجردة وجودها مستحيل ، وإنما يفرضها الذهن فرض الممتنعات ثم يحكم عليها واسم الله سبحانه والرب والإله اسم لذات لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال "[1].

فإذا ثبت أن الرب والإله من أسماء الله وكل اسم فهو دال على صفة كما هو معلوم ؛ صار توحيد الربوبية والألوهية داخل في توحيد الأسماء والصفات عند الإطلاق.

ويدل لذلك أن السلف رحمهم الله سموا مؤلفاتهم التي فيها بسط الكلام على الأسماء والصفات –كتب التوحيد – كمثل كتاب التوحيد من صحيح البخاري وكتاب التوحيد لابن منده وكتاب التوحيد لابن خزيمة، ويعتبرون ما يوردونه من نصوص كافياً في إيضاح حقيقة التوحيد وبيان معناه الشرعي.

ومما يدل على ذلك أيضاً ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – حيث يقول:" فدين الإسلام مبني على أصلين من خرج عن واحد منهما فلا عمل له ولا دين: أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً . وعلى أن نعبده بما شرع لا بالحوادث والبدع وهو حقيقة قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فإن الإله هو الذي تألهه القلوب عبادة ، واستعانة، ومحبة، وتعظيما، وخوفا، ورجاء، وإجلالا، وإكراماً، وهو سبحانه له حق لا يشركه فيه غيره فلا يعبد إلا الله ولا يخاف إلا الله ولا يطاع إلا الله "[2] انتهى.

ومن المعلوم أن هذه العبادة تتضمن معرفة المعبود بنعوت جلاله وصفات كماله وعظمته فمن كان بالله أعرف كان له أكمل عبودية.

وهذا هو ما يدل عليه كلام شيخ الإسلام المتقدم حيث أنه يرى أن عبادة الله وحده شاملة لتوحيد الأسماء والصفات توحيد الربوبية توحيد الألوهية ولو كانت عبادة الله وحده لا يدخل فيها توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لكانا غير داخلين في أصلي الإسلام اللذين بينهما.

---

(1) مدارج السالكين (337/3).

(2) الاستغاثة (ص/53).

ومما يدل على تضمن توحيد الألوهية لتوحيد الأسماء والصفات والربوبية حديث معاذ – رضي الله عنه– حينما بعثه النبي – صلى الله عليه وسلم–إلى أهل اليمن معلماً فقال له في معرض وصيته: " فليكن أول ما تـــدعوهم إليـــه شـــهادة أن لا إلـــه إلا الله "[(1)]. وفي رواية:"إلى أن يوحدوا الله "

فجعل ﷺ الدعوة إلى التوحيد شاملة لتوحيد الأسماء والصفات والربوبية والألوهيـــة فدل ذلك على أن شهادة أن لا إله إلا الله شاملة لكل أنواع التوحيد، وإلا لكان معاذا لم يبلغهم شيئاً يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية، وهذا محـــال إذ لا يمكـــن تأخير البيان عن وقت الحاجة [(2)].

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمتـــه إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الـــدعاء إلى الشـــهادتين، وشـــرائع الإسلام.

(2) حقيقة التوحيد والفرق بين الربوبية والألوهية للدكتور علي بن نفيع العلياني ص91 وما بعدها

المطلب الثاني : أقسام التوحيد

يقسم أهل السنة والجماعة التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية ،وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ، ومنهم من يجعل القسمة ثنائية: توحيد معرفة وإثبات وهـو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء الصفات، وتوحيد إرادة وطلب وهو توحيد الألوهيـة[1] وهذا التقسيم تقسيم تنوع وليس تقسيم تضاد واختلاف على ما سأبينه لاحقاً.

أولاً: التقسيم الثلاثي:

يرى أصحاب هذا التقسيم من أهل السنة والجماعة أن التوحيـد ينقسـم إلى ثلاثـة أقسام: توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فأما توحيد الربوبية: فهو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لشؤون خلقه كلها لا شريك له في ذلك[2] ، أو هو توحيده بأفعاله أي الاعتقاد بتفـرده بالخلق والرزق والتدبير[3] .

وأما توحيد الألوهية: فهو إفراد الله بالعبادة مثل الدعاء والخضـوع والـذل والمحبـة والخشية والإنابة وغيرها ومتعلقه أعمال المكلف، أو بعبارة أخرى الإقرار والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين [4].

وأما توحيد الأسماء والصفات فهو الإيمان الجازم بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة وإثباتها دون تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل. [5]

---

(1) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، د/عبد الرزاق البدر (ص/16) .

(2) المصدر السابق (ص/16).

(3) انظر القول السديد بشرح كتاب التوحيد للسعدي ضمن رسائل المتون العلمية (21/1) .

(4) انظر دعوة التوحيد – لخليل هراس (ص/37).

(5) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص/66) .

وقد دل على هذه الأقسام استقراء الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم ، فمن الأدلة على هذه الأقسام من الكتاب أول سورة في المصحف وهـي قولـه تعـالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤].

ففي: "رب العالمين ، مالك يوم الدين " ، الدلالة على توحيد الربوبية .

وفي: " الرحمن الرحيم " ، الدلالة على توحيد الأسماء والصفات.

وفي: " إياك نعبد وإياك نستعين" الدلالة على توحيد الألوهية. وكما دلت أول سورة في القرآن على أقسام التوحيد الثلاثة فكذلك آخر سورة منه دلت على هذه الأقسام وهـي سورة الناس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [النـاس: 1-3] فالقرآن كله دال على هذه الأقسام.

فإما أن تكون الدلالة على ذلك في موضع واحد كما تقدم في سورة الفاتحـة وسـورة الناس اللتين هما فاتحة المصحف وخاتمته وكما في قوله تعالى في سورة مريم ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]

وإما أن تكون الدلالة على كل نوع من أنواع التوحيد منفصلا . فمن ذلك :

1- توحيد الربوبية كقولـه تعـالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 54] وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعـد:16] وقولـه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنـون: ٨٤ - ٨٩] وقولـه ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤] وقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] وغيرها من الآيات.

2- الآيات الدالة على توحيد الألوهية كقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21] وقولــه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر:2-3] وقولــه: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ١٤ -15] وقولــه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:5] وغيرها من الآيات.

3- الآيات الدالة على توحيد الأسماء والصفات منها :

قولـــه تعـــالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾

[البقرة: 255] وقولــه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعـــراف: 180] وقولـــه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: 8] وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤] وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: 110] ، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص، وغيرها من الآيات.

وبالجملة فالقرآن كله دال على أقسام التوحيد الثلاثة.

وأما السنة ففيها من النصوص الدالة على أنواع التوحيد الثلاثة ما لا يتسع المجال لذكره وحسبي أن أشير الى بعض منها، فمن ذلك :

1. قوله ﷺ: "إذا أردت مضجعك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت مت على الفطرة "[1] . والفطرة هي التوحيد.

2. ما جاء في دعائه ﷺ العظيم الذي يفتتح به تهجده بالليل والذي يشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة: ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي- صلى الله عليه وسلم- إذا قام من الليل يتهجد قال: " اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت،أو لا إله غيرك "[2]

3. دعاء الكرب الذي كان يقوله عليه الصلاة والسلام عند الكرب كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما:أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- كان يقول عند الكرب " لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم "[3] .

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ،" باب ما يقول إذا نام"،ومسلم في كتاب الذكر والدعاء " باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع" .

(2) أخرجه البخاري في أبواب التهجد – باب التهجد بالليل ، ومسلم في كتاب الصلاة –باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه".

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب " وكان عرشه على الماء "، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء –باب استحباب الدعاء.

4. دعاء الاستخارة : التي كان النبي – صلى الله عليه وسلم- يعلمها أصـــــــحابه كما يعلمهم السورة من القرآن، فعن جابر رضي الله عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم: يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن: " إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك مـــن فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنـــت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: – في عاجـــل أمري وآجله — فاقدره لي ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شـــر لي في ديـــني ودنيـــاي ومعاشي وعاقبة أمري أو قال:–في عاجل أمري وآجله– فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته"[1]

وقد قرر علماء المالكية أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام متبعين بذلك الكتاب والسنة وموافقين إخوانهم من أئمة أهل السنة والجماعة، ومؤلفاتهم شاهدة بـــذلك وحســـبنا أن نذكر بشيء من ذلك لتتبين جهودهم في هذا الباب، فمن ذلك :–

1– **ما ذكره الإمام ابن أبي زيد القيرواني**[2] في مقدمة الرسالة حيث يقول في بيان ما يجب على المسلم اعتقاده والنطق والعمل به:

"من ذلك الإيمان بالقلب والنطق باللسان[3] أن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له ، ولا شريك له ، ليس لألوهيته ابتداء

(1) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة .

(2) هو الإمام العلامة القدوة الفقيه عالم أهل المغرب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي يقال له مالك الصغير وكان أحد من برز في العلم والعمل حاز رئاسة الدين والدنيا . من مصنفاته : النوادر والزيادات ، الرسالة وغيرهما ت: سنة (386هـــ) انظر ترجمته في السير (10/17) والمدارك (141/2).

(3) هذا التعريف للإيمان غير مكتمل بل لا بد من عمل الجوارح لأن الإيمان عنـــد أهـــل الســـنة والجماعة " اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعـــة ويـــنقص بالعصيان.

، ولا لآخريته انتهاء ، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلى أن قال: "... تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد أو يكون لأحد عنه غنى خالقاً لكل شيء هو رب العباد ورب أعمالهم، والمقدرلحركاتهم وآجالهم الباعث للرسل فيهم لإقامة الحجة عليهم"[1]

فقد بين رحمه الله في هذه المقدمة أقسام التوحيد الثلاثة:

أ- "توحيد الألوهية" ويدل عليه قوله: "إن الله لا إله إلا هو" فإن إله بمعنى معبود، فالإله: هو الذي تألهه القلوب أي: تعبده محبة وتعظيماً.

ب- وفي قوله " لا شبيه له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء ، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ، ولا يحيط بأمره المتفكرون "الدلالة على توحيد الأسماء والصفات" .

ج- وفي قوله " تعالى أن يكون في ملكه مالا يريد أو أن يكون لأحد عنه غنى أو يكون خالقاً لشيء إلا هو رب العباد ورب أعمالهم والمقدر لحركاتهم وآجالهم "الدلالة على توحيد الربوبية وأنه سبحانه خالق كل شيء ومالكه ومدبره .

2- **قول أبي بكر الطرطوشي - رحمه الله -** حيث قال في مقدمة كتابه سراج الملوك:" أشهد له بالربوبية والوحدانية وبما شهد به لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والنعوت الأوفى "[2] .

فقد صرح رحمه الله بأقسام التوحيد الثلاثة بكلام واضح بين لا مزيد عليه.

---

(1) رسالة ابن أبي زيد، تقديم العلامة بكر بن أبو زيد، (ص/56-58).
(2) سراج الملوك (7/1) .

3- **ما ذكره القاضي عبد الوهاب -رحمه الله-** في شرحه لعقيدة ابن أبي زيد حيث قال: "وإن أردت ما اسمه فاسمه الرحمن الرحيم ، الحـــي القيـــوم، وإن أردت ماصـــنيعه فالإنعام على عباده والإحسان إليهم ، والتفضل والامتنان ، وإن أردت مـــا شـــرعه ، فشريعته : التعبد لوجهه والأمر بالعدل والإحسان، وصلة الـــرحم .." إلى أن قـــال ... فأما اعتبار المتفكرين بآياته : فهو استدلالهم على وجوده بأفعاله وآثار صنعه وتقدمه على إحداثه لخلقه إذ أن المحدث لا يفعل شيئاً في غيره ، وبإحكام فعله واتقان صنعه على علمه إذ كانت الأفعال المحكمة والصنائع المتقنه ، لا توجد إلا من عالم بحقائقها ، وعلى قدرته بما ظهر من أفعاله التي لا تصلح من عباده"[1].

4- **ما ذكره الإمام عبد الله بن محمد القحطاني الأندلسي المالكي** [2] رحمه الله في نونيته نونيته

التي إشتملت على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة والرد على المخـــالفين مـــن جميـــع الطوائف حيث يقول في بيان توحيد الربوبية :

أنت الذي صـــــــورتني وخلقتني وهديتـــــــني لشرائـــع الإســــــلام
أنت الذي علمـــــــتني ورحمتني وجعلت صدري واعـــي القـــــرآن
أنت الذي أطعمـــــــتني وسقيتني من غير كسب يد ولا دكـــــــان

ويقول في توحيد الألوهية:

---

(1) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير أبي محمد بن أبي زيد (ص/ 22)

(2) هو الإمام الحبر العلامة الرباني أبو محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني الأديب الشـــاعر السلفي المالكي و لم أجد له ترجمة ولكنه مالكي و مما يدل على أنه مالكي ما جاء في نونيته من قوله:

"الغسل فرض والتدلك سنة... وهما بمذهب مالك فرضـــان...
وهو مذهب الزهري ووافق مالك.... وكلاهما في شرعنا علمان

انظر: تحقيق النونية القحطانية جمع الشيخ عبد العزيز بن محمد بن منصور الجربوع(ص/ 6).

...لأسبحـــــــنك بكرة وعـشية ولتخــــــــدمنك في الدجى أركـــــــاني
ولأذكرنك قائـــــــما أو قاعـــدا ولا أشكـــون إليك جهــد زمــــــــاني
ولأقصـــــــدنك في جميع حوائجي من دون قصـــــــــــد فلانـة وفـلاني

وفي بيان توحيد الأسماء والصفات يقول-رحمه الله-

فـــالله ربـــي لم يـــزل متكلمـــا حقـــا إذا مـــا شـــاء ذو إحســـان
نـــادى بصـــوت حـــين كلـــم عبـــده موســـى فأسمعـــه بـــلا كتمـــان
وكـــذا ينـــادي في القيامـــة ربنـــا جهـــرا فيســـمع صـــوته الـــثقلان
...فـــاعلم بـــأن الله رب واحـــد متنـــزه عـــن ثالـــث أو ثـــاني
الأول المبـــدي بغـــير بدايـــة والأخـــر المفنـــي ولـــيس بفـــاني
وكلامـــه صـــفة لـــه وجلالـــة منـــه بـــلا أمـــد ولا حـــدثان[1]

5- ما ذكره الشيخ أحمد بن مشرف الأحسائي المالكي [2]-رحمه الله- في منظومتــــه

لعقيدة ابن أبي زيد حيث قال في بيان أقسام التوحيد الثلاثة:

..أن الإلـــــه إلـــــه واحـــــد صـــــمد فـلا إلــه سـوى مـن للأنـام بـرا
رب الســـــموات والأرضـــين لـــيس لنـــا رب سـواه تعـالى مـن لنـا فطـرا
وأنـــــه موجـــــد الأشـــــياء أجمعهـــا بـــلا شـــريك ولا عـــون ولا وزرا

إلى أن قال في ذكر شيء من صفات الباري جل جلاله:

..وهـــو المنـــزه عـــن ولـــد وصـــاحبة ووالـــد وعـــن الأشـــياء والنظـــرا

---

(1) النونية للقحطاني ضمن أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة جمع علي بن ســـليمان آل يوسف ص 23.

(2) هو الشيخ، أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهبي التميمي: فقيه مالكي، كثير النظم، سلفي العقيدة، من أهل الأحساء، تعلم ودرس بها، وولي قضاءها. له منظومات في التوحيد والرد على المعطلة، ومدائح جمعت في مجلد باسم "ديوان ابن مشرف". توفي سنة 1285هـــ. انظر ترجمته في الأعلام (182/1)، وشعراء هجر (ص/77)، وعقد الدرر، طبعة وزارة المعارف، (ص/51،25)، وتحفة المستفيد بتاريخ الأحساء (109/2).

لا يبلغن كنه وصف الله واصفه ولا يحيط به علما من افتكرا
وأنه أول باق فليس له بدء ولا منتهى سبحان من قدرا[1]

فقد جمع رحمه الله في هذه الأبيات أقسام التوحيد الثلاثة بمالا مزيد عليه ولا يحتاج إلى شرح أو بيان.

6- **ما ذكره العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي**[2] في تفسيره العظيم أضواء البيان مبينا أقسام التوحيد الثلاثة مستدلاً على كل قسم بالقرآن العظيم حيث قال : " وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول : توحيده في ربوبيته وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف: 87] ثم ذكر الآيات الدالة على هذا النوع وأجاب عن إنكار فرعون لهذا النوع مبينا أنه تجاهل من عارف أنه عبد مربوب وذكر الآيات الدالة على ما تقدم ثم قال :" .. وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] ثم قال :

" **الثاني** : توحيده جل وعلا في عبادته وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى لا إله إلا الله وهي متركبة من نفي وإثبات فمعنى النفي فيها : خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع العبادات كائنة ما كانت ومعنى الإثبات منها : إفراد الله جل وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص على الوجه الذي شرعه على ألسنة

---

(1) نظم عقيدة ابن أبي زيد لأحمد بن مشرف بقلم الشيخ بكر ابو زيد – رحمه الله – ص63-64

(2) هو العلامة الأصولي المفسر محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر من أولاد الطالب أوبك يرجع نسبه إلى قبيلة حمير ولد عام 1325هـ عند ماء يسمى " تنبه" من أعمال مديريه " كيفا" في موريتانيا طلب العلم في بلاده ثم هاجر إلى المملكة العربية السعودية والتقى بعلمائها وأفاد منهم وتتلمذ عليه عدد من طلبة العلم وتوفي في مكة في اليوم السابع عشر من ذي الحجة عام 1393هـ من مؤلفاته: أضواء البيان، ومذكرة أصول الفقه، ودفع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب.

انظر ترجمته. جمع عبد الرحمن السديس وترجمته للدكتور عبد العزيز الطويان ضمن كتاب جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير العقيدة . (1 /29-87) .

رسله عليهم الصلاة والسلام وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: 5]

ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: 19] ثم قال رحمه الله بعد ذكر الآيات الدالة على هذا النوع من أنواع التوحيد :

النوع الثالث : توحيده جلّ وعلا في أسمائه وصفاته وهذا النوع من التوحيد يبنى على أصلين :-

الأول : تنـزيه الله جل وعلا عن مشابهة المخلوقين في صفاقم كما قال تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]

الثاني : الإيمان بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه اللائق بكماله وجلاله كما قال بعد قوله:"ليس كمثله شيء "وهو السميع البصير" مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الاتصاف قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: 110] ثم ذكر الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد [1]

قال-رحمه الله تعالى-وهو يقرر أقسام التوحيد الثلاثة لأحد أبنائه:" ياولدي! اعلم أن التوحيد ينقسم ثلاثة أقسام، وأن هذه القسمة استقرائية، والاستقراء: هو تتبع النصوص، كما أن النحو علم بالاستقراء بتتبع لغة العرب؛ إما اسم، أو فعل أو حرف، فكذلك علمنا أقسام التوحيد من تتبع القرآن، فالله تعالى قسَّم التوحيد ثلاثة أقسام في سورة الفاتحة، فقال:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة:2] والله هو المعبود بحق، ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:2] والرب هو الذي يربي الأشياء، وهذا توحيد الربوبية،﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:3،4]، وهذا توحيد الأسماء والصفات، وقوله:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:5] دل على توحيد الألوهية. وتوحيد الألوهية أن تكون

(1) أضواء البيان (3/410- 414) وانظر القول السديد للبدر (ص/ 22).

جميع أعمالك خالصة لله، من صلاة، وصيام وزكاة، ونذر، وخوف، ورجاء، وغير ذلك مما لا يجوز صرفه إلا لله، وتوحيد الربوبية: ما يكون في الكون، فهو صادر عن الله تعالى، وتوحيد الألوهية شكر على توحيد الربوبية؛ لأن الله ربك فتشكره بأن تكون أعمالـــك خالصة له، ولا تشارك غيره بها.

وأما توحيد الأسماء والصفات، فهو مبني على ثلاثة أسس:

الأول: تصديق الله فيما قال.

الثاني: تنـــزيه الله عن مشابهة خلقه.

الثالث: قطع الطمع عن إدراك الكيفية[1].

وهذا الذي يقرره المحققون من أئمة المالكية سلفا وخلفا هو ما يقرره أئمة السلف.

يقول الإمام الطحاوي-رحمه الله- في مقدمة العقيدة الطحاوية:"نقـــول في توحيـــد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لاشريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره"[2].

(1) انظر: جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، تأليف،د: عبدالعزيز بن صالح الطويان، (95/1).

(2) العقيدة الطحاوية مع شرحها لأبي العز، (ص/77-109).

ثانيا : التقسيم الثنائي:

يقسم بعض أهل السنة والجماعة التوحيد إلى قسمين:-

الأول : توحيد في المعرفة والإثبات أو التوحيد العلمي الخبري

الثاني : توحيد في الطلب والقصد أو التوحيد الإرادي الطلبي .

وممن ذكر هذا التقسيم من أئمة المالكية الشيخ عبد الحميد بن باديس-رحمه الله- حيث قال: التوحيد: هو اعتقاد وحدانية الله، وإفراده بالعبادة، والأول هو التوحيد العلمي، والثاني هو التوحيد العملي، ولا يكون المسلم مسلما إلا بهما لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:1-4] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون:1-6][1]

فقوله-رحمه الله- التوحيد العلمي، هو توحيد الإثبات والمعرفة؛ لأن معنى ذلك اعتقاد انفراد الله عز وجل بالملك والخلق والتدبير، وبما يختص به من الأسماء الحسنى والصفات العلى. وفي قوله: التوحيد العملي: إثبات توحيد العبادة، وهو توحيد الألوهية؛ إذ معناه عند أهل السنة إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة التي يعملها العباد، ويقومون بها؛ وذلك بقصده وحده دون من سواه، وهو ما يعبر عنه بتوحيد القصد والطلب[2]. وتقريره هو الذي يقرره أهل السنة.

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى- بعد أن ذكر أقوال الطوائف المنحرفة في التوحيد ... وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، و نزلت به كتبه فوراء ذلك كله وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات وتوحيد في الطلب والقصد .

---

(1) فتح رب البرية بشرح العقائد الإسلامية، (ص/232).

(2) يقول العلامة ابن عثيمين-رحمه الله- وهو يسمى توحيد الألوهية، ويسمى توحيد العبادة، فباعتبار إضافته إلى الله، فهو توحيد الألوهية، وهو باعتبار إضافته إلى العابد هو توحيد العبادة. انظر: شرح العقيدة الواسطية، (24/1).

فالأول : هو حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته ، وأفعاله وعلوه فوق سماواته على عرشة ، وتكلمه بكتبه ، وتكليمه لمن شاء من عباده ، وإثبات عموم قضائه ، وقـدره ، وحكمه ، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح ، كما في أول سورة الحديـد وسورة طه ، وأخر سورة الحشر ، وأول سورة تتريل السجدة ، وأول سورة آل عمران وسورة الإخلاص بكمالها . وغير ذلك

النوع الثاني : مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: 1] وقوله:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمـران:64] وأول سـورة ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الزمر:1] وآخرها . وأول سورة "يونس" ووسـطها وآخرهـا وأول سورة الأعراف، وآخرها، وجملة سورة " الأنعام " وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد.

بل نقول قولاً كليا : إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه : فإن القرآن : إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله . فهو التوحيد العلمـي الخـبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع كل ما يعبد من دونه ، فهو التوحيـد الإرادي الطلبي، وإما أمر وفهي، والزام بطاعته في فهيه وأمره، فهـي حقـوق التوحيـد ومكملاته، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد [1].

وممن ذكر هذا التقسيم الثنائي أيضا الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرحه للطحاويـة[2]، وملا على قارئ في شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة[3].

وعند التأمل نجد أنه لا منافاة بين القسمة الثنائية، والثلاثية، الذين قسموا التوحيد إلى قسمين: توحيد معرفة وإثبات، وتوحيد طلب وقصد جعلوا توحيد الربوبيـة، وتوحيـد

---

(1) مدارج السالكين، (417/3).
(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، (ص/89-90).
(3) انظر: (ص/22-23).

الأسماء والصفات نوعا واحدا، أطلقوا عليه توحيد المعرفة والإثبات، أي معرفة الله بأسمائه وصفاته، وإثبات ربوبيته لجميع الخلق، وجعلوا توحيد الألوهية توحيد قصـــد وطلـــب، وهذا لا إشكال فيه.

وأما الذين قالوا بالقسمة الثلاثية فجعلوا توحيد الأسماء والصفات قسما مستقلا عـــن توحيد الربوبية، وأكثر أهل السنة والجماعة على هذا.

المبحث الثاني : توحيد الأسماء والصفات وبيان أهميته.

لما كان أول واجب على المكلف توحيد الله عز وجل وكان هذا الواجب يقتضي معرفة الله تعالى التي لا تتم على الوجه الأكمل إلا بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله والإيمان بتلك الأسماء والصفات والأفعال وإقرارها إذ بها تعرف الله إلى عباده وتلك هي خلاصه دعوة الرسل وعندها تلتقي الشرائع .

ولكون توحيد الأسماء والصفات هو أدق أقسام التوحيد مسلكا وقد زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام وحصل فيه الاختلاف بين أهل القبلة كان لا بد من إفراده في مبحث مستقل لبيان أهميته وعلو منزلته.

إن مما هو معلوم أن من تمام التوحيد الذي لا بد منه، معرفة كمال الله - وما يجب له من الأسماء والصفات؛ لأن كمال الذات بأسمائها الحسنى وصفاتها العليا، ولا كمال لذات لا صفة لها ولا اسم.

وقد وصف الله نفسه بأكمل الأوصاف كما يليق بجلاله وعظمته في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ليعرِّف خلقه بنفسه وصفاته كالعلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والخلق والحب والبغض والرضا والغضب والرحمة والانتقام، والاستواء والعلو، وغير ذلك من الصفات.

وعقيدة أهل السنة والجماعة الذين هم أعلم الأمة وأعرفها بالله عز وجل أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم إثباتا من غير تمثيل، ولا تكييف، ومن غير تحريف ولا تعطيل على حد قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:11].

وينفون عنه عز وجل ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم مع اعتقاد ثبوت كمال الضد له - كما في قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾[النحل:60] ويعتقدون أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما أن له – ذاتا حقيقية لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك له صفات حقيقية لا تشبه صفات المخلوقين ويثبتون معاني الصفات، ويفوضون علم كيفيتها إلى الله تعالى.

والقاعدة التي ينطلقون منها في ذلك تتمثل في القاعدة الذهبية التي قالها الإمام مالك : لما سئل عن الاستواء، فقال:" الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[1]. ويقال في بقية الصفات ما يقال في الاستواء.

ولما كان أشرف العلوم وأعلاها العلم بأسماء الله وصفاته؛ لأن معرفة الرب عز وجل هي أشرف معلوم، وأجل مقصود ومع أن توحيد الله ومعرفته مركوز في الفطر ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]

وفي الحديث " ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .." الحديث [2] إلا أنه لما كانت الفطرة قد يعتريها ما يغيرها كما في الحديث المتقدم " فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " أرسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب ليوقظوا هذه الفطرة حتى يعرف الناس ربهم عز وجل معرفة تنير لهم الطريق التي توصلهم إلى عبادته وطلب رضاه .

وإذا كانت معرفة أسماء الله وصفاته ضرورة من ضرورات التوحيد الذي من أجله خلق الخلق وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب كان تدبر هذه الأسماء والصفات وإعطاؤها الحق اللائق وفهمها على مراد الله فيها من أهم الأمور وأجلها وذلك لما في هذا الأمر من الفوائد العظيمة ، والثمار النافعة ولذا نجد أن علماء أهل السنة والجماعة قد اهتموا بكل ما يتعلق بأسماء الله وصفاته فدرسوها وشرحوها وبينوا فوائدها وثمراتها وألفوا المؤلفات في بيانها والرد على من أنكرها أو أنكر بعضها.

ولعل مما يبين أهمية معرفة هذا النوع من التوحيد وبيان شرفه وضرورة دراسته أمور، منها:-

---

(1) نقل ذلك جمع من السلف منهم ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية، (ص/132).

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز – باب إذ أسلم الصبي فمات، ومسلم في كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة .

1) أن رضا الله عز وجل والوصول إلى جنته والتنعم بالنظر إلى وجهه الكريم في الـــدار الآخرة هو أجل وأشرف غايات المؤمنين إذ هو أعلى نعيم حيث سماه الله تعالى مزيداً إذ يقول سبحانه بعد أن ذكر نعيم أهل الجنة ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: 3] وهذا النعيم لا يحصل إلا بالإيمان بالله عز وجل والعمل بطاعته والبعد عن معصيته وذلك لا يتحقق إلا بالعلم، وأشرف العلوم وأجلها العلم بالله وبأسمائه وصفاته .

2) أن العلم بأسماء الله وصفاته هو أصل العلوم وأول الواجبات وأساس الإيمان، وتحقيق العبوديه لله عز وجل يكون بقدر تحقيق هذا العلم كما قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩] وأساس العلم بالله وحقيقته معرفة أسمائه وصفاته فإن العلم قبل القول والعمل.

3) أن معرفه الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العمل له وهذا هو عين سعادة المكلف، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، وكلما قويت معرفة العبد بذلك ازداد إيمانه، وقوي يقينه،، وانشرح صدره؛ ولذلك نجد أن أعظم الخلق انشراحا الرسل لقوة معرفتهم بالله عز وجل ثم أتباعهم بحسب قوة هذه المعرفة لديهم(1) .

4) أن الله تعالى أمرنا بتدبر آيات القرآن حيث يقول ســبحانه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]

ومن قرأ كتاب الله، وتدبره حق تدبره تبين له من معاني أسماء الله،وصفاته: من عظمتـــه وحكمته، وعدله، ورحمته، وأنه موصوف بكل كمال متره عن كل عيب، وأن حاجـــة العباد إليه لا يعدلها حاجة؛ وذلك من أشرف ما صرفت فيه الأوقات.(2)

وقد كان لأئمة المالكية جهود مباركة في بيان أهمية توحيد الأسماء والصـــفات، فمـــن ذلك:

---

(1) لبيان ذلك ينظر ما نقله ابن القيم في مفتاح دار السعادة، (127/2) وما ذكره الشيخ عبد الرحمن السعدي في التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، (ص/41)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (24/1).

(2) انظر: الفوائد، (ص/82)، وكتاب" ولله الأسماء الحسنى" للشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل، (ص/27)، وما قبلها.

1- **ما ذكره إمام المالكية في زمانه أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين**[1]: حيث يقول: مبينا أهمية توحيد الأسماء والصفات وموضحا الطريق في إثبات ذلك :" واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علما ، والعجز عما لم يدع إيماناً وأهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائة إلى حيث انتهى في كتابه ، وعلى لسان نبيه ، وقد قال وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨]وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران: ٢٨] وقوله:﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:29]، وقال:﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:48]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال : ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وقال : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] وقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[النور: ٣٥] وقال: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة: ٢٥٥]. وقال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

ومثل هذا في القرآن كثير فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض كما أخبر عن نفسه وله وجه ونفس وغير ذلك كما وصف نفسه ويسمع ويرى ويتكلم وهو الأول ولا شيء قبله والأخر الباقي إلى غير نهاية لا شيء بعده ، الظاهر العالي فوق كل شيء مما خلق والباطن بطن علمه بخلقه تعالى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] (حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) .

---

(1) الإمام القدوة الزاهد ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الأندلسي الإلبيري، شيخ قرطبة تفنن واستبحر من العلم، وصنف في الزهد والرقائق وقال الشعر الرائق وكان من حملة الحجة توفي سنه 299هـ من مؤلفاته كتاب منتخب الأحكام ، وكتاب أدب الاسلام ، وكتاب أصول السنه ، انظر ترجمته في ترتيب المدارك (259/2)، و السير (188/17)، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية (1119/2) .

ثم ساق بعض الأحاديث والآثار مستدلاً بها على صفات الله عز وجل مما يوضح أهمية معرفة هذه الأسماء والصفات إذ أن كثرة النصوص الدالة على اتصاف الله بهذه الصفات دليل على أهميتها ووجوب معرفتها إذهي أساس التوحيد الذي خلق الخلق من أجله . ثم قال يرحمه الله بعد ذلك ": فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ، ووصفه : نبيه صلى الله عليه وسلم ، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لم تره العيون فتحده كيف هو كينونة ، لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به "[1].

2- **ما ذكره حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر** [2]: من إجماع أهل السنة على إثبات صفات الله والإيمان بها على الحقيقة ومخالفتهم لأهل البدع مما بين اهتمامه رحمه الله بتوحيد الأسماء والصفات التي يقوم عليها ساق شجرة الإيمان بالله تعالى.

حيث يقول رحمه الله :" أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقربها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله الناطقون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله " [3] .

3- **قول الإمام بن العربي رحمه الله تعالى** حيث يقول رحمه الله مبينا مكانة العلم بأسماء

---

(1) أصول السنه – تحقيق عبد الله بن محمد البخاري ص 60- 176 .

(2) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي أبو عمر من كبار حفاظ الحديث مؤرخ أديب بحاثة يقال له حافظ المغرب ولد بقرطبة ورحل رحلات طويلة غربي الأندلسي وشرقيها وولي قضاء لشبونة وشنترين توفي بشاطبه سنه 463هـ من مصنفاته جامع بيان العلم وفضله ، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.

انظر ترجمته الأعلام (240/8) والسير (153/18) الصلة : ص 521 ، ترتيب المدراك (352/2) .

(3) التمهيد (145/6) .

الله وأهميته وأنه أشرف العلوم لأن شرف العلم بشرف معلومه :" شرف العلم بشـــرف المعلوم والباري أشرف المعلومات فالعلم بأسمائه أشرف المعلومات "[1]

4- **قول الإمام القصري** [2] – **رحمه الله** – حيث بين رحمه الله في كتابه شعب الإيمان أن الإيمان بالأسماء والصفات والتصديق بها شعبة من أهم شعب الإيمان وأنه من لم يؤمن بأسماء الله وصفاته فقد كذب بالقرآن والسنة وخالف إجماع أهل السنة والجماعة وخالف العقل قال رحمه الله :" الشعبه الثانية والثلاثون . الإيمان بالأسماء والصفات :" .... وهذا الباب إنما هو في الأسماء والصفات فهي شعبة ثانية من الإيمان لابد من التصديق بها ومن لم يصدق بالصفات فقد كذب بالقرآن والسنة وإجماع أهل السنة وكذب العقل : ثم قال بعد أن ساق جملة من الآيات والأحاديث مستدلاً بها على أهمية توحيد الأسماء والصفات "... وأهل السنة والحديث قد نقلوا إلينا أخبار الصفات ونطقوا بالصفات فلو كذبناهم فيما نقلوا من ذلك ونطقوا به وجب تكذيبهم في كل ما نقلوا من الشريعه وكان ذلك هدماً للإسلام ، فنعوذ بالله من الضلال " [3]

فجعل رحمه الله إنكار شيء من الصفات أو تكذيب ما صح نقله تكـــذيب بالشـــريعة وهذا من أعظم الأدلة على مكانة هذا التوحيد وعلو متزلته فدلت هذه النقول عن أئمـــة المالكية أنهم كغيرهم من إخوانهم من أهل السنة والجماعة يرون أهمية توحيـــد الأسمـــاء والصفات وأن معرفته من أهم أمور الشريعة.

---

(1) أحكام القرآن (993/2) .

(2) عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل أبو محمد الأوسي الأنصاري الأندلسي القرطبي ، العلامـــة الإمام العابد القصري المالكي من مصنفاته ، شعب الإيمان ، شرح أسماء الله الحســـنى . ت في سنه 608 هـــ انظر ترجمته في السير (420/21) الأعـــلام (276/3) ونيـــل الابتـــهاج (307/1) .

(3) شعب الإيمان ص275-276 .

المبحث الثالث: التعريف بالمذهب المالكي، وفيه مسألتان:

الأولى: التعريف بالإمام مالك رحمه الله.

الثانية: المذهب المالكي ومناطق انتشاره.

المسألة الأولى : ترجمة الإمام مالك

1- اسمه ونسبه ومولده.

هو إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري ، حليف بني تيم من قريش ولد رحمه الله عام 92هـ على أشهر الأقوال، وأمه: العالية بنت شريك الأزدية ، نشأ في بيت علم وصلاح ، فأبوه أنس كان عالماً فقيهاً ، وعماه ربيع ونافع كانا عالمين محدثين ، وجده مالك كان من كبار التابعين وجلة علمائهم وفقهائهم "[1]

2- صفاته وخلقه:

عقد القاضي عياض في كتابه المدارك بابا لذكر صفاته وخلقه فأطال الوصف وملخص ذلك أنه كان أبيض يميل إلى الشقرة ، طويل القامة ، عظيم الهامة ، أبيض الرأس واللحية أصلع أشم ، يلبس الثياب البيض امتثالاً للسنة "[2]

وكان من أعظم الخلق مروءة وأكثرهم سمتاً وكان إذا جلس جلسة لا ينحل منها حتى يقوم ، كثير الصمت ، قليل الكلام ، متحفظا للسانه ذاهيبة وتقوى "[3].

3- طلبه للعلم:

طلب الإمام مالك العلم منذ نعومة أظفاره وأخذ عن جمع من أهل العلم في زمانه، ونال مترلة عالية في العلم. يقول الإمام الذهبي[4] – رحمه الله -:" وطلب مالك العلم ابن بضع عشرة سنة وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة وحدث عنه جماعة وهو

---

(1) انظر ترجمته في ترتيب المدارك (46/1) والانتقاء ص40، والسير (48/1) .

(2) المدارك، (51/1) .

(3) المدارك (51/1-52) وانظر الإمام مالك مفسراً تأليف حميد لحمر ، ص 1، 2 .

(4) العلامة المحدث محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني أتقن صنعة الجرح والتعديل وتاريخ الرجال وكان متبعا لمنهج السلف طاف كثيراً من البلدان كف بصره سنه 741هـ تصانيفه كثيرة تقارب المائة، منها دول الإسلام، سير أعلام النبلاء ، والعبر في خبر من عبر ، تهذيب الكمال. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات (163/2)، ونكت الهميان (241-242)، وفوات الوفيات (315/3).

صبي شاب طري وقصده طلبته من الأفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور[1] وما بعد ذلك وازدحموا عليه في خلافة الرشيد [2] ، وإلى أن مات رحمه الله " [3]

ويتحدث هو عن نفسه فيقول :"قلت لأمي أذهب فأطلب العلم ؟ فقالت : تعال فالبس ثياب العلم ، فألبستني ثياباً مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي ، وعممتني فوقها ، ثم قالت : اذهب فاكتب الآن.

وقال: كانت أمي تعممني وتقول اذهب إلى ربيعه[4] فتعلم من أدبه قبل علمه[5]

ويقول متحدثا عن ملازمته لنافع[6]:" كنت أتي نافعاً مولى ابن عمر ومعي غلام لي وينزل لي من درجة له فيقعدني معه فيحدثني " وقال :" كنت أتي نافعاً نصف النهار وما تظلني الشجر من الشمس إلى خروجه ، فإذا خرج أدعه ساعة كأني لم أرده، ثم

(1) الخليفة ، أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور كان فحل بني العباس ذا هيبة وشجاعة ورأيًا وحزماً ودهاء، وجبروتاً توفي في ذي الحجة سنة 158هـ انظر ترجمته في السير (83/7) تاريخ الإسلام (21416) ، تاريخ الخلفاء ص259/ 271 .

(2) الخليفة أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر الهاشمي العباسي استخلف بعهد معقود له بعد الهادي من أبيهما المهدي سنة سبعين ومائه كان من أنبل الخلفاء وأحسن الملوك ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي ذا فصاحة وعلم وبصر بأعباء الخلافة، وله نظر جيد في الأدب والفقه مات سنة (193 هـ) انظر ترجمته في السير (286/9) وتاريخ الخلفاء، (ص/283-284).

(3) السير (55/8) .

(4) ربيعة بن فروخ التميمي بالولاء المدني أبو عثمان إمام حافظ فقيه مجتهد بصير بالرأي فلقب ربيعه الرأي " قال عنه إبن الماجشون : ما رأيت أحد أحفظ لسنة من ربيعة وكان صاحب الفتوى بالمدنية وبه تفقه الإمام مالك ت سنة (136 هـ) انظر ترجمته في السير (89/6)، تذكرة الحفاظ (148/1) وتهذيب التهذيب (258/3) .

(5) المدارك (54/1) .

(6) نافع أبو عبد الله المدني مولى بن عمر كان من أئمة التابعين بالمدينة كثير الرواية للحديث ثقة لا يعرف له خطأ في جميع ما رواه عن ابن عمر هو " ديلمي الأصل مجهول النسب أصابه ابن عمر في بعض مغازيه ت سنة (117) انظر ترجمته في السير (95/5) والتهذيب (412/10) وتاريخ الإسلام (10/5).

أتعرض له فأسلم عليه وأدعه حتى إذا دخل البلاط أقول له : كيف قال ابن عمر في كذا وكذا ؟ فيجيبني، ثم أجلس عنه وكان فيه حدة "

ويقول واصفا ملازمته لابن هرمز [1] :" كنت أتي ابن هرمز بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل " [2]

وقد بلغ من حرصه على العلم أنه كان يقدم طلبه على مناسبات الفرح يقول- رحمه الله: شهدت العيد فقلت هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب [3] فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه فسمعته يقول " لجاريته : انظري من على الباب ؟ فنظرت فسمعتها تقول : مولاك الأشقر مالك . قال أدخليه ، فدخلت ، فقال ما أراك انصرفت بعد إلى مترلك ؟ قلت : لا قال هل أكلت شيئا ؟ قلت : لا ، قال : فاطعم ، قلت :" لا حاجه لي فيه . قال : فما تريد ؟ قلت : تحدثني . فحدثني سبعة عشر حديثا ، ثم قال : وما ينفعك إن حدثتك ولا تحفظها ؟ قلت : إن شئت رددها عليك . فرددها عليه ، وفي رواية قال : لي هات فأخرجت الواحي فحدثني بأربعين حديثاَ . فقلت : زدني . قال حسبك إن كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ . قلت قد رويتها ، فجبذ الألواح من يدي ، ثم قال : حدث فحدثته بها فردها علي، وقال : قم فأنت من أوعية العلم ، أو قال : إنك لنعم المستودع للعلم " [4] .

وقد وهب الله مالكا حفظاً وذاكرة قويه . ذكر القاضي عياض في مداركه أنه قال : قدم علينا الزهري فأتيناه ومعنا ربيعه فحدثنا نيفاً وأربعين حديثا ، ثم أتيناه من الغد فقال : انظروا كتاباً أحدثكم منه أرأيتم ما حدثتكم أمس في أيديكم شيء منه ؟ فقال له ربيعه :

---

(1) فقيه المدينه أبو بكر عبد الله بن يزيد بن هرمز الأصم أحد الأعلام وقيل بل اسمه يزيد بن عبد الله بن هرمز عداده في التابعين كان يتعبد ويتزهد مات سنة (148هـ) انظر ترجمته في السير (379/6) مشاهير علماء الأمصار ص 166 .

(2) ترتيب المدارك (50/1) .

(3) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري الفقيه الحافظ المدني متفق على جلالته وإتقانه توفي سنة (125) هـ انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (266/5) والسير (326/5) .

(4) ترتيب المدارك (1 / 65).

ها هنا من يرد عليك ما حدثت به أمس فقال :ومن هو ؟ قال: ابن أبى عامر، فقـال : هات، فحدثته بأربعين حديثاً منها، فقال الزهري: ما كنت أرى بقي من يحفـظ هـذا غيري"[(1)]

4- مترلته وثناء العلماء عليه .

بلغ الإمام مالك من العلم منـزلة اعترف له بها أساطين أهل العلم ممن عاصره، وممن جاء بعده

♦ قال سفيان بن عيينه[(2)]: بعد أن روى حديث أبي هـريرة س أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-قال:" يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فـلا يجدون أعلم من عالم المدينة "أظنه مالك بن أنس"[(3)]

وقال سفيان يرحمه الله: "ما نحن عند مالك . إنما نتبع آثار مالك" وقال:"إن المدينة، أو أو قال "ما أرى المدينة إلا ستخرب بعد مالك"

وقال: " ومالك سيد أهل المدينة " وقال " مالك سيد المسلمين " وقال :" مالك إمـام ، وقال: مالك عالم أهل الحجاز " وقال :" كان مالك سراجاً ، ومالك حجة في زمانـه ، وقال: وقد بلغه وفاة مالك : " ما ترك مثله أو ما ترك على الأرض مثله . وقال لبعضهم أتقرنني بمالك ؟ ما أنا وهو إلا كما قال جرير[(4)]

وابن اللبون إذا مابز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس[(5)]

---

(1) المصدر السابق، (56/1).

(2) أبو محمد: سفيان بن عيينة بن ميمون مولى محمد بن مزاحم الإمام الأكبر حافظ العصر شيخ الإسلام محدث الحرم من مؤلفاته: الجامع في الحديث، كتاب التفسير،انظر ترجمته في السير (454/18)، ووفيات الأعيان (391/2-393).

(3) أخرجه الإمام أحمد (299/2) والترمذي في أبواب العلم باب ما جاء في عالم المدينه. وابن حبان والحاكم (9/1) والبيهقي (386/1) وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند (125/15-127) رقم (7967) إسناده صحيح .

(4) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي من تميم أشعر أهل عصره كان يكنى بأبي حزرة، وكان هجاء، مات سنة 110 هـ انظر ترجمته في السير (590/4)، والاعلام (119/2)

(5) ديوان جرير، (321/1).

ثم قال :" ومن مثل مالك : متبع لآثار من مضى ، مع عقل وأدب " وقال :" مالك إمام في الحديث " [1]

وقال الإمام الشافعي :." إذا جاءك الأثر عن مالك فشد به يدك"وقال:"إذا ذكر العلماء، فمالك النجم ، و لم يبلغ أحد في العلم مبلغ مالك لحفظه وإتقانه وصيانته، ومن أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك.

"وقال:"ما أحدا أمن علي من مالك ومنه أخذت العلم وإنما أنا غـلام مـن غلمـان مالك"وقال عبد الله بن المبارك [2] : "لو قيل اختر للأمة إماماً اخترت مالكا"[3]

وقال الإمام أحمد :" مالك سيد من سادات أهل العلم وهو إمام في الحديث والفقه . ومن مثل مالك متبع لآثار من مضى مع عقل وأدب" [4]

- وقال يحيى بن معين [5]:." كان مالك من حجج الله على خلقه" [6]
- وقال الدارقطني[7] : "لا نعلم أحداً تقدم أو تأخر اجتمع له ما اجتمع لمالك [1]

---

(1) ترتيب المدارك (1/61/-62) .

(2) عبد الله بن المبارك بن واضح الامام، شيخ الإسلام ، عالم زمانه ، وأمير الأتقياء في وقته أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم ثم المروزي ، الحافظ ، الغازي ، أحد الأعلام ت سنة 181 انظـر في ترجمته : السير (8/378)، الأعلام (4/115) وترتيب المدارك (1/169) .

(3) ترتيب المدارك (1/63) .

(4) المصدر السابق (1/63) .

(5) هو يحيى بن معين بن عون بن زياد المري بالولاء : أبو زكريا سيد الحفاظ من أئمـة الحـديث ومؤرخي رجاله من مؤلفاته . التاريخ ، العلل ، ومعرفة الرجال انظـر في ترجمتـه الأعـلام (8/172) وتذكرة الحفاظ (2/16) وتاريخ بغداد (14/177) .

(6) الانتقاء (65) .

(7) هو الإمام الحافظ المجود شيخ الإسلام ، علم الجهابذة أبو الحسن علي بن عمر بن أحمـد بـن مهدي البغدادي المقرئ المحدث كان من بحور العلم ومن أئمة الدنيا، انتهى إليه الحفظ ومعرفة علل الحديث ورجاله توفي سنه 385هـ انظـر ترجمتـه في السـير (16/449) الأعـلام (4/314)

وقال النسائي [2]: "ما من أحد عندي بعد التابعين أنبل من مالك بن أنس ، ولا أحد أمن علي بالحديث منه "[3]

ولو أردت تتبع أقوال الأئمة في هذا الإمام العلَم لطال المقام، ولعل فيما أوردته ما يكفى لإظهار فضله وعلو مترلته .

1. **وفاته**.

توفي الامام مالك : في شهر ربيع الأول سنة 179هـــ وعمره ست وثمانون سنه ، ودفن في البقيع [4].

---

(1) ترتيب المدارك (7/1)/ وطبقات الشافعية (310/2) .

(2) الإمام الحافظ الثبت ، شيخ الإسلام ، ناقد الحديث أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي . صاحب السنن طلب العلم في صـــغره ت ســـنة 303مـــن مؤلفاته السنن، والضعفاء ، انظر ترجمته: في (السير (125/14) ، الأعلام (171/1) .

(3) . الانتقاء ص 65-66

(4) انظر في ترجمته جماع العلم للشافعي ص 242 ، تـــاريخ خليفـــة بـــن خيـــاط (432/1) ، (719/2) المعارف لابن قتيبة ص 498 – 499 الانتقـــاء ص 9-63 ترتيـــب المـــدارك (140-44/1) العبر للذهبي (272/1) السير (48/8) وغيرها.

المسألة الثانية: المذهب المالكي

نشأ الإمام مالك ابن أنس في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتلقى الرواية وأخذ العلم عن علمائها ومن يفد إليها من جميع البلاد ولم يخرج من المدينه إلا للحج ومع ذلك فقد وهبه الله علماً وعقلاً وفهما ، حتى فاق أقرانه فعرف بين جميع الناس : بعالم المدينه وإمام دار الهجرة ، وطار ذكره في الأفاق ، وقصده طلبة العلم من أصقاع المعمورة ، وكان من أعظم تلك الخصال التي أتصف بها عنايته بالحديث رواية واستنباطاً ثم رزق تلاميذاً اعتنوا بسماعاتهم منه ودونوها من أمثال : عبد الله بن وهب [1] الذي لم يكن الإمام مالك يتكلم بشيء إلا كتبه حتى يقال إنه ألف في سماعه من مالك ثلاثين كتاباً " [2]

ثم إن هؤلاء التلاميذ نشروا هذا العلم الذي أخذوه من مالك في بلادهم وأماكن إقامتهم ويعلمون كل من مروا عليه في طريق عودتهم إلى ديارهم مما هيأ لمذهب مالك الانتشار.

يقول القاضي عياض [3] : غلب مذهب مالك على الحجاز والبصرة ومصر، وما والاها من بلاد أفريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلم من السودان وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً وضعف بها بعد أربعمائة سنة وظهر بنيسابور وكان بها وبغيرها أئمة ومدرسون "[4]

---

(1) هو: عبد الله بن وهب بن مسلم الإمام شيخ الإسلام ، أبو محمد الفهري مولاهم طلب العلم وله سبع عشرة سنة وكان قد قسم وقته أثلاثاً : ثلثا يعلم الناس بمصر، وثلثاً في الرباط، وثلثاً في الحج. وذكر أنه حج ستا وثلاثين حجة، ت سنة 139 انظر ترجمته في: السير (223/9-234) وترتيب المدارك (243/1).

(2) انظر ترتيب المدارك (244/1) وما بعدها. وانظر: جهود علماء المالكية في تقرير توحيد العباد، (ص/ 19).

(3) هو: القاضي عياض بن موسى بن عمرون اليحصبي البستي ، أبو الفضل ، عالم المغرب إمام اهل الحديث في وقته كان عالماً بالنحو واللغة وكلام العرب وأنسابهم وأيامهم من مؤلفاته : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، وترتيب المدارك ، الغنية ، وغيرها ت سنه 544هـ .انظر ترجمته في الديباج ص270 الأعلام (99/5)

(4) ترتيب المدارك (31/1) .

وفيما يلي تذكير بالأقاليم التي انتشر فيها مع ذكر بعض الأعلام في كل إقليم:

1- الحجاز

نشأ المذهب المالكي في الحجاز وتفجر منها و لم ينازعه في بداية ظهوره أي مذهب أخر فكانت المدينة كلها وما جاورها على رأي الإمام مالك وخرج منها إلى جهات الحجاز واليمن واستمر هذا المذهب في الحجاز حتى أواخر القرن الثامن قال بن فرحون: "فغلب مذهب مالك على أهل الحجاز" [1]

ومن أبرز أعلام المذهب في الحجاز: محمد بن مسلمه [2] وعبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون [3] ومطرف بن عبد الله بن مطرف الهلالي [4] وغيرهم.

---

(1) الديباج (61/1) .

(2) هو: محمد بن مسلمه بن محمد بن هشام أبو هشام المخزومي المدني نزيل دمشق الفقيه النسابه قال عنه أبو حاتم كان أحد فقهاء المدينة من أصحاب مالك وكان من أفقههم وكان ثقة، توفي 216هـ انظر ترجمته في: المدارك (206/1)، الانتقاء (ص/102)، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية (1200/3).

(3) العلامة الفقيه مفتي المدينة ، أبو مروان ، عبد الملك بن الامام عبد العزيز بن عبد الله بن الماجشون التميمي مولاهم المدني المالكي تلميذ مالك كان فقيها فصيحا دارت عليه الفتيا في زمانه وكان ضريراً ت في سنه 213 انظر ترجمته في السير (309/10)وترتيب المدارك (207/1) وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية (790/2) .

(4) هو: مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار أبو مصعب ويقال أبو عبد الله اليساري الهلالي مولى ميمونة أم المؤمنين الفقيه الأصم ابن أخت الإمام مالك روى عن مالك الموطأ وغيره مات سنه (220) انظر ترجمته في ترتيب المدارك (206/1) جمهره تراجم الفقهاء المالكية (1254/3) والانتقاء ص105 .

2- مصر

تعتبر مصر المحضن الأول للمذهب المالكي بعد موطنه الأصلي المدينة النبوية وقد دخلها المذهب المالكي على يد عبد الرحمن بن القاسم من تلامذة مالك المصريين الذين كانــت لهم حلقاتهم العلمية بمصر حتى وفد إليها الإمام الشــافعي فاقتســم المــذهبان الشــهرة والذيوع؛لكن نجم المالكية بدأ يأفل بغلبة الفاطميين[1] عليها ثم عاد بقوة في عهد الدولــه الأيوبية، ومازال له وجود في مصر إلى اليوم خصوصاً في الصعيد.

ومن أبرز علماء المذهب في مصر: عبد الرحمن بن القاسم العتقــي وأشــهب[2]بــن عبد العزيز التيمي وعبد الله بن عبد الحكم بن ليث [3]

(1) هم: بنو عبيد: العبيديون نسبة إلى عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان البوني من الأهــواز -على الصحيح- وهو مجوسي ومن أشهر الدعاة السريين الباطنيين الذين عرفهم التاريخ ، ومن دعــــوته هذه صيغت دعوة القرامطة، بدأ حكم العبيديين في المغرب عام 296هـــ ثم ملكوا مصر عام 358 ، ثم فتحوا بلاد الشام فأصبحوا أكبر قوة في العالم الإسلامي تنــــشر البدع والشركيات، من مخلفاتهم: الاحتفال بالمولد النبوي، ادّعوا نسبتهم إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وقد صنف كثير من العلماء السالفين في بيان كذب أولئك العبيديين وبيان نحلتهم الكافرة الفاجــرة، وأنهم كانوا يظهرون الرفــض ويبطنون الكفر المحض. وممن كتب في ذلك الإمام أبو بكر الباقــلاني في كتاب نفيس سماه كشف الأسرار وهتك الأستار، وابن الجوزي وغيرهم.

انظر في ذلك البداية والنهاية للعماد ابن كثير في حوادث سنة 402هـــ (11 / 249).

(2) أشهب بن عبد العزيز بن داوود بن إبراهيم الإمام العلامة مفتي مصر أبــو عبــد الله القيســي المصري الفقية يقال اسمه مسكين وأشهب لقب له ت سنة (204) انظر ترجمتــه في الســير (500/9) والأعلام (333/1)، وترتيب المدارك (259/1).

(3) عبد الله بن عبد الحكم بن ليث الإمام الفقية مفتي الديار المصرية ابومحمــد المصــري المــالكي صاحب مالك ويقال أنه من موالي عثمان بن عفان ت سنة (214) هـــ انظر ترجمته في السير (220/10) الأعلام (95/4) ترتيب المدارك (304/1)

3- تونس والقيروان

دخل المذهب المالكي تونس على يد علي بن زياد التونسي [1] صاحب الرواية المشهورة للموطأ المؤسس الحقيقي للمذهب المالكي في تونس ثم ما لبـــث أن انتشـــر في تـــونس والقيروان على يد أعلام كبار من الفقهاء ومن أبرز أعلام المذهب : أبو الحسن علي بن زياد التونسي وسحنون [2] وغيرهما.

4- الأندلس

حل المذهب المالكي في الأندلس في زمن متقدم بسبب رحلة بعض أبنائها إلى الحجـــاز والسماع من مالك ثم نقل مذهبه إلى الأندلس كأمثال شبطون [3]

(1) علي بن زياد العبسي، وقيل: إن أصله من العجم أبو الحسن ثقة مأمون خير متعبـــد بـــارع في الفقه ممن يخشى الله عز وجل مع علوه في الفقه لم يكن بعصره بأفريقية مثله ت (183) انظـــر ترجمته في ترتيب المدارك (185/1) وجمهره تراجم فقهـــاء المالكيـــة (850/2) والأعـــلام (289/4) وشجرة النور الزكية (91/1).

(2) الإمام العلامة فقيه المغرب أبو سعيد عبد السلام بن حبيب بن حسان التنوخي الحمصي الأصل المغربي القيرواني المالكي قاضي القيروان صاحب المدونة الملقب بسحنون ت سنه (240 هـــ) انظر ترجمته في السير (63/12-69) الإعلام (5/4) ترتيب المدارك (339/1).

(3) الفقيه الإمام الأندلسي أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي الأندلســـي صـــاحب مالك كان إماماً عالماً ناسكاً مهيبا كبير الشأن ت ســـنة (193) انظـــر ترجمتـــه في الســـير (311/9-312) ترتيب المدارك (200/1)

وقرعوس بن العباس [1] وأسد بن الفرات ، ثم انتشر بعد ذلك بسبب تبني الأمير هشـــام بن عبد الرحمن بن معاوية له وجمع الناس عليه وإلزامهم به وجعل الفتيا والقضاء عليه .
ومن أبرز أعلام المذهب في الأندلس: ابن عبد البر، وأبو الوليد الباجي[2] وغيرهما.

5- العراق.

بدأ الاهتمام بالمذهب المالكي في العراق في حياة الإمام مالك على يد بعض تلامذته من أمثال عبد الله القعنبي[3] وابن المعذل[4] ثم قويت شوكة المذهب في العراق بدخول أسرة آل حماد إلى العراق. ثم ساعد على انتشاره قوة العلاقة بين بني حماد والخليفة العباسـي المأمون[5].

---

(1) قرعوس بن العباس بن قرعوس بن حميد الثقفي من أهل قرطبة بكني ابا الفضل سمع من مالـــك والثوري وابن جريح وكان رجلا متديناً ورعاً فاضلاً ت سنة (220 هـــ) انظـــر ترجمتـــه في ترتيب المدارك (285/1)، الديباج المذهب (124/1-125).

(2) الإمام الحافظ ذو الفنون القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الأندلسي القرطبي الباجي المالكي، قال القاضي عياض:"ولم يكن بالأندلس أتقن للمذهب منه، من مؤلفاته: إحكام الفصول في أحكام الأصول، والمنتقى في شرح الموطأ، وغيرهما، (ت:474هـــ)، ترجمته في ترتيب المدارك، (158/2)، والسير، (525/18).، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية، (556/1).

(3) هو: عبد الله بن مسلمه بن قعب الإمام الثبت القدوة شيخ الإسلام ، أبو عبد الرحمن الحـــارثي القعنبي المدني نزيل البصرة ثم مكة كان مجاب الدعوة ت سنة 121 هـــ انظـــر ترجمتـــه في: ترتيب المدارك (231/1)، السير (157/10) والإعلام (137/4) .

(4) أحمد بن المعذل بن غيلان بن حكم شيخ المالكية أبو العباس العبدي البصـــري انظـــر الســـير (519/11) وترتيب المدارك (319/1) .

(5) الخليفة أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور العباســـي قرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل وأمر بتعريب كتبهم وبالغ ودعا إلى القول بخلق القرآن – نسأل الله السلامة مات سنة 218 هـــ السير (272/10) المعارف لابن قتيبة (ص/387)، تاريخ الخلفاء (ص/306-333).

ومن أبرز أعلام المذهب المالكي في العراق أبو بكر محمد بن عبد الله الأبهري[1] وابن القصار [2] والقاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي وغيرهم .

6- فاس والمغرب الأقصى.

تأخر دخول المذهب المالكي إلى المغرب الأقصى نسبياً عن دخوله الأندلس وتونس حيث لم يكن لأهل المغرب مذهب معين : يتبعونه حتى جاءت دولة الأدارسة فألزم الناس بالمذهب المالكي فجعل القضاء بالمذهب المالكي.

ومن أبرز أعلام المذهب في المغرب الأقصى: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي.

7- اليمن وشرق الجزيرة العربية.

دخل المذهب المالكي على يد أبي قرة القاضي[3] ومحمد بن صدقه الفدكي[4]كما كان له وجود في الأحساء حيث تبنى أمراء الأحساء من آل جبر [5] المذهب المالكي واهتموا به ونشروه ولا يزال له وجود في الأحساء والإمارات العربية وقطر والكويت والبحرين

---

(1) محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح أبو بكر التميمي الأبهري الإمام الفقيه المقرئ المحدث، انتشر عنه مذهب مالك ببغداد، (ت:375هـ)، انظر ترجمته في ترتيب المدارك، (124/2)، والسير، (332/16)، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية، (1124/3).

(2) شيخ المالكية القاضي أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي بن القصار له كتاب في مسائل الخلاف، (ت:397هـ)، انظر ترجمته في ترتيب المدارك، (214/2) ، والسير، (107/17)، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية، (856/2).

(3) هو موسى بن قرة بن طارق السكسكي ، أبو قرة روى عن مالك الموطأ و مالا يحصى حديثا ، ومسائل الموطأ وكان قاضي زبيد . انظر ترجمته في ترتيب المدارك (231/1) جمهرة تراجم الفقهاء المالكية (282/3) .

(4) هو محمد بن صدقه الفدكي أبو عبد الله كان يسكن ناحية المدينه سمع من مالك معدود في رواة الموطأ انظر ترجمته في ترتيب المدارك (298/1) جمهره تراجم المالكية (1094/2) .

(5) حكموا الأحساء في القرن التاسع والعاشر من حكامهم أجود بن زامل الجبيري وصالح بن يوسف بن الحسين . انظر تسهيل المسالك (175/1) .

ولا يزال هناك بعض العلماء على المذهب المالكي كأمثال آل مبارك [1] في الإحساء وغيرهم[2] .

8- خراسان وما وراء النهر .

دخل المذهب المالكي إلى هذه البلاد وانتشر فيها على يد ابن المبارك ويحيى بن يحيي التميمي [3] وغيرهما .

وهكذا نجد أن المذهب المالكي قد انتشر في أقطار كثيرة من العالم الإسلامي ولا يزال موجوداً شأنه شأن المذاهب الفقهية الأخرى.

---

(1) نسبة إلى مبارك بن علي بن قاسم بن حمد بن سلطان من بني عمرو بن تميم لا تزال سلالتهم معروفة بهذا الاسم في الأحساء وهم مالكية في الفروع انظر التسهيل (46/1) .

(2) التسهيل، (181/1-190).

(3) هو يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي الحنظلي مولاهم شيخ الاسلام وعالم خراسان أبو زكريا لقي صغار التابعين ولازم مالك وكان ثقة مأموناً مرضياً توفي سنة (266هـ) انظر ترجمته في (السير 512/10) وترتيب المدارك (238/1)، جمهرة فقهاء المالكية (1268/3).

الفصل الأول:

الجهود العلمية والعملية، لعلماء المالكية في بيان توحيد الأسماء والصفات وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : مصنفات علماء المالكية في تقرير توحيد الأسماء والصفات، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول : المصنفات المسندة.
  - المطلب الثاني : المصنفات غير المسندة.
- المبحث الثاني : جهود علماء المالكية العملية وفيه ثلاثة مطالب:
  - المطلب الأول : التحديث والدروس في الحلق.
  - المطلب الثاني : المناظرات.
  - المطلب الثالث : الردود على المخالفين.

المبحث الأول : مصنفات علماء المالكية في تقرير توحيد الأسماء والصفات، وفيه مطلبان:

تمهيد:

عاشت الأمة الإسلامية في خلافة أبي بكر وعمر وصدراً من خلافة عثمان رضـــي الله عنهم في عافية في أمور دينها وائتلاف في جماعتها وانتشار في رقعة بلادها و لم يكن أحد من الأمة يعارض الوحي بعقله بل كانوا على ما بعث الله به رسوله ﷺمن الهدى وديـــن الحق ، حتى ظهرت طوائف من أهل البدع واشتد ظهورها في أواخر عهد التابعين ومـــع بداية القرن الثاني الهجري ظهرت بدعة الجهمية الذين أنكروا صـــفات الله عـــز وجـــل ومقدمهم في ذلك الجعد بن درهم [1] الذي أظهر القول بنفي الصفات ونفي كـــلام الله عز وجل فقتله خالد بن عبد الله القسري [2] بعد صلاة عيد الأضحى ، ثم أخـــذ هـــذا المذهب الباطل عنه الجهم بن صفوان [3] ثم ازداد الأمر سوءاً لما عربت كتـــب اليونـــان وأدخلت على المسلمين في عهد الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد بتـــزيين مـــن

---

(1) الجعد بن درهم من الموالي مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا و لم يكلم موسى فقتله خالد بن عبد الله القسري في يوم عيد الأضحى سنة 120 هـــ. انظر ترجمته في السير (433/5) والأعلام (120/2) والكامل لابن الأثير (160/5) .

(2) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري أبو الهيثم أمير العراقين وأحد خطـــــــباء العرب وأجوادهم قتل الجعد ابن درهم ثم قتله يوسف بن عمر الثقفي بأمر الوليد بن يزيد، انظر ترجمته في السير (425/5) والأعلام (297/2) والكامل لابن الأثير (205/4) .

(3) الجهم بن صفوان السمرقندي أبو محرز من موالي بني راسب الجهمي الضال المبتدع قتله سلم بن

سيار، انظر: ترجمته في السير (26/6) – الإعلام (141/2) والكامل لابن الأثير (342/5) سنة

(128 هـــ).

بطانة السوء الذين استحوذوا على الخليفة وحسنوا له ذلك فدخل على المسلمين شر في عقيدتهم لا زالوا يعانون من آثاره.

يقول شيخ الإسلام بن تيميه – رحمه الله –: "كانت البدع في القرون الثلاثة الفاضلة مقموعة، وكانت الشريعة أعز وأظهر، وكان القيام بجهاد أعداء الدين من الكافرين والمنافقين أعظم.

وفي دولة أبي العباس المأمون عُرِّب كثير من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين ... وكان من أثر ذلك استيلاء الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل الضلال ونحوهم من المتفلسفة، وذلك بنوع رأي يحسبه صاحبه عقلا وعدلا وإنما هو جهل وظلم إذ التسوية بين المؤمن والمنافق ؛ والمسلم والكافر أعظم الظلم وطلب الهدى عند أهل الضلال أعظم الجهل فتولد من ذلك محنة الجهمية حتى امتحنت الأمة بنفي الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته وجرى من محنة الإمام أحمد وغيره ما جرى مما يطول وصفه"[1].

وقد روى الشيخ نصر المقدسي[2] في كتابه "الحجة على تارك المحجة" حادثة تبين كيفية بداية الأخذ بتراث اليونان، فقد روى بسنده عن أبي محمد عبد الله بن أبي زيد المالكي قصة إخراج كتب اليونان إلى الإسلام، فذكر أن "سبب خروجها من أرض الروم إلى بلاد الإسلام يحيى بن خالد بن برمك، وذلك أن كتب اليونانية كانت ببلد الروم، وكان ملك الروم خائف على الروم إن نظروا في كتب اليونانية أن يتركوا دين النصرانية، ويرجعوا إلى دين اليونانية، وتتشتت كلمتهم وتتفرق جماعتهم.

---

(1) مجموع الفتاوى، (21/4).

(2) نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم النابلسي المقدسي، الفقيه الشافعي، الإمام القدوة العلامة المحدث، شيخ الإسلام، صاحب التصانيف، كان فقيهاً إماماً زاهداً عاملاً، توفي سنة 490هـ. انظر ترجمته في: تهذيب الأسماء واللغات (125/2)، طبقات الشافعية (351/5-353)، السير (136/19-143)، شذرات الذهب (395/3-396).

فجمع الكتب في موضع، وبنى عليها بناء مطمساً بالحجر والجص حتى لا يوصل إليها. فلما أفضت رياسة دولة بني العباس إلى يحيى بن خالد، وكان زنديقاً، بلغه خبر الكتب التي في البناء ببلد الروم، فصانع ملك الروم الذي كان في وقته بالهدايا، ولا يلتمس منه حاجة؛ فلما أكثر عليه جمع الملك بطارقته وقال لهم: إن هذا الرجل خادم العربي قد أكثر عليّ من هداياه ولا يطلب مني حاجة، ولا أراه يلتمس حاجة، وأخاف أن تكون حاجته تشقّ عليّ، وقد شغل بالي. فلما جاءه رسول يحيى قال له: قل لصاحبك إن كانت له حاجة فليذكرها، فلما أخبر الرسول يحيى رده إليه وقال له: حاجتي الكتب التي تحت البناء، يرسلها إلي، أُخرج منها بعض ما أحتاج وأردها إليه. فلما قرأ الرومي كتابه استطار فرحاً، وجمع البطارقة والأساقفة والرهبان وقال لهم: قد كنت ذكرت لكم عن خادم العربي انه لا يخلو من حاجة، وقد أفصح بحاجته، وهي أخف الحوائج عليّ، وقد رأيت رأياً فاسمعوه، فإن رضيتموه أمضيته، وإن رأيتم خلافه تشاورنا في ذلك حتى تتفق كلمتنا، فقالوا: وما هو؟ قال: حاجته كتب اليونانية، يستخرج منها ما أحب ويردها. قالوا: فما رأيك؟ قال: قد علمت أنه ما بنى من كان قبلنا عليها إلا أنه خاف إن وقعت في أيدي النصارى وقرأوها كان سبباً لهلاك دينهم وتبديد جماعتهم، وأنا أرى أن أبعث بها إليه وأسأله أن لا يردها، يبتلون بها ونسلم نحن من شرّها، فإني لا آمن أن يكون بعدي من يجترئ على إخراجها إلى الناس فيقعوا فيما خيف عليهم، فقالوا: نعم الرأي رأيت أيها الملك، فامضه. فبعث بالكتب إلى يحيى بن خالد، فلما وصلت إليه جمع عليها كل زنديق وفيلسوف"[1].

وهكذا دخل على أمة الإسلام الشر الذي منعه ملك الروم عن النصارى، فأفسد على الأمة ما كانت تنعم به من سلامة في دينها.

---

(1) انظر موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، تأليف: الدكتور سليمان بن صالح الغصن، (1/51-52).

لكن الله قيض لهذه الفتنه من أئمة الدين وخلفاء الرسول في دينه أئمة أجلاء حفظوا للأمة عقيدها ودافعوا عنها بشتى الوسائل فناظروا أهل البدع وصنفوا المصنفات في الدفاع عن العقيدة وتقريرها للأمة .

وكانت هذه الجهود وتلك المصنفات مبنية على الكتاب والسنة وفق فهم الصحابة — رضي الله عنهم — والتابعين لهم بإحسان.

والمتتبع لجهود علماء أهل السنة يجد أنهم وقفوا في وجه جميع المبتدعة وقاوموا كل انحراف عن المنهج الحق فقد قاوموا التشيع والإعتزال والرفض والتكفير والإرجاء وغيرها كما قاوموا أصحاب علم الكلام الذين يقدمون العقل على الشرع فيحكمون العقل في النصوص الشرعية مما جعلهم ينفون صفات الله عز وجل أو يؤولونها.

ولقد كان لعلماء المالكية قصب السبق في هذا الجهاد المبارك فألفوا الرسائل وناظروا أهل البدع وردوا عليهم. وعند النظر في مؤلفات هؤلآء الأئمة نجد أن منها ما يكون على طريقة المحدثين وذلك بسرد الآثار بالسند إلى قائليها ومنها ما يكون بدون ذلك وسأستعرض هاتين الطريقتين خلال المطلبين الآتيين بإذن الله تعالى.

المطلب الأول: المصنفات المسندة.

سلك أصحاب هذه المصنفات من أئمة المالكية في تأليفهم لكتب العقيدة والرد على المخالفين مسلك المحدثين وذلك بسوق الأسانيد إلى أصحابها تحت عناوين مشتملة على المعنى المراد سواء أكان ذلك في بيان مجمل الاعتقاد أو في باب من أبوابه ومن أمثلة المصنفات التي ألفت على هذه الطريقة ما يلي:-

أولاً : موطأ الإمام مالك – رحمه الله تعالى :-

فالموطأ وإن كان مبوَّباً على الأبواب الفقهية إلا أنه اشتمل على بيان العقيدة عموماً والأسماء والصفات خصوصاً، وقد صرح -رحمه الله- أنه ألفه من أجل الرد على الجهمية حتى لا يضلوا الناس في باب توحيد الله عز وجل كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله. وطريقة الإمام رحمه الله في هذا الكتاب أنه يورد الأحاديث بأسانيدها مستدلاً بذلك على المعنى الذي يريد إثباته وقد يكتفي بذكر الآية التي تدل على المعنى المراد مثال ذلك :

ما خرجه-رحمه الله- في الموطأ عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-أنه قال " إذا أحب الله العبد قال لجبريل عليه السلام: إني قد أحببت فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله تبارك وتعالى قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض الله العبد. قال مالك: لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك"[1]

فقد أورد الإمام رحمه الله هذا الحديث مستدلاً به على إثبات المحبة لله تعالى وكانت هذه طريقة الأئمة قبل أن يستفحل أمر الجهمية النفاة مما اضطر أهل السنة والجماعة إلى التفصيل عند التأليف في الرد عليهم.

---

(1) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (130/2) باب المتحابين في الله والبخاري في كتاب بدئ الخلق –باب ذكر الملائكة ، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب . باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده

والكتاب مطبوع متداول بين الأمة منذ عصر مؤلفه – رحمه الله – وقد تناوله العلماء بالدراسة والنظر والتحليل فتعددت شروحه وكثرت المصنفات حول رجاله واهتموا بأسانيده ورتبوه على المسانيد وعلى الأطراف وفتشوا عن غريب ألفاظه ومشكل معانيه وجمعوا بين رواياته المختلفة .

وقد نقل عن الإمام مالك أنه قال عن الموطأ : "جمعت هذا خوفاً من الجهمية أن يضلوا الناس"[1] وعلى هذا يكون هذا الكتاب من أهم الكتب المسندة المؤلفة لتقرير عقيدة أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين لهم في باب أسماء الله وصفاته .

ثانياً : مسند عبد الله بن وهب – رحمه الله – ت سنة 197 مخطوط[2] و لم أطلع عليه

ثالثاً : مسند أبو قرة موسى بن قرة الزبيدي – رحمه الله – لم أطلع عليه[3]

رابعاً : كتاب الرؤية ليحيي بن عمر الكناني – رحمه الله – ت (239 هـ) في الرد على الجهمية والمعتزلة[4]

خامساً : مسند بقي بن مخلد – رحمه الله – ت (276 هـ)[1]

---

(1) انظر تفسير غريب الموطأ لعبد الملك بن حبيب الأندلسي تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان

العثيمين ص63 وقد ذكر المحقق ما يزيد على مائه وثلاثين شرحاً للموطأ وقال ...... لا أعرف

كتاباً من كتب أهل العلم في الدراسات الشرعية وجد العناية التي وجدها كتاب الموطأ ماخلاً كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري – رحمه الله –وانظر المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية للدكتور محمد المغراوي(ص/14).

(2) دفع إيهام التشبية عن احاديث الصفات للدكتور محمد بن عبد الله السمهري(ص/47).

(3) المصدر السابق ص47 .

(4) انظر: جهود علماء القرن الثالث الهجري في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها لنسيم شحذه ياسين (ص/1254)

سادساً : السنة لأبي عمرو الطلمنكي – رحمه الله – ت (429 هـ)[2]

وقد نقل المؤلف رحمه الله تعالى في هذا الكتاب أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم وأقوال الإمام مالك وأئمة أصحابه والتابعين وتابعيهم ومما جاء في هذا الكتاب قوله – رحمه الله " أجمع أهل السنة على أنه تعالى إستوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز ، ثم ساق بسنده عن مالك قوله:"الله في السماء وعلمه في كل مكان"ومما جاء فيه أيضا قوله" واجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه وأن الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه"[3]

سابعاً : أصول السنة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المشهور بابن أبي زمنين – رحمه الله – ت (399)

هذه الرسالة ألفها لبيان مذهب أهل السنة والجماعة وذلك بناء على رغبة بعض أصحابه الذين رغبوا في اتباع أهل السنة والجماعة يقول في مقدمة الرسالة "فإن بعض أهل الرغبة في إتباع السنة والجماعة سألني أن اكتب له أحاديث يشرف على مذاهب الأئمة في إتباع السنة والجماعة الذين يقتدى بهم وينتمى إلى رأيهم وما كانوا يعتقدونه ويقولون به في الإيمان بالقدر وعذاب القبر ، والحوض . والميزان ، والصراط ، وخلق الجنة والنار والطاعة والشفاعة والنظر إلى الله عز وجل يوم القيامة[4].

---

(1) دفع إيهام التشبية (ص/48).

(2) المصدر السابق، (ص/52).

(3) وقد نقل عنه شيخ الإسلام بن تيميه في الفتاوى وابن القيم في مختصر الصواعق، (ص/ 357)

(4) أصول السنة تحقيق عبد الله البخاري، (ص/34).

وقد ألف كتابه على طريقة المحدثين حيث يذكر الباب ثم يورد تحته الأحاديث والآثار بسندها إلى قائليها ثم يعقب ذلك ببيان وجه الاستدلال من الحديث أو الأثر
مثال ذلك قوله – رحمه الله – باب في الإيمان بالنزول:" قال محمد : يعني نفسه: ومن قول أهل السنة والجماعة أن الله يترل إلى السماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حدا"(1).

ثم قال : حدثني سعيد بن فحلون عن العكي عن ابن بكير قال: حدثنا مالك عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال : " يترل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، ومن يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له "(2)

ثم أورده من طريق آخر عن أبي سلمه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – ثم قال وأخبرني وهب عن ابن وضاح عن زهير بن عباد قال : كل من أدركت من المشايخ : مالك، وسفيان، وفضيل بن عياض، وعيسى وابن المبارك، ووكيع كانوا يقولون الترول حق.
وقال ابن وضاح :
وسألت يوسف بن عدي عن الترول فقال نعم أقربه ولا أحد حدا ، وسألت عنه ابن معين فقال : نعم أقربه ولا أحد فيه حدا . ثم قال : قال محمد : – يعني نفسه – وهذا الحديث يبين أن الله عز وجل على عرشه في السماء دون الأرض ، وهو أيضا بين في كتاب الله وفي غير حديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–.

(1) المصدر السابق، (ص/110).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح في أبواب التهجد – باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، ومسلم في كتاب بالصلاة باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة منه.

ثم أورد الآيات الدالة على علو الله عز وجل وذكر حديث الجارية مستدلاً به على علو الله عز وجل ثم قال : قال محمد " والحديث مثل هذا كثير جدا ، فسبحان الله من علمه بما في الأرض كعلمه بما في السماء لا إله إلا هو العلي العظيم"[(1)]

وقد حقق الكتاب في رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية قسم العقيدة بإشراف الدكتور العلامة عبد المحسن العباد–حفظه الله– و لم أقف عليها[(2)].

ثامناً : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للحافظ أبي عمر بن عبد البر :

هذا الكتاب أراد مؤلفه : أن يجمع فيه ما في موطأ مالك من الأسانيد والآثار وقد رتبه على أسماء شيوخ مالك وقد تقدم أن الأمام مالك الف الموطأ للرد على الجهمية والتحذير من بدعتهم وهذا الكتاب شرحاً للموطأ فيعتبر بذلك من كتب العقيدة يقول الحافظ : في مقدمة التمهيد " ... رأيت أن أجمع في كتابي هذا كل ما تضمنه موطأ مالك بن أنس : في رواية يحي بن يحي الليثي الأندلسي عنه من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– مسنده ومقطوعة ومرسلة وكل ما يمكن إضافته إليه صلوات الله وسلامه عليه.

ورتبت ذلك مراتب قدمت فيها المتصل ثم ما جرى مجراه مما اختلف في اتصاله ثم المنقطع والمرسل وجعلته على حروف المعجم في أسماء شيوخ مالك – رحمه الله – ليكون أقرب للمتناول... "[(3)]

وقد مكث في تأليفه ثلاثين عاماً يقول : في بيان ذلك:

سمير فؤادي من ثلاثين حجة وصاقل ذهني والمفرج عن همي

---

(1) انظر: رياض الجنة بتخريج أصول السنة لأبي أسامة البخاري (ص/ 110-114). وقد طبع الكتاب بتحقيق الشيخ عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، بعنوان: رياض الجنة بتخريج أصول السنة، وطبعته دار الغرباء الأثرية بالمدينة النبوية عام 1415هـ.

(2) المصدر السابق، (ص/8).

(3) التمهيد (8/1).

بسطــــــت لكم فيه كلام نبيكم لما في معانيه من الفقه والعـــــلم
وفيه من الآداب ما يهتــــــدي به إلى البر والتقوى وينهى عن الظلم[1]

وقد اهتم العلماء بهذا الكتاب اهتماماً كبيراً : فمنهم من اختصره، ومنهم مـــن نظمـــه شعراً ليسهل حفظه، ومنهم من شرحه، ومنهم من استدرك عليه، وقد طبـــع الكتـــاب بتحقيق وتعليق الأستاذ مصطفى بن أحمد العلوي مدير دار الحديثالحسنية، والأستاذ محمد عبد الكبير البكري، ملحق بوزارة الشؤون الإسلامية المغربية، بإشراف وزارة الأوقـــاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، كما رتبه واختصر تخريج أحاديثه الدكتور محمد بن عبـــد الرحمن المغراوي، وسمى مختصره: "فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد بن عبـــد الـــبر"، والكتاب مطبوع ومتداول بين طلبة العلم[2].

(1) المصدر السابق (245/8)

(2) انظر: التمهيد مقدمة المحققين (1/1) وعقيدة الأمام بن عبد البر في التوحيد والإيمـــان للشـــيخ سليمان الغصن، (ص/53).

المطلب الثاني : **المصنفات غير المسندة**.

تنوعت مؤلفات أئمة المالكية في بيان العقيدة والرد على المخالفين فكما ألف بعضهم على طريقة المحدثين فقد صنف آخرون مصنفات غير مسندة مختصرة ومطولة ما بين رسالة مستقلة وما بين فصول خاصة في مؤلفاتهم العامة وقد فقد الكثير من هذه المصنفات فلم يصل إلينا ولكن ذكرها المؤلفون في أبواب العقائد في مؤلفاتهم ولعل السبب وراء اختفاء هذه الرسائل والمؤلفات يعود إلى أمرين أحدهما : عدم اهتمام الخلف بحفظ تراث السلف مما أدى إلى فقدان تلك الدرر.

الثاني : مجانبة بعض الخلف من المالكية لسلفهم الصالح وذلك بسبب تأثر كثير منهم بالمذهب الأشعري.

وبالاطلاع على الرسائل والمصنفات من هذا النوع اتضح لي أنها تفوق المصنفات المسندة وذلك لرغبة مؤلفيها في حفظ طلبة العلم لها لاسيما وأن جلها يمثل عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته بألطف عبارة وأسهل طريق. ومن أهم الرسائل التي وقفت عليها ما يلي:

1) مقدمة الرسالة للعلامة أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني:

هذه الرسالة تعتبر من أول مؤلفات ابن أبي زيد رحمه الله وقد بين سبب تأليفه لها وأنه تحقيق رغبة أبي محفوظ محرز بن خلف البكري التونسي[1] مؤدب الصبية ومعلمهم القرآن.

---

(1) أبو محفوظ محرز بن خلف ابن أبي رزين التونسي، من نسل أبي بكر الصديق، المعروف بالعابد، خاتمة صلحاء علماء إفريقية. كان متقشفاً فاضلاً، زاهداً في الدنيا، مجانباً لأهلها، مستجاب الدعوة. توفي سنة 413هـ. انظر ترجمته في ترتيب المدارك (287/2)، وجمهرة تراجم علماء المالكية (977/2).

وقد اعتنى أهل السنة والجماعة بهذه الرسالة السلفية القيمة عبر القرون التي تلت عصر المؤلف وطبعت طبعات كثيرة في فاس ، القاهرة ، تونس ، لندن ، باريس ، حيث ترجمت إلى اللغتين الانكليزية والفرنسية.

وقد اهتم بها علماء المالكية شرقاً وغرباً وعكفوا عليها دراسة وتدريساً وتلقيناً وشرحاً ونظماً حتى يقال: إن شروحها بلغت ما يزيد على ثلاثين شرحاً بل روي عن رزوق : قوله:"حتى لقد ذكر أنه منذ وجدت حتى الآن يخرج لها في كل سنة شرح وتبيان"[1]

وليس ذلك ببعيد حيث أنها جمعت خلاصة معتقد أهل السنة والجماعة في الجملة وإن حصل فيها بعض الهفوات التي لا يخلو منها أي عمل بشري.

وقد يوجد أكثر من شرح للرسالة من عالم واحد كما حصل لعلي بن محمد بن خلف المنوفي[2]حيث ذكر أن له عليها ستة شروح[3].

ولشدة حفاوة المالكية بالرسالة كتبت بالذهب وبيعت أول نسخة منها في حلقة شيخ المؤلف بالإجازة – شيخ المالكية ببغداد – أبي بكر بن عبد الله الأبهري المتوفى سنة (375 هـ) بيعت بعشرين دينارا ذهباً.

ولشدة الحفاوة بها أيضا أخذ التلاميذ لها عن الأشياخ بالإسناد والإجازة إلى مؤلفها وأسانيدها مثبتة في الأثبات والمشيخات والفهارس حتى عصرنا وكان أول شروحها لتلميذه أبي بكر محمد بن موهب المقبري المتوفى سنة 406هـ رحمه الله[4]

---

(1) انظر: مقدمة الرسالة بتحقيق الشيخ بكر أبو زيد : (ص/8).

(2) هو علي بن محمد بن خلف بن جبريل المنوفي المصري مولداً صنف تصانيف نافعه منها: عمدة السالك على مذهب مالك وتحفة المصلى . ت سنه 739 هـ انظر ترجمته في الابتهاج بتطريز الديباج (388/1) وكفاية المحتاج (366/1) .

(3) انظر: نيل الابتهاج (388/1).

(4) هو محمد بن موهب بن محمد ابو بكر القرطبي الحصار المحدث ، المتكلم ت سنة (406) هـ انظر ترجمته في المدارك (261/2) وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية (1211/3).

وقيل: إن أول شارح لها هو القاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي المتوفي سنة (422 هـ) – رحمه الله – وقد بيعت أول نسخة من شرحه لها بمائة مثقال ذهباً[1]

وقد تناولها علماء أخرون بالنظم كما فعل أحمد بن مشرف المالكي المتوفى سنة (1285 هـ) وهذه الرسالة على وجازتها قد حوت أصول الاعتقاد على طريقة أهل السنة والجماعة وقد اشتملت على بيان حقيقة التوحيد والإيمان وأركانه السته، وتقرير توحيد الأسماء والصفات مثل الاستواء وإثباتها على حقيقتها وتفويض كيفيتها إذ لا يعلم كيفية صفة الله عز وجل إلا هو سبحانه .

وقد بين المؤلف : في مقدمة رسالته سبب تأليفها لها حيث قال موجهاً الخطاب لتلميذه – محرز البكري – " ..... أما بعد أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه فإنك (سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة مما تنطق به الألسنة وتعتقده القلوب وتعمله الجوارح وما يتصل بالواجب من ذلك...) إلى قوله في بيان هدف التلميذ من طلبه كتابة هذه الرسالة : " لما رغبت من تعليم ذلك للولدان كما تعلمهم حروف القرآن ليسبق إلى قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه ما ترجى لهم بركته وتحمد لهم عاقبته فأجبتك إلى ذلك لما رجوته لنفسي ولك من ثواب من علم دين الله أو دعى إليه، واعلم أن خير القلوب أوعاها للخير وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليه وأول ما عني به الناصحون ورغب في أجره الراغبون إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها وتنبيههم على معالم الديانة وحدود الشريعة ليراضوا عليها وما عليهم أن تعتقدة من الدين قلوبهم وتعمل به جوارحهم فإنه روي : أن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الرب وأن تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر وقد مثلنا لك من ذلك ما ينتفعون–إن شاء الله–بحفظه ويشرفون بعلمه ويسعدون باعتقاده والعمل به"[2].

(1) انظر: مقدمة الرسالة بشرح الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله (ص/8-9).

(2) انظر: المصدر السابق (ص/55).

فقد بين المؤلف : رحمه الله في هذه المقدمة موضوع الرسالة وإنها جعلت بمثابة مفاتيح لتعليم الصغار أصول العقيدة ليكون ذلك أرسخ في قلوبهم وهذا يدل على اعتناء أئمة المالكية بعقيدة السلف وتعليمها ونشرها وتقريرها وتقريبها لأفهام الناشئة وإلزامهم بحفظها كما يحفظون القرآن.

2) الرسالة الوافية لمذاهب أهل السنة والجماعة في الاعتقادات وأصول الديانة تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 440).

اشتملت هذه الرسالة على مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة ابتدأها المؤلف رحمه الله بقوله بعد المقدمة (... فإنكم سألتموني أن أقتضب لكم جملة كافية وأصولاً جامعة في الاعتقادات وأصول الديانات التي يلزم اعتقادها جميع المسلمين ولا يسع جهلها كل المكلفين من العلماء والمفكرين من الذكور والإناث والأحرار والعبيد ، ممن جرى عليه القلم وبلغ حد التكليف بالحلم، فأجبتكم عن سؤالكم بما فيه البلوغ إلى مرادكم بما هو لازم لكم ومفترض عليكم وما إذا تدينتم واعتقدتموه صرتم إلى اعتقاد الحق وسلمتم من البدع و الباطل وسلكتم طريق من مضى من السلف وسنن من تبعهم من الخلف .. "فهذه المقدمة تدل على محتوى الرسالة وعلى منهج صاحبها وأنه قد سار على منهج أهل السنة والجماعة.

ثم ذكر في الأصل الأول إن الإيمان بالله يتضمن التوحيد وقرر توحيد الأسماء والصفات الذاتية مستدلا عليه بالآيات وذكر بعض الأحاديث الدالة على ذلك ، وذكر في الفصل الثاني بعض الصفات الفعلية واستدل عليها بالآيات ثم ذكر في الفصل الثالث القول في الإسم والمسمى وقرر فيه الحق وفق قول أهل السنة والجماعة ورد على الجهمية الضلال الذين زعموا أن الاسم غير المسمى.

ثم قرر جملة من صفات الله عز وجل كالاستواء والنزول والكلام وغير ذلك مستدلاً بالآيات والأحاديث وأقوال أهل العلم من السلف الصالح.

ثم قال : قال أبو عمرو : " وهذا دين الأمة وهو قول أهل السنة في الصفات أن تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد فمن تجاوز المروي فيها وكيَّف شيئاً منها ومثلها بشيء من جوارحنا وآلتنا فقد ضل واعتدى وابتدع في الدين ما ليس منه ، وخرق إجماع المسلمين

وفارق أئمه الدين ، قال نعيم بن حماد[1]وإسحاق بن راهوية[2]: من شبه الله تعالى بشيء من خلقة فهو كافر[3].

ثم ختم الرسالة بفصل بين فيه واجب السلاطين والعلماء تجاه أهل البدع فقال: "فصل: (في الواجب على السلاطين والعلماء) ... ومن الواجب على السلاطين وعلى العلماء إنكار البدع والضلالات، وإظهار الحجج، وبيان الدلائل من الكتاب والسنة وحجة العقل حتى يقطع عذرهم وتبطل شبههم وتمويهاتهم، ثم يؤخذون بالرجوع إلى الحق وترك ما هم عليه من الباطل، فإن رجعوا وتركوا ذلك وأظهروا التوبة منه؛ وإلا أذلهم السلطان وعاقبهم بما يؤدّي الاجتهاد إليه على قدر بدعهم وضلالاتهم، ومن استحق منهم الاستتابة استتابه، ومن وجب عليه القتل بعد الاستتابة قتله ... إلى أن قال: قال أبو عمر: فهذا لا يسع أحداً جهله من الاعتقادات وأصول الديانات، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم"[4].

وقد طبعت هذه الرسالة بتحقيق الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني وطبعتها دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع .

(1) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الإمام العلامة الحافظ أبو عبد الله الخزاعي المروزي الفرضي الأعـــــور صاحب التصانيف ت سنه (229 هــ) انظر ترجمته في السير (595/10) وتذكرة الحفاظ (418/2) تاريخ بغداد (314/306/3).

(2) إسحاق بن ابراهيم بن مخلد التميمي ثم الحنظلي المروزي الإمام الأكبر شيخ المشرق سيد الحفاظ أبو أيوب، ت سنة (238 هــ) انظر ترجمته في السير (358/11) وتذكرة الحفـــاظ (433/2) البداية والنهاية (317/10).

(3) الرسالة الوافية، (ص/55) .

(4) المصدر السابق (ص/161).

3) الأرجوزة في أصول الديانة لأبي عمرو الداني رحمه الله –

وهي أرجوزة نظمها : في بيان أصول الدين وقد ابتدأها في بيان أن السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة بإتباع القرآن العظيم والسنة الصحيحة وإتباع أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم– حيث يقول :

تدري أخي أين طريق الجنة طريقها الكتاب ثم السنة

إلى أن يقول :.

... **ومن عقود السنة الإيمان بكل ما جاء به القرآن**

وبالحديث المسند المرويّ عن الأئمة عن النبي

ثم قرر توحيد الأسماء والصفات بقوله:

كلم عبده موسى تكليما ولم يزل مدبرا حكيما

كلامه وقوله قديم وهو فوق عرشه العظيم

والقول في كتابه المفصل بأنه كلامه المنزل

على رسوله النبي الصادق ليس بمخلوق ولا بخالق

من قال فيه: إنه مخلوق أو محدث فقوله مروق

ثم هاجم المبتدعة من الجهمية [1]

---

(1) اتباع الجهم بن صفوان الذي تتلمذ على الجعد بن درهم ونشر أفكاره وتعتبر الجهمية من أوائل الفرق الكلامية التي عارضت صحيح المنقول بالأدله العقلية وعطلت الله تعالى عن أسمائه الحسنى وصفاته العلى وجميع الفرق الكلامية التي جاءت بعد الجهمية قد تأثرت بأفكارها.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني (86/1)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيميه (309/1) الفرق

بين الفرق، (ص/211)

والمعتزلة [1] وغيرهم وصرح بأسماء بعضهم محذراً من الاغترار بهم وبدعهم مشنعاً عليهم عليهم واصفا لهم بأقبح الأوصاف حيث يقول :

أهــون بقــول جهــم الخســيس   وواصـــل(2) وبشـــر المريســـي

ذي السُخُف والجهل وذي العناد   معمـــر(3) وابـــن أبـــي دؤاد(4)

---

(1) سموا بذلك نسبة إلى واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل حلقة الإمام الحسن البصري رحمه الله

وقال بالمنـــزلة بين المنـــزلتين، وهم من أشهر الفرق الكلامية غلواً في تقديم ما يسمونـــــــه المعقولات على المنقول، وهم أصحاب الأصـــول الخمسة التوحيد –ويقصدون به نفي الصفات والعدل، وينفون به الـــقدر– وإنفاذ الوعيد –ويقصدون به خلود صاحب الكبـــيرة في النار– والمنـــزلة بين المترلتين –ويقصدون به أن صاحب الكبيرة لا يحكم بإيمانه ولا يحكم بكـــــفره– والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر–ويقصدون به الخروج على ولاة الأمر– انظر مقالات الإسلاميين للأشعري (235/1) والفرق بين الفرق للبغدادي،(ص/30) والملل والنحل للشهر ستاني (43/1) والمعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد بن عبد الله المعتق.

(2) واصل بن عطاء الغزال البصري المتكلم البليغ المتشـــدق رأس المعتزلة وداعيهم الى بدعته كـــان ممن يحضر مجلس الحسن البصري ثم اعتزله وانضم إلى قرينة عمرو بن عبيـــد فســـمي اتباعـــه المعـــــتزلة من تصانيفة كتاب أصناف المرجئة وكتاب التوبة مات سنة (131 هــــ). انظـــر ترجمته في السير (464/5) والأعلام (108/8).

(3) أبو المعتمر معمر بن عمرو، وقيل: بن عباد البصري السلمي مولاهم العطار المعتزلي مات ســـنة (215 هـــ) انظر ترجمته في السير (546/10) والأعلام (272/7) .

(4) القاضي أبو عبد الله أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري ثم البغدادي الجهمي كان عـــدواً للإمام أحمد بن حنبل وكان داعية إلى القول بخلق القرآن مات سنة (240 هـــ) انظر ترجمته في السير (169/11) وتاريخ بغداد (141/4)

وابن عبيد(1) **شيخ الاعــتزال** **وشــــارع البدعــــة و الضـــلال**

والجـاحظ(2) **القـادح في الإسـلام** **وجبـــت هـــذه الأمـــة النظـام**(3)

والفاســـق المعـــروف بالجبـــائي(4) **ونجلـــــه**(5) **الســـــفيه ذي الخنـــاء**

---

(1) عمرو بن عبيد بن باب البصري كبير المعتزلة وأولهم، ولد عام (80 هــ) وهلك عام (144ه) من مصـــنفاته: كـــتاب العدل ، وكتاب الرد على القدرية ت سنه (144 هــ) انظر ترجمـــــته في: السير

(104/6)، تاريخ بغداد (162/12).

(2) ذو النون أبو عثمان بن بحر بن محبوب البصري من المعتزلة، أخذ عن النظام وغيره، وقد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة، توفي سنة (250ه) ، انظر ترجمته في السير(526/11) ومعجم الأدباء (74/16).

(3) شيخ المعتزلة صاحب التصانيف أبو اسحاق ابراهـــيم بن سيار مولى الحارث بن عبـــاد الضبعي البصري المتكلم تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، قال الذهبي: "لم يكن النظام ممن نفعه العلم والفهم وكفره جماعة"، توفي سنة بضع وعشرين ومئـــتين، انظر: ترجمته في السير (541/10) تاريخ بغداد (97/6) .

(4) محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي من أئمه المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره وإليه نسبـــة الطائفه الجبائية له مقالات انفرد بها في المذهب توفي سنه (303 هــ) انظر ترجمته في الأعلام (256/6) والسير (183/14).

(5) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي عالم بالكلام من كبار المعتزلة له آراء انفرد بها تبعته فرقة البهشمية من مصنفاته: الشامل في الفقه، تذكرة العالم، العدة في أصول الفقه، ولد سنة (277ه) وهلك سنة (321ه) انظر: ترجمته في تاريخ بغداد (55/11) والأعلام (7/4).

واللاحقـــي(1) وأبـــي الهـــذيل(2) ... مؤيـــدي الكفـــر بكـــل ويـــل

وذي العمـــى ضـــرار(3) المرتـــاب ... وشـــبههم مـــن أهـــل الارتيـــاب

ثم قرر صفة النـــزول لله عز وجل على ما يليق بجلاله فقال:

ومـــن صـــحيح مـــا أتـــى بـــه الخـــبر ... وشـــاع في النـــاس قـــديما وانتشـــر

نـــزول ربنـــا بـــلا امـــتراء ... في كـــل ليلـــة إلى الســـماء

مـــن غـــير مـــا حـــد ولا تكييـــف ... ســـبحانه مـــن قـــادر لطيـــف

4) العقيدة النونية للقحطاني للإمام أبي محمد عبد الله بن محمـــد الأندلســـي القحطاني المالكي.

هذه القصيدة اشتملت على علوم كثيرة في العقيدة والفقة والآداب وقد بلغت ســـتمائة وتسعين بيتاً منها مائه وثمانية وستين بيتاً في الاسماء والصفات والرد على الأشاعرة، قـــرر

(1) أبان بن عبد الحميد بن عفير الرقاشي شاعر مكثر من أهل البصرة، نسب إلى جده، انتقل إلى بغداد، واتصل بالبرامكة، فأكثر من مدحهم، وخص بالفضل بن يحيى ونظم لهم الكليلة ودمنة، وكتبا كثيرة، كسيرة (أردشير) وسيرة (أنوشيروان) وكتاب (مزدك) واتصل بالرشيد فكان من شعرائه، مات سنة (200ه)، انظر ترجمته في خزانة الأدب للبغدادي (458/3)، والنجوم الزاهرة (167/2)، والأعلام (27/1).

(2) رأس المعتزلة أبو الهذيل ، محمد بن الهذيل البصري العلاف صاحب التصانيف أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطا الغزال توفي سنة (227 هـــ) انظر ترجمته في السير (542/10) وتاريخ بغداد (366/3).

(3) ضرار بن عمرو من رؤوس المعتزلة، شيخ الضرارية، قال المروذي: "قال أحمد بن حنبل: شهدت على ضرار بن عمرو عند سعيد بن عبد الرحمن فأمر بضرب عنقه فهرب" وقال حنبل: "دخلت على ضرار ببغداد وكان مشوها وبه فالج وكان معتزليا فأنكر الجنة والنار وقال: اختلف فيهما: هل خلقتا بعد أم لا؟ فوثب عليه أهل الحديث وضربوه"، انظر ترجمته: في السير (41/20) والوافي بالوفيات (260/5) والأعلام (215/3).

فيها عقيدة أهل السنة والجماعة وقد اثنى عليها كثير من أهل العلم منهم الشيخ علي بن سليمان آل يوسف[1] في كتابه " أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة " حيث قال في مدحها :

يا من يروم نجاته يوم الجزا — والفوز بالجنات الرضوان

اسمع وصية ناصح يهدي إلى — دين الإله وسنة العدناني

قرت بها عين الشريعة وارتوت — منها رياض الفضل والإحسان

وتفجرت منها ينابيع الهدى — فجلت صدى التعطيل والبهتان

وبدا لنا منها صباح مسفر — لكن يراه من له عينان

فاتبع مسالكها وسر في ضوئها — واحذر سلوك مناهج الشيطان

نظمت لآليها قريحة جهبذ — حاز الفخار بحلبة الفرسان

وسما على أقرانه بفخاره — فلك العلى والفخر يا قحطاني

فلقد حميت حمى الشريعة بعد ما — مدت إليه يد الخبيث الجاني

وضربت هام المعتدي بمهند — عضب صقيل الشفرتين يماني

إلى أن قال:

فجزاك رب العرش خير جزائه — وحباك في الفردوس بالولدان(2)

5) الشهب المرمية على المعطلة والجهمية للشيخ أحمد بن مشرف الوهيبي التميمي الأشيقري بلدا المالكي مذهباً

---

(1) هو: علي بن سليمان بن علي اليوسف تعرف أسرقم بالحلوة ولد في بلدة عنيزة بالقصيم، وانتقل مع والده صغيراً إلى بغداد وقد طلب العلم على يد العلامة محمود شكري الألوسي وتوفي بقرية الدورة ليلة عرفة سنة (1337 هـ) من مصنفاته : أسمى المطالب في مدائح سيد طالب وقصيدة في الرد على أمين حنش البغدادي ، وقصيدة في الرد على النبهاني انظر ترجمته في علماء نجد خلال ستة قرون للبسام (716/3) ترجم له سعود بن عبد الرحمن اليوسف انظر أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة (ص/ 13-20).

(2) انظر: النونية القحطانية تحقيق عبد العزيز بن محسن الجربوع (ص 10/9).

وعنوانها دليل على مضمونها وقد قدم لها بقوله :-

لما كان في سنة ست وثلاثين بعد المائتين والألف كثر في بلدنا الخصوم والجدل من أهل التجهم والإعتزال وفشت عقائد الضلال ، وأرادو أن يصدوا الواردين عن ورد منـــهل الوحي العذب الزلال فنظمت هذه العقيدة اللامية وسميتها " الشهب المرمية على المعطلة والجهمية "

وقد رد فيها على الجهمية نفاة الصفات مقرراً لصفات الله عز وجل كما هو معتقد أهل السنة والجماعة.

وقد طبعت هذه الرسالة ضمن ديوان بن مشرف : كما وردت ضمن كتـــاب اربـــح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة للشيخ على بن يوسف آل يوسف بإشراف سعود بن عبد الرحمن اليوسف ص 113[1]

كما أنه : نظم عقيدة الإمام ابن أبي زيد القيرواني المتقدم ذكرها[2].

هذا ما وقفت عليه من مؤلفات أئمة المالكية في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة، وهناك مؤلفات عديدة ذكرها جمع من المؤلفين؛ لكني لم أطلع عليها بعد أن بـــذلت جهـــداً في الوصول إليها، ويبدو لي-والعلم عند الله- أنها فقدت، ولعل الله أن يوفق من يشاء مـــن عباده للبحث عنها وإخراجها للناس لينتفع بها من وقف عليها. منها :

1- كتاب الرد على أهل الأهواء تأليف أصبغ بن الفرج[3].

2- كتاب الرد على أهل الأهواء تأليف محمد بن سحنون [1].

---

(1) انظر: أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة جمع إبراهيم بن عبـــد الله الحـــازمي (ص/ 71).

(2) انظر: عقيدة السلف تقديم بكر بن عبد الله ابو زيد : (ص/ 63).

(3) هو أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع الشيخ الإمام الكبير مفتي الديار المصرية وعالمها أبو عبـــد الله الأموي مولاهم المصري المالكي كان من أعلم خلق الله بآراء مالك يعرفها مسألة مســـألة . متى قالها مالك ، ومن خالفه فيها ت: سنة (225 هـــ)، انظر: ترجمته في ترتيـــب المـــدارك (325/1). والسير (656/10)

3- كتاب السنة له أيضاً.

4- كتاب السنة تأليف محمد بن أبي يحي الوقار[2].

5- كتاب السنة والنهي عن البدعة تأليف أحمد بن يزيد القرشي[3].

كتاب الحجة في الرد على أهل البدع تأليف يحي بن عون الخزاعي[4].

6- شرح أسماء الله الحسنى تأليف عبد العزيز بن إبراهيم القرشي المعــروف بـــابن بزيزة[5]

---

(1) محمد بن سحنون – عبد السلام بن سعيد التنوخي القيـــرواني أبو عبد الله شيخ المالـــكية، وفقيه المغرب، وابن فقيهها كان محدثاً بصيراً بالآثار واسع العلم متحرياً متقناً كبير الـــقدر، من مؤلفاته كتاب السير ، والتاريخ ،ت سنة (256 هـــ)، انظر: ترجـــــمته في ترتيب المـــدارك (424/1) والسير، (60/13) .

(2) محمد بن أبي يحيى زكريا بن إبراهيم أبو بكر القرشي مولى بني عبد الدار، الفقيه المالكي الوقّار، ت (269 هـــ) انظر: ترجمته في المدارك (335/1)، وجمهرة تراجم الفقهاء (1229/3).

(3) أحمد بن يزيد ابو عبد الله القرشي الفقية المحدث العابد المالكي، يعرف بالمعلم، (ت:284 هـــ انظر: ترجمته في رياض النفوس (473/1) وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية (299/1) .

(4) يحيى بن عون بن يوسف الخزاعي أبو بكر كان رجلاً صالحـــاً من أهل الفقه والعلم ت سنة (298 هـــ) انظر: ترجمته في ترتيب المدارك (275/2) وجمهرة تراجم الفقهاء (1356/3).

(5) أبو محمد عبد العزيز بن ابراهيم القرشي التونسي عرف بابن بزيزة الإمام العلامة المالكي من مؤلفاته تفسير القرآن الكريم وشرح التلقين وشرح الأسماء الحسنى ت سنة (673 هـــ). انظر ترجمته في نيل الإبتهاج (295/2) وكفاية المحتاج (286/1).

المبحث الثاني: جهود علماء المالكية العملية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التحديث والتدريس في الحلَق.

كان لأئمة المالكية جهود في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات من خلال الدروس في الحِلَق وعقد المجالس للإملاء والتحديث.

وقد حفلت كتب الصحاح والسنن والمسانيد بالأحاديث التي نقلها أئمة المالكية بأسانيدها وحدثوا بها تلاميذهم.

ونظرا لكثرتها فسأكتفي بما ورد في الصحيحين مما يوضح بجلاء اهتمام هؤلاء الأئمة بباب الأسماء والصفات مبتدءا بصحيح الإمام البخاري : مرتبا هذه الأحاديث على حسب وفيات محدثيها، ثم صحيح مسلم كذلك.

فأولا: صحيح البخاري

قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري:

1. حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: أن أبا مرة مولى عقيل بن أبي طالب أخبره عن أبي واقد الليثي أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وذهب واحد، قال فوقفا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم، فأما أحدهما: فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهما فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه".(1)

فقد نقل البخاري تحديث شيخه إسماعيل ابن أبي أويس صاحب مالك، عن شيخه مالك -رحمه الله- أنه حدّثه بهذا الحديث.

2. وقال: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة وأبي عبد الله

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها. ومسلم في كتاب السلام، باب : من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها.

الأغر عن أبي هريرة س: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–قال: "ينـــزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: مـــن يـــدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له."[1]

وفي هذا الحديث أيضاً نقل تحديث الإمام مالك صاحبه عبد الله بن مسلمة القعنبي، وقد حدّث القعنبي بهذا الحديث.

3. وقال: حدثنا عبد الله بن يوسف: أخبرني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة س أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–قال: "يضحك الله إلى رجلين، يقتـــل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتـــل فيستشهد"[2]

في هذا الإسناد تحديث مالك تلميذه وصاحبه عبد الله بن يوسف التنيسي، وتحديث عبد الله التنيسي أصحابه بهذا الحديث.

4. وقال: حدثنا إسماعيل: حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة س: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–قال: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم، وهو أعلم بكم، فيقول كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصـــلون، وأتينـــاهم وهـــم يصلون".[3]

---

(1) أخرجه البخاري في أبواب التهجد، باب الدعاء من آخر الليل، ومسلم في كتاب الصلاة، باب أفضل الصلاة طول القنوت.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل. ومسلم في كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين، يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ،ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

5. وقال: حدثنا إسماعيل: حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضـــي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–قال: " لما قضى الله الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي".[1]

6. وقال: حدثنا إسماعيل: حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة س أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–قال: "تكفل الله لمن جاهد في سبيله، لا يخرجـــه إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته، بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خـــرج منه، مع ما نال من أجر أو غنيمة".[2]

7. وقال حدثنا إسماعيل: حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة س أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–قال: "قال الله: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقـــاءه وإذا كره لقائي كرهت لقاءه".[3]

وفي هذه الأحاديث تحديث مالك صاحبه إسماعيل ابن أبي أويس.

8. وقال: حدثنا يحيى بن سليمان: حدثني ابن وهب قال: حدثني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري س قال: قال النبي – صلى الله عليه وســـلم–: "إن الله تعالى يقول لأهل الجنة، يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخـــير في يديك، فيقول هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا مـــا لم تعـــط أحدا من خلقك، فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا".[4]

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ ومسلم في كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه.

(2) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾

(4) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: كلام الله مع أهل الجنة. ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: احلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا.

في هذا الإسناد تحديث مالك وتحديث عبد الله بن وهب.

9. وقال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله: حدثني مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة س عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: "إذا جاء أحـــدكم فراشـــه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات، وليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبـــك أرفعـــه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين".[1]

في هذا الإسناد تحديث الإمام مالك.

10. وقال: حدثنا عبد الله بن مسلمة: حدثنا يزيد بن إبراهيم... عن ابن أبي مليكـــة عن القاسم بن محمد عن عائشة ل قالت:

"تلا رسول الله – صلى الله عليه وسلم–هذه الآيـــة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران:7] قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "فـــإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم"[2].

11. حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا فضيل عن منصور عن إبراهيم عن همام عن عدي ابن حاتم قال : "سألت النبي – صلى الله عليه وسلم–، قلت أرسل كلابي المعلمة قـــال: إذا أرسلت كلابك المعلمة، وذكرت اسم الله، فأمسكن فكل، وإذا رميـــت بـــالمعراض فخزق فكل"[3]

ففي هذين الإسنادين تحديث عبد الله بن مسلمة القعنبي.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها. ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ ومسلم في كتاب العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن، والنهي عن الاختلاف في القرآن.

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله الحسنى، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب: الصيد بالكلاب المعلمة.

12. حدثنا قتيبة بن سعيد[1] حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل قال: قال عبد الله س "من حلف على يمين يستحق بها مالا- وهو فيها فاجر- لقي الله وهو عليه غضبان"، فأنزل الله تصديق ذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ... فقرأ إلى...عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[آل عمران:77] . ثم إن الأشعث بن قيس خرج إلينا، فقال ما يحدثكم أبو عبد الرحمن ؟ قال فحدثناه، قال فقال صدق لَفِيَّ والله أنزلت، كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-"شاهداك أو يمينه". قلت: إنه إذا يحلف ولا يبالي فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: "من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله، وهو عليه غضبان"، فأنزل الله تصديق ذلك، ثم اقترأ هذه الآية:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ...إلى...وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران:77] [2]

13. حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاري عن أبي حازم قال: أخبرني سهل س يعني ابن سعد قال : قال النبي – صلى الله عليه وسلم-يوم خيبر: "لأعطين الراية غدا رجلا يفتح على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله..."[3]

14. حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حماد بن زيد عن عمرو عن جابر بن عبد الله قال لما

(1) شيخ الإسلام، المحدث الإمام الثقة الجوال، راوية الإسلام، أبو رجاء، قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي مولاهم البلخي...من موالي الحجاج بن يوسف الثقفي، ت: سنة (240هـ)، انظر ترجمته في ترتيب المدارك، (303/1)، والسير، (13/11).

(2) أخرجه البخاري في كتاب الرهن، باب: إذا اختلف الراهن والمرتهن ونحوه، ومسلم في كتاب الأيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمينٍ فاجرة بالنار

(3) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: فضل من أسلم على يديه رجل، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل على بن أبي طالب س.

نزلت هذه الآية ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾[الأنعام:65]، قال النبي – صلى الله عليه وسلم- أعوذ بوجهك، فقال: ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم-:أعوذ بوجهك. قال ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم-: هذا أيسر"[1].

15. حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–يوم الأحزاب: "اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب وزلزل بهم"[2].

في هذه الأحاديث تحديث قتيبة بن سعيد المالكي –رحمه الله تعالى–.

16. حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد ابن أبي هلال عن زيد عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: "هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا لا، قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما...

فساق الحديث إلى قوله ع: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه، فيقولون: الساق فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء، وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا"[3].

17. حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب حدثنا حميد بن عبد

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب: قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾

(2) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو.

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية.

الرحمن عن أبي هريرة: أن النبي – صلى الله عليه وسلم- قال: " احتج آدم وموسى فقال موسى أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة ؟ قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه، ثم تلومني على أمر قد قدر علـــي قبـــل أن أخلـــق؟ فحـــج آدم موسى "[1].

18. حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شـــهاب أخـــبرني عـــروة ابن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله: عن حـــديث عائشة حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، وكل حدثني طائفة من الحـــديث، قالـــت: فاضطجعت على فراشي وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله يبرئني؛ ولكن، والله مـــا كنت أظن أن الله ينـــزل في شأني وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر مـــن أن يتكلم الله في بأمر يتلى، وأنزل الله عـــز و جـــل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ﴾ [النور:11-20]. العشر الآيات كلها"[2].

في هذه الأحاديث تحديث يحيى بن بكير المالكي –رحمه الله تعالى–.

ثانيا: صحيح مسلم، قال الإمام مسلم : –في صحيحه:

1–حدثنا حرملة بن يحيى التجيـــبى، أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرنى حيوة حدثنى ابن الهاد عن أبى بكر بن حزم عن عمرة – يعنى بنت عبد الرحمن – عن عائشة زوج النبى ع أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–قال: " يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على ما سواه"[3].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾، مسلم في كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(2) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول النبي ع "الماهر بالقرآن مع الكرام البررة، ومسلم في كتاب التوبة، باب: في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف مطولا.

(3) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق.

في إسناد هذا الحديث تحديث حرملة بن يحيى التجيبى المالكي وتحديث عبد الله بن وهب المالكي.

2-قال: حدثني عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبى حدثنا المغيرة - يعنى ابن عبد الرحمن الحزامى - عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة س قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-" لله أشد فرحا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها"[1].

في إسناد هذا الحديث تحديث عبد الله بن مسلمة القعنبي المالكي.

3-قال: وحدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك س، قال: دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم-على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا يدعو على رعل وذكوان ولحيان وعصية عصت الله ورسوله.

قال أنس: أنزل الله عز وجل فى الذين قتلوا ببئر معونة قرآنا قرأناه حتى نسخ بعد: أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا، فرضى عنا، ورضينا عنه"[2].

4-حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة س أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له، ومن يسألنى فأعطيه، ومن يستغفرنى فأغفر له"[3]

5-وقال: حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة س أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-قال:

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب التوبة باب: في الحض على التوبة، والفرح بها.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ومسلم في كتاب المساجد، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة.

(3) أخرجه البخاري في أبواب التهجد، باب: الدعاء من آخر الليل، ومسلم في كتاب الصلاة، باب: أفضل الصلاة طول القنوت.

"يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجــــر وصــــلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم- وهو أعلم بهم-كيف تركتم عبادى؟

فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون"[1].

في أسانيد هذه الأحاديث ذكر تحديث الإمام مالك وتحديث صاحبه يحيى بن يحيى بن بكير

6-وقال:حدثنا يحيى بن يحيى التميمى وقتيبة بن سعيد جميعا عن حماد - قال يحيى أخبرنا حماد بن زيد - عن غيلان عن عبد الله بن معبد الزمانى عن أبى قتادة أن رجلا أتى النبى ع فقال: كيف تصوم؟ فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم-فلما رأى عمر غضبه قال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، نعوذ بالله من غضب الله، وغضب رسوله، فجعل عمر س يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه..."[2].

في إسناد هذا الحديث تحديث ثلاثة من المالكية وهم: يحيى بن يحيى، وقتيبة بن سعيد، وحماد بن زيد.

7-وقال: حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا المغيرة بن عبد الرحمن الحزامى عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة س عن النبى ع قال: "تكفل الله لمن جاهد فى سبيله- لا يخرجه من بيته إلا جهاد فى سبيله وتصديق كلمته - بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر، أو غنيمة"[3].

في إسناد هذا الحديث تحديث يحيى بن يحيى.

8-وقال: حدثنا يحيى بن يحيى وجعفر بن حميد قال جعفر حدثنا وقال يحيى أخبرنا عبيد الله بن إياد بن لقيط عن إياد عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "كيف تقولون بفرح رجل انفلتت منه راحلته تجر زمامها بأرض قفر ليس بها

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى:﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس.

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:171]، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

طعام ولا شراب، وعليها له طعام وشراب فطلبها حتى شق عليه، ثم مرت بجذل شجرة فتعلق زمامها، فوجدها متعلقة به، قلنا شديدا يا رسول الله، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "أما والله! لله أشد فرحا بتوبة عبده من الرجل براحلته"[1].

في إسناد هذا الحديث بيان تحديث يحيى بن يحيى.

9-وقال:حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سعيد بن يسار أنه سمع أبا هريرة س يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "ما تصدق أحد بصدقة من طيب- ولا يقبل الله إلا الطيب- إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه، أو فصيله"[2].

10- وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث، وحدثنا محمد بن رمح واللفظ له أخبرنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن الحارث بن يعقوب أن يعقوب بن عبد الله حدثه أنه سمع بسر بن سعيد يقول: سمعت سعد بن أبي وقاص س يقول: سمعت خولة بنت حكيم السلمية تقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم-يقول: "من نزل منزلا، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شىء، حتى يرتحل من منزله ذلك"[3].

11- وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز -يعنى ابن محمد- عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة س أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: "المؤمن يغار، والله أشد غيرا"[4].

في أسانيد هذه الأحاديث بيان تحديث قتيبة بن سعيد.

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب: الحث على التوبة والفرح بها.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: الصدقة من كسب طيب، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: قبول الزكاة من الكسب الطيب، وتربيتها.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب: في التعوذ من سوء القضاء، ودرك الشفاء وغيره.

(4) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب: غيرة الله تعالى، وتحريم الفواحش.

المطلب الثاني: المناظرات.

قال ابن فارس-رحمه الله-" النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد، وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار، ويتوسع فيه..."[1].

وقال الراغب: "المناظرة: المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته"[2].

وبعض أهل العلم يجعل المناظرة بمعنى المجادلة.

قال ابن الأثير: " المجادلة: المناظرة والمخاصمة"[3].

وقال الجويني: " لا فرق بين المناظرة والجدال، والمجادلة والجدل في عرف العلماء بالأصول والفروع"[4].

والناظر في نصوص الشريعة التي ورد فيها ذكر المجادلة والمناظرة يجدها على ضربين:

الأول: نصوص فيها الأمر والحث على ذلك، والإخبار بأنه طريقة الأنبياء في تبليغ الدعوة، والدفاع عنها.

الثاني: نصوص أخرى فيها النهي عن ذلك، والتحذير من المجادلة.

وقد نظر المحققون من أهل العلم-ومنهم المالكية- إلى هذه النصوص التي أمرت به، وتلك التي حذرت منه فعلموا أنها حق وصدق،ولا تعارض بينها فاعتبروا المناظرة المأمور بها غير المناظرة المنهي عنها، فقالوا: المجادلة والمناظرة نوعان: محمودة، ومذمومة، وعلى ذلك تنزل نصوص الكتاب والسنة، وأقوال السلف، وعلماء الأمة[5].

---

(1) معجم مقاييس اللغة، باب النون والظاء وما يثلثهما، (ص/997).

(2) المفردات في غريب القرآن، (ص/518).

(3) النهاية في غريب الحديث، (247/1).

(4) الكافية في الجدل، (ص/19).

(5) انظر: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد للدكتور عثمان على حسن، (279/1).

وقد عقد حافظ المغرب الإمام ابن عبد البر في كتابه:- جامع بيان العلم وفضله- بابا في ما تكره فيه المناظرة والجدال والمراء نقل فيه أقوال أهل العلم في النـــهي عـــن المنـــاظرة والمجادلة، ووجه فيه هذه الأقوال، ثم عقد بابا آخر لبيان جواز ذلك، وأنه ينظر فيـــه إلى المصلحة، فقال: " باب إتيان المناظرة والمجادلة، وإقامة الحجة" ونقل فيه الأقوال التي تدل على جواز المناظرة، وذكر أمثلة لأنواع المناظرات الواردة في الكتاب والسنة، وعن سلف الأمة"[1].

وقد كان لأئمة المالكية جهود في مناظرة أهل البدع لردهم عن بدعهم، وإظهار الحـــق ونصرته، فمن ذلك:

1- **مناظرة الإمام مالك لمن سأله عن الاستواء** حيث رويت على أوجه كثيرة، فمن ذلك ما ذكره القاضي عياض في مداركه حيث قال:" قال سفيان بن عيينة: سأل رجـــل مالكاً، فقال: "الرحمن على العرش استوى"،كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك ملياً حتى علاه الرحضاء، وما رأينا مالكاً وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس ينتظرون ما يأمر به ثم سري عنه. فقال: الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقـــول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب؛ وإني لأظنك ضالاً أخرجوه عني".

فناداه الرجل يا أبا عبد الله والله الذي لا إله إلا هو لقد سألت عن هذه المســـألة أهـــل البصرة والكوفة والعراق فلم أجد أحداً وفق لما وفقت له"[2].

2-**مناظرة سعيد بن الحداد** [3] **لابن الأشج** في مجلس أمير القيروان إبراهيم، قال-رحمه

(1) انظر جامع بيان العلم وفضله، 2/139-157).

(2) ترتيب المدارك، (1/87-88).

(3)أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح الغساني، شيخ المالكية، وهو أحد المجتهدين، وكان بحراً في الفروع، ورأساً في لسان العرب، بصيراً بالسنن. توفي سنة 302هـ. انظر ترجمته في رياض النفوس (2/57)، والسير (14/205).

الله-: " دخلت على إبراهيم الأمير، وكان حاضرا للمجلس ابن الكوفي، وهو قاضيه يومئذ، وابن الأشج، وجماعة، فلما دخلت عليه أومأ إلي-ولم أقبل له يدا، ولا لغيره قط- قال: وأدناني حتى لصقت إلى سريره، ثم أخذ بعض النافية-وهم القائلون بخلق القرآن- فقال: أيها الأمير كثر التشبيه، وفشا بالقيروان، وقال قائلون كذا، وقال آخرون كذا.
قال أبو عثمان: صرح النافي، وكنيت أنا إجلالا لله عز وجل عن تشنيع أهل التعطيل على أولي السنة، وعلمت أنه إنما أراد أن يحرك بذلك الأمير ليصل منه إلى أمر يجد به السبيل إلى كيد السنة وإماتتها، فقلت له: أيها الأمير، إن ما استفاض من الخبر، وانتشر دخل على البكر في خدرها، والبادي في بدوه، فكيف بمن حضر، فليشر-أيها الأمير- إلى رجل، قال ذلك من جميع البرايا، فإن لم يفعل، فاعلم مقامه- يعني من الكذب والكفر- قال: فقال له الأمير: اذكر أحدا، قال: سوف أطلب ذلك، قال أبو عثمان: فقلت له: طلبناك بذكر ما سلف إلى صرت تطلبه في التوقيف، قال: فقال الأمير: آمر مناديا ينادي: لا يتكلم أحد في الكلام، قال: فقلت له أيه الأمير: الناس هادون ساكنون، فمتى ناديت حركت ساكنا.

قال: ثم جرى ذكر تكلم الله تعالى لموسى ج، فقلت: ممن سمع موسى الكلام؟ فقال ابن الأشج: من الشجرة، قلت: من ورقها، أو من لحائها؟ قال أبو عثمان فو الله ما درى أحد من أهل المجلس مرادي- فيما ظهر لي- إلا الأمير، فبدر، فقال لابن الأشج: اسكت، ويلك خوفا أن يجيب فيجب عليه القتل، قيل لأبي عثمان، وما أردت- أصلحك الله- بهذا الكلام؟ فقال: لأنه كل ما صرح، فقال: بأنه من الشجرة على الحقيقة كفر، وزعم أن الله تبارك وتعالى لم يكلم موسى، وأنه لم يفضله بكلامه، قال: ثم حول الأمير وجهه إليَّ، فقال لي: أقول لك كما قلت لابن طالب: لا أقول مخلوقا، ولا غير مخلوق، قال: فقلت له لم؟، قال: لأن الله تعالى قال: كلامي، ولم يقل مخلوقا، ولا غير مخلوق، قال: فقلت له، فإن قال غيرك مثل ما قلت في علم الله سبحانه، فقال: إن الله عز وجل لم يقل مخلوقا، ولا غير مخلوق، وسلك في العلم مسلكك في الكلام؟ قال: فقال: والله لو قال ذلك أحد لقسمته بسيفي، قال: فقلت له: ولم؟ قال: لأنه لو كان مخلوقا لكان قبل أن يخلق العلم جاهلا؛ لأن ضد العلم الجهل، قال: فقلت له، فكذلك، لا يقال في الكلام

مخلوق؛ لأنه لو كان مخلوقا لكان موصوفا قبل خلقه بضده، وهو الخرس، وما لزم في العلم لزم مثله في الكلام.

ودليل آخر إن العلم لا يعدو إحدى مترلتين: إما أن يكون صفة فعل كان من الله عز وجل، فمن شك في خلق ذلك، فهو كافر، ولعلم الله، وقدرته، ومن شك فلم يدر ذلك مخلوق، أو غير مخلوق، فهو كافر، والكلام لا يعدو هاتين المترلتين، فالواقف شاهد على نفسه بأنه تارك للقول بالحق حتما، فقال: فتبسم، وبين لي أنه فهم ما كلمته به، وابن الأشج يكرر القول، ويبديه: يريد القول بالوقف، فأقبل علي إبراهيم بن أحمد، فقال لي: أقول لك كما كنت أقول لابن طالب: أنت لا تضطرني إلى مذهبك، وأنا لا أضطرك إلى مذهبي"[1].

3-ومنها **مناظرة ابن سحنون لأبي سليمان النحوي**، صاحب الكسائي الصغير: "... فقد حضر محمد بن سحنون يوما عند علي بن حميد الوزير، وكان علي يبغيه، وكان يجل محمدا ويعظمه ويكبره، وكان في مجلسه جماعة ممن يحسنون المناظرة، وأحضر معهم شيخا قدم من المشرق، يقال له: أبو سليمان النحوي، صاحب الكسائي الصغير، وكان يقول بخلق القرآن، ويذهب إلى الاعتزال، فقال علي بن حميد الوزير لمحمد: يا أبا عبد الله ! إن هذا الشيخ وصل إلينا من المشرق، وقد تناظر معه هؤلاء، فناظره أنت.

فقال محمد: تقول أيها الشيخ أو تسمع ؟ فقال له الشيخ: قل يا بني.

فقال محمد: أرأيت كل مخلوق هل يذل لخالقه ؟ فسكت الشيخ، و لم يحر جوابا، ومضى وقت طويل، وانحصر، و لم يأت بشيء.

فقال له محمد: كم سنة أتت عليك أيها الشيخ ؟ فقال له: ثمانون سنة.

فقال ابن سحنون للوزير ابن حميد: قد اختلف أهل العلم في الصلاة على الميت بعد سنة من يوم موته، فقال بعضهم: يصلى عليه، وأجمعوا أنه إذا جاوز السنة لا يصلى عليه.

وهذا الشيخ له ثمانون سنة ميت في عداد الموتى، فقد سقطت الصلاة عليه بإجماع.

---

(1) رياض النفوس، (2/70-73).

ثم قام. فسر بذلك علي بن حميد وأهل المجلس.

فسئل ابن سحنون: أن يبين لهم معنى سؤاله هذا.

فقال: إن قال: إن كل مخلوق يذل لخالقه، فقد كفر، لانه جعل القرآن ذليلا، لانه يذهب إلى أنه مخلوق، وقد قال الله عزوجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ٤٢﴾ [فُصِّلَت:41-42]

وإن قال: إنه لا يذل، فقد رجع إلى مذهب أهل السنة؛ لانه لا يذهب في هذه الحالة إلى أنه مخلوق الذي هو صفة من صفاته"[1].

4-ومنها **مناظرة عبد الله بن أبي حسّان** [2] **لمن قال بخلق القرآن:**

"حدث فرات بن محمد العبدي قال: سمعت عبد الله بن أبي حسان يقول: دخلت على الأغلب فإذا الجعفري والعنبري يتناظران في القرآن، والجعفري ينكر أن يكون القرآن مخلوقًا، والعنبري يقول إنه مخلوق، فلما رآني الجعفري قال: قد جاء شيخنا أبو محمد يعيني عليكم. قال: فلما جلست قلت للعنبري: وما أنت وذا؟ هذا بحر عميق، عليك بجربان البصرة. يعني النخل العنبري. فقال العنبري: إن كان أبو محمد معك فهذا الأمير معي، يعني الأغلب، فقلت: ما للملوك والكلام في الدين؟ فأحفظه ذلك، يعني أغضبه، ثم قال لي: يا أبا محمد، وكذلك من أتى السلطان هو مثل السلطان، فقلت له: إنما أتاكم

---

(1) المصدر السابق، (2/448-449).

(2) هو يزيد بن عبدالرحمن، وقيل بالعكس، من أسر أشراف أفريقيا قدم على مالكن ومعه خطاب من عبدالله بن غانمن فلما قرأ مالك الكتاب أدناه منه، وأكرمه، ومن شدة حرصه على القرب من مجلس مالك جعل لرجل ثلاثة دراهم كل يوم يأخذ له مجلسا يجلس فيه عند مالكن فإذا جاء ابن أبي حسان قام له الرجلن فجلس فيه، قال ابن وهب: ما رأيت مالكا أميل إلى أحد منه لابن أبي حسان،ت: سنة(227هـ)ن انظر ترجمته في ترتيب المدارك، (1/279-281)، ورياض النفوس، (1/240).

الآتي لأنكم خير ممن هو شر منكم، ولو أتى من هو خـــير مـــنكم لأتـــاه النـــاس ولم يأتـــوكم" [1].

(1) المصدر نفسه، (2/286-287).

المطلب الثالث: الردود على المخالفين.

تنوعت جهود علماء السلف في تقرير توحيد الأسماء والصفات، والرد على المخالفين، والمتتبع لردود أهل السنة على المبتدعة يجد أنهم ردوا عليهم بشتى أنواع الردود، ما بين الرد عبر المؤلفات والرسائل، ومن خلال الدروس والإجابة على الأسئلة التي يلقيها بعض هؤلآء المبتدعة على أئمة أهل السنة أو على عامة الناس بقصد التشكيك في المنهج الحق، أو إدخال الشبه على التلاميذ. وقد قمع الله بهذه الجهود زحف المبتدعة من المعتزلة والجهمية والأشاعرة وغيرهم، مما حدا بهؤلآء إلى التستر وعدم إظهار ما هم عليه من باطل خوفاً من التعرض لسهام أهل الحق؛ بل بلغ من شدتهم على أهل البدع أن حكموا بكفر بعضهم وردّته، ووصفه بالزندقة، والأمر بقتل بعضهم، وفي ذلك أبلغ الرد عليهم والتحذير من بدعهم.

والمحققون من المالكية لم يخرجوا عن هذا المنهج، وكان لهم جهود في الردود على المخالفين في هذا الباب، ومحاولة إقناعهم، والرد عليهم بالكتاب والسنة وأقوال السلف من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان، ومن أمثلة ذلك:

1- قال مطرف سمعت مالكاً إذا ذكر عنده فلان من أهل الزيغ والأهواء يقول: قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها إتباع لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد بعد هؤلاء تبديلها ولا النظر في شيء خالفها. من اهتدى بها استنصر، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً. وكان مالك إذا حدث بهذا ارتج سروراً، وسأل رجل مالكاً من أهل السنة يا أبا عبد الله؟ قال: الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي ولا رافضي ولا قدري"[1].

وفي ضمن إجابة الإمام مالك الرد على المخالفين الذين يخالفون أهل السنة والجماعة في القول والعمل، والانتساب فكل من خالف أهل السنة فهو من أهل البدع.

---

(1) ترتيب المدارك، (88/1).

"قال ابن نافع وأشهب وأحدهما يزيد على الآخر. قلت يا أبا عبد الله: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة. ينظرون إلى الله! قال نعم بأعينهم هاتين فقلت له فإن قوماً يقولون لا ينظر إلى الله، إن ناظرة بمعنى منتظرة إلى الثواب. قال كذبوا بل ينظر إلى الله أما سمعت قول موسى عليه السلام: رب أرني أنظر إليك. أفترى موسى سأل ربه محالاً؟ فقال الله لن تراني في الدنيا لأنها دار فناء ولا ينظر ما بقي بما يفنى فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما بقي إلى ما بقي وقال الله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطفِّفين:15][1]"

وهذا فيه الرد على الزائغين الذين ينكرون رؤية الله عز وجل في الآخرة، ويحرفون النصوص عن ظاهرها.

قال ابن أبي أويس قال مالك: القرآن كلام الله وكلام الله من الله، وليس من الله شيء مخلوق زاد غيره عنه، ومن قال القرآن مخلوق فهو كافر، والذي يقف أشد منه يستتاب وإلا ضربت عنقه. وفي رواية ابن نافع عنه يجلد ويحبس من قال ذلك. وفي رواية بشر بن بكير التنيسي يقتل ولا تقبل توبته. قال البركاني والتستري من شيوخنا العراقيين معنى الجوابين المستبصر الداعية ويضرب غيره وسئل عن حديث التنزيل قال: ينزل أمره كل سحر وأما هو دائم فلا يزول. وقال الوليد بن مسلم: سألت مالكاً عن هذه الأحاديث فقال: أقرأها كما جاءت. فقيل له إن ابن عجلان يحدث بها فقال: لم يكن من الفقهاء. قال في رواية ابن القاسم وابن وهب إنه كان لا يعرف هذه الأشياء. وكره مالك أن يحدث بها عوام الناس الذين لا يعرفون وجهه ولا تبلغه عقولهم فينكروه أو يضعوه في غير موضعه. وجاء إلى مالك رجل فقال له: ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق. قال زنديق فاقتلوه. فقال: يا أبا عبد الله ليس هو كلامي، إنما هو كلام سمعته. قال: لم أسمعه أنا إلا منك"[2]

---

(1) المصدر السابق (89/1).

(2) المصدر السابق، (89/1-90).

فانظر إلى شدته- رحمه الله- على أهل البدع، وكفى بذلك ردا عليهم، وتبكيتا لهم.

2- ومن ردود أئمة المالكية على المخالفين رد الإمام الحافظ ابن عبد البر على المعتزلة في إنكارهم علو الله، واستوائه على عرشه حيث قال بعد أن ذكر الآيات الدالة على علو الله عز وجل:

"وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى استولى فلا معنى له؛ لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغالبه، ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك؛ وإنما يوجه كلام الله عز وجل إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات وجل الله عز وجل عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين والاستواء معلوم في اللغة، ومفهوم وهو العلو، والارتفاع على الشيء، والاستقرار، والتمكن"[1].

وهكذا نجده-رحمه الله- يرد على هؤلاء المبطلين مستدلا بظاهر الخطاب الذي تفهمه العرب من لغتها التي نزل القرآن بها، فكيف إذًا يجوِّز هؤلاء صرف الكلام الظاهر المتبادر إلى الذهن الذي تعرفه العرب؟ ولماذا يعرض هؤلاء عن كلام العرب الواضح البين، ويتبعوا أصحاب العجمة الذين لم يرزقوا فهم اللغة، ولم يوفقوا لاتباع الحق؟

وقال في رده على من استشهد بحديث ضعيف مبينا أن الحديث الضعيف لا يسوغ الاحتجاج به كما شنع عليهم استدلالهم بذلك مع أنهم لا يقبلون أحاديث الآحاد حتى ولو كان رواتها عدولا ثقاتا:

---

(1) التمهيد، (131/7).

"وأما نزع من نزع منهم بحديث يرويه عبد الله بن واقد الواسطي عن إبـــراهيم بـــن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:5] على جميع بريته فلا يخلو منه مكان.

فالجواب عن هذا: أن هذا حديث منكر عن ابن عباس- رضي الله عنـــه- ونقلتـــه مجهولون ضعفاء؛ فأما عبد الله بن داود الواسطي، وعبد الوهاب بن مجاهـــد فضـــعيفان، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف، وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا، أو أنصفوا، أما سمعوا الله عـــز وجـــل حيث يقـــول: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر:36،37]

فدل على أن موسى عليه السلام كان يقول إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذبا".

ثم رد عليهم في استدلالهم بقول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٤﴾ [الزُّخرُف:84]، فقال:"

"فإن احتجوا بقول الله عز وجـــل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ وبقولـــه: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام:3] وبقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة:7]الآية، وزعموا أن الله تبارك وتعالى في كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى قيل لهم لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجتمع عليه، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء وفي الأرض إله معبود مـــن أهل الأرض، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير، فظاهر التنزيل يشهد أنه علـــى العـــرش والاختلاف في ذلك بيننا فقط، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر، وأما قوله في الآيـــة الأخرى ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ﴾ [الزخرف:84] فالإجماع والاتفاق قد بين المراد بأنه معبـــود من أهل الأرض فتدبر هذا فإنه قاطع إن شاء الله".

ثم احتج بالفطرة على علو الله تعالى قائلا:" ومن الحجة أيضا في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم"[1].

وقال-رحمه الله- في رده على الذين ينفون علو الله تعالى:

"وأما احتجاجهم لو كان في مكان لأشبه المخلوقات؛ لأن ما أحاطت به الأمكنة، واحتوته مخلوق فشيء لا يلزم، ولا معنى له؛ لأنه عز وجل ليس كمثله شيء من خلقه، ولا يقاس بشيء من بريته لا يدرك بقياس، ولا يقاس بالناس، لا إله إلا هو كان قبل كل شيء، ثم خلق الأمكنة، والسموات والأرض، وما بينهما، وهو الباقي بعد كل شيء، وخالق كل شيء لا شريك له، وقد قال المسلمون: وكل ذي عقل أنه لا يعقل كائن لا في مكان منا وما ليس في مكان فهو عدم، وقد صح في المعقول، وثبت بالواضح من الدليل أنه كان في الأزل لا في مكان، وليس بمعدوم، فكيف يقاس على شيء من خلقه؟ أو يجري بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا الذي لا يبلغ من وصفه إلا إلى ما وصف به نفسه، أو وصفه به نبيه ورسوله، أو أجمعت عليه الأمة الحنيفية عنه"[2].

وفي رده على قولهم: لا يعقل الاستواء إلا مقرونا بالتكييف يقول-رحمه الله-:

"فإن قال إنه لا يكون مستويا على مكان إلا مقرونا بالتكييف، قيل: قد يكون الاستواء واجبا والتكييف مرتفع، وليس رفع التكييف يوجب رفع الاستواء، ولو لزم هذا لزم التكييف في الأزل؛ لأنه لا يكون كائن في لا مكان إلا مقرونا بالتكييف، وقد عقلنا وأدركنا بحواسنا أن لنا أرواحا في أبداننا، ولا نعلم كيفية ذلك ،

(1) التمهيد، (134/7).

(2) التمهيد، (135/7-136).

وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفية [استوائه] على عرشه يوجب أنه ليس على عرشه"[1]

3- وقال محمد بن رشد في معرض رده على الذين ينكرون رؤية الله عز وجل:
"الذي عليه أهل السنة والجماعة من الموحدين أن رؤية الله عز وجل جائزة غير مستحيلة، وأن المؤمنين يرونه في الآخرة بأبصار وجوههم على ما جاء به القرآن وتواترت به عن النبي – صلى الله عليه وسلم – الآثار ، خلاف ما ذهب إليه أهل الزيغ المعتزلة والقدرية والخوارج والجهمية من أن رؤية الله عز وجل مستحيلة لا تجوز عليه ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً .

فمن الدليل الواضح على جواز رؤية الله عز وجل أن موسى – عليه السلام – قد سال ذلك ربه فقال : ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف:143] على ما اخبر الله عز وجل به عنه في كتابه العزيز الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فُصِّلَت:42] ومن المستحيل أن يسأله ما يعلم أنه لا يجوز في صفته أو أن يجهل هل يجوز ذلك في صفته أم لا ، فتكون المعتزلة أعلم بصفات الله تعالى وما يجوز عليه مما لا يجوز منه – صلى الله عليه وسلم – ودليل ثان هو قوله عز وجل : ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام:103]؛ لأنه عز وجل تمدح بأن الأبصار لا تدركه، فلو كان من المستحيل أن تدركه الأبصار لم يكن له في ذلك مدح، وإنما كان المدح له في ذلك لانفراده بخلق الآفة في الأبصار التي تمنع من إدراكه في الدنيا مع جواز ذلك عليه. وكما هو قادر على خلق الآفة في الأبصار المانعة من رؤيته في الدنيا ، فكذلك هو قادر على رفع الآفة من أبصار المؤمنين يوم القيامة حتى يروه على ما نطق به القرآن وتواترت به السنن والآثار. وإذا جازت عليه الرؤية بما ذكرناه وجبت له؛ إذ لا يقول أحد: إنها تجوز عليه، ولا تجب له"[2].

---

(1) المصدر السابق، (137/7).

(2) البيان والتحصيل، (479/18).

ثم استطرد-رحمه الله- في ذكر الأدلة على إثبات الرؤية رادا ما يقولـه أهـل الزيـغ والتعطيل أنها لا تجوز عليه فقال:

" ومن الدليل على وجوب رؤية المؤمنين له يوم القيامة قوله عز وجـل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:22- 23] وهو نص في النظر إليه حقيقة لا يحتمل المجاز.

وقوله عز وجل في الكفار مهدداً لهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:15] فلو كان هذا أمراً عاماً للمؤمنين، والكافرين لم يكن فيه تهديد للكافرين. وقولـه عـز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:26] على ما قاله أهل التفسير : إن الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم؛ لأن الحسنى مستغرق لجميع الإحسان بدخول الألف واللام فيه، فالزيادة على ذلك يجب أن تكون من غير جنس المزيد عليه، ولا شيء يمكن أن يشار إليه في ذلك سوى رؤية الله عز وجل.

ومما يدل على ذلك أيضاً ما رواه الأثبات الثقات عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ونقلوه عنه نقلاً متواتراً من رواية أبي بكر الصديق وعائشة – رضي الله عنهما – وعمران ابن حصين ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عباس ، وجرير بن عبد الله البجلي ، وغيرهم : أن المؤمنين يرون ربهم كما يرون القمر في ليلة البدر لا تضامون في رؤيته ، وفي بعـض الآثار : لا تضارون في رؤيته . وفي بعض الآثار ليس دونه حجاب . وأجمعت الأمة على أن الكافرين محجوبون عن الله تعالى يوم القيامة. وإنما اختلفوا في المؤمنين، فقال أهل الزيغ إنهم لا يرونه ، وقال أهل السنة والجماعة إنهم يرونه على ما بيناه وصححناه"(1).

فهذا البيان منه-رحمه الله رد على الزائغين الذين ينكرون رؤية الله عزوجل في الآخرة، واستدلال بأقوى الأدلة، وأبينها القرآن والسنة على إثبات الرؤية كما هو قول أهل السنة والجماعة، ولم يخالف فيه إلا أهل الزيغ والانحراف الذين يعرضون عن الأدلة الواضحة إلى زبالات الأفكار، وما تمليه عليهم عقولهم القاصرة.

4- ومن رد على المخالفين في الأسماء والصفات العلامة المفسر الأصولي الشيخ محمد

---

(1) المصدر السابق، (480/18).

الأمين الشنقيطي حيث قال-رحمه الله- في معرض رده على الذين يقولون: يجب صرف ظواهر النصوص خوفا من التشبيه- " زعم كثير من النظار الذين[1] عنـــدهم فهـــم، أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها غير لائقة بالله؛ لأن ظواهرها المتبادرة منها هو تشـــبيه صفات الله بصفات خلقه، وعقد ذلك المقرئ في إضاءته في قوله:

والنص إن أوهم غير اللائق بالله كالتشـــبيه بالخلائـق

فاصرفه عن ظاهره إجماعا واقطع عن الممتنع الأطماعا

وهذه الدعوى الباطلة من أعظم الافتراء على آيات الله تعالى، وأحاديث رسوله – صلى الله عليه وسلم .

والواقع في نفس الأمر أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها المتبادرة منها، لكـــل مســـلم راجع عقله ، هي مخالفة صفات الله لصفات خلقه. ولا بد أن نتساءل هنا، فنقول:

أليس الظاهر المتبادر مخالفة الخالق للمخلوق في الذات والصفات والأفعال ؟

والجواب الذي لا جواب غيره: بلى .

وهل تشابهت صفات الله مع صفات خلقه حتى يقال: إن اللفظ الدال على صفته تعـــالى ظاهره المتبادر منه تشبيهه بصفة الخلق ؟

والجواب الذي لا جواب غيره: لا!

فبأي وجه يتصور عاقل أن لفظا أنزله الله في كتابه مثلا دالا على صفة من صفات الله أثنى بها تعالى على نفسه يكون ظاهره المتبادر منه مشابهته لصفة الخلق ؟ سبحانك هـــذا بهتان عظيم.

فالخالق والمخلوق متخالفان كل التخالف وصفاتهما متخالفة كل التخالف .

فبأي وجه يعقل دخول صفة المخلوق في اللفظ الدال على صفة الخالق ؟ أو دخول صفة الخالق في اللفظ الدال على صفة المخلوق مع كمال المنافاة بين الخالق والمخلوق ؟

(1) هكذا وردت، ولعل الصواب: ليس عندهم فهم.

فكل لفظ دل على صفة الخالق ظاهره المتبادر منه أن يكون لائقا بالخالق مترها عن مشابهة صفات المخلوق.

وكذلك اللفظ الدال على صفة المخلوق لا يعقل أن تدخل فيه صفة الخالق.

ثم ضرب لذلك مثلا في اليد، فقال:

فالظاهر المتبادر من لفظ اليد بالنسبة للمخلوق، هو كونها جارحة هي عظم ولحم ودم ، وهذا هو الذي يتبادر إلى الذهن في نحو قوله تعالى: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة:38] والظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في نحو قوله تعالى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:75]؛ أنها صفة كمال وجلال، لائقة بالله – جل وعلا – ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله.

وقد بين – جل وعلا – عظم هذه الصفة، وما هي عليه من الكمال والجلال، وبين أنها من صفات التأثير كالقدرة، قال تعالى في تعظيم شأنها: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزُّمَر:67]

وبين أنها صفة تأثير كالقدرة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:75] فتصريحه تعالى بأنه خلق نبيه آدم بهذه الصفة العظيمة التي هي صفات كماله وجلاله يدل على أنها من صفات التأثير كما ترى.

ورد–رحمه الله– على الذين يؤولون اليد بالقدرة قائلا:

ولا يخطر في ذهن المسلم المراجع عقله دخول الجارحة التي هي عظم ولحم ودم في معنى هذا اللفظ الدال على هذه الصفة العظيمة من صفات خالق السماوات والأرض .

فاعلم أيها المدعي أن ظاهر لفظ اليد في الآية المذكورة وأمثالها لا يليق بالله ؛ لأن ظاهرها التشبيه بجارحة الإنسان، وأنها يجب صرفها عن هذا الظاهر الخبيث، ولم تكتف بهذا حتى ادعيت الإجماع على صرفها عن ظاهرها – أن قولك هذا كله افتراء عظيم على الله تعالى وعلى كتابه العظيم، وأنك بسببه كنت أعظم المشبهين والمجسمين ، وقد جرك شؤم هذا التشبيه إلى ورطة التعطيل، فنفيت الوصف الذي أثبته الله في كتابه لنفسه بدعوى أنه لا يليق به، وأولته بمعنى آخر من تلقاء نفسك بلا مستند من كتاب، ولا سنة، ولا إجماع ولا قول أحد من السلف .

وماذا عليك لو صدقت الله ، وآمنت بما مدح به نفسه على الوجه اللائق بكماله وجلاله من غير كيف ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ؟

وبأي موجب سوغت لذهنك أن يخطر فيه صفة المخلوق عند ذكر صفة الخالق ؟

هل تلتبس صفة الخالق بصفة المخلوق على أحد حتى يفهم صفة المخلوق من اللفظ الدال على صفة الخالق ؟

فاخش الله يا إنسان، واحذر من التقول على الله بلا علم، وآمن بما جاء في كتاب الله مع تنـــزيه الله عن مشابهة خلقه.

واعلم أن الله الذي أحاط علمه بكل شيء لا يخفى عليه الفرق بين الوصف اللائق به والوصف غير اللائق به، حتى يأتي إنسان فيتحكم في ذلك فيقول: هذا الذي وصفت به نفسك غير لائق بك، وأنا أنفيه عنك بلا مستند منك، ولا من رسولك، وآتيك بدلـــه بالوصف اللائق بك.

فاليد مثلا التي وصفت بها نفسك لا تليق بك لدلالتها على التشبيه بالجارحة، وأنـــا أنفيها عنك نفيا باتا، وأبدلها لك بوصف لائق بك ، وهو النعمة أو القدرة مثلا أو الجود. سبحانـــك هذا بهـــــتان عظـــيم. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق:10-11].

ثم ناقش الأشاعرة الذين يثبتون بعض الصفات دون بعض بحجة أن هـــذه الأوصـــاف يشتق منها غيرها، وبين أن هذا إيمان ببعض الكتاب دون بعض، وبين أن العرب لا تدرك كيفية صفات الله من لغتها لمخالفة صفاته لصفات الخلق، ومعرفة كيفية الصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات، فالذات والصفات من باب واحد، فكما أن ذاته جل وعـــلا تخالف جميع الذوات؛ فإن صفاته تخالف جميع الصفات، فقال:

ومن الغريب أن بعض الجاحدين لصفات الله، المؤولين لها بمعان لم ترِد عن الله ولا عـــن رسوله، يؤمنون فيها ببعض الكتاب دون بعض.

فيقرون بأن الصفات السبع التي تشتق منها أوصاف ثابتة لله مع التنـــزيه، ونعـــني بهـــا القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام؛ لأنها يشتق منها قادر حي عليم

... إلخ، وكذلك في بعض الصفات الجامعة كالعظمة والكبرياء والملك والجلال مـثلاً؛ لأنها يشتق منها العظيم المتكبر والجليل والملك، وهكذا، ويجحدون كل صفة ثبتـت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لم يشتق منها غيرها كصفة اليـد والوجـه ونحو ذلك، ولا شك أن هذا التفريق بين صفات الله التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم لا وجه له البتة بوجه من الوجوه.

ولم يرد عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم الإذن في الإيمان بـبعض صـفاته، وجحد بعضها وتأويله لأنها لا يشتق منها.

وهل يتصور عاقل أن يكون عدم الاشتقاق مسوغاً لجحد ما وصف الله به نفسه؟

ولا شك عند كل مسلم راجع عقله، أن عدم الاشتقاق لا يرد به كلام الله فيما أثنى بـه على نفسه، ولا كلام رسوله فيما وصف به ربه.

والسبب الموجب للإيمان إيجاباً حتماً كلياً هو كونه من عند الله، وهذا السبب هو الذي علم الراسخون في العلم أنه الموجب للإيمان بكل ما جاء عن الله، سواء استأثر الله بعلمه كالمتشابه، أو كان مما يعلمه الراسخون في العلم، كما قال الله عنهم: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران:7].

فلا شك أن قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:75] من عند ربنا، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:284] من عند ربنا أيضاً، فيجب علينا الإيمان بالجميع؛ لأنه كله من عند ربنا.

أما الذي يفرق بينه، وهو عالم بأن كله من عند ربه، بأن هذا يشتق منه وهذا لا يشـتق منه فقد آمن ببعض الكتاب دون بعض.

والمقصود أن كل ما جاء من عند الله يجب الإيمان به، سواء كان من المتشابه أو من غير المتشابه، وسواء كان يشتق منه أو لا.

ومعلوم أن مالكاً –رحمه الله– سئل كيف استوى، فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب.

وما يزعمه بعضهم من أن القدرة والإرادة مثلاً ونحوهما ليست كاليد والوجه، بدعوى أن القدرة والإرادة مثلاً ظهرت آثارهما في العالم العلوي والسفلي بخلاف غيرهما كصفة اليد ونحوها، فهو من أعظم الباطل.

ومما يوضح ذلك أن الذي يقوله هو وأبوه وجده من آثار صفة اليد التي خلق الله بها نبيه آدم، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم، عالم كل العلم، بأن الظاهر المتبادر مما مدح الله به نفسه في آيات الصفات هو التنـزيه التام عن صفات الخلق، ولو كان يخطر في ذهنه أن ظاهره لا يليق، لأنه تشبيه بصفات الخلق، لبادر كل المبادرة إلى بيان ذلك؛ لأنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، ولا سيما في العقائد، ولا سيما فيما ظاهره الكفر والتشبيه.

فسكوت النبي صلى الله عليه وسلم عن بيان هذا يدل على أن ما زعمه المؤلون لا أساس له كما ترى.

فإن قيل: إن هذا القرآن العظيم نزل بلسان عربي مبين، والعرب لا تعرف في لغتها كيفية لليد مثلاً، إلا كيفية المعاني المعروفة عندها، كالجارحة وغيرها من معاني اليد المعروفة في اللغة، فبينوا لنا كيفية لليد ملائمة لما ذكرتم.

فالجواب من وجهين:

الوجه الأول: أن العرب لا تدرك كيفيات صفات الله من لغتها، لشدة منافاة صفة الله لصفة الخلق.

والعرب لا تعرف عقولهم كيفيات إلا لصفات الخلق، فلا تعرف العرب كيفية للسمع والبصر، إلا هذه المشاهدة في حاسة الأذن والعين، أما سمع لا يقوم بأذن وبصر لا يقوم بحدقة، فهذا لا يعرفون له كيفية البتة.

فلا فرق بين السمع والبصر، وبين اليد والاستواء، فالذي تعرف كيفيته العرب من لغتها من جميع ذلك هو المشاهد في المخلوقات.

وأما الذي اتصف الله به من ذلك، فلا تعرف له العرب كيفية ولا حداً لمخالفة صفاته لصفات الخلق، إلا أنهم يعرفون من لغتهم أصل المعنى، كما قال الإمام مالك رحمه الله: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

كما يعرفون من لغتهم، أن بين الخالق والمخلوق، والرازق والمرزوق، والمحيي والمُحْيَا، والمميت والمُمَات، فوارق عظيمة لا حد لها، تستلزم المخالفة التامة بين صفات الخالق والمخلوق.

الوجه الثاني: أن نقول لمن قال: بينوا لنا كيفية لليد ملائمة لما ذكرتم، من كونها صفة كمال وجلال، منـزهة عن مشابهة جارحة المخلوق.

هل عرفت كيفية الذات المقدسة المتصفة باليد؟ فلا بد أن يقول: لا.

فإن قال ذلك، قلنا: معرفة كيفية الصفات تتوقف على معرفة كيفية الذات. فالذات والصفات من باب واحد. فكما أن ذاته جل وعلا تخالف جميع الذوات، فإن صفاته تخالف جميع الصفات.

ومعلوم أن الصفات تختلف وتتباين، باختلاف موصوفاتها.

ألا ترى مثلاً أن لفظة "رأس" كلمة واحدة؟ إن أضفتها إلى الإنسان فقلت: رأس الإنسان، وإلى الوادي فقلت: رأس الوادي، وإلى المال فقلت: رأس المال، وإلى الجبل فقلت: رأس الجبل؛ فإن كلمة الرأس اختلفت معانيها، وتباينت تبايناً شديداً بحسب اختلاف إضافتها، مع أنها في مخلوقات حقيرة.

فما بالك بما أضيف من الصفات إلى الله وما أضيف منها إلى خلقه، فإنه يتباين كتباين الخالق والمخلوق، كما لا يخفي. " فاتضح بما ذكر أن الشرط في قول المقرئ في إضاءته:

والنص إن أوهم غير اللائق

شرط مفقود قطعاً؛ لأن نصوص الوحي الواردة في صفات الله لا تدل ظواهرها البتة إلا على تنـزيه الله، ومخالفته لخلقه في الذات والصفات والأفعال.

فكل المسلمين الذين يراجعون عقولهم، لا يشك أحد منهم في أن الظاهر المتبادر السابق إلى ذهن المسلم هو مخالفة الله لخلقه، كما نص عليه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:4]، ونحو ذلك من الآيات، وبذلك تعلم أن الإجماع الذي بناه على ذلك في قوله:

فاصرفه عن ظاهره إجماعا

إجماع مفقود أصلاً، ولا وجود له البتة؛ لأنه مبني على شرط مفقود، لا وجود له البتة.

فالإجماع المعدوم المزعوم لم يرد في كتاب الله، ولا في سنة رسوله، و لم يقله أحد من أصحاب رسول الله، ولا من تابعيهم، و لم يقله أحد من الأئمة الأربعة، ولا من فقهاء الأمصار المعروفين.

وإنما لم يقولوا بذلك؛ لأنهم يعلمون أن ظواهر نصوص الوحي لا تدل إلا على تتريه الله عن مشابهة خلقه، وهذا الظاهر الذي هو تتريه الله لا داعي لصرفها عنه كما ترى"[1].

وبهذه النقول يتبين لنا جزء من جهود أئمة المالكية العلمية في تقرير الأسماء والصفات بشتى الطرق المتاحة، والمناسبة من خلال ردودهم على المخالفين من الجهمية، والمعتزلة والأشاعرة، وغيرهم ممن أعرض عن الكتاب والسنة، وحكم آراء الرجال، ومعقولاتهم، وخالف ما عليه أهل الحق. كما يتبين أن محققي المالكية من المتأخرين يوافقون متقدميهم في هذا الباب العظيم، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، فهم لا يختلفون في جميع أبواب الدين؛ لأن المنهل الذي يصدرون عنه واحد لا يتغير، فهم تبع لذلك لم يختلفوا.

فجزى الله أهل السنة والجماعة عموما، والمالكية خصوصا خيرا على ما بذلوه من جهود لنصرة الحق، ودحض الباطل، والله نسأل أن يرد المسلمين إلى دينهم ردا جميلا، ويوفقهم لما عليه سلفهم الصالح من معرفة الحق، ولزومه؛ إنه سميع قريب مجيب!

---

(1) أضواء البيان، (7/473-482).

الفصل الثاني: منهج علماء المالكية في التلقي والاستدلال في مسائل العقيدة.

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: منهجهم في التلقي، وفيه أربعة مطالب:**
  - **المطلب الأول: مصادرهم.**
  - **المطلب الثاني: موقفهم من خبر الآحاد.**
  - **المطلب الثالث: موقفهم من العقل والقياس.**
  - **المطلب الرابع: موقفهم من علم الكلام.**
- **المبحث الثاني: منهجهم في الاستدلال. وفيه خمسة مطالب:**
  - **المطلب الأول: موقفهم من المحكم والمتشابه.**
  - **المطلب الثاني: موقفهم من التأويل.**
  - **المطلب الثالث: موقفهم من المجاز.**
  - **المطلب الرابع: موقفهم من فهم النص.**
  - **المطلب الخامس: موقفهم مما يوهم التعارض في النص.**

المبحث الأول: منهجهم في التلقي، وفيه أربعة مطالب:

تمهيد:

يتميز منهج أهل السنة والجماعة بميزة لم تكن لغيرهم من الطوائف والفرق، ألا وهي الرجوع في تلقي مسائل الاعتقاد خصوصًا والدين عمومًا إلى الوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى بمصدريه -الكتاب والسنة- وما يتفرع عنهما؛ وذلك ليقينهم أن الحق محصور في هذين المصدرين وأنهما محفوظان بحفظ الله لهما عن الزيغ والضلال لقول الله عز وجل في بيان حفظ القرآن: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:9] فدلت هذه الآية على تكفل الله عز وجل بحفظ الذكر وهو القرآن. وأما السنة فيقول الله عز وجل مبينًا أنها وحي منه سبحانه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم:3-4]، وإذا كانت كذلك فهي محفوظة بحفظ الله عز وجل كما تقدم.

والمحققون من أئمة المالكية لا يخرجون عن هذا المنهج الرباني في مسائل الاعتقاد ويرون أن في كتاب الله وسنة رسوله النجاة؛ فلا يلتفتون إلى ما سواهما مما فتن به أهل الضلال والبدع، بل ويكرهون ما أحدث من علم الكلام ويحذرون منه أشد التحذير.

يقول الإمام مالك -رحمه الله-: "الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه نحو: الكلام في رأي جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل، فالسكوت أحب إلي؛ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في دين الله إلا فيما تحته عمل"[1].

قال الحافظ بن عبد البر -رحمه الله- تعليقًا على كلام الإمام السابق مؤيدًا له ومبينًا أن هذا هو المنهج الحق الذي يجب اتباعه، وأنه سبيل أهل الحق والهدى: "وقد بين مالك -رحمه الله- أن الكلام فيما تحته عمل هو المباح عنده وعند أهل بلده -يعني العلماء منهم رضي الله عنهم-، وأخبر أن الكلام في الدين نحو القول في صفات الله وأسمائه وضرب مثلاً فقال: نحو رأي جهم والقدر، أي أنه يكره الخوض في ذلك.

---

(1) انظر جامع بيان العلم، (127/2).

ثم قال أبو عمر: والذي قاله مالك عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديمًا وحديثًا من أهل الحديث والفتوى؛ وإنما خالف ذلك أهل البدع -المعتزلة وسائر الفرق-. وأما الجماعة فعلى ما قال مالك إلا أن يضطر أحد إلى الكلام فلا يسعه السكوت إذا طمع برد الباطل وصرف صاحبه عن مذهبه أو خشي ضلال عامة أو نحو هذا"[1].

وسأعرض خلال المطالب الآتية منهج أئمة المالكية في تلقي العقيدة والذي يقوم على الأسس التي عليها يبني أهل السنة والجماعة منهجهم في الاعتقاد والعمل.

(1) جامع بيان العلم وفضله، (127/2).

المطلب الأول: مصادرهم.

من خلال التتبع والاستقراء لمنهج أئمة المالكية في تلقى العقيدة اتضح لي أن منهجهم يقوم على المصادر الآتية:

1- الكتاب -القرآن الكريم-.

2- السنة، وهذان المصدران هما المصدران الأساسيان عند أهل السنة والجماعة.

3- الإجماع المبني على الكتاب والسنة.

4- الفطرة السليمة.

أولاً: القرآن الكريم، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: معنى القرآن في اللغة.

القرآن من مادة قرأ، ومنه قرأت الشيء، فهو قرآن: أي جمعته وضممت بعضه إلى بعض، فمعناه: الجمع والضم. ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلًى قط، وما قرأت جنينًا، أي لم تضم رحمها على ولد(1). قال أبو عبيدة(2) -رحمه الله-: "... وإنما سمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها، وتفسير ذلك في آية من القرآن، قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:17] مجازه: تأليف بعضه إلى بعض ..." ثم قال: "وفي آية أخرى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل:98] مجازه: إذا تلوت بعضه في إثر بعض حتى يجتمع وينضم بعضه إلى بعض، ومعناه: يصير إلى معنى التأليف والجمع، ثم استشهد على هذا المعنى بقول عمرو بن كلثوم:

---

(1) انظر الصحاح للجوهري (65/1) مادة: قرأ، بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار.

(2) هو: معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري، النحوي، صاحب التصانيف، ولد سنة 110هـ في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري، حدث عن هشام بن عروة، ورؤبة بن الحجاج وطائفة، ولم يكن صاحب حديث، وإنما له باع في اللسان، وأيام الناس. وحدث عنه: علي بن المديني، وأبو القاسم بن سلام، وجماعة، ومن تصانيفه: "مجاز القرآن" و"غريب الحديث". مات سنة 209هـ، وقيل: 210هـ. انظر ترجمته في السير للذهبي (445/9-447)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (371/1-372).

ذراعي حرة أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنيناً[1]

أي لم تضم في رحمها ولداً قط[2]؛ فسمي القرآن قرآناً لأنه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور: بعضها إلى بعض"[3].

ويذكر أبو بكر الباقلاني أن القرآن يكون مصدراً واسماً: مصدرا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:17]، واسما كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء:45][4].

ويروى عن الشافعي -رحمه الله-: أن القرآن اسم علم لكتاب الله، غير مشتق: كالتوراة والإنجيل[5]. قال القرطبي-رحمه الله-: "والصحيح الاشتقاق في الجميع"[6]، أي في القرآن والتوراة والإنجيل.

---

(1) انظر: شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (معلقة عمرو بن كلثوم)، (ص/380)، بتحقيق عبد السلام هارون. وأصل البيت:

ذراعي عيطل أدماء بكر تربعت الأجارع والمتونا

لكن رواه أبو عبيدة كما تقدم، وقد أشار الشارح إلى روايته.

(2) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (1/1-3)، بتحقيق: محمد زغلول سلام.

(3) انظر: لسان العرب (128/1) مادة قرأ.

(4) انظر: نكت الانتصار لنقل القرآن لأبي بكر الباقلاني، (ص/56))، بتحقيق: محمد زغلول سلام.

(5) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (298/2).

(6) المرجع السابق، (298/2).

المسألة الثانية: معنى القرآن في الاصطلاح.

القرآن الكريم هو اسم لكلام الله تعالى، المنـــزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وهو اسم لكتاب الله خاصة، ولا يسمى به شيء غيره من سائر الكتب[1].

وإضافة الكلام إلى الله تعالى إضافة حقيقية من باب إضافة الكلام إلى قائله[2].

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "اعلم أن هذا القرآن المكتوب في المصـــاحف الذي أوله سورة الفاتحة وآخره سورة الناس، هو كلام الله تعالى بألفاظه ومعانيه كمـــا صرح تعالى بأن المسموع كلام الله في قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:6]، فصرح بأن هذا الذي يسمعه هذا المشرك المستجير هـــو كلام الله ... فالحاصل أن هذا القرآن المحفوظ في الصدور، المقروء بالألسنة، المكتوب في المصاحف هوكلام الله بألفاظه ومعانيه، تكلم به الله تعالى فسمعه جبريل منه، وتكلم بـــه جبريل فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم منه، وتكلم به النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته منه أمته وحفظته عنه؛ فالكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري. قال الله تعـــالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾.

وعرف القرآن صاحب المراقي بقوله:

لفظ منـزل على محمد   لأجل الإعجاز وللتعبد

قال الشنقيطي -رحمه الله-: فصرح بأن القرآن لفظ، أي مشتمل على تلك المعـــاني العظيمة لا لمجرد المعنى القائم المجرد عن الألفاظ والحروف"[3].

وسيمر معنا في هذا البحث تعريف القرآن واعتقاد أئمة المالكية فيه -إن شاء الله-.

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (298/2)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، (1/1).
(2) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، (54/1).
(3) مذكرة أصول الفقه، (ص/78-80).

المسألة الثالثة: موقف أئمة المالكية من الاستدلال بالقرآن الكريم.

وبتأمل تقرير علماء المالكية لمسائل العقيدة ولا سيما توحيد الأسماء والصفات نجد أنهم يستدلون بالقرآن الكريم على تقرير ذلك. ومن أمثلة استدلالهم بالكتاب على تقرير توحيد الأسماء والصفات ما يلي:

بِسْـــــــــــــ -الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي-رحمه الله تعالى-.

فقد روى الإمام ابن أبي زمنين-رحمه الله- في كتابه أصول السنة بسنده عن عبد الرحمن بن القاسم أنه قال: "لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه يديه بشيء ولاوجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه، يقف عندما وصف به نفسه في الكتاب؛ فإنه تعالى لا مثل له ولاشبيه له، ولكن هو الله لا إله إلا هو كما وصف نفسه، ويداه مبسوطتان كما وصفها، ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر:67]كما وصف نفسه"[1].

وهكذا نجد الإمام ابن القاسم يقرر أن المرجع في إثبات صفات الله عز وجل كتاب الله عز وجل، وأنه لايجوز إثبات وصف لله عز وجل إلا بما أثبته لنفسه سبحانه، وأن الواجب على المرء أن يقف مع الكتاب العزيز. وضرب لذلك مثلاً إثبات اليدين لله عز وجل مستدلاً على هذا الإثبات بقول الله عز وجل في كتابه حيث أثبت الله عز وجل لنفسه القبضة واليمين، ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثًا. والإمام -رحمه الله- لا يخرج في اعتماده على الكتاب العزيز في تقرير ذلك عن منهج السلف الصالح -رحمهم الله تعالى-.

2- **قول الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المالكي** حيث قال-رحمه الله- في كتابه أصول السنة: "باب في الإيمان بصفات الله وأسمائه":

قال محمد يعني-نفسه-: واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تعالى عن نفسه علمًا، والعجز عما لم يدع إيمانًا، وأنهم إنما ينتهون من

---

(1) أصول السنة بتحقيق عبد الله البخاري، (ص/75).

وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه وعلى لسان نبيه، وقد قال وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:88]، وقال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:19]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:28]، وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر:29]، وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:48]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه:39]، وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:64]، وقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:67]، وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:46]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:164]، وقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور:35]، وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:255]، وقال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد:3]. ومثل هذا في القرآن كثير، فهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض كما أخبر عن نفسه، وله وجه ونفس وغير ذلك كما وصف نفسه..."[1].

وهذا القول من الإمام ابن أبي زمنين أكبر دليل على أنه يرى أن المرجع في إثبات صفات الله عز وجل كتابه كما هو منهج أهل الحق.

وقال في باب في الإيمان بالعرش: "قال محمد: ومن قول أهل السنة: أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾ [طه:5-6]، وفي قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد:4]"[2]

فقد استدل -رحمه الله- على إثبات العرش وأنه في العلو واستواء الله عز وجل عليه استواءً يليق بجلاله، بما جاء في القرآن العظيم ولم يلتفت إلى ما سوى ذلك مما يستدل به

(1) أصول السنة بتخريج عبد الله البخاري، (ص/60-61).
(2) المصدر السابق، (ص/88).

أهل الكلام ويحتجون به.

حَقٌّ- قول القاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي المالكي.

قال -رحمه الله- عند شرحه لرسالة الإمام ابن أبي زيد القيرواني عند قوله "على العرش استوى وعلى الملك احتوى": هذه العبارة الآخرة التي هي قوله: "على العرش" أحب إلي من الأولى التي هي قوله: "وأنه فوق عرشه المجيد بذاته"؛ لأن قوله على العرش هو الذي ورد به النص، ولم يرد النص بذكر فوق وإن كان المعنى واحدا وكان المراد بذكر الفوق في هذا الموضع أنه بمعنى على، إلا أن ما طابق النص أولى أن يستعمل إذا ثبت هذا. والذي يدل على صحة ما ذكره -رحمه الله- من أنه على عرشه دون كل مكان ورود النص بذلك في عدة مواضع. منها قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:5]، وهذا يمنع أن يوصف بأنه على غيره، وقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر:10]وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:54] وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [المُلك:16]"[1].

فاستدراكه على الشيخ -رحمه الله- من أجل أن يوافق الوارد في النص يدل على تقيده -رحمه الله- بما ورد في الكتاب العزيز وأنه هو الذي ينبغي الأخذ به والوقوف معه، وأن استخدام لفظ غير وارد في الكتاب لا ينبغي حتى ولو كان المعنى واحد. واستدلاله بالآيات المتقدمة أكبر دليل على أنه يرى الاستدلال بالكتاب على إثبات الصفات لله عز وجل. شأنه في ذلك شأن أئمة المالكية الذين لا يخرجون عن منهج أهل السنة والجماعة في تقرير التوحيد.

4- **قول الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني** حيث قال في الرسالة الوافية مقررًا بعض صفات الله عز وجل، مستدلاً لها بالقرآن الكريم: "وأنه لم يزل مسمياً لنفسه بأسمائه، وواصفاً لها بصفاته، قبل إيجاد خلقه، وأنه قديم بأسمائه وصفات ذاته التي منها: الحياة التي بان بها من الأموات والموات، والقدرة التي أبدع بها الأجناس والذوات، والعلم الذي أحكم به جميع المصنوعات، وأحاط بجميع المعلومات، والإرادة التي صرف بها جميع

(1) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير، (ص/26)

أصناف المخلوقات، والسمع والبصر اللذان أدرك بهما جميع المسموعات والمبصرات، والكلام الذي باين فيه أهل السكوت والخرس وذوي الآفات، والبقاء الذي سبق به المكونات، وباين معه جميع الفانيات، كما أخبر تعالى فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ الآية. [الأعراف:180]، وقال جل ثناؤه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:255] ، وقال عز وجل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:58]، وقال: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود:14]، وقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء:166]، وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر:11] ، وقال: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ [الأعراف:7]، وقال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [المُلك:14]، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق:16]، وقال: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر:19] وقال: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:46]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال:61]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1]، وقال: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم:54]، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة:85]، وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:40] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصِّلت:15]، وقال: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:58]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:28]، وقال: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه:41]، وقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة:116]، وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحِجر:29، وص: 72]، وقال: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:19]، في أشباه لهذه الآي.

فنص سبحانه على إثبات أسمائه وصفات ذاته، فأخبر جل ثناؤه أنه ذو الوجه الباقي بعد تقضي الماضيات، وهلاك جميع المخلوقات، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:88]، وقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:27].

واليدين على ما ورد من إثباتهما في قوله تعالى مخبراً عن نفسه في كتابه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية [المائدة:64][1].

---

(1) وتكملتها ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾.

وقال عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:75]، وليستا بجارحتين، ولا ذواتي صورة(1). وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزُّمَر:67]، وتواترت بإثبات ذلك من صفاته عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: "كلتا يديه يمين"(2)؛ يعني صلى الله عليه وسلم: أنه لا يتعذر عليه بأحدهما ما يتأتى بالأخرى.

والأعين: كما أفصح القرآن بإثباتها من صفاته فقال عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:48]، وقال: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود:37]، وقال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:14]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه:39](3).

ثم قال رحمه الله تعالى: "فصل: في استواء الله على عرشه. ومن قولهم: أنه سبحانه فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، ومستول على جميع خلقه، وبائن منهم بذاته، غير بائن بعلمه، بل علمه محيط بهم، يعلم سرهم وجهرهم، ويعلم ما يكسبون، على ما ورد به خبره الصادق، وكتابه الناطق، فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:5]، واستواؤه جل جلاله: علوه بغير كيفية، ولا تحديد، ولا مجاورة ولا مماسة. قال مالك -رحمه الله- للذي سأله عن كيفية الاستواء: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. قال جل جلاله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [الحديد:4] الآية، يعني أن علمه محيط بهم حيثما كانوا، بدليل قوله: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:12]، وقال عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:10]، وقال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [المُلك:16]، ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [المُلك:17].

---

(1) الأولى أن نقول: نثبت ما أثبته النص الشرعي ونسكت حيث سكت النص لأن أسلوب النفي التفصيلي ليس من سمات منهج أهل السنة والجماعة، بل طريقتهم: إثبات مفصل ونفي مجمل، وهذا الأسلوب الذي ذكره المصنف من أساليب الأشاعرة وهو مردود.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم.

(3) الرسالة الوافية، (ص/45-57).

وقال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:4]، وقال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة:5] الآية، وقال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:18]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:50]، وقال: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:55]، وقال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:158]، وقال مخبراً عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ [غافر:36] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام:3] الآية، والمعنى: وهو المعبود في السماوات وفي الأرض.

وقيل: وهو المنفرد بالتدبير فيهن.

وقيل: ذلك على التقديم والتأخير؛ أي: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض.

وقيل: التام وهو الله.

وقيل: في السماوات، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزُّخرُف:84] يعني: أنه إله أهل السماء، وإله أهل الأرض، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:128]، وقال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69]، وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه:46]، يعني: أنه يحفظهم وينصرهم ويؤيدهم، لا أن ذاته معهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقوله عز وجل: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:7] الآية، يعني: أنه تبارك وتعالى عالم بهم وبما خفي من سرهم ونجواهم بدليل قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المجادلة:7]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:7] فابتدأ الآية بالعلم، وختمها بالعلم"(1).

مما سبق يتبين لنا استدلال الإمام أبي عمرو بالكتاب فيما أثبته لله عز وجل من هذه الأسماء والصفات وأنه يرى أن الأصل الذي يجب أن يصدر عنه ويستند عليه في إثبات التوحيد لله عز وجل هو الكتاب العزيز، شأنه في ذلك شأن أهل السنة والجماعة بالجملة.

---

(1) المصدر السابق، (ص/51-52).

وَأَنزَلْنَآ- **قول الإمام محمد بن موهب المالكي**[1] حيث قال -رحمه الله تعالى- في شرحـــه

لرسالة الإمام ابن أبي زيد القيرواني -رحمه الله-: "ومعنى فوق وعلى واحد عنـــد جميـــع العرب في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:59]، وقـــال تعـــالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طــه:5]، وقال تعالى في وصف خوف الملآئكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:50]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:10]، ونحو ذلك كثير"[2].

فقد استدل -رحمه الله تعالى- على إثبات صفاته عز وجل مثل العلـــو والاســـتواء بكتاب الله عز وجل، وهذا من أقوى الأدلة التي يستدل بها أهل السنة والجماعـــة علـــى إثبات صفاته عز وجل.

ٱلرَّحِيمِ- **قول الإمام أبي القاسم عبد الله بن خلف المقريء الأندلسي المالكي**[3]**-رحمه الله-**قال -رحمه الله- في كتابه الاهتداء لأهل الحق والاقتداء عند شرح حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ينـــزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومـــن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له"[4]: في هذا الحديث دليل على أنـــه تعـــالى في السماء على العرش فوق سبع سموات من غير مماسة ولا تكييف كما قال أهـــل العلـــم. ودليل قولهم أيضا من القرآن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طــه:5]، وقولـــه

---

(1) هو: محمد بن موهب أبو بكر التميمي التجيبي الحصار القرطبي المعروف بالقبري نسبة لمدينة قبره بالأندلس، من العلماء الأعلام وهو جد أبي الوليد الباجي لأمه، من مؤلفاته شرح الرسالة ت سنة (406هـــ) انظر ترجمته في ترتيب المدارك(161/2) والديباج المذهب(ص/366).

(2) اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية لابن القيم -رحمه الله-، (ص/118).

(3) لم أقف له على ترجمة، وقد أفاد أنه مالكي المذهب ابن القيم كما في المصدر السابق.

(4) أخرجه البخاري في أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه.

تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ ﴾ [السجدة:4]، وقوله تعالى: ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:42]، وقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة:5]، وقوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج:4]، وقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:55]، وقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ، مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ، تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج:2-4]والعروج هو الصعود"(1).

وهذا كما تقدم من أقوى الأدلة على علو الله عز وجل وفيه الدليل القاطع على منهج الإمام أبي القاسم واستدلاله بالقرآن الكريم على إثبات صفات الله عز وجل.

7- **وقال الإمام الشاطبي -رحمه الله-** مبينًا أن الكتاب والسنة هما سبيل النجاة وأن في اتباعهما السعادة في الدنيا والآخرة والسلامة من الضلال: "أن كتاب الله وسنة نبيه لم يتركا في سبيل الهداية لقائل ما يقول، ولا أبقيا لغيرهما مجالاً يعتد به فيه، وأن الدين قد كمل، والسعادة الكبرى فيما وضع، والطِّلبة فيما شرع، وما سوى ذلك فضلال وبهتان وإفك وخسران، وأن العاقد عليهما بكلتا يديه مستمسك بالعروة الوثقى، ومحصل لكُلِّيّة الخير دنيا وأخرى، وما سواهما فأحلام وخيالات وأوهام. وقام لي على صحة ذلك البرهان الذي لا شبهة تطرَّق حول حماه، ولا ترتمي نحو مرماه، ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يوسف:38]، والحمد لله والشكر كثيرًا كما هو أهله"(2).

8- **وقال الشيخ العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي** في بيان وجوب الاستدلال بالقرآن العظيم، وأن السير على هذا المنهج هو المنجي من الانحرفات التي وقع فيها كثير من الطوائف: "... وهذا القرآن العظيم بين المعتقد المنجي الذي هو طريق سلامة محققة في آيات الصفات يتركز على ثلاثة أسس كلها في ضوء آية من كتاب الله، فمن جاء بهذه الأسس الثلاثة فقد سار في ضوء القرآن العظيم ولقي الله متمسكاً بالعروة الوثقى على المحجة البيضاء التي كان عليها محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهو طريق

(1) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية، (ص/113).
(2) الاعتصام، (ص/1).

السلف"[1].

وبهذا يتبين لنا منهج أئمة المالكية وأنهم يرون وجوب اتباع الكتاب والسنة في الاستدلال على إثبات الأسماء لله عز وجل وصفاته، فما ثبت في الكتاب العزيز وما ثبت في السنة المفسرة وجب الإيمان به، وما لم يثبت فيجب التوقف فيه حتى يرد النص في إثباته أو نفيه.

وفيما تقدم أكبر الأدلة على استدلالهم رحمهم الله تعالى بالقرآن الكريم على إثبات توحيد الله عز وجل. وهذا المنهج السلفي هو الذي سار عليه متقدمو المالكية، وكذلك المحققون من متأخريهم مما يدل على إجماعهم على هذا الأمر.

وهذا الذي يقرره المحققون من أئمة المالكية من الاستدلال بالقرآن هو معتقد أهل السنة والجماعة قاطبة.

قال ابن القيم مبينا هذا المنهج السليم:

وقد نبه سبحانه على إثبات صفاته وأفعاله بطريق المعقول فاستيقظت لتنبيهه العقول الحية واستمرت على رقدتها العقول الميتة فقال الله تعالى في صفة العلم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:14]

فتأمل صحة هذا الدليل مع غاية إيجاز لفظه واختصاره وقال سبحانه: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل:17]

فما أصح هذا الدليل وما أوجزه وقال تعالى في صفة الكلام: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف:148]

نبه بهذا الدليل على أن من لا يكلم ولا يهدي لا يصلح أن يكون آلها وكذلك قوله في الآية الأخرى عن العجل: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه:89]

فجعل امتناع صفة الكلام والتكليم وعدم ملك الضر والنفع دليلا على عدم الإلهية

(1) الرحلة إلى إفريقيا، (ص/42).

وهذا دليل عقلي سمعي على أن الإله لا بد أن يكلم ويتكلم ويملك لعابده الضر والنفع وإلا لم يكن إلها وقال : ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد:10]

نبهك بهذا الدليل العقلي القاطع أن الذي جعلك تبصر وتتكلم وتعلم أولى أن يكون بصيرا متكلما عالما فأي دليل عقلي قطعي أقوى من هذا وأبين وأقرب إلى المعقول وقال تعالى في آلهة المشركين المعطلين : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف:195]

فجعل سبحانه عدم البطش والمشي والسمع والبصر دليلا على عدم إلهية من عدمت فيه هذه الصفات"[1]

وبهذه النقول يتبين أن أئمة المالكية سلفا وخلفا يقررون وجوب الاستدلال بالقرآن الكريم على إثبات صفات الله عز وجل شأنهم في ذلك شأن إخوانهم أئمة أهل السنة والجماعة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

"فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفيا وإثباتا فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفى عنه ما نفاه عن نفسه"[2].

(1) الصواعق المرسلة، (3/914-915)

(2) مجموع الفتاوى، (3/3).

ثانياً: السنة، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: معنى السنة في اللغة.

السنة في اللغة مشتقة من الفعل "سن"، وهذا الفعل له عدة معان لغوية منها:

1- السيرة المستمرة والطريقة المتبعة سواء أكانت حسنة أم سيئة.

يقول ابن فارس المالكي-رحمه الله-: "سن: السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء وإطراده في سهولة، والأصل قولهم سننت الماء على وجهي أسنه سنا، إذا أرسلته إرسالاً. ثم اشتق منه رجل مسنون الوجه، كأن اللحم قد سن على وجهه، والحمأ المسنون من ذلك، كأنه قد صب صباً.

قال الهذلي(1) :

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها   فأول راضٍ سنةً من يسيرها (2).

وإنما سميت بذلك لأنها تجري جرياً، ومن ذلك قولهم: امض على سَنَنك وسُنَنك، أي: وجهك، وجاءت الريح سنائن، إذا جاءت على طريقة واحدة(3).

ومن ذلك قول لبيد(4) في معلقته:

---

(1) هو خالد بن زهير، ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي، ولم أجد له ترجمة.

(2) لهذا البيت قصة ملخصها: أن أبا ذؤيب أرسل ابن أخته خالد بن زهير إلى امرأة، فأفسدها خالد على خاله أبي ذؤيب، وكان أبو ذؤيب قد فعل مثل ذلك مع عويمر بن مالك بن عويمر قبل ذلك. فلما عرف أبو ذؤيب ما فعله خالد كتب إليه بأبيات منها:

خليلي الذي دلى لغيٍّ خليلتي   جهاراً وكلٌّ قد أصاب غرورها

ونفسك فاحفظها ولا تفش للعدا   من السر ما يطوى عليه ضميرها

فأجابه خالد بالبيت المذكور. انظر التذكرة الحمدونية، (255/2).

(3) معجم مقاييس اللغة، كتاب سين في المضاعف والمطابق، مادة "سن"، (ص/453).

(4) لبيد بن ربيعة بن مالك العامري، ويكنى بأبي عقيل، وينتهي نسبه إلى هوازن من بني قيس، وهو أحد الشعراء المخضرمين، وأحد الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهالي عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، ويعد من الصحابة. ترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، قيل: هو:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه   والمرء يصلحه الجليس الصالح

وسكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات. وكان كريماً: نذر أن لا تهب

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها[1].

وبهذا الإطلاق جاء القرآن الكريم. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر:43]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الكهف:55].

وجاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "... من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وِزرها، وَوِزْر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه"[3].

2- الابتداء. يقال: سن فلان العمل بكذا، أي: ابتدأ به، وسواء كان ذلك حسناً أو سيئاً. وبهذا جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم: " ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها -وربما قال سفيان: من دمها- لأنه أول من سن القتل أولاً"[4].

فكل من ابتدأ أمراً عمل به الناس بعده قيل: بأنه هو الذي سنه، ومن هذا قول نصيب:

الصبا إلا نحر وأطعم. انظر ترجمته في خزانة الأدب للبغدادي (337/1)، ومطالع البدور (52/1)، والأعلام، (240/5).

(1) ديوان لبيد، (106/1).

(2) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، (ح 1017).

(3) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم، ومسلم في كتاب العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى.

(4) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين، باب: إثم من سن القتل.

كأني سننت الحب، أول عاشق من الناس إذ أحببت من بينهم وحدي [1].

3- الصقل. يقال: سن فلان السكين إذا حدّها وصقلها.

قال ابن فارس المالكي -رحمه الله-: "سننت الحديدة أسنها سنا: إذا أمررتها على السنان، والسنان هو المسن. قال امرؤ القيس[2]:

سنان كحد الصلبي النحيض[3].

والسنان للرمح من هذا؛ لأنه مسنون، أي: ممطول محدد. وكذلك السناسن، وهي أطراف فقار الظهر، كأنها سنت سناً"[4].

4- العناية بالشيء ورعايته. يقال: سن الإبل: إذا أحسن رعايتها والعناية بها.

قال ابن فارس-رحمه الله-: "فأما قولهم: سن إبله إذا رعاها، فإن معنى ذلك: أنه رعاها حتى حسنت بشرتها، فكأنها قد صقلت صقلاً، كما تسن الحديدة"[5].

---

(1) لسان العرب، (89/9).

(2) هو الشاعر الجاهلي امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر الكندي.

(3) أول البيت: يباري شباة الرمح خد مذلق ... انظر اللآلي في شرح أمالي القالي، (881/2).

(4) معجم مقاييس اللغة، كتاب السين، (ص/452).

(5) المصدر السابق، (ص/454).

المسألة الثانية: معنى السنة في الا صطلاح.

يختلف تعريف السنة تبعاً لاختلاف أغراض العلماء في بحوثهم حسب تخصصاتهم المختلفة، وعلى هذا فيحسن ذكر تعريف كل طائفة على حدة:

أ- فالسنة في اصطلاح المحدثين لها عدة تعريفات منها:

1. هي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وصفاته الخِلقية والخُلُقية، وسائر أخباره صلى الله عليه وسلم، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها. وهذا هو المشهور عند جمهور المحدثين، وكأن السنة عندهم خاصة بالحديث المرفوع فقط. وحجة هؤلآء هي: تسمية النبي صلى الله عليه وسلم لكل ما جاء به في مقابلة القرآن بالسنة، مثل قوله في خطبته في حجة الوداع: "يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنة نبيه"(1).

2. هي: أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وصفاته الخِلقية والخُلُقية، وسائر أخباره صلى الله عليه وسلم، سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها، وكذلك أقوال الصحابة -رضي الله عنهم-. وحجة هؤلاء قوله صلى الله عليه وسلم: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"(2).

---

(1) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الجامع، باب: النهي عن القول بالقدر (68/2)، برقم 1874 بلاغاً من حديث أنس؛ لكن يشهد له حديث ابن عباس عند الحاكم (93/1) بسند حسن، وخرجه البيهقي في الكبرى (114/10)، وقال ابن عبد البر: وهذا محفوظ معروف مشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم شهرة يكاد يستغني بهذا الإسناد. انظر التمهيد، (331/24).

(2) أخرجه أبو داوود في كتاب السنة، باب: في لزوم السنة؛ والترمذي في أبواب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة؛ وابن ماجة في المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين. وقد صححه جمع من أهل العلم، قال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الهروي في ذم الكلام (122/3): وهذا من أجود حديث في أهل الشام وأحسنه، وقال البغوي في شرح السنة: حديث حسن، وقال ابن عبد البر في الجامع (311/2): حديث

3. هي: أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وصفاته الخِلقية والخُلُقية، وسائر أخباره صلى الله عليه وسلم، سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها، وكذلك أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم. ومستند هؤلآء أن الصحابة خالطوا النبي صلى الله عليه وسلم وشاهدوا الوحي والتنزيل، وكذلك خالط التابعون الصحابة وجالسوهم وسمعوا منهم، فكان قولهم وفعلهم أولى بالقبول من غيرهم وأصبح داخلاً في مفهوم السنة.

وممن ذهب إلى هذا القول الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين المعروف بالبيهقي حيث أسمى كتابه الذي جمع فيه ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفتاوى الصحابة والتابعين وأفعالهم بِ"السنن الكبرى".

ب- السنة عند الأصوليين.

عرف الأصوليون السنة بأنها: أقوال النبي صلى الله عليه وسلم -غير القرآن- وأفعاله وتقريراته التي يمكن أن تكون دليلاً لحكم شرعي، حيث أنهم عنوا بمصادر الشريعة ومناهج استنباط الإحكام وأخذها من النصوص؛ فنظروا إلى السنة من جهة كونها مصدراً أو دليلاً، ولهذا يطلقون عليها اسم الدليل(1).

ج- السنة عند الفقهاء.

عرف الفقهاء السنة بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حكم دون الفرض والواجب. وقد يطلق الفقهاء السنة ويعنون بها ما يقابل البدعة كقولهم فيمن طلق زوجته في غير حيض وفي غير طهر جامعها فيه: هذا طلاق سني في مقابلة الطلاق البدعي(2).

ومرد هذا الاختلاف في الاصطلاح إلى اختلاف الأغراض التي تعنى بها كل فئة من

ثابت، وقال الحاكم: صحيح ليس له علة (174/1)، وصححه الألباني. انظر: الإرواء، (117/8).

(1) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (127/1)، وإرشاد الفحول للشوكاني (ص/33)، وانظر منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان بن علي حسن، (83/1).

(2) انظر حاشية التفتازاني (22/2) والإحكام للآمدي (127/1) وانظر منهج الاستدلال(83/1).

أهل العلم.

فعلماء الحديث نظروا على السنة باعتبار الأسوة والقدوة، فنقلوا كل ما اتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم من سيرة وخلق، وشمائل وأخبار، وأقوال وأفعال، سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لم يثبت.

وعلماء الأصول نظروا إلى القواعد التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمجتهدين من بعده، فاعتنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها.

وعلماء الفقه نظروا إلى الأحكام الشرعية التي دلت عليها أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم من حيث الوجوب والحرمة والإباحة وغير ذلك[1].

وقد عرفها المالكية بأنها ما واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأظهره في جماعة، وقد يسمي بعضهم ما أكد منها بالواجب[2]، قال صاحب مراقي السعود:

وسنة ما أحمد قد واظبا   عليه والظهور فيه وجبا
و بعضهم سمى الذي قد أكدا   منها بواجب فخذ ما قيدا

يعني أن السنة هي: ما واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأظهره في جماعة. وبعض أصحاب مالك يسمي السنة المؤكدة بواجب، وعليه درج أبي زيد في الرسالة حيث يقول: "سنة أو واجبة"[3].

فكان لاختلاف أغراض العلماء أثر في الاختلاف في اصطلاحاتهم. فأعم تلك الاصطلاحات اصطلاح المحدثين الذين قصدوا بالسنة كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خُلُقية أو خِلقية سواء أثبت ذلك حكمًا أم لا.

وأخص منه اصطلاح الأصوليين والفقهاء؛ لأن الأصوليين بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث أنه يضع القواعد للمجتهدين من بعده ويبين للناس دستور

---

(1) انظر المفصل في علوم الحديث، تأليف: علي بن نايف الشحود (402/1)، ومنج الاستدلال، (83/1).

(2) خبر الواحد حجيته، د.محمد محمود عبد الوهاب الشنقيطي.

(3) انظر تفاصيل تعريف السنة عند المالكية في فتح الودود شرح مراقي السعود لمحمد يحيى الولاتي، (ص/95).

الحياة، فاعتنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام الشرعية وتقررها.

والفقهاء إنما بحثوا عنها من حيث إنها لا تخرج عن حكم شرعي، فهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوبًا وحرمة وإباحة وغيرها.

وبعد عرض أقوال أهل العلم باختلاف تخصصاتهم في تعريف السنة يحسن بنا أن نقف على تعريف المشتغلين في تقرير مسائل الاعتقاد بالسنة، ويمكن إجمال ذلك بأنهم يرون أن السنة:

هي ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتقادا وقولا وعملا[1].

---

(1) انظر منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (28/1).

المسألة الثالثة: مكانة السنة وحجيتها عند السلف.

السنة المطهرة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وأساس من أصول الاستدلال والاستنباط. وتتبوأ المرتبة الثانية عند السلف بعد كتاب الله عز وجل من حيث الاحتجاج بها، وقد اشتهر عنهم -رحمهم الله- إجلالهم لها وشدة تمسكهم واهتمامهم بها، حيث وقفوا جزءًا كبيرًا من أعمارهم على تتبع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمته متنًا وسندًا حتى أصبح عدد كبير منهم حجة في علم الحديث وعلم الرجال. وكان من منهجهم العمل بها، وقد تواتر ذلك عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، ونقلت عنهم الكثير من الآثار المدونة في كتب الثقات والتي تدل على أنهم حافظوا على السنة محافظتهم على القرآن وأنها واجبة الاتباع عندهم[1].

ويرى السلف أن طلب علم الكتاب يكون عن طريق السنة وأنها السبيل الصحيح إلى فقه الإسلام، وأن الذين يقتصرون على الكتاب من غير الاستعانة بالسنة في بيانه وتعرف شرائعه يضلون سواء السبيل ولا يهتدون إلى الحق القويم. يقول الشاطبي: "لا ينبغي الاستنباط من القرآن والاقتصار عليه دون النظر في شرحه وبيانه وهو السنة؛ لأنه إذا كان كليًا وفيه أمور كلية كما في شأن الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها فلا محيص عن النظر في بيانه"[2]. ويشنع -رحمه الله- على أقوام اقتصروا على القرآن دون السنة فيقول: هم "قوم لا خلاق لهم، خارجين عن السنة"[3].

وكما يستدل أهل السنة والجماعة بالقرآن على إثبات أسماء الله عز وجل وصفاته يستدلون بصحيح السنة على ذلك؛ لأن السنة وحي من الله عز وجل وهي محفوظة بحفظ الله عز وجل.

والمتتبع لأقوال أئمة المالكية يجد أنهم يستدلون بالسنة عند تقريرهم لتوحيد الله عز وجل. ومن أمثلة ذلك:

---

(1) وللاطلاع على بعض تلك الآثار راجع كتاب "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر، (230/2) وما بعدها.

(2) الموافقات، (369/3).

(3) المرجع السابق، (17/4).

1- **قول أبي عبد الله الإمام مالك -رحمه الله-.**

قال الإمام ابن أبي زيد في كتابه الجامع: "قال مالك: قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سننًا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيما خالفها؛ من اقتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا. قال مالك: أعجبني عزم عمر في ذلك"[1].

فأنت ترى الإمام -رحمه الله- يروي مقولة عمر بن عبد العزيز معجبًا بها ومؤيدًا لها مما يدل على أنه -رحمه الله- يرى وجوب الاستدلال بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين الذين سنتهم دين يدان لله عز وجل به لقوله صلى الله عليه وسلم: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ ..." الحديث[2].

ويرى الإمام -رحمه الله تعالى- أن الاستدلال بالسنة من التصديق بكتاب الله لأن السنة مبينة للقرآن ومفسرة له كما أن في الاستدلال بالسنة استكمال لطاعة الله وقوة ثبات على دين الله، وأنه لا يجوز تبديلها ولا تغييرها ولا الرغبة عنها ومخالفتها، وأنها سبيل النجاة، وأنه لا عذر لأحد بتنكبها، وأن عاقبة المتمسك بها النجاة والفلاح، ونتيجة مخالفتها الضلال والهلاك. ومما يدل على ذلك شدته -رحمه الله- على أهل الأهواء والبدع وطرده لهم من مجالسه والحكم بقتلهم وأنهم زناديق لا تجوز مجالستهم ولا مخالطتهم.

---

(1) الجامع لابن أبي زيد (ص/149)، وترتيب المدارك (88/1).

(2) أخرجه أبو داوود في كتاب السنة، باب: في لزوم السنة؛ والترمذي في كتاب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع؛ وابن ماجة في المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ وابن أبي عاصم في السنة في باب ما أمر به من اتباع السنة وسنة الخلفاء الراشدين (ص/29)، والآجري في الشريعة (ص/46)، والطحاوي في مشكل الآثار (69/2)، والحاكم في المستدرك (95/1)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث ليس له علة، وقال البغوي في شرح السنة (181/1): حديث حسن، انظر: التلخيص الحبير (462/4).

ومن أدلة ذلك إخراجه لمن سأله عن كيفية الاستواء، ودخل عليه رجل فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ فقال مالك: زنديق اقتلوه. فقال: يا أبا عبد الله، إنما أحكي كلامًا سمعته. قال: إنما سمعته منك"[1].

وقال: لاتسلم على أهل الأهواء ولا تجالسهم إلا أن تغلظ عليهم، ولا يعاد مريضهم ولا تحدث عنهم الأحاديث"[2].

وقال: "وأرى أن يستتاب القدرية وأهل الأهواء؛ فإن تابوا، وإلا قتلوا"[3]

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ – ما ذكره الإمام محمد بن عبد الله الأندلسي المعروف بابن أبي زمنين –رحمه الله تعالى– حيث قال في كتابه أصول السنة: "باب الإيمان بالنزول. ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حدًّا. وحدثني سعيد بن فحلون عن العكي عن ابن بكير.

قال: حدثنا مالك عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له"[4]. ثم قال وهذا الحديث بين أن الله عز وجل على عرشه في السماء دون الأرض، وهو أيضًا بين في كتاب الله وفي غير ما حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي باب الإيمان في صفات الله وأسمائه ساق بسنده عن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– قال: كنا في سير مع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أهبط الناس كبروا، وإذا علوا كبروا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس اربعوا على أنفسكم،

---

(1) ترتيب المدارك (90/1).

(2) الجامع لابن أبي زيد (ص/157).

(3) المصدر السابق.

(4) أخرجه البخاري في أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه.

إنكم لاتدعون أصمًّا ولا غائبًا"[1].

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر المسيح الدجال بين ظهراني الناس فقال: "إن الله ليس بأعور، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية"[2].

ثم قال فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه وليس فيها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، فسبحان من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

فروايته -رحمه الله- لهذه الأحاديث دليل على أنه يرى وجوب الاستدلال بالسنة على إثبات أسماء الله وصفاته كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

3- قول ابن بطال المالكي-رحمه الله تعالى-.

قال عند شرحه للآيات والأحاديث التي ذكرها الإمام البخاري-رحمه الله- في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، استدلاله من قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:75]، وسائر أحاديث الباب على إثبات يدين الله هما صفتان من صفات ذاته ليستا بجارحتين بخلاف قول المجثمة[3][4] المثبتة أنهما جارحتان وخلاف قول

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في الدعاء، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب: ذكر الدجال، ومسلم في كتاب الإيمان باب: ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال.

(3) لعل الصواب المجسمة.

(4) المجسمة هم الذين يقولون: إن الله جسم كأجسامنا، ويده كأيدينا، وقدمه كأقدامنا، واستواؤه كاستوائنا، انظر شرح الطحاوية لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (30/1)، ولعل هؤلآء هم الذين عناهم ابن بطال -رحمه الله-. وإن كان بعض المعطلة من الجهمية وغيرهم يسمون من أثبت صفات الله عز وجل مشبهة ومجسمة، يقول الإمام ابن أبي العز -رحمه الله-: "ولهذ فإن كتب نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والرافضة ونحوهم كلها مشحونة بتسمية مثبتة الصفات: مشبهة ومجسمة، ويقولون في كتبهم: إن من جملة المجسمة قوم يقال لهم المالكية ينسبون إلى رجل يقال له: مالك بن أنس، وقوم يقال لهم الشافعية ينسبون إلى رجل يقال له: محمد بن إدريس". انظر: شرح الطحاوية (ص/117)، ط: المكتب الإسلامي، ط/الرابعة،

القدرية النفاة لصفات ذاته، ثم إذا لم يجز أن يقال: إنهما جارحتان لم يجز أن يقال: إنهما قدرتان، ولا إنهما نعمتان؛ لأنهما لو كانتا قدرتين لفسد ذلك من وجهين: أحدهما: أن الأمة أجمعت من بين نافٍ لصفات ذاته، وبين مثبت لها أن الله تعالى ليس له قدرتان بل له قدرة واحدة فى قول المثبتة، ولا قدرة له فى قول النافية لصفاته؛ لأنهم يعتقدون كونه قادرًا بنفسه لا بقدرة، والوجه الآخر أن الله تعالى قال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص:75]، قال إبليس مجيبًا له: أنا خير منه. فأخبر بالعلة التى من أجلها لم يسجد، وأخبره تعالى بالعلة التى لها أوجب عليه السجود، وهو أن خلقه بيديه، فلو كانت اليد القدرة التى خلق آدم بها وبها خلق إبليس لم يكن لاحتجاجه تعالى عليه بأن خلقه بما يوجب عليه السجود معنى؛ إذ إبليس مشارك لآدم فيما خلقه به تعالى من قدرته، و لم يعجز إبليس بأن يقول له: أى رب، وأى فضل له علىّ وأنا خلقتنى بقدرتك كما خلقته؟ و لم يعدل إبليس عن هذا الجواب إلى أن يقول: أنا خير منه؛ لأنه خلقه من نار وخلق آدم من طين ، فعدول إبليس عن هذا الاحتجاج مع وضوحه دليل على أن آدم خصه الله تعالى من خلقه بيديه بما لم يخص به إبليس. وكيف يسوغ للقدرية القول بأن اليد هنا القدرة مع نفيهم للقدرة؟ وظاهر الآية مع هذا يقتضى يدين، فينبغى على الظاهر إثبات قدرتين، وذلك خلافا للأمة. ولا يجوز أن يكون المراد باليدين نعمتين لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق مثله؛ لأن النعم مخلوقة كلها وإذا استحال كونهما جارحتين، وكونهما نعمتين، وكونهما قدرتين ثبت أنهما يدان صفتان لا كالأيدى والجوارح المعروفة عندنا، اختص آدم بأن خلقه بهما من بين سائر خلقه تكريمًا له وتشريفًا[(1)]".

وقال -رحمه الله- في شرح الأحاديث التي أوردها البخاري-رحمه الله- في باب ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة:185]، معنى هذا الباب كمعنى الذي قبله في إثبات الإرادة لله تعالى والمشيئة وأن العباد لا يريدون شيئًا إلا وقد سبقت إرادة الله له وأنه خالق لأعمالهم طاعة أو معصية"[(2)].

وقال عند شرحه لحديث أبي هريرة: "لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن

وانظر: تلبيس الجهمية (626/1)، ودرء تعارض العقل والنقل (334/5).
(1) شرح صحيح البخارى، (10 / 436-437)
(2) المصدر السابق، (481/10).

رحمتي سبقت غضبي"[1] وحديث ابن مسعود: "إن أحدكم يجمع في بطن أمه ... ثم يبعث الله إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات ..." الحديث[2] في باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:171]. قال ابن بطال -رحمه الله- : "معنى هذا الباب إثبات الله متكلمًا وذا كلام، خلافا لمن يقول من المعتزلة: أنه غير متكلم فيما مضى، وكذلك هو فيما بقى. وهذا كفر قد نص الله على إبطاله بقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ [الصافات:171] فى آيات أخر، وقد نص النبى صلى الله عليه وسلم على بيان هذا المعنى فى أحاديث هذا الباب، فقال: كتب عنده فوق عرشه، وقال: ثم يبعث الله إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات يوحيها الله إلى الملك، فيكتبها فى أم الكتاب، وقال: فيسبق عليه الكتاب بالقضاء المتقدم فى سابق علمه، والكتاب يقتضي كلامًا مكتوبًا، ودل ذلك على أنه لم يزل عالمًا بما سيكون قبل كونه، خلافا لمن يقول: لا يعلم الأشياء قبل كونها، ووجه مشاكلة حديث ابن عباس[3] للترجمة، هو أن الذى يتنزل به جبريل هو كلام الله ووحيه"[4].

مما تقدم يتبين لنا أن ابن بطال -رحمه الله- يستدل بالكتاب والسنة على إثبات أسماء الله عز وجل وصفاته، شأنه في ذلك شأن أهل السنة والجماعة ومنهم أئمة المالكية الذين يرون أن الاستدلال بالسنة على أصول الشريعة وفروعها من أقوى أنواع الاستدلال وأنها من أهم المصادر في إثبات التوحيد عموماً والأسماء والصفات على وجه الخصوص.

ق- قول الحافظ بن عبد البر -رحمه الله تعالى-.

قال ابن عبد البر في وجوب الاستدلال بالكتاب والسنة على إثبات أسماء الله تعالى وصفاته: "فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به

(1) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه.

(2) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه.

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾.

(4) شرح صحيح البخارى، (4 / 486-489).

في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير، فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

قال أبو عمر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة. وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود. والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله. روى حرملة بن يحيى قال: سمعت عبد الله بن وهب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: من وصف شيئا من ذات الله مثل قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:64] وأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ﴿٤٣﴾﴿٤٣﴾] فأشار إلى عينيه أو أذنه أو شيئا من بدنه، قطع ذلك منه؛ لأنه شبه الله بنفسه. ثم قال مالك: أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يضحى بأربع من الضحايا" وأشار البراء بيده كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده، قال البراء ويدي أقصر من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكره البراء أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له وهو مخلوق، فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء. أخبرنا عبد الله بن محمد بن بكر حدثنا أبو داود حدثنا هرون بن معروف حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا: [هذا] خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل: آمنت بالله". وأخبرنا عبد الله حدثنا محمد حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن عمرو حدثنا سلمة بن الفضل حدثني محمد بن إسحاق قال: حدثني عتبة بن مسلم مولى بني تميم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه قال: "فإذا قالوا ذلك فقولوا: الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. ثم ليتفل عن يساره ثلاثا ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم"

وروي عن محمد بن الحنفية أنه قال: لا تقوم الساعة حتى تكون خصومة الناس في

ربهم. وقد روي ذلك مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم.وقال سحنون: من العلم بالله، الجهل بما لم يخبر به عن نفسه. وهذا الكلام أخذه سحنون عن ابن الماجشون قال: أخبرني الثقة عن الثقة عن الحسن بن أبي الحسن قال: لقد تكلم مطرف بن عبد الله بن الشخير على هذه الأعواد بكلام ما قيل قبله ولا يقال بعده. قالوا: وما هو يا أبا سعيد؟ قال: قال الحمد لله الذي من الإيمان به الجهل بغير ما وصف من نفسه. أخبرنا أحمد بن محمد قال: حدثنا الحسن بن سلمة قال: حدثنا ابن الجارود قال: حدثنا سحنون بن منصور قال: قلت لأحمد بن حنبل: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا، أليس تقول بهذه الأحاديث؟ ويرى أهل الجنة ربهم. وبحديث: "لا تقبحوا الوجوه فإن الله خلق آدم على صورته"، "واشتكت النار إلى ربها حتى يضع الله فيها قدمه"، وأن موسى -عليه السلام- لطم ملك الموت صلوات الله عليه، قال أحمد: كل هذا صحيح. وقال إسحاق: كل هذا صحيح ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي.

قال أبو عمر: الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة وما أشبهها، الإيمان بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها والتصديق بذلك، وترك التحديد والكيفية في شيء منه. أخبرنا أبو القاسم خلف بن القاسم قال: حدثنا عبد الله بن جعفر بن الورد قال: حدثنا أحمد بن إسحاق قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم عن أحمد بن نصر أنه سأل سفيان بن عيينة قال: حديث عبد الله: "إن الله عز وجل يجعل السماء على أصبع"، وحديث: "إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن"، "وإن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق"، وأنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، ونحو هذه الأحاديث؟ فقال: هذه الأحاديث نرويها ونقر بها كما جاءت بلا كيف. قال أبو داود: وحدثنا الحسن بن محمد قال: سمعت الهيثم بن خارجة قال: حدثني الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف. وذكر عباس الدوري قال: سمعت يحيى بن معين يقول: شهدت زكريا بن عدي سأل وكيع بن الجراح فقال: يا أبا سفيان، هذه الأحاديث يعني مثل الكرسي موضع القدمين، ونحو هذا؟ فقال: أدركت إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعرا يحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون شيئًا. قال عباس بن محمد الدوري: وسمعت أبا عبيد القاسم بن سلام

وذكر له عن رجل من أهل السنة أنه كان يقول هذه الأحاديث التي تروى في الرؤية والكرسي موضع القدمين، وضحك ربنا من قنوط عباده، وأن جهنم لتمتلئ، وأشباه هذه الأحاديث، وقالوا: أن فلانا يقول: يقع في قلوبنا أن هذه الأحاديث حق. فقال ضعفتم عندي أمره، هذه الأحاديث حق لا شك فيها، رواها الثقات بعضهم عن بعض[1]. انتهى.

من خلال هذه النقول يتبين أن الإمام بن عبد البر يرى الاستدلال بالكتاب والسنة على إثبات أسماء الله عز وجل وصفاته كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

وَأَنزَلْنَآ- قول العلامة محمد الأمين الشنقيطي.

قال -رحمه الله- مبيناً وجوب الاستدلال بالقرآن والسنة في إثبات صفات الله عز وجل: "فمجانبة التعطيل هي أن تثبت لله جل وعلا كل وصف أثبته لنفسه، أو أثبته له نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ إذ من الضروري أنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، ولا من رسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم:4]... ومجانبة التشبيه هي أن تعلم أن كل وصف أثبته الله جل وعلا لنفسه، أو أثبته له نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو ثابت له حقيقة على الوجه البالغ من كمال العلو والرفعة والشرف ما يقطع علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:11][2].

فقد أثبت-رحمه الله- وجوب الاستدلال بالسنة في إثبات أسماء الله عز وجل وصفاته كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

وبهذا يتبين أن المحققين من أئمة المالكية يستدلون بالسنة على إثبات أسماء الله وصفاته، وأن هذا الاستدلال بالسنة أحد مصادرهم في إثبات توحيد الأسماء والصفات، وأن متقدميهم ومتأخريهم متفقون على ذلك.

وهذا هو ما عليه أهل السنة والجماعة، يقول الشافعي-رحمه الله-:" ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحدا أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قَبِل خبره، وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة، وصنع ذلك الذين بعد التابعين، والذين لقيناهم كلهم

---

(1) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - (ٱلذِّكۡرَ /وَأَنزَلۡنَآ ﴿٤٣﴾-تَعۡلَمُونَ وَأَنزَلۡنَآ ﴿٤٣﴾)

(2) رحلة الحج، (ص/49).

يثبت الأخبار، ويجعلها سنة، يحمد من تبعها، ويعاب من خالفها، فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل العلم بعدهم إلى اليوم، وكان من أهل الجهالة"[1].

(1) الرسالة، (ص/402-403).

ثالثاً: الإجماع.

من أصول أئمة المالكية التي يستدلون بها في تقريرهم لأصول الإيمان ولا سيما التوحيد وأسماء الله عز وجل وصفاته الإجماع.

والإجماع في اللغة: العزم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾ [يونس:71]، أي: اعزموه.

ويطلق على الاتفاق، يقال: أجمع القوم على كذا إذا اتفقوا عليه.

وفي الشرع: "اتفاق مجتهدي عصر من العصور من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته على أمر من أمور الدين"[1][2].

وقد اتفق السلف على أن الإجماع حجة شرعية يجب اتباعها والمصير إليها. واستدلوا بقوله عز وجل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:115]. قال القرطبي -رحمه الله تعالى-: قال العلماء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾، دليل على صحة القول بالإجماع[3].

كما استدلوا بقوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:143]، "فالوسط هم العدل الخيار، وفي ذلك تزكية لهم، وجعل الله لهم شهداء على الناس فيه دليل على تزكيتهم وأنهم لايشهدون بالباطل؛ وإلا لما جعلهم الله عز وجل يشهدون على الناس، وإذا كان إجماعهم في الشهادة على الناس يوم القيامة حجة كان إجماعهم على حكم شرعي في الدنيا حجة أيضًا"[4].

---

(1) المقصود بهذا الاتفاق على الاجتهاد في الفروع، أما ما يتعلق بالاعتقاد فلا اجتهاد في ذلك، فقد انتهى الإجماع على ذلك بانتهاء عصر الصحابة والتابعين والقرون الثلاثة المفضلة.

(2) انظر: مختصر ابن اللحام (ص/71)، وشرح الكوكب المنير (211/2)، وروضة الناظر (331/2)، ومذكرة الفقه للشنقيطي (ص/231)، والمنهج السلفي – د/مفرح القوسي، (ص/292).

(3) الجامع لأحكام القرآن،

(4) مجموع الفتاوى، (177/19).

قال القرطبي -رحمه الله تعالى-: "وفيه دليل على صحة الإجماع ووجوب الحكم به لأنهم إذا كانوا عدولاً شهدوا على الناس، فكل عصر شهيد على من بعده، فقول الصحابة حجة وشاهد على التابعين، وقول التابعين على من بعدهم. وإذا جعلت الأمة شهداء فقد وجب قبول قولهم"(1).

وقوله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:110]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في بيان وجه الدلالة من هذه الآية على حجية الإجماع: "هذا وصف لهم بأنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر، فلو قالت الأمة في الدين بما هو ضلال لكانت لم تأمر بالمعروف في ذلك ولم تنه عن المنكر فيه؛ فثبت أن إجماعها حق وأنها لا تجتمع على ضلالة"(2).

وبهذا يتبين لنا أن الإجماع هو المصدر الثالث من مصادر الاستدلال عند أهل السنة والجماعة وهو دليل مقطوع به في مسائل الاعتقاد وغيرها، ولم ينكر الإجماع إلا طوائف لايعتد بإنكارهم كمثل بعض الخوارج والرافضة والنظامية(3) الذين استندوا في إنكارهم إلى شبهات لايعتد بها(4).

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، (156/2).

(2) مجموع الفتاوى، (176/19).

(3) أتباع أبي إسحاق إبراهيم بن سيار بن هانئ المعروف بالنظام، سُمي بهذا الاسم لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة، ولد سنة 185هـ وتوفي سنة 231هـ، أعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات؛ ولذلك أنكر إعجاز القرآن وما روي من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ليتوصل بذلك إلى إنكار نبوته صلى الله عليه وسلم، ثم استثقل أحكام الشريعة فأبطل الطرق الدالة عليها، ثم أبطل حجية الإجماع والقياس في الفروع، وطعن في فتاوى الصحابة؛ ولذا كفره أهل السنة. انظر: الملل والنحل (ص/76)، والمواقف (661/3).

(4) انظر: كشف الأسرار (227/3)، والبرهان للجويني (675/1، 676)، والأحكام للآمدي (150/1)، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة – تأليف: عثمان ابن علي حسن، (140/1-141).

والمحققون من أئمة المالكية لا يخرجون عن هذا المنهج، فهم يرون أن الإجماع أحد مصادر الاستدلال على مسائل العقيدة والتوحيد. ومن أمثلة ذلك:

1- **قول إمام المالكية في وقته** وقدوتهم وجامع مذهب الإمام مالك وشارح أقواله حتى لقب بمالك الصغير، **الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد ابن أبي زيد** حيث قال -رحمه الله -: "فمما أجمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السنة التي خلافها بدعة وضلالة، أن الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته، وهو سبحانه وتعالى موصوف بأن له علمًا وقدرة وإرادة ومشيئة، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، أحاط علمًا بجميع ما برأ قبل كونه، وفطر الأشياء بإرادته وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:82]، وأن كلامه صفة من صفاته، ليس كلامه بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد، وأن الله عز وجل كلم موسى بذاته وأسمعه كلامه، لاكلامًا قام في غيره، وأنه يسمع ويرى، ويقبض ويبسط، وأن يديه مبسوطتان والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، وأن يديه غير نعمتيه في ذلك وفي قوله سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص:75]، وأنه يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائيًا ﴿وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:22] لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابها؛ فيغفر لمن يشاء من المذنبين ويعذب منهم من يشاء، وأنه يرضى عن الطائعين ويحب التوابين ويسخط على من كفر به ويغضب فلا يقوم شيء لغضبه، وأنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه، وأن له كرسيًّا كما قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة:255] ... إلى أن قال: وأنه سبحانه يراه أولياؤه في المعاد بأبصار وجوههم لايضامون في رؤيته كما قال الله عز وجل في كتابه وعلى لسان نبيه ... وأنه سبحانه يكلم العبد يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ... إلى أن قال: وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة المسلمين في الفقه والحديث على ما بيناه. وكله قول مالك: فمنه منصوص من قوله، ومنه معلوم من مذهبه"[1]. انتهى.

---

(1) الجامع، (ص/139-149).

فقد نقل ابن أبي زيد -رحمه الله – إجماع أهل السنة على ما ذكر من أمر العقيدة وأسماء الله وصفاته، وذكر الإجماع في أول كلامه وأعاده في آخره، وهذا منه تأكيد لهذا الإجماع كما نص على أنه قول مالك والمفهوم من مذهبه؛ فدل على أن مذهب الإمام مالك ومتبعي مذهبه الاستدلال بالإجماع على هذه العقيدة، وهذا من أوضح الأدلة على منهجهم -رحمهم الله-.

ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ - وممن استدل بالإجماع **الإمام أبو عمر الطلمنكي** حيث قال في كتابه **الأصول**: "أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته. وقال أيضًا: أجمع أهل السنة على أنه تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز. ثم ساق بسنده عن مالك قوله: "الله في السماء وعلمه في كل مكان" وقال: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:4]، ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء"[1].

فقد استدل -رحمه الله – بإجماع أهل السنة على إثبات صفات الله عز وجل وكرره أكثر من مرة لتأكيد الاستدلال بالإجماع وأنه مصدر من مصادر الاستدلال عند أئمة المالكية -رحمهم الله تعالى-.

ٱلرَّحِيمِ - وممن ذكر الإجماع وأنه أصل من أصول الاستدلال يجب الرجوع إليه **الحافظ بن عبد البر** في كتابه جامع بيان العلم وفضله:

وكذاك إجماع الذين يلونهم ... من تابعيهم كابرا عن كابر

إجماع أمتنا وقول نبينا مثل ... النصوص لذي الكتاب الزاهر[2].

وقال-رحمه الله –: " أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة. وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج

---

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية، (ص/101-102)

(2) جامع بيان العلم وفضله، (170/2).

فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود. والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله"[1].

وقال في موطن آخر: "ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كتاب الله أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الأمة"[2].

وقال-رحمه الله -: "واتفق أهل الإسلام أن الدين تكون معرفته على ثلاثة أقسام:

أولها: معرفة خاصة الإيمان والإسلام، وذلك معرفة التوحيد والإخلاص، ولا يوصل إلى علم ذلك إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو المؤدي عن الله، والمبين لمراده، وبما في القرآن من الأمر بالاعتبار في خلق الله بالدلائل من آثار صنعته في بريته على توحيده وأزليته سبحانه، والإقرار والتصديق بكل ما في القرآن وبملائكة الله وكتبه ورسله"[3].

مما تقدم يتبين لنا أن الإمام ابن عبد البر يستدل بالإجماع في أبواب الاعتقاد وإثبات أسماء الله وصفاته، ويرى أنه أحد الأصول التي يبنى عليها الاعتقاد في أسماء الله وصفاته، ذلك أن الأمة لا تجتمع على ضلالة.

4- وممن استدل بالإجماع على توحيد الأسماء والصفات **الطاهر بن عاشور**.

قال -رحمه الله- عند كلامه على البسملة وأنها ليست آية من أوائل سور القرآن: "الثاني: الإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله"[4].

فقد نقل -رحمه الله تعالى- إجماع الأمة على أن القرآن كلام الله، مما يدل على أنه يرى-رحمه الله- أن الإجماع دليل على إثبات توحيد الله عز وجل في أسمائه وصفاته.

وبهذا يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يستدلون بالإجماع على تقرير توحيد الله عز وجل.

---

(1) التمهيد، (145/7).

(2) جامع بيان العلم وفضله، (170/2).

(3) جامع بيان العلم وفضله، (29/2-40).

(4) التحرير والتنوير، (140/1).

وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- وهو يصف طريقة أهل السنة والجماعة: "وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة ... والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة[1] جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح[2] إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة"[3].

(1) الأصول الثلاثة التي ذكرها -رحمه الله- هي الكتاب والسنة والإجماع.

(2) أي: القرون الثلاثة المفضلة: الصحابة والتابعون وتابعوهم.

(3) العقيدة الواسطية - بشرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (ص/ 647)، دار الثريا، الطبعة الأولى 1419هـ.

رابعاً: الفطرة السليمة.

معنى الفطرة في اللغة.

قال ابن فارس: "فطر- الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح الشيء وإبرازه. والفطرة: الخِلقة"[1].

الفطرة من فطر الشيء، يفطره فطرا، فانفطر، وفطره أي: شقه، وتفطر: تشقق. والفطر: الشق. وجمعه: فطور، ومنه فطر ناب البعير إذا طلع[2]،وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار:1]أي انشقت، وفي الحديث: عن عائشة -رضي الله عنها- "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ..."[3].

وفطر الله الخلق، يفطرهم: خلقهم وبدأهم، فالفطر –أيضًا-: الابتداء والاختراع، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر:1]، أي خالقهما ومبتدئهما[4]. وكما قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا بدأتها"[5].

والفطرة –أيضًا-: الخلقة، أنشد ثعلب[6]:

هون عليك فقد نال الغنى رجل   في فطرة الكلب لا بالدين والحسب [7]

أي في خلقة الكلب.

---

(1) معجم مقاييس اللغة، (ص/820).

(2) انظر: لسان العرب (55/5)، مادة فطر والصحاح للجوهري، (781/2)، مادة فطر.

(3) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ...﴾، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن –القرطبي- (319/14).

(5) تفسير ابن كثير، (519/6)، مطبعة الشعب.

(6) هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء أبو العباس، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان راوية للشعر محدثاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة، ولد ومات في بغداد، وأصيب في أواخر أيامه بصمم فصدمته فرس فسقط في هوة فتوفي على الأثر. من كتبه: الفصيح، وقواعد الشعر، وشرح ديوان زهير. انظر ترجمته في معجم الأدباء لياقوت، ولسان الميزان (322/1)، وتاريخ بغداد (204/5).

(7) لسان العرب (56/5).

فأصل كلمة "فطر" يرجع إلى التشقق، والابتداء، والخلق، والمعنيان الأخيران (الابتداء، والخلق) يناسبان المعنى الاصطلاحي كما سيتبين لاحقاً.

معنى الفطرة في الاصطلاح.

أما معنى الفطرة في اصطلاح العلماء المحققين، فهي الإسلام، دين الله تعالى، وهو الصحيح المختار، وقيل غير ذلك.

قال القرطبي -رحمه الله-: "سميت الفطرة دينًا لأن الناس يخلقون له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56].

وقال: اختلف العلماء في معنى الفطرة المذكورة في الكتاب والسنة على أقوال متعددة، منها الإسلام، قاله أبو هريرة وابن شهاب وغيرهما. قالوا: وهو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل، واحتجوا بالآية -قوله تعالى-: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:30]، وحديث أبي هريرة -رضي الله عنه-[1]، وعضدوا ذلك بحديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس يومًا: "ألا أحدثكم بما حدثني الله في كتابه، أن الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين، وأعطاهم المال حلالاً لا حرام فيه فجعلوا مما أعطاهم الله حلالاً وحرامًا ..." الحديث[2]، وبقوله صلى الله عليه وسلم: "خمس من الفطرة ..."[3]. فذكر منها قص الشارب، وهو

---

(1) الذي في الصحيح قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، وفي رواية: على الملة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء" الحديث. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي ثم مات هل يُصلى عليه، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

(2) أخرجه الطبراني في الكبير (17/رقم 997) من طريق البكائي، وابن عبد البر في التمهيد من طريق إبراهيم بن سعد، والطحاوي في المشكل، رقم (3878)، من طريق هارون بن أبي إسحاق، وابن عساكر في تاريخه (988/9) وسنده حسن.

(3) خرجه البخاري في كتاب اللباس، باب قص الشارب، ومسلم في كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة.

وهو من سنن الإسلام. وعلى هذا التأويل، فيكون معنى الحديث أن الطفل خلق سليمًا من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه، وأنهم إن ماتوا قبل أن يدركوا في الجنة، أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار"(1).

وقد قيل في معنى الفطرة أقوال تصل إلى ستة ذكرها الإمام ابن عبد البر في كتاب التمهيد وأطال القول فيها، وذكر أدلة كل قول، ورجح أن معنى الفطرة أصل الخلقة التي عليها المولود في المعرفة بربه حيث يقول: "فكأنه قال: -أي النبي صلى الله عليه وسلم- (كما في حديث أبي هريرة المتقدم: كل مولود يولد على الفطرة ... الحديث): كل مولود يولد على فطرة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة، يريد خلقه مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفة ذلك ..."(2)، هكذا قال -رحمه الله-.

ولكن بعد النظر والتأمل في جميع الأقوال التي ذكرها الإمام ابن عبد البر يتضح والعلم عند الله عز وجل أن الراجح هو القول الأول وهو أن الفطرة هي الإسلام، وهو الذي تدل عليه النصوص، وهو قول جمع من أهل العلم كأبي هريرة -رضي الله عنه- ومجاهد والحسن والضحاك وقتادة، وهو قول البخاري وغيرهم. وقد رجح هذا القول أبو العباس بن تيمية وتلميذه ابن القيم -رحمهم الله تعالى-. قال أبو العباس: "الآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على هذا القول الذي رجحناه وهو أنهم ولدوا على الفطرة ثم صاروا إلى ما سبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة، لا تدل على أنه حين الولادة لم يكن على فطرة سليمة مقتضية للإيمان، مستلزمة له لولا المعارض"(3).

فبهذا يتبين لنا أن كل مولود يولد على الفطرة التي هي الإسلام ثم قد يحصل لها ما يحرفها ويغيرها من تهويد الأبوين أو تنصيرهما أو تمجيسهما، ولم يذكر في الحديث "أو يسلمانه"؛ لأن الإسلام هو الأصل وهو باق ما لم يحصل ما يغيره أو يزيله.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، (14/24-25).

(2) التمهيد، (18/69 وما بعدها) وانظر: بقية الأقوال في الفطرة، كما ذكرها -رحمه الله- هناك.

(3) درء تعارض العقل والنقل، (8/410) وانظر: عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن، (ص/426-448).

إذا علم هذا فإن أهل السنة والجماعة يستدلون بالفطرة على مسائل الإيمان والتوحيد، وأئمة المالكية لا يخالفونهم في ذلك: فالفطرة عندهم أحد مصادر الاستدلال على توحيد الله عز وجل. ومما يدل على ذلك ما يلي:

1- **ما ذكره ابن عبد البر –رحمه الله–** مستدلاً بالفطرة على علو الله عز وجل وأن الله قد فطر جميع الخلق على الاعتقاد بأن الله عز وجل في جهة العلو فهم يجدون من أنفسهم اضطرارًا إلى رفع قلوبهم ووجوههم إلى السماء، وأن هذا أمر لا يحتاج إلى كبير عناء في إثباته، فتلك ضرورة يجدها كل إنسان من نفسه، كبيرًا أو صغيرًا، متعلمًا أو جاهلاً. قال –رحمه الله–: "ومن الحجة أيضا في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع، أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى. وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم. وقد قال صلى الله عليه وسلم للأمة التي أراد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة فاختبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن قال لها: أين الله؟ فأشارت إلى السماء ثم قال لها: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: "أعتقها فإنها مؤمنة"[1]. فاكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها برفع رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه"[2].

فروايته –رحمه الله– لهذا الحديث من أكبر الأدلة على أنه يرى أن الاستدلال بالفطرة أحد المصادر لمعرفة توحيد الله عز وجل وتقرير صفاته. فهذه الجارية استدلت بفطرتها التي لم يحصل لها ما يغيرها على أن الله عز وجل في جهة العلو وأثبتت له صفة العلو سبحانه وتعالى؛ فحكم النبي صلى الله عليه وسلم بإيمانها.

2- **قول العلامة محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله–**. قال –رحمه الله– مبينًا أن الإقرار بالتوحيد أمر قد فطر عليه جميع الخلق وأن النفوس تعرفه: "هذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء. قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزُّخرُف:87].

---

(1) سيأتي تخريجه.

(2) التمهيد، (7 / 134).

وقال ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: 31][1].

فقد أكد على أن قلوب الناس مفطورة على معرفة الله والإقرار به، وهو بذلك يقرر أن الفطرة من الأدلة التي يستدل بها على توحيد الله عزوجل.

وبهذا يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفا وخلفا يستدلون بالفطرة السليمة على توحيد الله عز وجل في أسمائه وصفاته، وأنه سبحانه وتعالى في جهة العلو فوق جميع مخلوقاته مستو على عرشه بائن من خلقه، وهم بذلك يوافقون أهل السنة والجماعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وأكثر الفطر السليمة إذا ذكر لهم قول النفاة بادروا إلى تجهيلهم وتكفيرهم، ومنهم من لا يصدق أن عاقلا يقول ذلك؛ لظهور هذه القضية عندهم واستقرارها في أنفسهم، فينسبون من خالفها إلى الجنون حتى يروا ذلك في كتبهم، أو يسمعوه من أحدهم. ولهذا تجد المنكر لهذه القضية يقر بها عند الضرورة ولا يلتفت إلى ما اعتقده من المعارض لها. فالنفاة لعلو الله إذا ضرب أحدهم شدة وجه قلبه إلى العلو يدعو الله"[2].

---

(1) أضواء البيان، (410/1).

(2) درء تعارض العقل والنقل، (343/6).

المطلب الثاني: موقفهم من خبر الآحاد.

تعريف الآحاد لغة:

الآحاد جمع أحد وهو بمعنى الواحد، وهمزة أحد مبدلة من واو؛ فأصلها وحد، وربما جاءت على الأصل كما في قول النابغة الذبياني [1]:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا بذي جليل على مستأنس وحدي[2].

ويجمع الواحد على أحدان، والأصل وحدان، فقلبت الواو همزة لانضمامها. قال الهذلي [3]:

يحمي الصريبة أحدان الرجال له صيد ومجترئ بالليل هماس[4].

يقول ابن فارس المالكي -رحمه الله-: "الهمزة والحاء والدال فرع والأصل الواو وحد. وقال الدريدي: ما استأحدت بهذا الأمر أي: ما انفردت به"[5].

وأما **في الاصطلاح:** فخبر الآحاد ما رواه عدل تام الضبط عن مثله بسند متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة. وقد يكون الراوي واحدًا أو اثنين أو أكثر ما لم يجمع شروط المتواتر[6].

تقدم أن أهل السنة يستدلون بالسنة على مسائل الدين والإيمان في الإحكام والعقائد

---

(1) هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن ذبيان، قيل إنما سُمي النابغة لأنه نبغ بالشعر، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ، فتقصده الشعراء، فتعرض عليه أشعارها. انظر: طبقات فحول الشعراء، (51/1)، والأعلام للزركلي، (54/3).

(2) ديوان النابغة الذبياني، (18/1).

(3) هو: أبو ذؤيب الهذلي الشاعر، خويلد بن خالد، قال الذهبي: كان مسلما على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يره. وقدم وشهد السقيفة ومبايعة أبي بكر والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودفنه، وكان أشعر هذيل. قال ابن كثير: توفي غازيا بإفريقية في خلافة عثمان. انظر: الإصابة، (66/4).

(4) لسان العرب (461/2)

(5) معجم مقاييس اللغة، باب الهمزة والحاء وما معهما في الثلاثي، (ص/47).

(6) نزهة النظر، (ص/26).

وغيرها ولا يفرقون بين المتواتر والآحاد إذا صح إسنادها.

والقاعدة عند عامة السلف وفقهاء الأمة وجمهور المحدثين والأصوليين أن خبر الآحاد يفيد العلم ويحصل به اليقين. وقد أجمع على ذلك الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعون وتابعوهم وأئمة أهل العلم، ولا يرون التفريق في الاحتجاج بأخبار الآحاد في مسائل العقيدة وغيرها كما يذهب إلى ذلك أهل البدع الذين يرفضون الأخذ بتلك الأخبار قائلين: إن مبنى العقائد على القطع، وأخبار الآحاد ظنية فلا يؤخذ بها؛ فردوا بهذه الشبهة كثيرًا من السنن والأحاديث الصحيحة المثبتة لمسائل العقيدة[1].

وقد أكثر علماء السلف-رحمهم الله- من إيراد الأدلة والشواهد على ما ذهبوا إليه هنا من إفادة خبر الآحاد العلم واليقين والاحتجاج به في عامة مسائل الدين، وأفردوا لذلك مصنفات وأبوابًا مستقلةً[2]، وكان مما ذكروه في هذا الجانب:

1- أن خبر الآحاد كخبر التواتر في إفادة العلم، والتفريق بينهما في ذلك اصطلاح حادث لم يدل عليه كتاب ناطق ولا سنة ماضية، ولم يعرفه الصحابة ولا التابعون، فالرسول صلى الله عليه وسلم صدقه المؤمنون فيما أخبر به دون حاجة منهم إلى تواتر المخبرين[3]. وكذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصدق أصحابه فيما يخبرونه به، وكذا الصحابة يصدق بعضهم بعضًا فيما يخبر به عن رسول الله، ولم يثبت أن قال أحد منهم لمن حَدَّثَه: خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر، وكذا التابعون يلتقون بالصحابة ويأخذون عنهم العلم ويصدقونهم فيه دون طلب حصول التواتر. فالقول بعدم إفادة خبر الآحاد العلم خرق لإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الإسلام[4].

الإسلام[4].

(1) انظر: المنهج السلفي للدكتور مفرح القوسي، (ص/402).

(2) راجع في هذا على سبيل المثال: الرسالة للشافعي (ص/401وما بعدها)، والعدة في أصول الفقه (ص/861-873)، والفقيه والمتفقه (96/1 وما بعدها)، والكفاية في علم الرواية (ص/66 وما بعدها)، وروضة الناظر (268/1-278)، وشرح الكوكب المنير (369/2-375)، ومختصر الصواعق المرسلة (394/2-405).

(3) انظر: الرسالة للشافعي، (ص/436-437).

(4) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (361/2-362).

هُمَ- أنه تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يبعث الآحاد من الصحابة رسلاً إلى الملوك والولاة ليبلغوا عنه رسالة الإسلام، وأنه يبعث الآحاد من أمرائه وقضاته وسعاته إلى الأطراف ليبلغوا الأحكام والقضاء وأخذ الصدقات ونحو ذلك(1)؛ فلو كان خبر هؤلاء لا يفيد العلم ولا تقوم به الحجة لما بعثهم، فإن ذلك عبث يتنزه عنه صاحب الرسالة. يقول الإمام الشافعي: "ولم يكن رسول الله ليبعث إلا واحدًا لحجة قائمة بخبره على من بعثه إن شاء الله"(2).

فِيهَا- إن أهل قباء قبلوا خبر الواحد في تحول القبلة إلى الكعبة وتركوا الحجة التي كانوا عليها مع قطعيتها(3)، ولم ينكر عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، بل شكروا على ذلك(4).

ولو لم يكن خبر الآحاد حجة يفيد العلم لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بإرسال آحاد الصحابة إلى الأمصار وإلى الملوك ليبلغوا دين الله عز وجل خصوصًا التوحيد كما بعث معاذًا إلى اليمن وأمره أن يقرر العقيدة أولاً ثم الأمر بالصلاة ثم الزكاة، وبعثه عليًّا إلى أهل خيبر وغيرهما من رسله صلى الله عليه وسلم.

ولذا فإن أهل السنة والجماعة من زمن الصحابة إلى زمن الأئمة الأربعة وما بعدهم إلى يومنا هذا يرون حجية خبر الآحاد ووجوب العمل به، وقدوتهم في ذلك إمامهم صلى الله عليه وسلم.

والمحققون من أئمة المالكية لا يخرجون عن هذا المنهج النبوي، ومؤلفاتهم بما أودعوه

---

(1) انظر: الرسالة، (ص/410-419)، وروضة الناظر (1/277-278)، وشرح الكوكب المنير (2/375)، وشرح الطحاوية، (ص/308).

(2) الرسالة، (ص/415).

(3) فقد روى الشيخان عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: " بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة ".صحيح البخاري كتاب التفسير، الباب (17)، الحديث رقم (4491)، (8/174). وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، (5/10).

(4) انظر: الرسالة، (ص/406-408)، والمسودة (ص/247)، والعدة في أصول الفقه (ص/869)، ومختصر الصواعق المرسلة (2/394).

فيها وما نقل عنهم في كتب الأئمة في جميع العصور دالة على ذلك. ومن أمثلة استدلالهم بأخبار الآحاد واحتجاجهم به في أبواب العقيدة والإيمان ما يلي:

أولاً: الإمام مالك -رحمه الله-.

فقد أخرج في كتاب الجامع من موطئه الذي يعتبر عمدةً ومرجعًا لأهل السنة أخبارًا تفيد العلم، وكثير منها منقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق الآحاد كما في أبواب الدعاء لأهل المدينة وسكنها وحرمتها، والنهي عن القول بالقدر، والمتحابين في الله، وغير ذلك . فمما جاء في كتاب الجامع من الموطأ:

أخبرنا أبو مصعب قال: حدثني مالك بن أنس، عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم ومدهم"، يعني أهل المدينة.

أخبرنا أبو مصعب قال: حدثنا مالك، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا ومدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه، ثم يدعو أصغر وليد يراه، فيعطيه ذلك الثمر.

أخبرنا أبو مصعب قال: حدثنا مالك، عن عمرو مولى المطلب، عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له أحد، فقال: "هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم ما بين لابتيها".

أخبرنا أبو مصعب قال: حدثنا مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام، فلما جاء سَرْغ بلغه أن الوبأ قد وقع بالشام، فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه"، فرجع عمر بن الخطاب من سَرْغ [1].

---

(1) سرغ بالغين والعين لغة فيه وهو أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل حاج

أخبرنا أبو مصعب قال: حدثنا مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب إنما انصرف بالناس عن حديث عبد الرحمن بن عوف.

أخبرنا أبو مصعب قال: حدثنا مالك، عن يحيى بن سعيد أنه بلغه عن عمر بن الخطاب قال: لبَيْت بِرُكْبَة أحب إلي من عشرة أبيات بالشام.

أخبرنا أبو مصعب قال: حدثنا مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تحاج آدم وموسى، فحج آدم موسى، فقال موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي أعطاه الله علم كل شيء، واصطفاه على الناس برسالته؟ فقال: نعم، قال: فتلومني على أمر قدر عليّ قبل أن أُخلق؟"[1].

أخبرنا أبو مصعب قال: حدثنا مالك، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر، عن أبي الحُباب سعيد بن يسار، عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله يوم القيامة: أين المتحابون لجلالي، اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي".

أخبرنا أبو مصعب قال: حدثنا مالك، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد الخدري، أو عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا على ذلك وتفرقا، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته ذات حسب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه".

أخبرنا أبو مصعب قال: حدثنا مالك، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا أحب الله العبد قال لجبريل -عليه السلام-: إني قد أحببت فلانًا فأَحِبّه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله

الشام وهناك لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمراء الأجناد بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة. معجم البلدان (211/3-212).

(1) موطأ الإمام مالك، (53/2-69)

العبد..."، قال مالك: لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك[1].

فرواية الإمام -رحمه الله- لهذه الأحاديث تدل على أنه -رحمه الله- يرى الاستدلال بأحاديث الآحاد ولا يفرق بينها وبين الأحاديث المتواترة.

ثانياً: **الإمام ابن خويزمنداد** [2].

حيث ثبت عنه القول بالاستدلال بأحاديث الآحاد. فقد نقل عنه ابن القيم -رحمه الله- القول بذلك حيث قال: قال ابن خوازمنداد في كتابه أصول الفقه[3] وقد ذكر خبر الواحد الذي لم يروه إلا الواحد والإثنان: "ويقع بهذا الضرب أيضًا العلم الضروري، نص على ذلك مالك"[4]. فقد قرر -رحمه الله- حصول العلم بخبر الواحد؛ وإذا كان العلم بخبر يحصل، استدل به على وجوب العمل بهذا العلم، وسواء في ذلك الأصول أو الفروع، كما أنه -رحمه الله- ذكر أن الإمام مالك قد نص على وجوب العلم والعمل بهذا. وهذا من أكبر الأدلة على أنه -رحمه الله- يرى الأخذ بأحاديث الآحاد، شأنه في ذلك شأن إخوانه من أهل السنة من المالكية وغيرهم.

ثالثا: **قول الإمام أبي عمرو عثمان سعيد الداني-رحمه الله-** عقد فصلا في كتابه: الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات لبيان حجية خبر الواحد فقال: "إن من تمام السنة وكمالها قبول خبر الواحد والاستمساك به، والعمل بموجبه من الصحابة من الرجال والنساء؛ إذاحدث به الثقة المعروف عن مثله إلى أن يتصل الإسناد بالصحابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك إذا لم يعارضه خبر مثله، ولا نسخه، ولا اتفق الجميع على تركه. قال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن

---

(1) المصدر السابق، (2/131-132).

(2) هو: محمد بن أحمد بن عبدالله، أبوبكر يقال: أبوعبدالله المعروف بابن خويز منداد المالكي، كان يجانب أهل الكلام، وينافرهم، ويحكم عليهم بأنهم من أهل الأهواء الذين قال مالك في مناكحتهم وشهادتهم وإمامتهم وجنائزهم ما قال. من مؤلفاته: كتاب أحكام القرآن، وكتاب في أصول الفقه، ت: سنة(390هــ)، انظر ترجمته في الديباج المذهب، (2/229)، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية، (2/1005).

(3) هذا الكتاب من الكتب المفقودة حيث بحثت عنه فلم أجده. وذكر محقق الصواعق -د. الحسن العلوي- أنه من الكتب المفقودة.

(4) مختصر الصواعق المرسلة، (4/1473).

﴿تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا﴾ [الحُجُرات:6]، فدل هذا على أن العدل لا تَثَبُّت في خبره؛ إذ لو كان الفاسق والعدل سواء لم يكن لتخصيص الفاسق بالذكر فائدة.

وقد عملت الصحابة في القبلة بخبر الواحد، وتحريم المسكر، وغير ذلك، وكذلك من بعدهم من التابعين والخالفين"[1].

فهو يقرر رحمه الله الأخذ بقول خبر الآحاد، ولم ير التفريق بين أصول العقيدة والأحكام في ذلك مما يدل على أنه يرى قبول خبر الواحد مطلقا، ويستدل لذلك بالقرآن والسنة، وعمل السلف الصالح.

رابعا: **قول الإمام ابن عبد البر –رحمه الله–** حيث قال بالأخذ بقول الواحد.، وذكر إجماع العلماء على ذلك فقال: "وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو أجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج[2] وطوائف من أهل البدع شرذمة لا تعد خلافًا.

وقد أجمع المسلمون على جواز قبول الواحد السائل المستفتي لما يخبره به العالم الواحد إذا استفتاه فيما لا يعلمه، وقبول خبر الواحد العدل فيما يخبر به مثله، وقد ذكر الحجة عليهم في ردهم أخبار الآحاد جماعة من أئمة الجماعة وعلماء المسلمين"[3].

وقال في شرحه لحديث عبد الرحمن بن الحارث[4] حين سأل عائشة عن قول أبي

---

(1) الرسالة الوافية، (ص/126).

(2) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي –رضي الله عنهما–، كما أجمعوا –عدا النجدات منهم– على تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار إذا مات مصرًّا عليها. وفرق الخوارج تصل إلى عشرين فرقة، ومن أسمائهم الحرورية. انظر: مقالات الإسلاميين (167/1-168)، الفرق بين الفرق (ص/72-74)، التبصير في الدين (ص/45)، تلبيس إبليس (ص/9)، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين (ص/46)، الملل والنحل (114/1-115).

(3) التمهيد، (2/1).

(4) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، ولد في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ورأى النبي صلى الله عليه وسلم وليس له صحبة، بل هي صحبة مقيدة، وكان من نبلاء الرجال، توفي في خلافة معاوية –رضي الله عنه–. انظر ترجمته في: التاريخ الكبير (272/5)، الجرح والتعديل (224/5)، السير (484/3-485)، تهذيب التهذيب (156/6-

هريرة -رضي الله عنهما- من أصبح جنبًا أفطر ذلك اليوم؟ فأخبرته "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم"(1). قال: "وفيه أن الحجة القاطعة عند الاختلاف فيما لا نص فيه من الكتاب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه إثبات الحجة في العمل بخبر الواحد العدل وأن المراة في ذلك كالرجل"(2)، وقال في خبر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حين خرج إلى الشام، فأخبر أن الوباء قد وقع فيه، فاستشار الصحابة -وفيه- فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان غائبًا في بعض حاجاته، فقال: إن عندي من هذا علمًا، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه"، فحمد الله عمر ثم انصرف (3).

قال ابن عبد البر -رحمه الله- تعليقًا على هذا الحديث: "وفيه دليل على استعمال خبر الواحد وقبوله، وإيجاب العمل به، وهذا هو أوضح وأقوى ما نرى من جهة الآثار في قبول خبر الواحد، لأن ذلك كان في جماعة الصحابة وبمحضرهم، في أمر قد أشكل عليهم، فلم يقل لعبد الرحمن بن عوف أنت واحد، والواحد لا يجب قبول خبره إنما يجب قبول خبر الكافة؛ ما أعظم ضلال من قال بهذا. والله عز وجل يقول ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:6]. وقرئت فتثبتوا، فلو كان العدل إذا جاء بنبأ يتثبت في خبره ولم ينفذ، لاستوى الفاسق والعدل، وهذا خلاف القرآن، قال الله عز وجل: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص:28]"(4).

وقال: "... وفيه من الفقه أيضًا، إيجاب العمل بخبر الواحد الثقة ذكرا كان أو أنثى، وعلى ذلك جماعة أهل الفقه والحديث: أهل السنة، ومن خالف ذلك فهو عند الجميع

---

158).

(1) رواه البخاري في كتاب: الصائم يصبح جنبًا، (2/232-233)، ومسلم في كتاب الصيام، رقم 75، (2/779-880).

(2) التمهيد، (22/40).

(3) رواه البخاري في كتاب الطب، باب: ما يذكر في الطاعون، (7/20-21)، ومسلم في كتاب السلام، رقم 98، (4/1740-1741).

(4) التمهيد (8/370-371)، وانظر التمهيد (9/140، 285، 4/279)، وجامع بيان العلم وفضله (2/33-34).

مبتدع. والدليل على ما قلنا من العمل بخبر الواحد من هذا الحديث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم سلمة: "ألا أخبرتيها". فأوضح بذلك أن خبر أم سلمة يجب العمل به، وكذلك خبر المرأة لزوجها؛ ولو كان خبر أم سلمة لا يلزم المرأة، وخبر المرأة لا يلزم زوجها لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم سلمة "ألا أخبرتيها"، لأنها كانت تقول: كيف كنت أخبرها عنك وحدي؟ وأي فائدة في نقلي عنك وحدي؟ أو كيف تنقل المرأة الخبر وحدها إلى زوجها؟ وهذا بين في إيجاب العمل بخبر الواحد وقبوله ممن جاء به إذا كان عدلا، والحجة في إثبات خبر الواحد والعمل به قائمة من الكتاب والسنة ودلائل الإجماع والقياس، وليس هذا موضع ذكرها"[1].

وقال: "ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كتاب الله أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه... وقد روينا عن مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان بن سعيد، وسفيان بن عيينة ومعمر بن راشد، في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قال: أمروها كما جاءت، نحو حديث التنزيل، وحديث إن الله خلق آدم على صورته، وأنه يدخل قدمه في جهنم، وما كان مثل هذه الأحاديث"[2].

وقال بعد أن قرر وجوب العمل بخبر الواحد: "وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والأثر، وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعًا ودينًا في معتقده، على ذلك جماعة أهل السنة"[3].

وفي هذا النقل عن الإمام ابن عبد البر أوضح الأدلة على موقفه من خبر الآحاد وأنه يقرر الأخذ بأحاديث الآحاد في العقائد، وهو مذهب سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين[4].

خامسا: وممن يقررر العمل بأخبار الآحاد، **القرطبي -رحمه الله-** حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ

---

(1) التمهيد، (5/115-116).

(2) جامع بيان العلم وفضله، (2/96).

(3) التمهيد، (1/8).

(4) انظر عقيدة الإمام ابن عبد البر -للدكتور سليمان الغصن (ص/120-126).

وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:142]:

"الثامنة: وفيها دليل على جواز القطع بخبر الواحد، وذلك أن استقبال البيت المقدس كان مقطوعًا به من الشريعة عندهم، ثم أن أهل قباء لما أتاهم الآتي وأخبرهم أن القبلة قد حولت إلى المسجد الحرام قبلوا قوله واستداروا نحو الكعبة، فتركوا المتواتر بخبر الواحد وهو مظنون ... وقال:

العاشرة: وفيها دليل على قبول خبر الواحد، وهو مجمع عليه من السلف، معلوم بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم في توجيهه ولاته ورسله آحادًا للآفاق ليعلموا الناس دينهم، فبلغوهم سنة رسولهم صلى الله عليه وسلم من الأوامر والنواهي"(1).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحُجُرات:6]: "في هذه الآية دليل على قبول خبر الواحد إذا كان عدلاً؛ لأنه إنما أمر فيها بالتثبت عند نقل خبر الفاسق، ومن ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعًا؛ لأن الخبر أمانة والفسق قرينة يبطلها"(2).

فمما تقدم يتبين لنا أن القرطبي -رحمه الله- يرى وجوب العمل بخبر الآحاد في تلقي العقيدة وغيرها. فعمل أهل قباء بخبر الآحاد وتحولهم إلى استقبال الكعبة وإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لهم على صنيعهم ولم يأمرهم بالتثبت أو ينكر عليهم العمل بخبر الواحد دليل على وجوب العمل به. وكذلك إرسال النبي صلى الله عليه وسلم رسله آحادًا إلى الملوك والأمراء لتبليغ دين الله عز وجل، وأعظم ذلك أمر العقيدة والتوحيد كما في قصة بعث معاذ إلى اليمن وغير ذلك مما يدل على قبول خبر الآحاد والعمل به.

سادساً: **قول العلامة الفقيه أبو عبد الله محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب الولاتي الشنقيطي**(3) في شرح "منظومة إيصال السالك في أصول مالك" لأحمد بن محمد بن أبي

(1) الجامع لأحكام القرآن، (2/ 151-152).
(2) المصدر السابق، (18/311-312).
(3) هو محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب عبدالله الشنقيطي الولاتي المالكي، كان قاضي القضاة بجهة الحوض(بصحراء الغرب الكبرى) وتردد إلى تونس، وعده مخلوف في (شجرة النور الزكية) من فرع فاس، له العديد من المؤلفات، منها: نور الحق الصبيح في شرح بعض أحاديث الجامع الصحيح، وإيصال السالك في أصول الإمام مالك. توفي في شعبان سنة (1330هـ). انظر ترجمته في شجرة النور الزكية، (617/1)، والأعلام (142/7).

كف حيث قال وهو يعدد أصول الإمام مالك:

وخبر الواحد حجة لديه بعض فروع الفقه تنبني عليه

والأحادي خبر الواحد العدل ومن في حكمه، وهو يفيد الظن.

وقال ابن خويزمنداد إنه يفيد العلم إذا كان راويه عدلاً، واختار ابن الحاجب قوله وقيَّده بما إذا احتفت به قرينة منفصلة زائدة على العدالة، مثل ما أخرجه الشيخان أو أحدهما لما احتف به من القرائن: منها جلالتهما في هذا الشأن، وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما، وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول، قال ابن حجر: وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق.

وانعقد الإجماع من لدن محمد صلى الله عليه وسلم إلى الآن على وجوب العمل بخبر الواحد في الشهادة والفتوى وحكم الحاكم والأمور الدنيوية كاتخاذ الأدوية والأغذية والتجارة والسفر.

ومذهب مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة والفقهاء والأصوليين وجوب العمل به ثابت بالشرع، أو بالعقل والشرع معًا؟

حجة الأول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ [الحُجُرات:6]، أي: فتبينوا حتى يتبين لكم صدق ما قال، فموجب التبيين كون المخبر فاسقًا، فمفهومه أن خبر الصالح يعمل به بلا تثبت. والإجماع السكوتي أيضًا، فإن الصحابة استدلوا بخبر الواحد وعملوا واحتجوا به وشاع ذلك بينهم من غير نكير.

وحجة الثاني من الشرع الآية والإجماع السكوتي المذكوران، ومن العقل أنه لو لم يجب العمل به لتعطلت الإحكام المدونة بخبر الواحد وهي كثيرة جداً، ولا سبيل إلى القول بتعطيلها[1].

وهذا يدل على أن الناظم والشارح كلاهما يرى صحة الاستدلال بخبر الواحد كما هو مذهب المحققين من أئمة المالكية، وهو منهج أهل السنة والجماعة في جميع أمور الدين: أصولها وفروعها.

سابعا: **قول الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله–** حيث قال مقررًا وجوب العمل بخبر الآحاد: "اعلم أن التحقيق الذي لا يجوز العدول عنه أن أخبار الآحاد

---

(1) إيصال السالك في أصول مالك ضمن مجموع من خزانة المذهب المالكي، جمع واعتناء: جلال علي القذافي الجهاني، (ص/133-134).

الصحيحة كما تقبل في الفروع تقبل في الأصول، فما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد صحيحة من صفات الله يجب إثباته واعتقاده على الوجه اللائق بكمال الله وجلاله، على نحو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

وبهذا تعلم أن ما أطبق عليه أهل الكلام ومن تبعهم من أن أخبار الآحاد لا تقبل في العقائد ولايثبت بها شيء من صفات الله، زاعمين أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين، وأن العقائد لا بد فيها من اليقين، باطل لا يعول عليه، ويكفي من ظهور بطلانه أنه يستلزم رد الروايات الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمجرد تحكيم العقل"[(1)].

وقال-رحمه الله- في كتابه: رحلة الحج بعد أن ذكر الأ قوال في العمل بأحاديث الآحاد:" والذي يظهر أن التحقيق في خبر الآحاد الذي هو في اصطلاح الأصوليين غير المتواتر، ومنه المستفيض على الصحيح، وقيل: المستفيض واسطة بين الآحاد والمتواتر كما قال في مراقي السعود:

والمستفيض منه وهو أربعة أقله وبعضهم قد رفعه
عن واحد وبعضهم عما يلي وجعله واسطة قول جلي

أنه قطعي من جهة غير قطعي من جهة أخرى، فانفكت الجهة. أما الجهة التي هو قطعي منها فهي العمل به؛ لأن الكتاب والسنة والإجماع كلها دال على العمل بخبر الآحاد.

أما الكتاب، فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحُجُرات:6].

فإنه يدل على أن الجائي بنبأ إذا كان غير فاسق-بأن كان عدلا- لايلزم التبين على قراءة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ولا التثبت على قراءة (فتثبتوا)، فهو دليل على قبول خبر الواحد العدل.

أما السنة: فلا خلاف بين العلماء أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يرسل الرسل فرادى يعلمون الناس الخير، ولم يبلغوا عدد التواتر، فلو كان التواتر شرطا في القبول لما أرسل صلى الله عليه وعلى آله وسلم الرسول الواحد والاثنين في مهمات الدين.

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على قبول الشهادة في الحقوق وهي خبر آحاد، وأجمعت على قبول الفتوى، وهي خبر آحاد، وعلى قبول قول الطبيب في الأشربة

(1) مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي، (ص/104-105).

والأغذية، وهي خبر آحاد، والجمهور على قبوله في غير ذلك.

وأما الجهة التي هو غير قطعي منها: فهي كون المذكور صدقا في ذات نفسه؛ لأنك لو سئلت عن أعدل الرواة: هل يجوز في حقه الكذب؟ لقلت: نعم؛ لأنه غير معصوم. وادعاء تيقن صدقه مع تجويز كذبه أشبه شيء بالمكابرة.

ثم قال:...فظهر أن خبر الآحاد الذي رواه عدل ضابط قطعي من جهة العمل به كالشهادة والفتوى غير قطعي من جهة احتمال عدم صدقه في ذاته، وكون العمل بالظاهر قطعيا لا يشترط فيه موافقة الباطن له كما بينا، والعلم عند الله"[1].

فقد بين- رحمه الله- وجوب العمل بأحاديث الآحاد، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة.

وبهذا يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية من السلف والخلف يرون العمل بأخبار الآحاد ويعتمدون عليها في تقرير أصول الدين عموماً وأسماء الله وصفاته خصوصاً كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

يقول ابن تيمية فيما يحكيه عنه ابن القيم: "وأما القسم الثاني من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه، ولم يتواتر لفظه ولا معناه، ولكن تلقته الأمة بالقبول عملاً به أو تصديقاً له ... فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الأولين والآخرين. أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع، وأما الخلف فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة"[2]. ويقول: "وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد"[3]. ويقول كذلك: "وأيضاً فالخبر الذي تلقاه الأئمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً بموجبه يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف"[4].

---

(1) الرحلة إلى الحج، (ص/80-81).
(2) مختصر الصواعق المرسلة، (2/372-373).
(3) مجموع الفتاوى، (18/41).
(4) المرجع السابق، (18/48)، وانظر: (13/351).

المطلب الثالث: موقفهم من العقل والقياس. وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى: تعريف العقل وبيان منزلته.

العقل في اللغة:

العقل مصدر عقل يعقل عقلاً، فهومعقول وعاقل.

وأصل معنى العقل المنع والإمساك والحبس. يقال: عقل الدواء بطنه أي: أمسكه، وعقل البعير: إذا ثنى وظيفه على ذراعه وشدهما جميعاً بحبل لمنعه من الهرب، واعتقل لسانه: إذا امتسك واعتقل: حبس.

ويطلق العقل في اللغة على معانٍ عدة منها: الحجر والنهى ضد الحمق، والتثبت في الأمر بالقلب، والتمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان، والدية لأن القاتل يسوق الإبل إلى فناء المقتول ثم يعقلها هناك.

وسُمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه أي: يحبسه عن التورط في المهالك(1).

قال ابن فارس المالكي-رحمه الله-: "عقل: العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدل عُظْمه على حبسة في الشيء أو ما يقارب الحبسة، من ذلك العقل: وهو الحابس عن ذميم القول والفعل.

وقال الخليل: العقل نقيض الجهل. يقال عقل يعقل عقلاً، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله. وجمعه: عقول، ورجل عاقل وقوم عقلاء وعاقلون. ورجل عقول: إذا كان حسن الفهم وافر العقل. وما له معقول أي: عقل؛ خرج مخرج المجلود للجلادة، والميسور لليسر. قال:

فقد أفادت لهم عقلا وموعظة   لمن يكون له إرب ومعقول

ويقال في المثل: "رب أبله عقول"... ويقولون: "فلان عقول للحديث، لا يفلت الحديث سمعه، ومن الباب المعقل والعقل: وهو الحصن، وجمعه عقول. قال أحيحة:

وقد أعددت للحدثان صعباً   لو أن المرء تنفعه العقول

يريد الحصون.

---

(1) انظر لسان العرب، مادة عقل، (قَالَ/ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ تَعَالَىٰ:بِسۡـــــــ)، والمنهج السلفي، (ص/229).

ومن الباب العقل، وهي الدية. يقال: عقلت القتيل أعقله عقلاً، إذا أديت ديته. قال أنس بن مدركة:

إني وقتلي سليكًا ثم أعقله   كالثور يضرب لما عافت البقر

قال الأصمعي: عقلت القتيل: أعطيت ديته. وعقلت عن فلان، إذا غرمت جنايته.

وسميت الدية عقلا؛ لأن الإبل التي تؤخذ في الديات كانت تجمع فتعقل بفناء المقتول، فسميت الدية عقلاً، وإن كانت دراهم ودنانير، وقيل سميت عقلاً؛ لأنها تمسك الدم"[(1)].

العقل في الاصطلاح.

قال أبو الوليد الباجي: العقل: "العلم الضروري الذي يقع ابتداءً ويعلم العقلاء ... والعلم الضروري هو ما يلزم نفس المخلوق بحيث لا يمكنه الانفكاك عنه ولا الخروج عنه"[(2)].

---

(1) معجم مقاييس اللغة، باب العين والقاف، (ص/ 647-648).

(2) انظر الحدود، (ص/25).

المسألة الثانية: تعريف القياس.

القياس في اللغة:

القياس في اللغة: التقدير. قال ابن فارس: "القاف والواو والسين أصل واحد يدل على تقدير شيء بشيء، ثم يصرف فتقلب واوه ياءً، والمعنى في جميعه واحد[1].

ومنه قولهم: قست الثوب بالذراع إذا قدرته به.

ويطلق أيضاً على المساواة، يقال: فلان لا يقاس بفلان أي: لا يساويه[2].

القياس في الاصطلاح:

هو حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما. والمراد بالحمل هو الإلحاق، ولذا فإن للقياس أركان لا بد من توفرها:

بِسۡمِ - الأصل: وهو المقيس عليه.

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ - الفرع: وهو المراد إلحاقه بالأصل المقاس عليه.

ٱلرَّحِيمِ - حكم الأصل: وهو الوصف المقصود حمل الفرع عليه.

بِسۡمِ - الوصف الجامع: وهو العلة الجامعة بين الأصل والفرع المقتضية للحمل[3].

---

(1) معجم مقاييس اللغة، مادة قوس، (ص/828).

(2) انظر لسان العرب ومختار الصحاح، مادة قوس، ومذكرة الفقه للشنقيطي، (ص/379).

(3) انظر: مذكرة في أصول الفقه، (ص/379)، والمنهج السلفي للقيسي (ص/303-305).

المسألة الثالثة: موقف أئمة المالكية من العقل والقياس.

سلك أهل السنة والجماعة في تقريرهم لتوحيد الأسماء والصفات الطريقة المثلى المبنية على الكتاب والسنة وما يبنى عليهما من الإجماع، كما أنهم يستدلون بالفطرة على إثبات الصفات لله عز وجل كما تقدم، وهم يرون أنه لا منافاة بين العقل الصريح والنقل الصحيح والفطرة السوية. وبهذا المنهج السليم توسطوا بين المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه، وبين المعطلة الذين عطلوا الله تعالى عن أسمائه وصفاته أو عن بعضها.

وهذا المنهج المبني على الاعتماد على الوحي والتسليم لنصوصه وفهم المراد من معانيها مع قطع الطمع عن طلب معرفة كيفيتها حيث أنه لا مجال للعقل في الخوض في كيفية الأسماء والصفات حيث أن ذلك من الأمور الغيبية التي لم ترد في الكتاب والسنة؛ وإذا لم ترد فإن العقول لا تدرك حقيقتها مع إيمانها بمعانيها، وذلك لأن العقل الصريح لا يمكن أن يتعارض مع النقل الصحيح.

ولذلك نجد أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان آمنوا بصفات الله عز وجل إيماناً مبنياً على الفقه والمعرفة بمعاني هذه الصفات ولم يكلفوا أنفسهم بالخوض في الكيفيات، بل عدوا ذلك من البدع كما في أثر الإمام مالك المشهور في الاستواء.

وفيما يتعلق بالقياس فيستدلون بقياس الأولى في باب أسماء الله وصفاته لورود ذلك في الكتاب العزيز كما قال عز وجل: :﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:60]، ويبتعدون عن قياس الشمول الذي تستوي جميع أفراده، وكذلك قياس التمثيل الذي يستوي فيه حكم الأصل والفرع؛ لأن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، لافي نفسه ولا في أسمائه ولافي صفاته.

فأهل السنة والجماعة يستدلون بقياس الأولى في إثبات صفات الكمال لله عز وجل، فكل صفة كمال للبشر لانقص فيها فهي ثابتة لله عز وجل لأن معطي الكمال أولى به.

كما يستدلون بقياس الأولى في التنزيه، فكل ما وجب تنزيه العباد عنه من النقائص والعيوب فالله سبحانه أحق بالتنزيه منه؛ لأنه سبحانه وتعالى متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ومنزه عن صفات النقص التي يتصف بها المخلوق[1].

---

(1) انظر: الصواعق المرسلة، (3/1030-1032)، ومنهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل والنقل، (1/380-382).

وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية -رحمه الله-: "من الناس من يقول: العقل هو علوم ضرورية، ومنهم من يقول: العقل هو العمل بما يوجب تلك العلوم، والصحيح أن العقل يتناول هذا وهذا، وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان، التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار"(1).

وقيل: العقل يقع بالاشتمال على أربعة معان: الغريزة المدركة، والعلوم الضرورية، والعلوم النظرية، والعمل بمقتضى العلم(2)، وهذا أشمل، وهو التعريف الأقرب؛ إلا أن المراد بالعقل عند الإطلاق لدى السلف يراد به الغريزة التي تكون في الإنسان وبها يعلم ويعقل و يحصل العلوم الضرورية(3).

والعقل نعمة من الله عز وجل أنعم به على الإنسان وفضله به على كثير من مخلوقاته، وجعله مناط التكليف، وأمر بحفظه ورعايته، وحرم الاعتداء عليه بما يزيله أو يضعفه أو يقضي عليه، وحث على استعماله في التفكر بآيات الله الشرعية والكونية وتدبرها، قال تعالى في مدح من يتفكر بمخلوقات الله عز وجل ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾ [آل عمران:191].

وللعقل أهمية كبيرة عند السلف الصالح حيث إنهم يرونه أداة للإدراك والتمييز بين الخير والشر، والنافع والضار، وهو الآلة التي تحصل بها المعرفة ويستنبط بها العلم، وفهم الكتاب والسنة، وبه كمال وصلاح الأعمال، غير أنه مقيد بالشرع، فهو غير معصوم عن الزلل كما أن له حدود لا يتعداها وأقدار لا يتخطاها(4).

يقول الإمام الشاطبي -رحمه الله-: "إن الله جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه، و لم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب. ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان وما يكون وما لا يكون، إذ لو كان كيف يكون؟ فمعلومات الله لا تتناهى، ومعلومات العبد متناهية، والمتناهي لا يساوي ما لا يتناهى.

---

(1) الفتاوى، (287/9).

(2) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، تأليف: عثمان بن علي حسن، (158/1).

(3) انظر: الفتاوى، (1287/9)، والمنهج السلفي للقوسي، (ص/230-231).

(4) انظر: المنهج السلفي، (ص/232-234).

وقد دخل في هذه الكلية ذوات الأشياء جملةً وتفصيلاً، وصفاتها وأحوالها وأفعالها وأحكامها جملةً وتفصيلاً، فالشيء الواحد من جملة الأشياء يعلمه الباري تعالى على التمام والكمال، بحيث لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أحواله ولا في أحكامه، بخلاف العبد فإن علمه بذلك الشيء قاصر ناقص"[1].

يريد -رحمه الله- أن العقل له حد يجب أن يقف عنده ولا يحاول تجاوزه لأنه لايمكن أن يحيط بعلم ما غاب عنه؛ إذ إن علم الغيب مما لا يعلمه إلا الله، ولا يمكن إدراكه إلا عن طريق الوحي.

ويؤكد ذلك أبو العباس ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: "أن الوجوه الأساطين من هؤلاء الفحول معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية، وإذا كان هكذا، فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه[2].

ومن العلوم التي لا يدركها العقل ولا يمكن أن يحيط بها، أمور الاعتقاد وإن كان قد يدرك معانيها؛ إلا أنه لا يحيط بحقيقتها على التفصيل، مثل معرفة كيفية أسماء الله وصفاته، وحقيقة ما يكون بعد الموت، ونعيم القبر وعذابه، وما في الجنة من النعيم وغير ذلك، وإذا كان كذلك وجب أن يقف على حدود ما كلفه الله به ولا يتجاوزه، وينتهي إلى حيث أمره الشرع بالانتهاء عنده. كما أن السلف الصالح يرون أن العلاقة بين العقل والوحي من حيث إدراك المعرفة علاقة تكامل وتعاضد لا تعارض، إذ لا يمكن أن يتعارض العقل الصريح مع النقل الصحيح.

وأئمة المالكية لا يخرجون عن هذا المنهج السلفي فيما يتعلق بالاستدلال بالعقل والقياس في إثبات صفات الله عز وجل. ومن أمثلة ذلك:

---

(1) الاعتصام، (216/3).
(2) الفتاوى، (306/5).

1- **قول الإمام ابن أبي زيد.**

قال -رحمه الله- في بيان وجوب التسليم للسنة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مبيناً أن ذلك هو المنهج السليم الذي يجب التمسك به وعدم الخروج عنه، وهو الذي عليه أئمة السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، الذين هم القدوة لمن جاء بعدهم، وأن الواجب قبول ذلك وعدم معارضته بالآراء والأقيسة الفاسدة: "... والتسليم للسنن ولا تدفع بقياس"(1).

2- **قول الإمام ابن أبي زمنين.**

قال -رحمه الله- في كتابه أصول السنة: "اعلم رحمك الله أن السنة دليل القرآن، وأنها لا تدرك بالقياس ولا تؤخذ بالعقول، وإنما هي في الاتباع للأئمة ولما مشى عليه جمهور هذه الأمة، وقد ذكر الله عز وجل أقوامًا أحسن الثناء عليهم فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمَر: 17-18]. وأمر عباده فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

ثم روى بسنده عدداً من الأحاديث والآثار ومنها أثر عبد الله بن مسعود: "لا يأتي عليكم عام إلا والذي بعده شر منه، لا أعني عامًا أخصب من عام ولا أمطر من عام، ولكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم فيهدم الإسلام ويثلم"(2).

فقد بين -رحمه الله- أن السنة لا تدرك بالقياس ولا بالعقول، وإنما هي التسليم للنصوص. وفي روايته لأثر ابن مسعود مقرراً له ما يدل على أن قياس أمور العقيدة بالعقول والآراء سبب لهدم الدين وذهابه، ومن أعظم هدم الدين الإلحاد في أسماء الله وصفاته.

---

(1) الجامع، (147).

(2) أصول السنة، بتحقيق: محمد البخاري، (ص/35-55).

شَيۡءٌ- قول ابن عبد البر -رحمه الله-.

يقرر الحافظ أبو عمر بن عبد البر أن العقيدة تؤخذ من الكتاب والسنة والإجماع. كما يرى-رحمه الله- أن القياس لا يجوز في التوحيد؛ لأن الأصل في مسائل التوحيد التوقيف. فيقول في كتابه جامع بيان العلم وفضله -باب نفي القياس في الفرق بين الدليل والقياس وذكر ذم القياس على غير أصل-: "قال أبو عمر -رحمه الله-: لا خلاف بين فقاء الأمصار وسائر أهل السنة وهم أهل الفقه والحديث في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الإحكام"[1].

وقال: "والقياس غير جائز في صفات الباري تعالى لأنه ليس كمثله شيء"[2].

إِنَّ- قول الشاطبي -رحمه الله تعالى-.

قال-رحمه الله تعالى- في معرض كلامه على حديث الافتراق[3]: "المسألة الخامسة والعشرون، أنه قد جاء في بعض روايات الحديث: "أعظمها فتنة الذين يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال". فجعل أعظم تلك الفرق فتنة على الأمة أهل القياس ..."[4].

فقد بين -رحمه الله- أن القول بالرأي الذي يستمده صاحبه من تحكيم العقل بدلاً من النصوص، وكذلك القياس، هو أشد ما يضر الأمة؛ لأن العقول لا تنتهي إلى حد، ثم لو قدر التحاكم إلى العقل، فما هو ميزان العقل الذي يمكن التحاكم إليه ويقاس بعقل من؟

ويقول مبيناً أنه لا بد من تقديم النقل على العقل ولا سيما عند ورود دليلين

---

(1) جامع بيان العلم وفضله، (86/1).

(2) التمهيد، (232/19).

(3) حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وفيه: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"، أخرجه الترمذي في الجامع، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال: حديث حسن صحيح؛ وأبو داوود في كتاب السنة، باب شرح السنة؛ وابن ماجة في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، وإسناد الحديث صحيح.

(4) الاعتصام، (342/3).

متعاضدين أحدهما من النقل والآخر من العقل: "إذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية؛ فعلى شرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعا، ويتأخر العقل فيكون تابعا، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل"[1].

وقال -رحمه الله-: "جعل للعقول في إدراكها حدّاً تنتهي إليه لا تتعدّاه، و لم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع البارى تعالى في إدارك جميع ما كان وما يكون وما لا يكون -أن لو كان كيف كان يكون"[2].

إلى أن قال: "فهذا أصل اقتضى للعاقل أمرين:

أحدهما: أن لا يجعل العقل حاكماً بإطلاق، وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق وهو الشرع، بل الواجب عليه أن يقدم ما حقه التقديم -وهو الشرع- ويؤخر ما حقه التأخير -وهو نظر العقل-؛ لأنه لا يصح تقديم الناقص حكماً على الكامل؛ لأنه خلاف المعقول والمنقول. بل ضد القضية: هو الموافق للأدلة فلا معدل عنه، ولذلك قال: اجعل الشرع في يمينك والعقل في يسارك؛ تنبيهاً على تقديم الشرع على العقل.

والثاني: أنه إذا وجد في الشرع إخباراً يقتضى ظاهره خرق العادة الجارية المعتادة؛ فلا ينبغى له أن يقدم بين يديه الإنكار بإطلاق، بل له سعة في أحد أمرين:

- إما أن يصدِّق به على حسب ما جاء ويكل علمه إلى عالمه، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران:7]، يعني: الواضحَ المحكم، والمتشابه المجمل؛ إذ لا يلزمه العلم به، ولو لزم العلم به لجعل له طريق إلى معرفته، وإلا كان تكليفاً بما لا يطاق.
- وإما أن يتأوَّله على ما يمكن حمله عليه مع الإقرار بمقتضى الظاهر؛ لأن إنكاره إنكار لخرق العادة فيه"[3].

ومن خلال هذه النقول عن أئمة المالكية يتبين لنا موقفهم -رحمهم الله- من العقل

---

(1) الموافقات، (125/1).

(2) الاعتصام (بِٱلۡبَيِّنَٰتِ / لِتُبَيِّنَ ﴿٤٣﴾ وَٱلزُّبُرِ).

(3) الموافقات، (396/1).

والقياس عند الاستدلال على إثبات أسماء الله عز وجل وصفاته، وأنهم يرون الاعتماد على الكتاب والسنة وما بني عليهما، كما يوجبون عدم معارضتهما برأي ولا ذوق ولا وجد ولا عقل ولا قياس. وهم في هذا لا يخرجون عما عليه أهل السنة والجماعة، بل يوافقونهم في جميع ما يذهبون إليه؛ لأن المعين الذي يستقون منه واحد والطريق الذي يسيرون عليه واحد كذلك.

يقول الإمام المقريزي(1) -رحمه الله- مقرراً وجوب الاعتماد على الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعدم معارضتها بعقل أو قياس: "لما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى الناس جميعاً وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز، فلم يسأله أحد من العرب بأسرهم قرويهم وبدويهم عن معنى شيء من ذلك كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج ... إذ لو سأله أحد منهم عن شيء من الصفات لنقل كما نقلت الأحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في أحكام الحلال والحرام.

ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية، علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم من أحد الصحابة -رضي الله عنهم- على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شيء مما وصف الرب به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم، بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات ... ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل، وإنما أثبتوا الصفات كلها ... إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً من غير تعطيل، ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا. ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت ، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا عرف أحد منهم شيئاً من الطرق الكلامية ولا المسائل الفلسفية، فمضى عصر

---

(1) هو: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي: مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة(من حارات بعلبك في أيامه) ولد ونشأ ومات في القاهرة. من تآليفه كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط، والآثار وتجريد التوحيد المفيد، ت: سنة (845هـ). انظر: ترجمته في والأعلام، (177/1).

الصحابة على ذلك ..."[1].

---

(1) انظر: "الخطط" للمقريزي، (3/301-302).

المطلب الرابع: موقفهم من علم الكلام. وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى: تعريف علم الكلام.

تعددت تعريفات علم الكلام وبيان حده وحقيقته. ومن أشهر ما وقفت عليه من هذه التعريفات ما يلي:

بِسۡـــــ. تعريف ابن خلدون [1] المالكي -رحمه الله- حيث قال في تعريف علم الكلام: "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[2].[3]

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ. تعريف الإيجي[4] -رحمه الله- قال: "الكلام: علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه"[5].

ٱلرَّحِيمِ. تعريف الجرجاني[6] -رحمه الله- قال: "الكلام: علم يبحث فيه عن ذات الله

---

(1) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الأشبيلي من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي الباحث، أصله من إشبيلية، ولد بتونس ورحل إلى فاس وغيرها من بلاد الغرب والأندلس، ثم توجه إلى مصر وولي فيها قضاء المالكية، وتوفي فجأة في القاهرة، كان فصيحاً جميل الصورة عاقلاً صادق اللهجة، من مؤلفاته: العبر، وديوان المبتدأ والخبر. انظر ترجمته في شذرات الذهب (قَالَ ٱلرَّحِيمِ قَالَ)، كفاية المحتاج (بِسۡـــــ/ـمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴿بِسۡـــــ) ـمِ

(2) المقدمة، (ص/458).

(3) قدمت تعريف ابن خلدون لعلم الكلام؛ لأنه هو التعريف الذي وقفت عليه لأئمة المالكية، لا لأنه التعريف الذي أختاره.

(4) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي: عالم بالأصول والعربية، من تصانيفه: المواقف، والعقائد العضدية، مات مسجونا سنة (756هـ). طبقات الشافعية الكبرى، (46/10).

(5) المواقف، (ص/7).

(6) هو: علي بن محمد الجرجاني المعروف بالشريف الجرجاني الحنفي من كبار العلماء بالعربية له مؤلفات عديدة منها التعريفات وشرح مواقف الإيجي، توفي بشيراز سنة (816هـ). انظر ترجمته في الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (328/5)، والإعلام للزركلي (7/5).

وصفاته وأحوال الممكنات من البدء والمعاد على قانون الإسلام"[1].

بِّسْـــــــ . تعريف التفتازاني [2] -رحمه الله- قـــال: " العلـــم بالقواعـــد الشـــرعية الاعتقادية المكتسب من أدلتها اليقينية"[3].

5. تعريف التهانوي [4] -رحمه الله- قال: "هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه"[5].

وعند التأمل في هذه التعريفات نجد أن تعريف ابن خلدون قاصر علـــى إثبـــات العقائد والرد على الشبه، بينما التعريفات الأخرى شاملة لكل العقائد الدينية المنسوبة إلى الإسلام: سواء أكانت حقاً أم باطلاً، يوضح ذلك التهانوي حيث يقول: "المراد بالدينية: المنسوبة إلى دين محمد عليه الصلاة والسلام، سواء كانت صواباً أم خطـــأ، فلا يخرج علم أهل البدع الذي يقتدر معه على إثبات عقائده الباطلـــة عـــن علـــم الكلام"[6].

والخلاصة أن علم الكلام هو تلك القضايا التي أحدثها أهل الكـــلام وسموهـــا عقليات وبنوا عليها أصول الدين وردوا بسببها كثيراً من نصوص الكتاب والسنة[7].

والسنة[7].

(1) التعريفات، (ص/162).

(2) هو: مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والمنطق من تصانيفه: مقاصد الطالبين وشرحه، وتهذيب المنطق، توفي سنة (793هـــ) الدرر الكامنة (350/4).

(3) شرح المقاصد، (165/1).

(4) هو: محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، باحث هندي، له: كشاف اصطلاحات الفنون، وسبق الغايات في نسق الآيات. انظر ترجمته في إيضاح المكنون (353/2)، ومصحح المطبوعات (ص/645)، والأعلام (295/6).

(5) كشاف اصطلاحات الفنون، (22/1).

(6) كشاف اصطلاحات الفنون، (23/1)

(7) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (7/2) وفتح رب البرية لابن عثيمين، (ص/79) وانظر: موقف المتكلمين للغصن، ومنهج السلف والمتكلمين -الجابر إدريس علي-،

وحقيقة التوحيد لعبد الرحيم السلمي، ومصطلحات العقيدة لمحمد الحمد.

المسألة الثانية: أهل الكلام.

أهل الكلام هم تلك الطوائف التي ارتضت علم الكلام وقواعده الفلسفية منهجاً في الاستدلال على مسائل الاعتقاد وأعرضوا عن منهج أهل السنة والجماعة الذين بنوا اعتقادهم على نصوص الكتاب والسنة والإجماع المبني على الكتاب والسنة.

ومن أشهر فرق أهل الكلام: الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية[1] وغيرها، وليست النسبة قاصرة على هذه الطوائف، وإنما هي عامة لكل من ارتضى أصول المتكلمين واتخذها مسلكاً في تأصيل مسائل الاعتقاد وسماها قواعد وأصول قدمها على نصوص الشرع. ويدخل في ذلك طوائف عدة مثل الشيعة[2] والإباضية[3] وغيرهما[4].

---

(1) الماتريدية: نسبة إلى أبي منصور الماتريدي، وهم فرقة مصدرهم في تلقي الإلهيات والنبوات العقل، ولم يثبتوا إلا ثماني صفات رأوا أن العقل دل عليها دون غيرها، وقد نفوا جميع الصفات الخبرية والاختيارية، ويرون أن الإيمان هو التصديق، وبعضهم يضم إليه الإقرار باللسان، ونفَوا زيادة الإيمان ونقصانه، وحرموا الاستثناء فيه، ويرون أن المعاصي لا أثر لها على أصل الإيمان. انظر: الماتريدية دراسة وتقويماً للدكتور أحمد بن عوض الله الحربي (ص/460-464)، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة للدكتور سليمان الغصن (31/1)، حاشية رقم (2).

(2) الشيعة: هم الذين شايعوا علياً -رضي الله عنه- على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم من غيره أو تقية من عنده، وقالوا: إن الإمامة ركن الدين، وأن الأئمة معصومون من الكبائر والصغائر. والشيعة فرق كثيرة منهم الغالي الكافر، ومنهم دون ذلك؛ وأصولهم ثلاث فرق: الغالية، الزيدية، الرافضة الإمامية، ويكفر بعضهم بعضاً. انظر: مقالات الإسلاميين (65/1)، والملل والنحل (146/1-147)، وانظر التسعينية لشيخ الإسلام بن تيمية (163/1-164)، تحقيق: د/إبراهيم العجلان.

(3) الإباضية: فرقة من فرق الخوارج تنسب إلى عبد الله بن أباض، كان من مذهبه أن مخالفيه من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، وسمى دار مخالفيه من أهل الإسلام دار التوحيد إلا معسكر السلطان؛ فإنه دار بغي، وقال عن مرتكب الكبيرة: أنه موحد لا مؤمن، وهو كافر نعمة لا كافر شرك، أما حكمه في الآخرة إن لم يتب فهو الخلود في النار، وقد وافق المعتزلة في معتقدهم في الصفات. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (103-109)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (183/1-192)، ودراسات إسلامية في أصول الإباضية، تأليف: بكير بن سعيد أعوشت.

(4) انظر: منهج السلف والمتكلمين، (49/1 وما بعدها).

المسألة الثالثة: موقف أئمة المالكية من علم الكلام.

أجمع أهل السنة على ذم الكلام وأهله والتحذير منهم، ويرونهم أهل بدع وضلال، ويحذرون من مجالستهم ومجادلتهم والركون إليهم، ويرون أن قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:68] يقصد به أهل الأهواء والبدع، كما يرون أنهم أهل زيغ ولا يعدونهم من أهل الفقه.

وأئمة المالكية لا يخرجون عن هذا المنهج. وبالتتبع والاستقراء لمنهج المالكية تجاه أهل الأهواء نجد أنهم قد سلكوا جميع السبل في التحذير من الكلام وأهله: فتارة يحذرون منهم بألسنتهم، وتارة يحذرون من مجالستهم، وتارة يطردونهم من مجالسهم تحقيراً لهم، وتارة يتركون الصلاة عليهم. ومن أبرز مواقف أئمة المالكية تجاه الكلام وأهله ما يلي:

. موقف الإمام مالك –رحمه الله–.

كان الإمام مالك –رحمه الله تعالى– من أشد الأئمة تمسكاً بالسنة واقتفاءً لآثار الصحابة –رضي الله عنهم– والتابعين، ومن أشدهم تحذيراً من الخوض في الدين بالكلام وعلم الكلام وأصحاب الأهواء الذين يرون أن الدين لا يعرف معرفة حقيقية إلا بالكلام والجدل.

قال أبو طالب المكي: "كان مالك –رحمه الله– أبعد الناس من مذاهب المتكلمين، وأشدهم بغضاً للعراقيين، وألزمهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين"[(1)].

كان ينهى عن الجدل والمراء حتى في باب المدافعة عن السنة. قال الهيثم بن جميل[(2)]: "قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله، الرجل عالماً بالسنة أيجادل عنها؟ قال: لا، ولكن يخبر بالسنة، فإن قبلت منه وإلا سكت"[(3)].

وقال ابن وهب: سمعت مالكاً يقول: "القرآن هو الإمام، فأما هذا المراء فما أدري ما هو"[(4)]؟

(1) ترتيب المدارك (87/1)، السير (106/8).
(2) الحافظ الكبير محمدث أنطاكية، أبوسهل البغدادي، ثقة حافظ صاحب سنة، ت:سنة (213هـ). انظر ترجمته في طبقات بن سعد (490/7)، تهذيب التهذيب (57/6)، وسير أعلام النبلاء (396/10).
(3) جامع العلم (94/2)، ترتيب المدارك (87/1).
(4) الإبانة الكبرى، (510/2).

ولما سأله رجل عن كيفية معرفة الحق، أرشده إلى الأخذ بالأركان الإسلام ومبانيه التي بيَّنها النبي صلى الله عليه وسلم.

قال إسحاق بن عيسى(1): "رأيت رجلاً من أهل المغرب جاء مالك بن أنس فقال: إن الأهواء كثرت قبلنا، فجعلت على نفسي إن أنا رأيتك أن آخذ بما تأمرني به. فوصف له مالك شرائع الإسلام: الصلاة والزكاة والصوم والحج،ثم قال: خذ بهذا ولا تخاصم"(2).

وكان إذا سأله الرجل عن شيء من الأهواء يقول له: اقرأ: ﴿لَمۡ يَكُنِ﴾، فيقرأ إلى قوله تعالى:﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البيِّنة:5]، فيضرب بيده على منكب الرجل ويقول: ما أمر الناس بهذا(3).

وقال أشهب بن عبد العزيز(4): سمعت مالك بن أنس يقول: "إياكم والبدع! قيل: يا أبا عبد الله. وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ أمته كل ما فيه الخير لهم، ولو كان في علم الكلام خير لدلهم عليه"(5).

وروي عن الشافعي أنه قال: سئل مالك عن الكلام والتوحيد فقال: "محال أن نظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد"(6).

قال إسحاق بن إبراهيم الحنيني(7): قال مالك: "قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) إسحاق بن عيسى بن نجيح البغدادي، أبو يعقوب بن الطباع، صدوق، من رواة الموطأ عن مالك، مات سنة 215هـ. التقريب (ص/102)، وإتحاف السالك (67/ب).

(2) ترتيب المدارك (47/2)، الفقيه والمتفقه (231/1-232).

(3) مناقب مالك، (ص/49).

(4) الإمام العلامة مفتي مصر أبو عمر القيسي العامري المصري الفقيه، يقال: اسمه مسكين، وأشهب لقب له. قال ابن عبد البر: كان فقيهاً حسن الرأي والنظر، توفي سنة 204هـ. انظر ترجمته في المدارك (259/1)، السير (500/9).

(5) عقيدة السلف (ص/54)، ومناقب مالك (ص/47).

(6) ذكره الذهبي في السير (26/10).

(7) إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الحنيني، أبو يعقوب المدني، أحد رواة الموطأ، مات سنة 216هـ. التقريب، (ص/99) والتهذيب، (222/1) وإتحاف السالك (55/أ).

وسلم وقد تم هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن نتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نتبع الرأي، فإنه متى اتُّبع الرأي: جاء رجل آخر أقوى في الرأي منك، فاتبعته، فأنت كلما جاء رجل غلبك اتبعته، أرى هذا لا يتم"[1].

وقال: "أرأيت إن جاء من هو أجدل منه، أيدع دينه كل يومٍ لدين جديد؟!"[2].

وكان يحذر من أصحاب الرأي ويقول: "إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنة"[3].

ثم يبين أنه لم يعرف عن أحد من الصحابة -رضي الله عنهم- شيء من هذا الكلام أو اعتبار أنه علم يمدح من سعى في طلبه، أو الجدل والخوض في الدين ومعرفته بواسطته.

قال مالك: "لم يكن من هذه الأهواء على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان"[4].

وقال عبد الرحمن بن مهدي[5]: "دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن، فقال: لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد[6]، لعن الله عمرًا فإنه ابتدع هذه البدع البدع من الكلام، ولو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الإحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل"[7].

قال مصعب بن عبد الله الزبيري[8]: كان مالك بن أنس يقول: "الكلام في الدين

---

(1) جامع العلم (144/2)، الاعتصام (105/1).

(2) جامع العلم (95/2).

(3) مناقب مالك (ص/148).

(4) الإبانة الصغرى (ص/137)، وذكره ابن حجر في الفتح (253/13).

(5) الإمام الناقد المجود، سيد الحفاظ، أبو سعيد العنبري، وقيل: الأزدي، مولاهم البصري اللؤلؤي، كان إماماً حجة قدوة في العلم والعمل. قال الخليلي: قال الشافعي: لا أعرف له نظيراً في هذا الشأن. انظر ترجمته في طبقات بن سعد (298/7)، والسير (192/9).

(6) عمرو بن عبيد بن باب، أبو عثمان البصري، المعتزلي القدري، كذبه العلماء، وقد عقد اللالكائي فصلاً ذكر فيه مخازي مشايخ القدرية وفضائح المعتزلة كعمرو بن عبيد وغيره، توفي سنة 143هـ. انظر: ترجمته في تاريخ بغداد، (166/12)، وسير أعلام النبلاء، (104/6).

(7) شرح السنة (217/1)، مناقب مالك (ص/147-148).

(8) مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير المدني القرشي، صدوق عالم

أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام في رأي جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل. فأما الكلام في الدين وفي الله عز وجل، فالسكوت أحب إليَّ؛ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا ما تحته عمل"[(1)].

وفي رواية قال: سمعت مالك بن أنس يقول: "أدركت أهل هذا البلد -يعني: المدينة- وهم يكرهون المناظرة والجدل إلا فيما تحته عمل"[(2)].

قال أبو عمر بن عبد البر: "قد بيَّن مالك -رحمه الله- أن الكلام فيما تحته عمل هو المباح عنده وعند أهل بلده -يعني: العلماء منهم رضي الله عنهم-، وأخبر أن الكلام في الدين نحو القول في صفات الله وأسمائه، وضرب مثلاً فقال: نحو قول جهم والقدر، والذي قاله مالك -رحمه الله- عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديمًا وحديثًا من أهل الحديث والفتوى، وإنما خالف ذلك أهل البدع: المعتزلة وسائر الفرق، وأما الجماعة فعلى ما قال مالك -رحمه الله- إلا أن يضطر أحد إلى الكلام فلا يسعه السكوت إذا طمع برد الباطل وصرف صاحبه عن مذهبه، أو خشي ضلال عامة، أو نحو هذا"[(3)].

وقال في موضع آخر: "يريد مالك -رحمه الله- الأحكام في الصلاة والزكاة والطهارة والصيام والبيوع ونحو ذلك، ولا يجوز عنده الجدال فيما تعتقده الأفئدة مما لا عمل تحته أكثر من الاعتقاد، وفي مثل هذا خاصة نهى السلف عن الجدال وتناظروا في الفقه، وتقايسوا فيه"[(4)].

بالنسب، ومن رواة الموطأ عن مالك، مات سنة وَٱلرُّوحُ ۳ شَهۡرٍهـ. التقريب، (ص/۳ ۳ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ) وإتحاف السالك، (۳ تَنَزَّلُ/ب). ترتيب المدارك (220/1)، سير أعلام النبلاء (30/11).

(1) ترتيب المدارك (220/1) وجامع العلم، (94/2-95) والتمهيد (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ / ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ).

(2) التمهيد (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ / ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ).

(3) جامع العلم، (95/2).

(4) التمهيد (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ / ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ).

قال إسحاق بن عيسى: قال مالك: "من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب"(1).

وقال: "إذا قل الكلام أصيب الجواب، وإذا كثر الكلام كان من صاحبه فيه الخطأ"، وقال: "كان ابن هرمز قليل الكلام، وكان يرد على أهل الأهواء، وكان أعلم الناس بما اختلفوا فيه من ذلك ..."(2).

قال معن بن عيسى(3): "انصرف مالك يوماً من المسجد وهو متكىء على يديّ، فلحقه رجل يقال له: أبو الجويرية -كان يتهم بالإرجاء- فقال: يا أبا عبد الله، اسمع مني شيئاً أكلمك به وأحاجك وأخبرك برأيي. فقال له: احذر أن اشهد عليك. قال: والله ما أريد إلا الحق، اسمع مني: فإن كان صواباً فقل به أو فتكلّم. قال: فإن غلبتني؟ قال: اتبعني. قال: فإن غلبتك؟ قال: اتبعتك. قال: فإن جاء رجل آخر فغلبنا؟ قال: نتبعه. فقال له مالك: يا عبد الله! بعث الله محمداً بدين واحد وأراك تنتقل من دين إلى دين، قال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل"(4).

وقال الشافعي: "كان مالك بن أنس إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: أما أنا فعلى بينة من ربي وديني، وأما أنت فشاك، فاذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه"(5).

وقال عبد الله بن نافع(6): سمعت مالكاً يقول: "لو أن العبد ارتكب الكبائر كلها بعد

---

(1) مناقب مالك، (ص/147).

(2) مناقب مالك، (ص/152).

(3) معن بن عيسى بن يحيى بن دينار القزاز مولى أشجع أبو يحيى، روى عن مالك. قال ابن عبد البر: كان أشد الناس ملازمة لمالك، وكان يتكئ عليه عند خروجه إلى المسجد حتى قيل له: عصية مالك. مات سنة 198هـ. انظر ترجمته في المدارك (212/1)، سير أعلام النبلاء (304/9).

(4) ترتيب المدارك، (39/2) والاعتصام، (93/2).

(5) ترتيب المدارك، (41/2)

(6) أبو محمد عبد الله بن نافع مولى بني مخزوم المعروف بالصائغ. قال: صحبت مالكاً أربعين سنة ما كتبت منه شيئاً، وإنما كان حفظاً أتحفظه، وهو الذي سمع منه سحنون وكبار أتباع أصحاب مالك، توفي سنة 186هـ. انظر ترجمته في ترتيب المدارك (205/1)، والسير (371/10).

بعد ألا يشرك بالله شيئاً ثم نجا من هذه الأهواء لرجوت أن يكون في أعلى جنات الفردوس، لأن كل كبيرة بين العبد وربه هو منها على رجاء، وكل هوًى ليس هو منه على رجاء إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم"[(1)].

قال إسماعيل بن أبي أويس [(2)]: سمعت مالكاً يقول: "ما قَلَّت الآثار في قومٍ إلا ظهر فيهم الأهواء، ولا قَلَّت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء"[(3)].

وفي رواية قال: "إذا قلَّ العلم ظهر الجفاء، وإذا قَلَّت الآثار كثرت الأهواء؛ وهذا لأن العلم يصل صاحبه وطالبه إلى معرفة الأثر واتباعه والاهتداء به"[(4)].

فقد بين-رحمه الله- أن العلم سبب في الحماية من الوقوع في براثن علم الكلام وما يجر إليه من باطل؛ وهذا يدل على كراهته لعلم الكلام وتحذيره منه.

وقال عبد الله بن وهب: سمعت مالكاً يقول: "إنّ حقًّا على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعًا لأثر من مضى قبله"[(5)].

وكان إذا سئل عن مسألة فأجاب فيها بالأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد السائل أن يقول رأيه بذلك، يغضب غضباً شديداً ويغلظ الإجابة.

وقال عبد الله بن وهب: قال مالك: "لم يكن فتيا الناس أن يقال: لم قلت هذا؟ كانوا يكتفون بالرواية ويرضون بها"[(6)].

ولذلك كان يحذر أشد التحذير من الرأي والجدل وأصحابهما.

---

(1) ترتيب المدارك، (49/2) والاعتصام، (248/2).

(2) أبو عبد الله إسماعيل بن أبي أويس بن عامر الأصبحي بن عم مالك، وابن أخته، وزوج ابنته. قال الصدفي عنه: جالست خالي مالكاً من سنة ثمان وخمسين ومائة إلى أن مات وذلك إحدى وعشرون سنة، وروى عنه ابن وضاح وأثنى عليه وقال: إنه كان شديد القول فيمن يقول بالمخلوق. توفي سنة 226هـ. انظر ترجمته في ترتيب المدارك (213/1)، والسير (391/10).

(3) الفقيه والمتفقه، (147/1) ومناقب مالك، (ص/148).

(4) الفتاوى، (308/17) ودرء تعارض العقل والنقل، (271/1).

(5) الحلية، (324/6).

(6) المدخل، (ص/201).

قال إسحاق بن إبراهيم الحنيني: قال مالك بن أنس: "إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء أهل السنة"[1]. وهذا منه -رحمه الله- تحذير من الكلام وأهله.

وقال إسحاق بن عيسى[2]: "سمعت مالك بن أنس يعيب الجدل في الدين ويقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل -عليه السلام- على محمد صلى الله عليه وسلم لجدله"[3].

وقال عبد الله بن وهب: سمعت مالكاً يقول: "ليس الجدل من الدين بشيء"[4].

وكان كثيراً ما يتمثل بقول عمر بن عبد العزيز: "من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل"[5]، ولذلك كان مالك يقول: "الداء العضال التنقل في الدين"[6].

وبلغ من شدة تحذيره من الكلام وأهله أنه جعل الميل إلى الجدل والرأي من اللعب بالدين، قال عبد الله بن مسلمة بن قعنب[7]: قال مالك بن أنس: "مهما تلاعبت به من شيء فلا تلعبن بأمر دينك"[8].

وقال محذراً من الاستماع إلى أهل الأهواء والجدل: "كان يقال لا تُمَكِّن زائغ القلب

---

(1) الحلية (326/6-327)، مناقب مالك (ص/148).
(2) تقدمت ترجمته.
(3) الإبانة الكبرى (507/2)، اعتقاد أهل السنة (144/1)، الحلية (324/6)، المدخل (ص/201)
(4) السير (67/8-68)، إرشاد السالك (ص/35)، ترتيب المدارك (39/2)، الاعتصام (93/2).
(5) الشريعة للآجري (ص/56-57)، الإبانة الكبرى (506/2-507)، اعتقاد أهل السنة (128/1).
(6) الإبانة الكبرى (506/2)، الحلية (319/6).
(7) عبد الله بن مسلمة بن قعنب، القعنبي الحارثي، أبو عبد الرحمن البصري، الإمام الثبت، شيخ الإسلام، أصله من المدينة وسكنها مدة، ثقة، عابد من رواة الموطأ، وكان بن المديني وابن معين لا يقدمان عليه في الموطأ أحداً، مات سنة 221هـ. انظر ترجمته في ترتيب المدارك (231/1)، والسير (257/10).
(8) السنة للخلال (ص/215)، الإبانة الكبرى (506/2)، اعتقاد أهل السنة (144/1-145)، الحلية (320/6).

من أذنيك فإنك لا تدري ما يعلقك من ذلك"[1].

قال الزهري[2]: "رأيت مالكاً وقوم يتجادلون عنده، فقام ونفض رداءه وقال: إنما أنتم جرب"[3].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: "قال مالك بن أنس: قيل لرجل عند الموت: على أي دينٍ تموت؟ قال: على دين أبي عمارة -كأنه رجل كان يتولاه من أهل الأهواء- قال: فقال مالك: يَدع المشؤوم دين أبي القاسم ويموت على دين أبي عمارة"[4].

وقال عبد الله بن وهب: سمعت مالكاً يقول: "المراء في العلم يقسي القلب ويورث الضغن"[5]. وهذا حث منه على العلم الشرعي على منهج السلف الصالح وتحذير من مناهج أهل الأهواء في تحصيل العلم.

وكان -رحمه الله- كثيراً ما يتمثل بقول عمر بن عبد العزيز الذي فيه الوصاية بالتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السلف الصالح، وأنه بالأخذ بذلك تكون النجاة والفوز، وبالبعد عن ذلك تكون الهلكة والخذلان، والتحذير من الإعراض عن السنة وتغييرها، واتباع أهل الكلام والزيغ والفساد.

قال مطرف بن عبد الله: "سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده الزائغون في الدين -وفي رواية قال: إذا ذكر عنده فلان من أهل الزيغ والأهواء- يقول: قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل واستكمال لطاعة الله عز وجل وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتدٍ، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا".

---

(1) كتاب الجامع، (ص/152).

(2) هارون بن عبد الله الزهري أبو يحيى، كان من الفقهاء، ولاَّه المأمون قضاء المصيصة ثم صرخد ثم قضاء الرقة ثم قضاء مصر، توفي سنة 228هـ. انظر ترجمته في ترتيب المدارك (298/1).

(3) ترتيب المدارك (39/2).

(4) الإبانة الكبرى (355/1).

(5) المصدر السابق (530)، وترتيب المدارك (39/2).

ومن شدته على أهل الكلام أنه جاء إليه رجل فقال له: ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق؟ قال زنديق فاقتلوه. فقال: يا أبا عبد الله، ليس هو كلامي، إنما هو كلام سمعته. قال: لم أسمعه إلا منك[1]. فقد اشتد –رحمه الله– على هذا القائل واتهمه بالزندقة مما يكون له أكبر الأثر في التحذير من طرق أهل الكلام.

فهذه النقول تبين موقف الإمام مالك من الكلام وأهله وفيها التحذير من هذا المسلك الخطير الذي يؤدي بصاحبه إلى الهلاك.

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ . موقف عبد الله بن فروخ[2] –رحمه الله– (ت:وَهُوَ ٱلۡبَصِيرُ لَيۡسَ هـ).

قال محمد بن سحنون –رحمه الله–: "كانت المعتزلة تدعي ابن فروخ عندنا –أي: يزعمون أنه موالياً لهم–، فأخبرني بعض أصحاب أبي وكان صحب أبا خارجة قال: نزل بنا أبو خارجة فسألته عن ابن فروخ وما يرمي به فقال: من قال هذا؟ فو الله الذي لا إله إلا هو، ما رأيت بهذين العينين شاباً أعبد لله من ابن فروخ. ثم قال: فو الله لقد كنت معه حتى سئل عن المعتزلة، فقال للسائل: وما سؤالك عن المعتزلة؟ فعلى المعتزلة لعنة الله قبل يوم الدين وفي يوم الدين وبعد يوم الدين وفي طول دهر الداهرين. فقال له: وما فيهم قوم صالحون؟ فقال: ويحك، وهل فيهم رجل صالح"[3]؟

ومما يدل على موقفه من أهل البدع تركه الصلاة على جنازة المعتزلي كما سأنقله لاحقاً.

---

(1) المدارك، (90/1).

(2) أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي، فقيه القيروان في وقته، قال ابن الجزار في طبقات القضاة: كان ابن فروخ فقيهاً ورعاً، رحل في طلب العلم، وكان يكاتب مالك بن أنس في المسائل ويجاوبه مالك، توفي سنة 175هـ. انظر ترجمته في ترتيب المدارك (194/1) ورياض النفوس (176/1).

(3) ترتيب المدارك (198/1).

ٱلرَّحِيمِ. موقف البهلول بن راشد[1] –رحمه الله– (ت:شَيۡءٌۖ ١١ لَيۡسَ هـ)

كان –رحمه الله– شديداً على أهل الكلام، مجانباً لهم، محذراً من مجالستهم ومحادثتهم. ومما يدل على شدته على أهل الكلام. قصته مع سحنون بن سعيد –رحمه الله– لما رآه يكلم رجلاً من أهل الأهواء. قال سحنون: "أتيت يوماً إلى البهلول فوافاني رجل من أهل الأهواء على بابه يسألني عن الشيخ، فلم أرد عليه جواباً والشيخ يسمع. فلما دخلت عليه سلمت فلم يرد علي وأعرض عني، فلما خرج الناس جثوت بين يديه وقلت له: ما قصتي؟ فقال: سلم عليك رجل من أهل الأهواء وسألك عني. فقلت له: والله ما رددت عليه جوابا. فقال مرحباً وأهلاً، وسلم علي. ثم قال لي: بهذا يعرف الحق من الباطل"[2].

فانظر إلى شدته –رحمه الله– على تلميذه لما رآه مع الرجل المبتدع فهجره و لم يرد عليه السلام حتى تبين له أنه لم يكلمه.

وقال سحنون: "مات رجل من أصحاب البهلول، فحضر هو وابن غانم وابن فروخ فصلوا عليه، وجيء بجنازة ابن صخرة المعتزلي، فقالوا لابن غانم: الجنازة. فقال: كل حي ميت، قدموا دابتي. وقيل لابن فروخ مثل ذلك، فقال مثله. وقيل للبهلول مثل ذلك، فقال مثله. وانصرفوا و لم يصلوا عليه"[3].

وما ذاك منهم إلا شدة على أهل الكلام وتحقيراً لشأنهم حتى يرتدع الناس عن مثل صنيعهم.

بِسۡمِ . موقف قتيبة بن سعيد البلخي –رحمه الله– (ت:شَيۡءٌۖ ١١ لَيۡسَ هـ)

فقد كان شديداً على أهل الكلام. قال القاضي وكيع[4]: "ولي قتيبة القضاء ببغداد

---

(1) البهلول بن راشد الحجري الرعيني أبو عمر من أهل القيروان، كان ثقة مجتهداً مستجاب الدعوة، والغالب عليه مذهب مالك، وربما مال إلى قول الثوري، توفي سنة 183هـ. انظر ترجمته في ترتيب المدارك (188/1) ورياض النفوس (200/1).

(2) المصدر السابق، (192/1).

(3) المصدر السابق، (198/1).

(4) محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد، الملقب بوكيع، القاضي أبو بكر الضبي البغدادي.

واستتاب بشراً المريسي، فأقامه على صندوق من صناديق المصاحف، فقال بشر: معاذ الله، لست بتائب. فكثر الناس عليه حتى كادوا يقتلونه. وقال أبو داود: سمعت قتيبة ابن سعيد وقيل له: الواقفة[1] يعني في القرآن. فقال: الواقفة شر منهم -يعني ممن قال بالمخلوق-"[2].

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ موقف أبي عبد الله ابن خويز منداد المالكي -رحمه الله- (تـ: لَهُۥشَىۡءٌ هـ)

قال -رحمه الله- في كتاب الإجارات من كتابه الخلاف فيما نقله عنه الحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: قال مالك: "لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم". وذكر كتباً ثم قال: وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وتفسخ الإجارة في ذلك. قال: وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك.

وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك: "لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء"، قال: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم: أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع: أشعريا كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام، ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها[3].

وهذا مما يوضح موقف أئمة المالكية من أهل الكلام وأنهم يرونهم أهل بدع وأهواء وضلالات، وينهون عن التعامل معهم وأنه لا يجوز استئجار كتبهم ولا تأجيرهم من

قال الذهبي: ولي قضاء كور الأهواز كلها، توفي سنة 306هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (237/14)، وتاريخ بغداد (236/5-237).

(1) الواقفة: هم الذين يتوقفون في القول بعدم خلق القرآن، فيقولون: لا نقول مخلوق، ولا نقول غير مخلوق؛ وقد ردّ عليهم السلف وبينوا أنهم شر من الذين يقولون: القرآن مخلوق، وممن شنع عليهم الإمام أبو سعيد الدارمي في الردّ على الجهمية، وقد نقل الإمام اللالكائي أقوال أهل السنة في الواقفة في كتابه: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. انظر: الردّ على الجهمية (ص/193-196)، شرح أصول أهل السنة والجماعة (241/1-وما بعدها).

(2) ترتيب المدارك (303/1)

(3) جامع بيان العلم وفضله، (130/2-131).

المساكن والمحلات ما يبيعون به كتبهم، وأن الإجارات تنفسخ لأنها عقد مبني على فساد، وما بني على فساد فهو فاسد. وهل بعد هذا الإيضاح من إيضاح؟

وليس هذا المنهج السلفي مختصر على متقدمي المالكية، بل هو منهج المتأخرين.

يقول الشيخ الطيب العقبي[1] في بيان العقيدة الصحيحة مشنعاً على أهل البدع المعرضين عن الكتاب والسنة:

أيها السائل عن معتقدي ... يبتغي مني ما يحوي الفؤاد
إنني لست ببدعي ولا ... خارجي دأبه طول العناد
يحدث البدعة في أقوامه ... فتعم الأرض نجداً ووهاد
ليس يرضي الله من ذي بدعة ... عملاً إلا إذا تاب وهاد
لست ممن يرتضي في دينه ... ما يقول الناس زيد أو زياد
بل أنا متبع نهج الألى ... صدعوا بالحق في طرق الرشاد
حجتي القرآن فيما قلته ... ليس لي إلا على ذاك استناد
وكذا ما سنه خير الورى ... عدتي وهو سلاحي والعتاد[2].

وهذا الموقف من أئمة المالكية هو موقف إخوانهم من أهل السنة. يقول الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- أنه: "لا يفلح صاحب كلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل"[3].

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام"[4].

---

(1) هو الطيب بن محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح العقبي المالكي، ينتهي نسبه إلى قبيلة أولاد عبدالرحمن الأوراسية، ولد بمدينة سيدي عقبة بولاية بسكرة في الجزائر عام 1307ه، هاجر مع عائلته إلى المدينة المنورة وهو ابن خمس أو ست سنوات، تلقى العلم في الحرم النبوي الشريف وعمل مع شريف مكة في جريدة القبلة، عاد إلى الجزائر عام 1337 ه، وكان من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. انظر ترجمته في شعراء الجزائر في العصر الحاضر: (125/1).

(2) رسالة الشرك ومظاهره، (ص/448-449).

(3) جامع بيان العلم وفضله، (130/2).

(4) المصدر السابق، (129/2).

- **المبحث الثاني: منهجهم في الاستدلال. وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: موقفهم من المحكم والمتشابه.

المطلب الثاني: موقفهم من التأويل.

المطلب الثالث: موقفهم من المجاز.

المطلب الرابع: موقفهم من فهم النص.

المطلب الخامس: موقفهم مما يوهم التعارض في النص.

المبحث الثاني: منهجهم في الاستدلال. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: موقفهم من المحكم والمتشابه. وفيه مسائل:

المسألة الأولى: معنى الإحكام والتشابه في اللغة.

أولاً: معنى الإحكام لغة.

الإحكام في اللغة مأخوذ من مادة حكم ويراد بها أمران:

- الأول: المنع.

قال ابن فارس المالكي -رحمه الله-: "حكم: الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع. وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم. وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها يقال حكمت الدابة وأحكمتها. ويقال: حكمت السفيه وأحكمته، إذا أخذت على يديه. قال جرير:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم   إني أخاف عليكم أن أغضبا"[(1)]

- الثاني الإتقان.

يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم. والحكم العلم والفقه، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:12]، أي: علماً وفقها[(2)].

وعلى هذا فالإحكام معناه الفصل بين الشيئين فصلاً متناسقاً يظهر منه إتقان الشيء وإحسانه وهما متقاربان ويقوي كل واحد منهما الآخر[(3)].

المسألة الثانية: معنى التشابه في اللغة.

قال ابن فارس: "شبه: الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً، يقال شِبْهُ وشبَه وشبيه. ... والمشبهات من الأمور المشكلات. واشتبه الأمران: إذا أشكلا"[(4)].

---

(1) معجم مقاييس اللغة، باب الحاء والكاف، (ص/258).

(2) انظر: لسان العرب، مادة حكم، (140/12).

(3) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، تأليف: عثمان حسن أمير، (473/2).

(4) معجم مقاييس اللغة، الشين والباء وما يثلثهما، (ص/526).

فالتشابه يدل على التشاكل والتجانس، ولكن لا يلزم من التشابه التماثل؛ لأن التماثل اتفاق الشيئين من جميع الوجوه، وأما التشابه فيكون من وجه دون وجه. قال الله تعالى: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ [الأنعام:141].

المسألة الثالثة: معنى الإحكام والتشابه في اصطلاح العلماء.

وصف الله عز وجل كتابه بأنه محكم كما في قوله عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:1]، كما جاءت آيات تدل على أن القرآن محكم كما في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزُّمَر:23]. وجاءت آيات تدل على أن من القرآن ما هو محكم ومنه متشابه كما في قوله سبحانه: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:7].

وقد بين أهل العلم أن للمحكم والمتشابه في القرآن إطلاقان: خاص وعام.

أولاً: الإطلاق العام للمحكم والمتشابه:

أ- المحكم: أي البيِّن الواضح الذي لا يفتقر في بيان معناه إلى غيره لوضوح مفرداته وإتقان أحكامه وألفاظه ومعانيه، فهو غاية في الفصاحة والإعجاز، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:1][1].

ب- المتشابه: أي أن آياته تشبه بعضها بعضاً في الإعجاز والحسن والهدى والصدق والعدل والسلامة من العيوب، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزُّمَر:23][2].

ثانياً: الإطلاق الخاص للمحكم والمتشابه:

اختلفت عبارات السلف في تحديد معنى الإحكام والتشابه الذي وردت به بعض الآيات القرآنية ولاسيما قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:7]، فذهب بعضهم إلى أن المحكم ما يعمل به، والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به. وذهب بعضهم إلى أن المحكم ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد،

---

(1) انظر: الموافقات (3/305-308)، مذكرة أصول الفقه (ص/92-93)

(2) انظر:مذكرة أصول الفقه (ص/93)، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، (2/473-480).

والمتشابه ما احتمل من التأويل أكثر من وجه. وذهب بعضهم إلى أن المحكم هو ما اتضح معناه، والمتشابه هو ما لم يتضح معناه إما لاشتراك أو إجمال(1).

يقول القرطبي -رحمه الله-: "المحكمات من آي القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه"(2).

يقول ابن تيمية: "وكلام السلف في ذلك يدل على أن التشابه أمر إضافي، فقد يشتبه على هذا ما لا يشتبه على هذا"(3).

المسألة الرابعة: موقف علماء المالكية من المحكم والمتشابه.

موضوع المحكم والمتشابه من أهم المسائل التي وقع فيها النزاع بين أهل السنة والجماعة وبين أكثر الطوائف المخالفة لهم في أبواب العقيدة ولا سيما باب الأسماء والصفات؛ وذلك أن أكثر الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة اتخذوا موضوع المتشابه في النصوص الشرعية ذريعة لتأويلاتهم الفاسدة وتأولوها على غير تأويلها.

ولذا اهتم أهل السنة والجماعة بهذا الموضوع وبينوا خطره وبينوا حقيقة مراد أهل الباطل منه وصنفوا فيه المصنفات(4).

وموقف أئمة المالكية في هذا الموضوع الخطير هو موقف أهل السنة والجماعة. وجاءت أقوالهم في هذا الموضوع واضحة غاية الوضوح. ومن أمثلة ذلك:

---

(1) راجع في هذه الأقوال وغيرها لعلماء السلف: الفقيه والمتفقه (58/1-63)، المسودة في أصول الفقه -تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- (ص/161 وما بعدها)، العدة في أصول الفقه -تحقيق: د/ أحمد بن علي المباركي- (ص/684 وما بعدها)، مجموع الفتاوى (418/17وما بعدها)، شرح الكوكب المنير (142/2-143)، وانظر: المنهج السلفي للقيسي، (282-283)

(2) الجامع لأحكام القرآن (9/4).

(3) مجموع الفتاوى (386/17).

(4) انظر: الإمام الشاطبي: عقيدته وموقفه من أهل البدع، تأليف: عبد الرحمن آدم علي، (ص/بِسّْــــــ قَالَ بِسْـــــــ).ـمِ

بِسۡــــــــــــ ـِمِ قول ابن بطال

قال –رحمه الله: "وقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:85]، فيه دليل على أنه لا تبلغ حقيقة العلم بالمخلوقات فضلاً عن العلم بالخالق سبحانه، وأن من العلم ما يلزم التسليم فيه لله تعالى ويجب الإيمان بمشكله، وأن الراسخين فى العلم لا يعلمون تأويل المتشابه كما يزعم المتكلمون، إذ قد أعلمنا الله أن السؤال عن الروح ابتغاء ما لم يؤته من العلم، مع أنه وصف قلوب المتبعين ما تشابه منه بالزيغ وابتغاء الفتنة، ووصف الراسخين فى العلم بالإيمان به، وأن كله من عند ربهم، مستعيذين من الزيغ الذى وسم الله به من اتبع تأويل المتشابه منه، داعين الله أن لا يزيغ قلوبهم بابتغاء تأويله بعد إذ هداهم إلى الإيمان به[1].

فقد بين–رحمه الله تعالى– الموقف الذي يجب أن يكون عليه المؤمن من المتشابه، وأن المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله هو حقيقة الشيء، وأما العلم بالظاهر وهو ما يمكن أن يعلمه الإنسان فهذا ليس من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وهو بذلك يوافق قول السلف في أحد القولين في الوقوف على لفظ الجلالة في قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فإن من السلف من يرى الوقوف على لفظ الجلالة وأن المعنى: أنه لا يعلم حقيقة الآيات المتشابهات من القرآن إلا الله، أما المعنى العام فهو معلوم؛ لأن صفات الله عز وجل معلومة لدلالة النصوص عليها، ويدل على ذلك قول الإمام مالك –رحمه الله– لمن سأله عن الاستواء كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم، أي: من حيث دلالة الآيات والنصوص عليه، والإيمان به واجب لثبوته بالدليل، وأما الكيف فهو مجهول؛ لأنه لايعلم كيفية استوائه إلا هو سبحانه. وعلى هذا يكون هذا المتشابه مما لا يعلم حقيقته إلا هو سبحانه وتعالى. وأما الراسخون فلا يعلمون حقيقة ذلك؛ ولذا يؤمنون به ويكلون علمه إلى الله عز وجل، بخلاف الزائغين الذين يؤولون حقيقة الأسماء

---

(1) شرح صحيح البخارى، (بِسۡــــــــ /تَعَالَىٰ:بِسۡــــــــ بِسۡمِــــــــ).ـمِ

والصفات على وفق آرائهم الفاسدة.

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ . قول أبي عبد الله القرطبي.

قال –رحمه الله تعالى– عند تفسير قوله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران:7]،

فيه تسع مسائل، ثم ذكرها فقال: الثانية : اختلف العلماء في المحكمات والمتشابهات على أقوال عديدة. فقال جابر بن عبدالله وهو مقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما: "المحكمات من آي القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه. قال بعضهم: وذلك مثل وقت قيام الساعة، وخروج يأجوج ومأجوج والدجال وعيسى، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور". ثم قال: قلت: هذا أحسن ما قيل في المتشابه.

ثم قال بعد أن سرد الأقوال في معنى التشابه والإحكام: الثامنة : –قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾اختلف العلماء في ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾هل هو ابتداء كلام مقطوع مما قبله، أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع؟ فالذي عليه الأكثر أنه مقطوع مما قبله، وأن الكلام تم عند قوله: "إلا الله"، هذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم، وهو مذ هب الكسائي والأخفش والفراء وأبي عبيد وغيرهم. قال أبو نهيك الأسدي: إنكم تصلون هذه الآية وإنها مقطوعة، وما انتهى علم الراسخين إلا إلى قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾. وقال مثل هذا عمر بن عبدالعزيز. وحكى الطبري نحوه عن يونس عن أشهب عن مالك بن أنس. و"يقولون" على هذا خبر "الراسخون".

قال الخطابي: وقد جعل الله تعالى آيات كتابه الذي أمرنا بالإيمان به والتصديق بما فيه قسمين: محكماً ومتشابهاً، فقال عز من قائل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ ... إلى قوله: ﴿كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ فاعلم أن المتشابه من الكتاب قد استأثر الله بعلمه فلا يعلم تأويله أحد غيره، ثم أثنى الله عز وجل على الراسخين في

العلم بأنهم يقولون: آمنا به؛ ولولا صحة الإيمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه.

ومذهب أكثر العلماء أن الوقف التام في هذه الآية إنما هو عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وأن ما بعده استئناف كلام آخر، وهو قوله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾. وروي ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وعائشة. وإنما روي عن مجاهد أنه نسق "الراسخون" على ما قبله وزعم أنهم يعلمونه. ...

ثم قال القرطبي بعد أن ذكر أنه لم يقل بقول مجاهد أحد ممن يعتد به ... قلت: ما حكاه الخطابي من أنه لم يقل بقول مجاهد غيره، فقد روي عن ابن عباس أن الراسخين معطوف على اسم الله عز وجل، وأنهم داخلون في علم المتشابه، وأنهم مع علمهم به يقولون آمنا به. وقاله الربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم بن محمد وغيرهم ...
واحتج قائلو هذه المقالة أيضا بأن الله سبحانه مدحهم بالرسوخ في العلم؛ فكيف يمدحهم وهم جهال، وقد قال ابن عباس: "أنا ممن يعلم تأويله".

ثم قال القرطبي -رحمه الله- مبيناً موقف أهل العلم من المحكم والمتشابه وأن منهجهم في ذلك رد المتشابه إلى المحكم حيث أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فما أحكم في موضع بين في موضع آخر، وما أطلق في موضع قيد في موضع آخر فقال: "التاسعة: قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، فيه ضمير عائد على كتاب الله تعالى محكمه ومتشابهه، والتقدير: كله من عند ربنا. وحذف الضمير لدلالة "كل" عليه؛ إذ هي لفظة تقتضي الإضافة. ثم قال: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، أي: ما يقول هذا ويؤمن ويقف حيث وقف ويدع اتباع المتشابه إلا ذو لب، وهو العقل"[1].

ومما تقدم يتبين لنا موقف القرطبي من المحكم والمتشابه وأنه يرى أن المحكم في معناه العام هو ما لا يعلم تأويله إلا الله، وأن العلماء لا يعلمون ذلك ولا يكلفون أنفسهم بتتبعه؛ وإنما يقفون حيث وقف بهم علمهم ويردون علم ما لا يعلمونه إلى عالمه سبحانه وتعالى، وأنه يجب رد المتشابه إلى المحكم.

وهذا فيما يتعلق بكيفية صفات الله عز وجل، فإن السلف الصالح يؤمنون بأسماء الله وصفاته، ويعرفون معناها، ويفوضون علم الكيفية إلى الله عز وجل. ويدل لذلك قول

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، ([illegible]).

الإمام مالك -رحمه الله- في الاستواء: "الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، وكذلك ما روى عن جمع من السلف قولهم في آيات الصفات وأحاديثها: "أمروها كما جاءت".

ٱلرَّحِيمِ. **قول العلامة محمد الأمين الشنقيطي.**

قال -رحمه الله-: اعلم أن بعض الآيات دل على كون القرآن كله محكماً كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:1] وغيرها من الآيات.

وبعضها دل على كونه كلّه متشابهاً، وهو قوله: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزُّمَر:23].

وبعضها دل على أن منه محكماً ومنه متشابهاً، وهو قوله تعالى: :﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ [آل عمران:7].

ولا معارضة بين الآيات؛ لأن معنى كونه كله محكماً هو اتصاف جميعه بالإحكام الذي هو الإتقان، لأن جميعه في غاية الإتقان في ألفاظه ومعانيه، أحكامه عدل، وأخباره صدق، وهو في غاية الفصاحة والإعجاز والسلامة من جميع العيوب.

ومعنى كونه كلّه متشابهاً أن آياته يشبه بعضها بعضاً في الإعجاز والصدق والعدل والسلامة من جميع العيوب.

ومعنى أن منه أيات محكمات وأخر متشابهات، اختلف فيه اختلافاً مبنياً على الاختلاف في معنى الواو في قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾. فمن قال: إن الواو استئنافية والراسخون مبتدأ خبره جملة: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ والوقف تام على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فإنه يفسر المتشابه بأنه ما استأثر الله بعلمه. وعلى هذا القول أكثر أهل العلم.

وعليه درج صاحب المراقي بقوله:

وما به استأثر علمُ الخالق   فذا تشابهٌ عليه أطلقِ

وهو على هذا القول واضحٌ؛ لأن الضمير في قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ راجع إلى ما تشابه منه، وهو بعينه المتشابه.

ومن قال بأن الواو عاطفة، فإنه فسر المتشابه بما يعلمه الراسخون في العلم دون غيرهم، كالآيات التي ظاهرها التعارض وهي غير متعارضة في نفس الأمر كقوله: ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [القصص:78]وقوله: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الرحمن:39] مع قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الحجر:92] وقوله: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ

ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الأعراف:6]، ونحو ذلك من الآيات.

وقول من قال: إن المتشابه القصص والأمثال، فسر المتشابه بما يشبه بعضه بعضاً؛ لأن قصص الأمم الماضية يشبه بعضه بعضاً، وكذلك الأمثال.

ورجح المؤلف -رحمه الله- يعني: ابن قدامة المقدسي، أن المتشابه ما استأثر الله بعلمه وأن الوقف تام على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، أي: وما يعلم تأويله إلا الله وحده، بقرائن في الآية:

فمن القرائن المعنوية اللفظية: أنه لو أراد عطف الراسخين لقال: "ويقولون" بالواو.

ومن القرائن المعنوية: أنه ذم مبتغي التأويل، ولو كان ذلك معلوماً للراسخين لكان مبتغيه ممدوحاً لا مذموماً، ولأن قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ يدل على نوع تفويض وتسليم لشيء لم يقفوا على معناه، لا سيما إذا أتبعوه بقوله: ﴿كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾، فذكرهم ربهم هنا يعطي الثقة به والتسليم لأمره وأنه من عنده كالمحكم؛ ولأن لفظة (أما) في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ﴾ لتفصيل الجمل: فذكره لها في الذين في قلوبهم زيغ مع وصفه إياهم باتباع المتشابه وابتغاء تأويله يدل على قسم آخر يخالفهم في هذه الصفة وهم الراسخون، ولو كانوا يعلمون تأويله لم يخالفوا القسم الأول بابتغاء التأويل.

قال مقيده -عفا الله عنه-:

مراده أن قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ﴾ الآية، يفهم منه ما مضمونه: وأمَّا الراسخون في العلم فلا يبتغون ما تشابه منه ولا يبتغون تأويله.

ثم استدرك الشنقيطي -رحمه الله- على الإمام المقدسي إطلاق التشابه على صفات الله عز وجل فقال: وقول المؤلف -رحمه الله- في هذا المبحث: (والصحيح أن المتشابه ما ورد في صفات الله سبحانه وتعالى مما يجب الإيمان به، ويحرم التعرض لتأويله، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:5] ...) إلى آخره لا يخلو من نظر؛ لأن آيات الصفات لا يُطلق عليها اسم المتشابه بهذا المعنى من غير تفصيل

لأن معناها معلوم في اللغة العربية وليس متشابهاً، ولكن كيفية اتصافه جلَّ وعلا بها ليست معلومة للخلق.

وإذا فسرنا المتشابه بأنه هو ما استأثر الله بعلمه دون خلقه، كانت كيفية الاتصاف داخلة فيه لا نفس الصفة.

وإيضاحه أن (استوى) إذا عدِّيَ ب(على) معناه في لغة العرب: الارتفاع والاعتدال، ولكن كيفية اتصافه جلَّ وعلا بهذا المعنى المعروف عند العرب لا يعلمها إلا الله جلَّ وعلا كما أوضح هذا التفصيل إمام دار الهجرة مالك بن أنس تغمَّده الله برحمته، بقوله: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول".

فقوله -رحمه الله-: "الاستواء غير مجهول" يوضح أن أصل صفة الاستواء ليست من المتشابه، وقوله: "والكيف غير معقول" يبين أن كيفية الاتصاف تدخل في المتشابه بناءً على تفسيره بما استأثر الله تعالى بعلمه كما تقدم.

وهذا التفصيل لا بد منه، خلافاً لظاهر كلام المؤلف -رحمه الله-.

وقد بسطنا الكلام بإيضاح هذه المسألة في كتابنا "أضواء البيان" في أول سورة آل عمران، والعلم عند الله تعالى.

فإن قيل: إن فسرنا المتشابه بأنه ما استأثر الله بعلمه، فما الحكمة في خطاب الخلق بما لا يفهمونه؟ فالجواب: أن الله تعالى يمتحن خلقه بما شاء، فلا مانع من أن يكلفهم الإيمان بما لا يعلمون معناه امتحاناً وابتلاء لهم. ويدل لهذا الوجه ما ذكره تعالى عن الراسخين في العلم من قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾، فإنهم آمنوا به لأنهم علموا أنه من عند ربهم كالمحكم، والله تعالى أعلم"(1).

وقال -رحمه الله-: "قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ الآية. لا يخفى أن هذه الواو محتملة للاستئناف، فيكون قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿يَقُولُونَ﴾، وعليه فالمتشابه لا يعلم تأويله إلا الله وحده، والوقف على هذا تام على لفظة الجلالة ومحتملة لأن تكون عاطفة، فيكون قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ معطوفاً على لفظ الجلالة، وعليه فالمتشابه يعلم تأويله: الراسخون في العلم أيضاً، وفي الآية إشارات تدل على أن الواو استئنافية لا عاطفة.

---

(1) مذكرة أصول الفقه، (ص/92-96).

قال ابن قدامة في روضة الناظر ما نصه: ولأن في الآية قرائن تدل على أن الله سبحانه متفرد بعلم المتشابه، وأن الوقف الصحيح عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لفظاً ومعنىً: أما اللفظ فلأنه لو أراد عطف الراسخين لقال: ويقولون آمنا به بالواو، أما المعنى فلأنه ذم مبتغى التأويل، ولو كان ذلك للراسخين معلوماً لكان مبتغيه ممدوحا لا مذموما؛ ولأن قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ يدل على نوع تفويض وتسليم لشيء لم يقفوا على معناه، سيما إذا أتبعوه بقولهم: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، فذكرهم ربهم هاهنا يعطي الثقة به والتسليم لأمره، وأنه صدر من عنده كما جاء من عنده المحكم؛ ولأن لفظة أما لتفصيل الجمل، فذكره لها في: ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ مع وصفه إياهم باتباع المتشابه وابتغاء تأويله يدل على قسم آخر يخالفهم في هذه الصفةوهم الراسخون، ولو كانوا يعلمون تأويله لم يخالفوا القسم الأول في ابتغاء التأويل، وإذ قد ثبت أنه غير معلوم التأويل لأحد فلا يجوز حمله على غير ما ذكرناه" [1].

ومما يؤيد أن الواو استئنافية لا عاطفة، دلالة الاستقراء في القرآن: أنه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئاً وأثبته لنفسه، أنه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك كقوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:65]، وقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف:187]، وقوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:88]، فالمطابق لذلك أن يكون قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، معناه: أنه لا يعلمه إلا هو وحده كما قاله الخطابي وقال: لو كانت الواو في قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ للنسق، لم يكن لقوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ فائدة، والقول بأن الوقف تام على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وأن قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ ابتداء كلام هو قول جمهور العلماء للأدلة القرآنية التي ذكرنا. وممن قال بذلك: عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وابن مسعود وأبي بن كعب، نقله عنهم القرطبي وغيره، ونقله ابن جرير عن يونس عن أشهب عن مالك بن أنس، وهو مذهب الكسائي والأخفش والفراء وأبي عبيد.

---

(1) انظر روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة، (1/280-281).

وقال أبو نهيك الأسدي: إنكم تصلون هذه الآية وإنها مقطوعة، وما انتهى علم الراسخين إلا إلى قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، والقول بأن الواو عاطفة مروي أيضاً عن ابن عباس، وبه قال مجاهد والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم بن محمد وغيرهم. وممن انتصر لهذا القول وأطال فيه ابن فورك. ونظير الآية في احتمال الاستئناف والعطف قول الشاعر:

الريح تبكي شجوها   والبرق يلمع في الغمامة

فيحتمل أن يكون والبرق مبتدأ، والخبر يلمع كالتأويل الأول، فيكون مقطوعا مما قبله، ويحتمل أن يكون معطوفا على الريح، ويلمع في موضع الحال على التأويل الثاني أي: لامعاً.

واحتج القائلون بأن الواو عاطفة بأن الله سبحانه وتعالى مدحهم بالرسوخ في العلم فكيف يمدحهم بذلك وهم جهال.

قال القرطبي: قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمرو: هذا القول هو الصحيح؛ فإن تسميتهم راسخين يقتضي أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب، وفي أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع. انتهى منه بلفظه.

قال مقيده -عفا الله عنه- يجاب عن كلام شيخ القرطبي المذكور بأن رسوخهم في العلم هو السبب الذي جعلهم ينتهون حيث انتهى علمهم ويقولون فيما لم يقفوا على علم حقيقته من كلام الله جل وعلا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، بخلاف غير الراسخين فإنهم يتبعون: ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾، وهذا ظاهر. وممن قال بأن الواو عاطفة الزمخشري في تفسيره "الكشاف". والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

وقال بعض العلماء: والتحقيق في هذا المقام أن الذين قالوا هي عاطفة، جعلوا معنى التأويل "التفسير وفهم المعنى" كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم علمه التأويل" ، أي: التفسير وفهم معاني القرآن، والراسخون يفهمون ما خوطبوا به وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه.

والذين قالوا هي استئنافية جعلوا معنى التأويل حقيقة ما يؤول إليه الأمر، وذلك لا يعلمه إلا الله، وهو تفصيل جيد ولكنه يشكل عليه أمران:

الأول: قول ابن عباس رضي الله عنهما: "التفسير على أربعة أنحاء: تفسيرٌ لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله". فهذا تصريح من ابن عباس أن هذا الذي لا يعلمه إلا الله بمعنى التفسير، لا ما تؤول إليه حقيقة الأمر. وقوله هذا ينافي التفصيل المذكور.

الثاني: أن الحروف المقطعة في أوائل السور لا يعلم المراد بها إلا الله، إذ لم يقم دليل على شيء معين أنه هو المراد بها من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا من لغة العرب؛ فالجزم بأن معناها كذا على التعيين تحكم بلا دليل[1].

وقال في موضع آخر مؤكداً أن آيات الصفات ليست من المتشابه وإنما هي من المحكم في معناها حيث أن معاني هذه الصفات معروفة، وأما كيفيتها فهي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، فيؤمن به أهل السنة ويكلون علمه إلى الله تعالى، حيث يقول: "واعلموا أن آيات الصفات، كثير من الناس يطلق عليها اسم المتشابه، وهذا من جهةٍ غلط ومن جهة قد يسوغ، كما بينه الإمام مالك بن أنس. أما المعاني فهي معروفة عند العرب كما قال الإمام مالك بن أنس –رحمه الله–: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة"، كذلك يقال في النزول: النزول غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة. واطرده في جميع الصفات؛ لأن هذه الصفات معروفة عند العرب، إلا أن ما وصف به خالق السماوات والأرض منها أكمل وأجل وأعظم من أن يشبه شيئاً من صفات المخلوقين، كما أن ذات الخالق جل وعلا حق، والمخلوقون لهم ذوات، وذات الخالق جل وعلا أكمل وأنزه وأجل من أن تشبه شيئاً من ذوات المخلوقين.

(1) أضواء البيان، (2/316-320).

فعلى كل حال: الشرُّ كل الشرِّ في تشبيه الخالق بالمخلوق وتنجيس القلوب بقـــذر التشبيه. فالإنسان المسلم إذا سمع صفة وُصِفَ بها الله، أول ما يجب عليه أن يعتقد أن تلك الصفة بالغة من الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينـــه وبـــين صـــفات المخلوقين، فتكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنـــزيه على نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]"[1].

ومما تقدم يتبين لنا موقف أئمة المالكية من المحكم والمتشابه، وأنهم يعملون بـــالمحكم ويؤمنون بالمتشابه ويقولون كل من عند ربنا، وأنهم يرون أن نصوص الصفات معلومـــة من حيث المعنى ومجهولة الكيف، وقاعدتهم في ذلك مقولة إمامهم إمام دار الهجرة، الـــتي هي قاعدة لأهل السنة في جميع الصفات.

كما أن هذا المنهج قد سار عليه أسلاف المالكية ومتأخروهم، مما يدل على اتفاقهم -رحمهم الله- على هذا الأمر.

وهذا الموقف من أئمة المالكية هو موقف أهل السنة والجماعة. يقول شيخ الإســـلام أبو العباس بن تيمية -رحمه الله- في الرد على من قال: إن نصوص الصفات من المتشابه الذي لا يفهم معناه: "وأما إدخال أسماء الله أو بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، أو اعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله... كما يقول: "لكل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم، فإنهم وإن أصابوا في كثير مما يقولونـــه ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم، فالكلام على هذا من وجهين:

الأول: من قال: إن هذا من المتشابه وأنه لا يفهم معناه، فنقول: أما الـــدليل علـــى بطلان ذلك فإني لا أعلم أحداً من سلف الأمة ولا من الأئمة، لا أحمد بـــن حنبـــل ولا غيره، أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنـــزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قـــالوا: إن الله ينـــزل كلاماً لا يفهم أحد معناه؛ وإنما قالوا: كلمات لها معان صحيحة، قـــالوا في أحاديـــث الصفات: تمر كما جاءت. ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها"[2].

---

(1) المحاضرات، (ص/111-112).

(2) مجموع الفتاوى، (13/294-295).

وبمثل هذا قال شمس الدين ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: "الصحابة والتابعون فسروا القرآن وعلموا المراد بآيات الصفات كما علموا المراد من آيات الأمـــر والنـــهي وإن لم يعلموا الكيفية، كما علموا معاني ما أخبر الله به في الجنة والنار وإن لم يعلمـــوا حقيقـــة كنهه وكيفيته. فمن قال من السلف : إن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله فهو حق. وأمـــا من قال: إن التأويل الذي هو تفسيره وبيان المراد منه لا يعلمـــه إلا الله فهـــو غلـــط، والصحابة والتابعون وجمهور الأمة على خلافه"[1].

(1) مختصر الصواعق، (312/1).

المطلب الثاني: موقفهم من التأويل. وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: معنى التأويل في اللغة.

التأويل في اللغة يدل على معنيَيْن:

- **الأول:** المرجع والمصدر والعاقبة.

قال ابن فارس المالكي -رحمه الله-: "أول: الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاؤه... وآل يؤول أي رجع. قال يعقوب: يقال: "أول الحكم إلى أهله" أي: أرجعه ورده إليهم. قال الأعشى [(1)]:

أوِّل الحكم إلى أهله [(2)]

وقال الخليل: آل اللبن يؤول أولاً وأُوُولاً: خثر، وكذلك النبات. قال أبو حاتم: آل اللبن على الإصبع، وذلك أن يروب فإذا جعلت فيه الإصبع قيل: آل عليها. وآل القطران، إذا خثر. وآل جسم الرجل إذا نحف. وهو من الباب؛ لأنه يحور ويحري، أي يرجع إلى تلك الحال. والإيالة السياسة من هذا الباب؛ لأن مرجع الرعية إلى راعيها. قال الأصمعي: آل الرجل رعيته يؤولها إذا أحسن سياستها. قال الراجز:

يؤولها أول ذي سياس.

وتقول العرب في أمثالها: "أُلْنا وإيل علينا" أي سسنا وساسنا غيرنا. وقالوا في قول لبيد:

بمؤتر تأتاله إبهامها [(3)].

هو تفتعل من ألته أي أصلحته. ورجل آيل مال، مثال خائل مال، أي سائسه. قال

---

(1) ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس ويقال له: أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير: من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات.كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وقد لقب بصناجة العرب. انظر ترجمته في الأغاني (127/7)، والأعلام (341/7)، وانظر شرح المعلقات للتبنريزي، تقديم: عمر الطباع، (ص/293).

(2) لم أجده في ديوان الأعشى بهذا اللفظ، والذي في الديوان قوله:

أوّول الحكم على وجهه ... ليس قضائي بالهوى الجائر

(3) ديوان لبيد، (103/1)، وأوله:

بصبوح صافية وجذب كرينةٍ ... بموتر تأتاله إبهامها

الأصمعي: يقال رددته إلى آيلته أي طبعه وسوسه، وآل الرجل أهل بيته من هذا أيضاً؛ لأنه إليه مآلهم وإليهم مآله. وهذا معنى قولهم يا آل فلان. وقال طرفة:

تحسب الطرف عليها نجدة يآل قومي للشباب المسبكرِ(1)

ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ﴾ [الأعراف:53]. يقول: ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم. وقال الأعشى:

على أنها كانت تأول حبها تأول ربعي السقاب فأصحبا(2).

يريد مرجعه وعاقبته. وذلك من آل يؤول(3).

وقال الراغب: "التأويل رد الشيء إلى الغاية المرادة منه قولاً كان أو فعلاً"(4) أي: العاقبة.

- **الثاني**: التفسير.

أول الكلام تأويلاً، وتأوله دبره وقدره وفسره. وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: "التأويل والمعنى والتفسير واحد"(5).

وقال أبو عبيد: "التأويل: التفسير"، وفسره أيضاً بالمرجع والمصير(6).

وقال الطبري-رحمه الله-: "وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير"(7).

وقال الليث: "التأول والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه"(8).

---

(1) ديوان طرفة، (26/1).

(2) ديوان الأعشى، (1/1).

(3) معجم مقاييس اللغة، مادة أول، (ص/81-82)

(4) تاج العروس، 215/7).

(5) لسان العرب، (34/13).

(6) مجاز القرآن، (18/1-19).

(7) تفسير الطبري، (184/3).

(8) لسان العرب، (34/13).

المسألة الثانية: معنى التأويل في الاصطلاح.

التأويل في اصطلاح السلف يطابق المعنى اللغوي، فهو عندهم بمعنى: العاقبة والتفسير، فيأتي بمعنى العاقبة وهو الغالب في استعمال القرآن الكريم، ويأتي بمعنى التفسير وهو كذلك في اصطلاح الصحابة والسلف الصالح.

- **فمن الأول:**

بِسْـــــــ . قول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:7] على القول بالوقف على لفظ الجلالة، فالتأويل هنا بمعنى العاقبة، أي: لا يعلم حقيقة وعاقبة ما أخبر الله به في كتابه من أمور الغيب إلا هو سبحانه؛ لأن الغيب مما استأثر الله بعلمه[1].

ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ . وقوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:6]،

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:21] ، وقوله: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ [يوسف:36]، وقوله: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ [يوسف:37]، وقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف:44]، وقوله: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف:100]. وكل هذه بمعنى العاقبة والمآل؛ لأن تأويل الرؤيا هو مدلولها في الخارج.

ٱلرَّحِيمِ . وقوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:53]. والمعنى: أي ما وعدوا به من العذاب والنكال، والجنة والنار، قاله مجاهد وغير واحد. وقال مالك: ثوابه، وقال الربيع: لا يزال يجيء من تأويله أمر حتى يأتي يوم الحساب، حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، فيتم تأويله. وفسر مجاهد التأويل بالجزاء، وفسره قتادة بالثواب، والسدي بالعاقبة، وابن زيد

---

(1) انظر المنهج السلفي، (ص/147).

بالحقيقة"[1].

بِسْــــــ . وقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:59]، أي عاقبة كما فسره بذلك السدي وابن زيد[2].

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ . وقوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [الكهف:82]

ٱلرَّحِيمِ . قول أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- حيث قالت وهي تصف حال النبي صلى الله عليه وسلم في آخر عمره: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن"[3].

قَالَ . قول قتادة -رحمه الله- حيث قال في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [المُلك:5]، "خلق الله هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به"[4].

- **ومن الثاني:** وهو التفسير.

بِسْــــــ . دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- بقوله:

"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[5] أي التفسير.

قول جابر بن عبد الله وهو يصف حجة النبي صلى الله عليه وسلم: "... ورسول الله

---

(1) انظر: تفسير ابن جرير، (479/12)، وتفسير ابن كثير، (425/3).

(2) انظر: تفسير ابن جرير، (507/8-508)

(3) خرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: التسبيح والدعاء في السجود.

(4) المصدر السابق، كتاب بدء الخلق.

(5) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: فضائل عبد الله بن عباس.

صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، وعليه ينـــزل القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل بـــه من شيء عملنا به". ومعنى قوله-رضي الله عنه-: وهو يعرف تأويله أي: تفسيره، وقوله: وما عمل به أي: تأويل ما أمر به أو نهى عنه كما ذكر ذلك ابن القيم-رحمه الله-[1].

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ . ذكر بعض المفسرين التأويل بمعنى التفسير كما هو صنيع أبي عبيدة في مجاز القرآن،

والطبري في التفسير. فهذه أقوال أهل السنة في معنى التأويل.

وأئمة المالكية لا يخرجون عن هذه الأقوال، ومن أمثلة ذلك:

بِسۡـــــــــمِ . **قول الإمام القرطبي -رحمه الله-** حيث قال عند تفســـير قولـــه تعالى: ﴿وَمَا يَعۡـلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، "والتأويل يكون بمعنى التفسير، كقولك: تأويل هذه الكلمة على كذا، ويكون بمعنى ما يؤول الأمر إليه. واشتقاقه من آل الأمر إلى كذا، يؤول إليه، أي: صار، وأولته تأويلا أي صيرته. وقد حده بعض الفقهاء فقالوا: هو إبداء احتمـــال في اللفـــظ مقصود بدليل خارج عنه. فالتفسير بيان اللفظ كقوله: ﴿لا ريـــب فيـــه﴾ [البقـــرة: ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ] أي: لا شك، وأصله من الفسر وهو البيان؛ يقـــال: فســـرت الشـــيء "مخففاً" أفسِره "بالكسر" فسراً. والتأويل بيان المعنى[2].

وقال: ... وفي قوله عليه السلام لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" ما يبين لك ذلك: أي علمه معاني كتابك.

فقد بين -رحمه الله- أن التأويل يطلق ويراد به التفسير وهو البيان والإيضاح، وهو المقصود بقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس. ويطلق ويراد به العاقبـــة والمآل، وهذان القولان لا يخرجان عن أقوال السلف كما تقدم.

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ . **قول العلامة محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-** حيث قال عند قولـــه تعـــالى:

---

(1) انظر الصواعق المرسلة، (181/1).

(2) الجامع، (15/4).

"﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، "يحتمل أن المراد بالتأويل في هذه الآية الكريمة التفسير وإدراك المعنى، ويحتمل أن المراد به حقيقة أمره التي يؤول إليها. ... وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الغالب في القرآن إطلاق التأويل على حقيقة الأمر التي يؤول إليها كقوله: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف:100]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾الآية [الأعراف:53]، وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس:39]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:59]، إلى غير ذلك من الآيات".

وزاد المسألة إيضاحاً فقال: "اعلم أن التأويل يطلق على ثلاث إطلاقات:

الأول: هو ما ذكرنا من أنه الحقيقة التي يؤول إليها الأمر، وهذا هو معناه في القرآن.

الثاني: يراد به التفسير والبيان، ومنه بهذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل".

الثالث: هو معناه المتعارف في اصطلاح الأصوليين، وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك. وحاصل تحرير مسألة التأويل عند أهل الأصول أنه لا يخلو من واحدة من ثلاث حالات بالتقسيم الصحيح".

ثم بين هذه الثلاث فقال:

"الأولى: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره بدليل صحيح في نفس الأمر يدل على ذلك، وهذا هو التأويل المسمى عندهم بالتأويل الصحيح والتأويل القريب.

الحالة الثانية: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلاً وليس بدليل في نفس الأمر، وهذا هو المسمى عندهم بالتأويل الفاسد، والتأويل البعيد.

الحالة الثالثة: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لا عن دليل أصلاً، وهذا يسمى في اصطلاح الأصوليين لعبا"[1].

وسيأتي -إن شاء الله تعالى- مزيد إيضاح لموقفه -رحمه الله- في هذا الباب المهم.

---

(1) أضواء البيان، (313/1-316).

المسألة الثالثة: معنى التأويل عند المتكلمين، وموقف أئمة المالكية منه.

بعد أن ذكرنا معنى التأويل عند أهل السنة ومنهم المالكية يحسن بنا أن نبين معنى التأويل عند المتكلمين ثم نتبعه بموقف أئمة المالكية من التأويل.

فالتأويل عند المتكلمين هو: "صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به"(1). وقد بنوا ذلك على أمرين:

أولاً: أنه يجوز عندهم التعارض بين العقل والنقل، ويبنى على ذلك.

ثانياً: وجوب تقديم الدليل العقلي عند التعارض المزعوم عندهم(2).

ومن أمثلة ذلك عند المتكلمين ما ذكره أبو حامد الغزالي حيث يقول: "كل خبر مما يشير إلى إثبات صفة للباري تعالى يشعر ظاهره بمستحيل في العقل نظر إن تطرق إليه التأويل قبل وأول، وإن لم يندرج فيه احتمال تبين على القطع كذب الناقل، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مسدد أرباب الألباب ومرشدهم، فلا يظن به أن يأتي بما يستحيل في العقل"(3).

ويقول ابن رشد مبيناً معنى التأويل في نظره: "ونحن نقطع قطعاً أن كل ما أدى إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع، أن ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي، وهذه قضية لا يشك فيها مسلم ولايرتاب بها مؤمن"(4).

وهذا هو الذي ذهب إليه الرازي حيث يقول: "هذه الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة أو يقال إنها صحيحة إلا أن المراد بها غير ظواهرها، ثم إن جوزنا التأويل واشتغلنا على سبيل التبرع بذكر التأويلات على التفضيل وإن لم نجد التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى"(5).

---

(1) انظر: الحدود للباجي (ص/48)، التعريفات للجرجاني (ص/28)، الأحكام للآمدي (199/2).

(2) انظر: أساس التقديس (ص/211)، درء تعارض العقل والنقل (12/1).

(3) انظر: المنخول في تعليقات الأصول، (ص/286).

(4) فصل المقال، (ص/33).

(5) أساس التقديس، (211).

ولقد ذم أهل السنة والجماعة أهل الكلام وردوا عليهم وبينوا فساد ما ذهبوا إليه وأن هذا القول منهم يقتضي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين لأمته ما أنزل إليه مما فيه صلاحهم وسعادتهم ولا سيما في أعز شيء وهو توحيد الله عز وجل حتى جاء أفراخ المعتزلة فبينوا الحق -سبحانك هذا بهتان عظيم-، أو أن الصحابة لم يفهموا الحق وهو أن ظاهر النصوص غير مراد به وهو باطل، أو فهموه ولكنهم كتموه ولم يقوموا بواجب النصح للمسلمين، وهذا من أبطل الباطل[1].

وإذا تبين ضلال المتكلمين في هذا الباب وأن أهل السنة والجماعة قد بينوا انحرافهم وأوضحوا الحق، فإن لأئمة المالكية جهود في الردّ على هؤلآء الضلال، ويتبين ذلك من خلال الآتي:

موقف الإمام مالك -رحمه الله- من نصوص الكتاب والسنة ووجوب الاستدلال بها وأن الواجب التوقف في مسائل الدين، ومنها العقيدة حتى يأتي النص المبين لذلك.

يقول -رحمه الله-: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام المسلمين وسيد العالمين إذا سئل عن الشيء لا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء، فإذا كان رسول رب العالمين لا يجيب إلا بالوحي وإلا لم يجب فمن الجرأة العظيمة إجابة من أجاب برأيه أو قياس أو تقليد من يحسن الظن به أو عرف أو عادة او سياسة أو ذوق أو كشف أو منام أو استحسان أو حرص، والله المستعان على كل من يبدل دينه"[2].

فانظر كيف جعل الأخذ بالآراء أو القياس أو أقوال المتبوعين بغير دليل تبديل للدين وضلال مبين. وفي هذا أعظم رد على أولئك الذين يصرفون ظواهر نصوص الكتاب والسنة الصحيحة الصريحة عن دلالتها لمعارضتها للعقول على حد قولهم.

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (15/5)، التمهيد لابن عبد البر (145/7)، الصواعق المرسلة (234/1-235).

(2) إيقاظ همم أولي البصائر للفلاني (ص/99)، وانظر: منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة للدكتور سعود الدعجان، (ص/92).

وكان –رحمه الله– كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر:

وخير أمور الدين ما كان سنة   وشر الأمور المحدثات البدائع(1)

وقال –رحمه الله– مبيناً الموقف الصحيح من نصوص الكتاب والسنة: "والتسليم للسنن لا تعارض برأي ولا تدافع بقياس، وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ونتبعهم فيما بينوا ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله"(2).

فبين –رحمه الله– أن الواجب اتباع السنة واتباع السلف الصالح في تفسيرهم للنصوص وأن الواجب الإمساك عما أمسكوا عنه وعدم الخروج عما أجمعوا عليه، وفي ذلك السلامة والنجاة.

وقال محذراً من البدع في أمور الدين مبيناً أن لسان حال صاحب البدع يقول: إن الدين يحتاج إلى زيادة، وذلك ضلال يؤدي بصاحبه إلى الهلاك في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة: "من ابتدع بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:3](3).

وفي رواية عنه أنه قال: من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الدين؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:3](4).

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ . **قول الإمام ابن عبد البر –رحمه الله–.**

قال: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة

---

(1) انظر منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة، (ص/92).

(2) الجامع لابن أبي زيد، (ص/ 148-149)

(3) منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة (ص:101).

(4) الاعتصام، (62/1).

والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة. وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود. والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة ..."[1].

فقد بين -رحمه الله- أن أهل السنة يستدلون بنصوص الكتاب والسنة على إثبات صفات الله عز وجل ويحملونها على الحقيقة ولا يؤولونها، وأن هذا هو الصواب وهو الواجب اعتقاده والعمل به.

وقال مبيناً منهج السلف الصالح تجاه النصوص وهو اجراؤها على ظاهرها مع اعتقاد معناها وما دلت عليه: "روينا عن مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان بن سعيد وسفيان بن عيينة ومعمر بن راشد في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قال: أمروها كما جاءت"[2].

ٱلرَّحِيمِ . **قول القاضي عبد الوهاب -رحمه الله-** حيث يقول في شرح رسالة أبي زيد:

"والذي نذهب إليه إثبات ذلك على ما ورد به القرآن وصحت به الآثار، ولا ندفعه ولا نعارضه بقياس... ولا حاجة بنا إلى ترك الظواهر وإخراجها عن مفهومها ونقلها عما وضعت له من غير حجة توجب ذلك، ولأن القرآن هو الحجة والعبرة وبه النصرة والاعتبار فليت شعري إذا تركناه فأي شيء هو أولى منه نأخذ به لولا الحيرة والجهل والعناد والشرك، نعوذ بالله من كل ما يضل عن الطريق المنهج ... ولا شيء يضطرنا إلى حمل ظواهرنا وأخبارنا على المجاز والعدول عن حقيقة الكلام وخرق إجماع الصحابة والسلف وأهل التفسير"[3].

فقد بين -رحمه الله- أن الواجب تجاه النصوص إجراؤها على ظاهرها وعدم إخراجها عما وضعت له من غير دليل واضح، وهذا يدل على أنه يقرر عدم جواز تأويل النصوص

---

(1) التمهيد، (149/7).

(2) جامع بيان العلم وفضله، (118/2).

(3) شرح رسالة ابن أبي زيد، (ص/96-97).

على خلاف منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

بِسۡـــــمِ . قول العلامة محمد الأمين الشنقيطي.

قال –رحمه الله– في بيان معاني التأويل عند أهل السنة ومخالفيهم: "اعلموا أن هذا الشيء الذي يقال له: التأويل، الذي فتن الله به الخلق وضل به الآلاف المؤلَّفة من هذه الأمـــة، اعلموا أن التأويل يطلق في الاصطلاح مشتركاً بين ثلاثة معان:

بِسۡـــــ . يطلق على ما تؤول إليه حقيقة الأمر في ثاني حال، وهذا هو معناه في القرآن نحو: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء:59]، ﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ ﴾ [يونس:39] ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الأعراف:53] أي: ما تؤول إليه حقيقة الأمر في ثاني حال.

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ . ويطلق التأويل على التفسير، وهذا قول معروف كقول ابن جرير: "، القول في تأويل قوله تعالى: كذا، أي: تفسيره.

ٱلرَّحِيمِ . أما في اصطلاح الأصوليين، فالتأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لدليل.

وصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه، له عند علماء الأصول ثلاث حالات:

أ– إما أن يصرفه عن ظاهره المتبادر منه لدليل صحيح من كتاب أو سنة، وهذ النوع من التأويل صحيح مقبول لا نزاع فيه. ومثال هذا النوع: ما ثبت عن النبي صـــلى الله عليه وسلم أنه قال: "الجار أحق بصقبه"، فظاهر هذا الحديث ثبوت الشفعة للجـــار، وحَمْل هذا الحديث على خصوص الشريك المقاسم حمْلٌ للفظ على محتمل مرجوح غـــير ظاهر متبادر، إلا أن حديث جابر الصحيح: "فإذا ضربت الحدود وصرفت الطرق فـــلا شفعة" دل على أن المراد بالجار الذي هو أحق بصقبه خصوص الشريك المقاسم. فهـــذا النوع من صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لدليل واضح يجب الرجوع إليه من كتاب وسنة. وهذا تأويل يسمى: تأويلاً صحيحاً وتأويلاً قريباً، ولا مانع منـــه إذا دل عليـــه النص.

ب- الثاني هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لشيء يعتقده المجتهد دليلاً، وهو في نفس الأمر ليس بدليل. فهذا يسمى: تأويلاً بعيداً. ومثل له بعض العلماء بتأويل الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- لفظ "المرأة" في قوله صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل باطل".

قالوا: حمْل هذا على خصوص المكاتبة تأويل بعيد لأنه صرفٌ للفظ عن ظاهره المتبادر منه؛ لأن "امرأة" و"أيّ" صيغة عموم، وأكدت صيغة العموم بـ"ما" المزيدة للتوكيد. فحمْل هذا على صورة نادرة هي المكاتبة، هذا حمْلٌ للفظ على غير ظاهره لغير دليل جازم يجب الرجوع إليه.

ج- أما صرف اللفظ عن ظاهره لا لدليل: فهذا لا يسمى تأويلاً في الاصطلاح، وإنما يقول له الأصوليون لعباً؛ لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. ومن هذا تفسير غلاة الروافض قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة:67]، قالوا: عائشة!.

ومن هذا النوع: صرف آيات الصفات عن ظواهرها إلى محتملات ما أنزل الله بها من سلطان، كقولهم: "استوى" بمعنى "استولى"، فهذا لا يدخل في اسم التأويل؛ لأنه لا دليل يدل عليه البتة، وإنما يسمى لعباً؛ لأنه تلاعب بكتاب الله جل وعلا من غير دليل ولا مستند. فهذا النوع لا يجوز؛ لأنه تهجُّم على كلام رب العالمين. والقاعدة المعروفة عند علماء السلف أنه لا يجوز صرف شيء من كتاب الله ولا سنة رسوله عن ظاهره المتبادر منه إلا بدليل يجب الرجوع إليه.

وكل هذا الشر يا إخوان -اسمعوا نصيحةَ مشفق-، كل هذا الشر إنما جاء من مسألة وهي نجس القلب وتلطخه وتنجسه بأقذار التشبيه.فإذا سمع ذو القلب المتنجس بأقذار التشبيه صفةً من صفات الكمال أثنى الله بها على نفسه، كنزوله إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الأخير، وكاستوائه على عرشه، وكمجيئه يوم القيامة، وغير ذلك من صفات الكمال والجلال، أول ما يخطر في ذهن المسكين أن هذه صفة الخلق، فيكون قلبه متنجساً بأقذار التشبيه، لا يقدر الله حق قدره ولا يعظم الله حق عظمته، حيث يسبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق. فيكون مشبِّهاً أولاً نجسَ القلب متقذِّرَه بأقذار التشبيه، فيدعوه شؤم هذا التشبيه إلى أن ينفي صفة الخالق جل وعلا عنه، بادعاء أنها تشبه صفة المخلوق. فيكون مشبِّهاً أولاً، معطلاً ثانياً، ضالاً ابتداءً وانتهاءً، متهجِّماً على رب العالمين بنفي صفته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق.

واعلموا أن هنا قاعدة أصولية أطبق عليها من يعتدُّ به من أهل العلم وهي: أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة، ولا سيما في العقائد. ولا سيما لو مشينا على فرضهم الباطل: أن ظاهر آيات الصفات الكفر، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤول الاستواء بالاستيلاء، ولم يؤول شيئاً من هذه التأويلات. ولو كان المراد بها هذه التأويلات لبادر النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيانها؛ لأنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة.

فالحاصل أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد الذي يحل جميع الشُّبَه ويجيب عن جميع الأسئلة: أن الإنسان إذا سمع وصفاً وصف به خالق السماوات والأرض نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، فليمتلئ صدره من التعظيم ويجزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين. فيكون القلب منزِّهاً معظِّماً له جل وعلا، غير متنجس بأقذار التشبيه. فتكون أرض قلبه قابلة للإيمان والتصديق بصفات الله التي تمدَّح بها وأثنى عليه بها نبيه صلى الله عليه وسلم، على غرار: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]. والشر كل الشر في عدم تعظيم الله، وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق؛ فيضطر المسكين أن ينفي صفة الخالق بهذه الدعوى الكاذبة الفاجرة الخائنة.

ولا بد في هذا المقام من نقط يتنبه لها طالب العلم:

أولاً: أن يعلم طالب العلم أن جميع الصفات من باب واحد إذ لا فرق بينها البتة؛ لأن الموصوف بها واحد وهو جل وعلا لا يشبه الخلق في شيء من صفاتهم البتة. فكما أنكم أثبتتم له جل وعلا سمعاً وبصراً لائقين بكماله وجلاله لا يشبهان شيئاً من أسماع الحوادث ولا أبصارهم، فكذلك يلزم أن تُجْروا هذا بعينه في صفة الاستواء والنزول والمجيء، إلى غير ذلك من صفات الكمال والجلال التي أثنى الله بها على نفسه.

واعلموا أن رب السماوات والأرض يستحيل عقلاً أن يصف نفسه بما يلزمه محذور أو يلزمه محال أو يؤدي إلى نقص، كل ذلك مستحيل عقلاً. فإن الله لا يصف نفسه إلا بوصف بالغ من الشرف والعلو والكمال ما يقطع جميع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين على حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

الثاني: أن تعلموا أن الصفات والذات من باب واحد، فكما أننا نثبت ذات الله جل وعلا إثبات وجود وإيمان، لا إثبات كيفية مكيفة محددة، فكذلك نثبت لهذه الذات الكريمة المقدسة صفات إثبات إيمان ووجود، لا إثبات كيفية وتحديد.

واعلموا أن آيات الصفات، كثير من الناس يطلق عليها اسم المتشابه، وهذا من جهةٍ غلط ومن جهة قد يسوغ، كما بينه الإمام مالك بن أنس. أما المعاني فهي معروفة عند العرب كما قال الإمام مالك بن أنس -رحمه الله-: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة"، كذلك يقال في النزول: النزول غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة. واطْرُده في جميع الصفات؛ لأن هذه الصفات معروفة عند العرب، إلا أن ما وصف به خالق السماوات والأرض منها أكمل وأجل وأعظم من أن يشبه شيئاً من صفات المخلوقين، كما أن ذات الخالق جل وعلا حق، والمخلوقون لهم ذوات، وذات الخالق جل وعلا أكمل وأنزه وأجل من أن تشبه شيئاً من ذوات المخلوقين.

فعلى كل حال: الشر كل الشر في تشبيه الخالق بالمخلوق وتنجيس القلوب بقذر التشبيه. فالإنسان المسلم إذا سمع صفة وُصِف بها الله، أول ما يجب عليه أن يعتقد أن تلك الصفة بالغة من الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين؛ فتكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه، على نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

وهنا سؤال لا بد من تحقيقه لطالب العلم، أولاً: اعرفوا أن اللفظ -المقرر في الأصول-: أنه إذا دل على معنى لا يحتمل غيره هذا يسمونه "نصًّا" كقوله مثلاً: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة:196]. فإذا كان يحتمل معنيين فلا يخلو من حالتين: إما أن يكون أظهر في أحد الاحتمالين من الآخر، وإما أن يتساوى بينهما. فإن كان الاحتمال يتساوى بينهما فهذا الذي يسمى في الاصطلاح: "المجمل" كما لو قلت: "عدا اللصوص البارحة على عين زيد"، فإنه يحتمل أن تكون عينه الباصرة عوّروها، أو عينه الجارية غَوَّروها، أو عينه ذهبَه وفضَّته سرقوها: فهذا مجمل. وحكم المجمل أن يتوقف عنه إلا بدليل على التفصيل. أما إذا كان نصًّا صريحاً فالنص يعمل به ولا يعدل عنه إلا بـ"الظاهر"، ومقابله يسمى: "محتملاً مرجوحاً" والظاهر يجب الحمل عليه إلا لدليل صارف عنه، كما لو قلت: "رأيت أسداً" فهذا مثلاً ظاهر في الحيوان المفترس، محتمل للرجل الشجاع.

إذاً فنقول: فالظاهر المتبادر من آيات الصفات من نحو قولـــه: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح:10] وقوله في صفة النـــزول وصفة المجيء وما جرى مجرى ذلك، هل نقول: مـــا الظاهر المتبادر من هذه الصفة: أهو مشابهة الخلق، حتى يجب علينا أن نؤول ونصرفه عن ظاهره؟ أو ظاهرها المتبادر منها تنـــزيه رب السماوات والأرض، حتى يجب علينـــا أن نقره على الظاهر من التنـــزيه؟

الجواب: أن كل وصف أسند إلى رب السماوات والأرض فظاهره المتبادر منه عند كل مسلم هو التنـــزيه الكامل عن مشابهة الخلق في شيء من صفاته"[(1)].

وقال -رحمه الله- مبيناً إجماع أهل الإسلام على وجوب العمل بظـــاهر النصـــوص وعدم صرف شيء منها بدون دليل صحيح صريح: "وقد أجمع جميع المسلمين علـــى أن العمل بالظاهر واجب ما لم يرد دليل شرعي صارف عنه إلى المحتمل المرجوح، وعلى هذا كل من تكلم في الأصول.

فتنفير الناس وإبعادها عن كتاب الله وسنة رسوله بدعوى أن الأخذ بظواهرهما من أصول الكفر، هو من أشنع الباطل وأعظمه كما ترى.

وأصول الكفر يجب على كل مسلم أن يحذر منها كل الحذر ويتباعد منـــها كـــل التباعد ويتجنب أسبابها كل الاجتناب، فيلزم على هذا القول المنكر الشـــنيع وجـــوب التباعد من الأخذ بظواهر الوحي،وهذا كما ترى.

وبما ذكرنا يتبين أن من أعظم أسباب الضلال، ادعاء أن ظواهر الكتاب والسنة دالة على معان قبيحة ليست بلائقة، والواقع في نفس الأمر بعدها وبراءها مـــن ذلـــك. وســـبب تلك الدعوى الشنيعة على ظواهر كتاب الله، وسنة رسوله، هو عدم معرفـــة مـــدعيها. ولأجل هذه البلية العظمى، والطامة الكبرى، زعم كثير من النظار الذين عندهم فهم[(2)]، أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها غير لائقة بالله؛ لأن ظواهرها المتبادرة منها هو تشبيه صفات الله بصفات خلقه، وعقد ذلك المقري في إضاءته في قوله:

والنص إن أوهم غير اللائق ... بالله كالتشبيه بالخلائق
فاصرفه عن ظاهره إجماعا ... واقطع عن الممتنع الأطماعا

---

(1) المحاضرات، بتحقيق الشيخ بكر أبو زيد، (ص/107-113).

(2) هكذا، ولعل الصواب: "الذين ليس عندهم فهم"

وهذه الدعوى الباطلة من أعظم الافتراء على آيات الله تعالى وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم.

والواقع في نفس الأمر أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها المتبادرة منها لكل مسلم راجع عقله، هي مخالفة صفات الله لصفات خلقه.

ولا بد أن نتساءل هنا فنقول:

أليس الظاهر المتبادر مخالفة الخالق للمخلوق في الذات والصفات والأفعال؟ والجواب الذي لا جواب غيره: بلى.

وهل تشابهت صفات الله مع صفات خلقه حتى يقال إن اللفظ الدال على صفته تعالى ظاهره المتبادر منه تشبيهه بصفة الخلق؟ والجواب الذي لا جواب غيره: لا.

فبأي وجه يتصور عاقل أن لفظاً أنزله الله في كتابه مثلاً دالاً على صفة من صفات الله أثنى بها تعالى على نفسه، يكون ظاهره المتبادر منه مشابهته لصفة الخلق؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

فالخالق والمخلوق متخالفان كل التخالف وصفاتهما متخالفة كل التخالف. فبأي وجه يعقل دخول صفة المخلوق في اللفظ الدال على صفة الخالق؟ أو دخول صفة الخالق في اللفظ الدال على صفة المخلوق مع كمال المنافاة بين الخالق والمخلوق؟

فكل لفظ دل على صفة الخالق ظاهره المتبادر منه أن يكون لائقاً بالخالق منزهاً عن مشابهة صفات المخلوق. وكذلك اللفظ الدال على صفة المخلوق لا يعقل أن تدخل فيه صفة الخالق.

فالظاهر المتبادر من لفظ اليد بالنسبة للمخلوق، هو كونها جارحة هي: عظم ولحم ودم، وهذا هو الذي يتبادر إلى الذهن في نحو قوله تعالى: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة:38].

والظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في نحو قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:75]، أنها صفة كمال وجلال، لائقة بالله جل وعلا، ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله.

وقد بين جل وعلا عظم هذه الصفة وما هي عليه من الكمال والجلال، وبين أنها من صفات التأثير كالقدرة، قال تعالى في تعظيم شأنها: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر:67]. وبين أنها صفة تأثير كالقدرة، في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:75]، فتصريحه تعالى بأنه خلق نبيه آدم بهذه الصفة العظيمة التي هي من صفات كماله وجلاله يدل على أنها من صفات التأثير كما ترى.

ولا يصح هنا تأويل اليد بالقدرة البتة لإجماع أهل الحق والباطل كلهم على أنه لا يجوز تثنية القدرة. ولا يخطر في ذهن المسلم المراجع عقله، دخول الجارحة التي هي عظم ولحم ودم في معنى هذا اللفظ، الدال على هذه الصفة العظيمة، من صفات خالق السماوات والأرض(1).

ثم حذر من صرف اللفظ عن ظاهره بدعوى الخوف من التشبيه مبيناً أن السبب الحامل على ذلك هو اعتقاد من فعل ذلك التشبيه أولاً، ولذا فر منه إلى التعطيل فقال:

"فاعلم أيها المدعي أن ظاهر لفظ اليد في الآية المذكورة وأمثالها، لا يليق بالله؛ لأن ظاهرها التشبيه بجارحة الإنسان وأنه يجب صرفها عن هذا الظاهر الخبيث، ولم تكتف بهذا حتى ادعيت الإجماع على صرفها عن ظاهرها، أن قولك هذا كله افتراء عظيم على الله تعالى وعلى كتابه العظيم، وأنك بسببه كنت أعظم المشبهين والمجسمين، وقد جرك شؤم هذا التشبيه إلى ورطة التعطيل، فنفيت الوصف الذي أثبته الله في كتابه لنفسه بدعوى أنه لا يليق به، وأولته بمعنى آخر من تلقاء نفسك بلا مستند من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قول أحد من السلف.

وماذا عليك لو صدقت الله وآمنت بما مدح به نفسه على الوجه اللائق بكماله وجلاله من غير كيف ولا تشبيه ولا تعطيل؟

وبأي موجب سوغت لذهنك أن يخطر فيه صفة المخلوق عند ذكر صفة الخالق؟

هل تلتبس صفة الخالق بصفة المخلوق عند أحد حتى يفهم صفة المخلوق من اللفظ

(1) أضواء البيان، (7/474-475)

الدال على صفة الخالق؟

فاخش الله يا إنسان، واحذر من التقول على الله بلا علم، وآمن بما جاء في كتاب الله مع تنزيه الله عن مشابهة خلقه. واعلم أن الله الذي أحاط علمه بكل شيء لا يخفي عليه الفرق بين الوصف اللائق به والوصف غير اللائق به، حتى يأتي إنسان فيتحكم في ذلك فيقول: هذا الذي وصفت به نفسك غير لائق بك، وأنا أنفيه عنك بلا مستند منك ولا من رسولك، وآتيك بدله بالوصف اللائق بك: فاليد مثلاً التي وصفت بها نفسك لا تليق بك لدلالتها على التشبيه بالجارحة، وأنا أنفيها عنك نفياً باتاً وأبدلها لك بوصف لائق بك وهو النعمة أو القدرة مثلاً أو الجود. سبحانك هذا بهتان عظيم.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا . رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ﴾ [الطلاق:11][1].

فبهذه النقول يتبين لنا موقف المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً من التأويل وأنهم يرون أنه إما أن يكون بمعنى العاقبة والمصير والمرجع، أو يكون بمعنى التفسير والبيان: وهذا لا إشكال فيه وهو من التأويل المحمود وعليه السلف، وإما أن يراد به صرف اللفظ عن ظاهره بدون دليل شرعي: وهذا هو الذي ذهب إليه أهل الكلام فعطلوا كثيراً من آيات الصفات عن مدلولها وشبهوا صفات الله عز وجل بصفات خلقه.

وهذا التقرير من أئمة المالكية موافق تماماً لما عليه اهل السنة والجماعة من عصر الصحابة إلى يوم الناس هذا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "أن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها. وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير، فلم أجد - إلى ساعتي هذه - عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف؛ بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله..."[2] .

---

(1) أضواء البيان، (473-472/7).

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية (394/6)

المطلب الثالث: موقفهم من المجاز. وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: معنى المجاز.

المجاز في اللغة: "مفعل" من الجواز وهو العبور والانتقال والتعدي. يقال: جزت الموضع أجوزه جوازاً: سلكته وسرت فيه، وأجزته: خلفته وقطعته[1].

وقال ابن فارس المالكي: "الجيم والواو والزاء أصلان: أحدهما قطع الشيء، والآخر وسط الشيء. فأما الوسط فجوز كل شيء وسطه. والجوزاء: الشاة يبيض وسطها. والجوزاء: نجم؛ قال قوم: سميت بها لأنها تعترض جوز السماء، أي وسطها. وقال قوم: سميت بذلك للكواكب الثلاثة التي في وسطها.

والأصل الآخر جزت الموضع: سرت فيه، وأجزته: خلفته وقطعته. وأجزته: نفذته. قال امرؤ القيس:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى   بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل[2].

وقال أوس بن مغراء:

حتى يقال أجيزوا آل صفوانا

يمدحهم بأنهم يجيزون الحاج. والجواز: الماء الذي يسقاه المال من الماشية والحرث، يقال منه: استجزت فلانا فأجازني، إذا أسقاك ماء لأرضك أو ماشيتك. قال القطامي: [وقالوا]

فَقُيِّم قيم الماء فاستجز   عبادة إن المستجيز على قتر[3].

أي ناحية[4].

المجاز في الاصطلاح: ما أفيد به معنى مصطلح عليه غير ما اصطلح عليه في أصل تلك المواصفة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الأول.

---

(1) انظر: الصحاح (1461/4)، الطراز (46/1)، وانظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، للدكتور: سليمان بن صالح الغصن، (423/1).

(2) ديوان امرئ القيس، (3/1).

(3) لسان العرب، (326/5).

(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة جوز، (ص بسم الله الرحمن الرحيم).

فلا بد لاستعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي من وجود القرينة الدالة على إرادة المعنى المجازي، ولا بد أيضاً للمجاز من علاقة تربط بين المعنى المجازي والحقيقيّ ليتحقق الاستعمال على وجه يصح(1).

أنواع المجاز:

المجاز نوعان: لغوي وعقلي.

فاللغوي: ما كان مرجعه إلى اللغة؛ لأن الكلمة استعملت في غير ما وضعت له من حيث اللغة، وينقسم إلى قسمين:

الأول: استعارة وهو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي لعلاقة المشابهة، وذلك كأسد في قولنا: رأيت أسداً يرمي، وقوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم:4].

والقرينة في الاستعارة قد تكون لفظية وقد تكون معنوية بحسب السياق.

الثاني: المجاز المرسل وهو ما كانت العلاقة المصححة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقيّ غير المشابهة، والعلاقة أنواع: فإما أن تكون سببية أو مسببية أو كلية أو جزئية أو محلية.

فمثال السببية قولهم: رعينا الغيث، أي: رعينا النبات الذي سببه الغيث.

ومثال المسببية قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ [غافر:13]، المراد به: الماء الذي يكون سبباً في الرزق، فاللفظ مسبباً عن المعنى المراد.

ومثال الكلية قوله عز وجل: ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة:19]، والمراد: أناملهم ، فاستعمل لفظ الكل والمراد به الجزء.

ومثال الجزئية قوله عز وجل: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ [النساء:92]،فالمراد تحرير إنسان مؤمن وليس فقط رقبة الإنسان، فاللفظ جزء من المعنى المراد.

ومثال المحلية قوله عز وجل: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق:17]، فالمراد أهل النادي، فاستعمل اللفظ على المحل الذي حل فيه أهل النادي(2).

---

(1) انظر:أسرار البلاغة للجرجاني (ص/بِسۡــــمِ ٱلرَّحِيمِ)، الطراز (64/1)، المثل السائر (131/1)، موقف المتكلمين (424/1).

(2) انظر: موقف المتكلمين للغصن، (424/1-426) وانظر: البلاغة فنونها وأفنانها لفضل حسن

النوع الثاني: المجاز العقلي، ويسمى مجازاً حكمياً: ذلك لأن التغيير فيه ليس لغوياً، وإنما إسناد الشيء لغير ما هو له. والقرينة في هذا النوع أيضاً إما لفظية أو معنوية. ومن أمثلة هذا النوع قولهم: "سال الوادي". وله علاقات متعددة منها:

بِسۡمِ . مكانية. مثالها: سال الوادي؛ لأن الوادي مكان الماء.

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ . زمانية. مثالها: نهاره صائم؛ لأن النهار زمان الصيام.

ٱلرَّحِيمِ . سببية. مثالها: أشابتنا الهموم؛ لأن سبب الشيب الهموم[1].

عباس، (2/136-161).

(1) موقف المتكلمين للغصن، (1/426) وانظر: البلاغة فنونها وأفنانها ، (2/139).

المسألة الثانية: اختلاف العلماء في أصل وقوع المجاز.

اختلف العلماء في أصل وقوع المجاز وثبوته في اللغة والقرآن على ثلاثة أقوال:

- **القول الأول:** أن المجاز واقع في اللغة والقرآن، وقد قال به جمع من المفسرين والأصوليين واللغويين. واحتج هؤلاء بأنه قد ثبت إطلاق العرب اسم الأسد على الإنسان الشجاع والحمار على البليد، ومنه قولهم: فلان على جناح سفر، وشابت لمة الليل.

قالوا: وهذه الأسماء لم تستعمل في حقيقتها وأصلها الذي وضع لها: فلفظ الأسد حقيقة في السبع، والحمار حقيقة في البهيمة، والجناح في الطائر، واللمة في الشعر إذا جاوز شحمة الأذن؛ وإنما نقلت عن معناها الحقيقي إلى معنى آخر لوجود علاقة بينهما ووجود قرينة تدل على نقل اللفظ عن المعنى الحقيقي إلى معنى آخر، وهذا هو ما يسمى بالمجاز.

قالوا: وأما وقوع المجاز في القرآن الكريم فإن الله تعالى تكلم بالقرآن على لغة العرب، والعرب تكلموا بالمجاز وبالحقيقة، فوجب أن يقع المجاز في القرآن لأن القرآن بلغة العرب. قالوا: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف:82]، وقوله:﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف:77] ،وقوله عز وجل:﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء:24].

قالوا: وهذه الأمثلة تدل على وقوع المجاز في القرآن. فإن المقصود بالآية الأولى: فاسأل أهل القرية؛ لأن جدران القرية لا تتكلم، وفي الثانية: اسناد الانقضاض إلى الجدار مجاز؛ لأن الجدار جماد فلا تصح منه الإرادة، وإضافة الجناح مجاز عن الذل؛ لأن الجناح لا يكون إلا لما له ريش، فهو حقيقة في الطائر(1).

- **القول الثاني:** إنكار المجاز مطلقاً في اللغة والقرآن.

واحتج أهل هذا القول بحجج منها:

بِسْمِ . أن هذا التقسيم ليس تقسيماً شرعياً ولا لغوياً ولا عقلياً؛ ذلك أن الشرع لم يرد بهذا
التقسيم ولا دل عليه ولا أشار إليه. وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت

---

(1) انظر: تأويل مشكل القرآن، (ص الرحيم بِسْمِ)، الطراز (82/1)، المسودة في الفقه (ص/124-125)، وانظر: موقف المتكلمين (452/1).

لغاتها إلى حقيقة ومجاز، ولا قال أحد من العرب قط: هذا اللفظ حقيقة وهـذا مجـاز، وأما العقل فلا مدخل له في دلالة اللفظ وتخصيصه بالمعنى المدلول عليه. فتـبين أن هـذا اصطلاح حادث بعد القرون المفضلة[1].

يقول ابن القيم في الرد على الذين يقسمون الألفاظ إلى حقيقة ومجاز: "تقسـيمكم الألفاظ ومعانيها واستعمالها فيها إلى حقيقة ومجاز إما أن يكون عقلياً أو شرعياً أو لغوياً أو اصطلاحياً، والأقسام الثلاثة الأول باطلة، فإن العقل لا مدخل له في دلالـة اللفـظ وتخصيصه بالمعنى المدلول عليه حقيقة كان أومجازاً، فإن دلالة اللفظ على معناه ليسـت كدلالة الانكسار على الكسر والانفعال على الفعل، ولو كانت عقليـة لمـا اختلفـت باختلاف الأمم ولا جهل أحد معنى لفظ. والشرع لم يرد بهذا التقسيم ولا دل عليه ولا أشار إليه، وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغاتها إلى حقيقة ومجـاز، ولا قال أحد من العرب قط: هذا حقيقة وهذا مجاز، ولا يوجد في كلام من نقل لغتـهم عنهم مشافهة ولا بواسطة ذلك. ولهذا لا يوجد في كلام الخليل وسيبويه والفـراء وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وأمثالهم كما لم يوجد ذلك في كلام رجـل واحـد مـن الصحابة ولا من التابعين ولا تابعي التابعين ولا في كلام أحد من الأئمة الأربعة. وهـذا الشافعي وكثرة مصنفاته ومباحثه مع محمد بن الحسن وغيره ، لا يوجد فيها ذكر المجـاز البتة. وهذه رسالته التي هي كأصول الفقه لم ينطق فيها بالمجاز في موضع واحد، وكـلام الأئمة مدون بحروفه لم يحفظ عن أحد منهم تقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز ..."[2].

وقال -رحمه الله-: "وقد أنكرت طائفة أن يكون في اللغة مجاز بالكلية كأبي إسحاق الاسفرائيني وغيره. وقوله له غور لم يفهمه كثير من المتأخرين، وظنوا أن النـزاع لفظي، وسنذكر أن مذهبه أسد وأصح عقلاً ولغة من مذهب أصحاب المجاز"[3].

---

(1) انظر: المجاز في اللغة والقرآن (1125/2)، الفتاوى (88/7)، وانظر: موقف المتكلمين (452/1-453).

(2) مختصر الصواعق، (692/2-693).

(3) المصدر السابق، (ص/699).

ثم رد على مدعي المجاز وأبطل مذهبهم بأكثر من خمسين وجهاً[1].

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ . أن العرب لم تستعمل ألفاظاً مطلقة؛ بل مقيدة بقيود وقرائن، وعليه فكل لفظ مع قيده يكون حقيقة في الدلالة على معناه في هذا السياق المعين[2].

ٱلرَّحِيمِ . أن المجاز يخل بالفهم إذا لم يقترن به قرينة، وإن قرنت به قرينة كان تطويلاً بلا فائدة وعدولاً عن الحقيقة القريبة المختصرة من غير حاجة، وهذا بعيد عن أهل الحكمة والبلاغة[3].

- **القول الثالث:** إنكار المجاز في القرآن دون اللغة.

واحتج القائلون بوقوع المجاز في اللغة دون القرآن بحجج. ومن أمثلة ذلك قول الدارمي -رحمه الله-[4]: "وقد يجوز للرجل أن يقول بنيت داراً أو قتلت رجلاً أو ضربت غلاماً أو وزنت لفلان مالاً وكتبت كتاباً وإن لم يتول شيئاً من ذلك بيده؛ بل أمر البناء ببنائه والكاتب بكتابته والقاتل بقتله والضارب بضربه والوزان بوزنه. فمثل هذا يجوز

---

(1) انظر: مختصر الصواعق، (701/2 وما بعدها).

(2) انظر: الإحكام للآمدي (46/1)، الفتاوى (100/7)، وانظر: موقف المتكلمين (453/1).

(3) الإحكام (46/1)، المجاز في اللغة والقرآن (194/2).

(4) عثمان بن سعيد الدارمي السجستاني محدث هراة وأحد الأعلام. رحل وطوف ولقي الكبار، وأخذ الحديث عن أحمد بن حنبل، وابن المديني، وإسحاق بن راهويه، وابن معين، وأخذ الأدب عن ابن الأعرابي، والفقه عن البويطي. وتقدم في هذه العلوم، وله الرد على الجهمية، والرد على بشر المريسي وكان جذعاً في أعين المبتدعين. توفي سنة تَعَالَىٰ: ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هـ.

انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ٱلرَّحِيمِ/ ٱلرَّحِيمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ)، وتذكرة الحفاظ (ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ/ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)، وسير أعلام النبلاء (319/13).

على المجاز الذي يعقله الناس بقلوبهم على مجاز كلام العرب"[1].

(1) رد الدارمي على سعيد المريسي، (239/1).

المسألة الثالثة: موقف أئمة المالكية من المجاز.

يرى المحققون من أئمة المالكية عدم وقوع المجاز في اللغة والقرآن، ويرون حمل النصوص الواردة في صفات الله عز وجل على الحقيقة؛ لأن ذلك هو المعروف في لغة العرب والقرآن إنما أنزل بلغة العرب، فلا يجوز التعسف في صرف النصوص عن ظاهرها إلا بدليل بين يدل على ذلك.

وقد نقل ابن القيم في مختصر الصواعق عن أئمة المالكية عدم القول بجواز المجاز في القرآن، فقال-رحمه الله- في معرض كلامه على كسر طاغوت المجاز الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات: "وأما المتقدمون كابن وهب وأشهب وابن القاسم فلا يعرف عنهم في ذلك لفظة واحدة، وقد صرح بنفي المجاز في القرآن محمد بن خويز منداد البصري المالكي وغيره من المالكية"(1).

ومن الأمثلة على موقفهم من المجاز ما يلي:

أ. موقف الإمام ابن عبد البر –رحمه الله تعالى–.

فقد بين –رحمه الله– أن الأولى حمل كلام الله عز وجل على الحقيقة وأن هذا هو الذي تعرفه العرب من لغتها، وأن الأولى حمل اللفظ على ظاهره، فقال في شرحه لحديث: "اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً"(2) مبيناً أن الناس قد اختلفوا في هذا الحديث فحمله بعضهم على المجاز، ومنهم من حمله على الحقيقة؛ ورجح القول بحمله على الحقيقة فقال: "فإن قوماً حملوه على الحقيقة وأنها أنطقها الذي أنطق كل شيء واحتجوا بقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور:24] الآية، وبقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء:44]، وبقوله: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ:10] أي: سبحي معه، وقال: ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص:18]، وبقوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:30]، وما كان من مثل هذا وهو في القرآن كثير حملوا ذلك كله على الحقيقة لا على المجاز، وكذلك قالوا في قوله

---

(1) مختصر الصواعق، (697/2).

(2) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة.

عز وجل: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان:12] وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك:8]، وما كان مثل هذا كله. وقال آخرون في قوله عز وجل: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾: هذا تعظيم لشأنها، ومثل ذلك قوله عز وجل: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف:77] فأضاف إليه الإرادة مجازاً. وجعلوا ذلك من باب المجاز والتمثيل في كل ما تقدم ذكره على معنى أن هذه الأشياء لو كانت مما تنطق أو تعقل لكان هذا نطقها وفعلها، وذكروا قول حسان بن ثابت:

لو أن اللؤم ينسب كان عبدا قبيح الوجه أعور من ثقيف[1]

وسئل المبرد عن قول الملك: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [ص:23] وهم الملائكة لا أزواج لهم فقال: نحن طول النهار نفعل مثل هذا نقول ضرب زيد عمرا.

وهو كثير ومعناه كله ما ذكرناه، فمن حمل قول النار وشكواها على هذا احتج بما وصفنا، ومن حمل ذلك على الحقيقة قال: جائز أن ينطقها الله كما تنطق الأيدي والجلود والأرجل يوم القيامة وهو الظاهر من قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:30]، ومن قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء:44]، و ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل:18] وقال قوله عز وجل: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك:8]، أي: تتقطع عليهم غيظاً كما تقول: فلان يتقد عليك غيظاً، وقال عز وجل: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان:12]، فأضاف إليها الرؤية والتغيظ إضافة حقيقية، وكذلك كل ما في القرآن من مثل ذلك، واحتجوا بقول الله عز وجل: ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ [الأنعام:57].

ومن هذا الباب عندهم قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان:29] وقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ﴾ [مريم:90].

---

(1) ديوان حسان بن ثابت -رضي الله عنه-، (148/1).

ثم قال: "وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق؛ لأنه يقص الحق وقوله الحق تبارك وتعالى علواً كبيراً"[(1)].

وقال في موضع آخر عند كلامه على هذا الحديث بعد أن ذكر القولين ورجح القول بالحقيقة: "القول الأول يعضده عموم الخطاب وظاهر الكتاب وهو أولى بالصواب"[(2)].

ورد -رحمه الله- على من فسر الاستواء بالاستيلاء قائلاً: "وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله عز وجل إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم. ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله عز وجل عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين. والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه. قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ قال: علا، قال: وتقول العرب استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت. وقال غيره استوى أي: انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد"[(3)].

فهو يرى -رحمه الله- وجوب حمل الألفاظ الشرعية على الحقيقة لأن هذا هو الأصل في الكلام وهو الذي يفهم من لغة العرب الذي نزل بها القرآن، وأما صرف الألفاظ عن ظاهرها من غير حجة ولا برهان فهو من التعسف المذموم ويؤدي إلى إبطال كثير من النصوص وتعطيلها عن دلالتها.

---

(1) التمهيد (16/5)، وانظر: عقيدة ابن عبد البر للغصن، (ص/100).
(2) الاستذكار، (133/1).
(3) التمهيد، (131/7).

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ . موقف العلامة محمد الأمين الشنقيطي من المجاز.

يرى الشيخ-رحمه الله- عدم وجود المجاز في اللغة العربية أصلاً، أما ما يذكره بعض متبني المجاز في اللغة فذلك أسلوب من أساليب لغة العرب، وأما القرآن فلا يمكن أن يقال أن فيه مجازاً؛ ويعلل ذلك أنه يجوز إثبات المجاز وحذفه عند من يقولون به، فيلزم من ذلك حذف شيء من القرآن ونفيه وهذا باطل.

وقد أفرد -رحمه الله- رسالة مستقلة لنفي وجود المجاز في القرآن[1] ناقش من خلالها القائلين بوجود المجاز في القرآن ورد عليهم بالقرآن والعقل والمنطق. وكان مما قاله -رحمه الله- في مقدمة الرسالة: "أما بعد: فإنا لما رأينا جُلَّ أهل هذا الزمان يقولون بجواز المجاز في القرآن، ولم ينتبهوا؛ لأن هذا المنـــزل للتعبُّد والإعجاز كله حقائق وليس فيه مجـــاز، وأن القول فيه بالمجاز ذريعة لنفي كثير من صفات الكمال والجلال، وأن نفي ما ثبت في كتاب أو سنة لا شك في أنه مُحال - أردنا أن نبين في هذه الرسالة ما يفهم منه الحاذق الذائق أن القرآن كله حقائق، وكيف يمكن أن يكون شيء منه غير حقيقة، وكل كلمـــة منه بغاية الكمال جديرة حقيقة؟!

إنه لقول فصل وما هو بالهزل، أخباره كلها صدق، وأحكامه كلها عدل.

والمقصود من هذه الرسالة نصيحة المسلمين وتحذيرهم من نفي صـــفات الكمـــال والجلال التي أثبتها الله لنفسه في كتابه العزيز بادعاء أنها مجاز وأن المجاز يجوز نفيـــه؛ لأن ذلك من أعظم وسائل التعطيل.

ومعلوم أنـــه لا يصـــف الله أعلـــم بـــالله مـــن الله ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء:122]"[2].

ثم قال -رحمه الله- في مقدمة الرسالة: "اعلم أولاً أن المجاز اختُلِفَ في أصل وقوعه، قال أبو إسحاق الإسفرائيني، وأبو علي الفارسي: إنه لا مجاز في اللغة أصلاً، كما عـــزاه

---

(1) منع جواز المجاز في المنـــزل للتعبد والإعجاز، طبع مستقلا وألحق بأضواء البيان.

(2) منع جواز المجاز، (صٱلرَّحِيمِ-بِسۡـــــــ)ـــمِ.

لهما ابن السُّبكي في "جمع الجوامع".

وإن نقل عن الفارسي تلميذه أبو الفتح: أن المجاز غالب على اللغات كما ذكره عنه صاحب "الضياء اللامع" وكل ما يسميه القائلون بالمجاز مجازًا فهو -عند من يقول بنفي المجاز- أسلوب من أساليب اللغة العربية.

فمن أساليبها: إطلاق الأسد مثلاً على الحيوان المفترس المعروف، وأنه ينصرف إليه عند الإطلاق وعدم التقييد بما يدل على أن المراد غيره.

ومن أساليبها: إطلاقه على الرجل الشجاع إذا اقترن بما يدل على ذلك. ولا مانع من كون أحد الإطلاقين لا يحتاج إلى قيد والثاني يحتاج إليه؛ لأن بعض الأساليب يتضح فيه المقصود فلا يحتاج إلى قيد، وبعضها لا يتعين المراد فيه إلا بقيد يدل عليه، وكل منهما حقيقة في محله. وقس على هذا جميع أنواع المجازات.

وعلى هذا، فلا يمكن إثبات مجاز في اللغة العربية أصلاً، كما حققه العلامة ابن القيم رحمه الله في "الصواعق"[1]، وإنما هي أساليب متنوعة بعضها لا يحتاج إلى دليل، وبعضها يحتاج إلى دليل يدل عليه، ومع الاقتران بالدليل يقوم مقام الظاهر المستغني عن الدليل، فقولك: "رأيت أسدًا يرمي" يدل على الرجل الشجاع، كما يدل لفظ الأسد عند الإطلاق على الحيوان المفترس.

ثم إن القائلين بالمجاز في اللغة العربية اختلفوا في جواز إطلاقه في القرآن.

فقال قوم: لا يجوز أن يقال في القرآن مجاز، منهم ابن خُوَيز مِنداد من المالكية، وابن القاص من الشافعية، والظاهرية. وبالغ في إيضاح منع المجاز في القرآن الشيخ أبو العباس ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله تعالى؛ بل أوضحا منعه في اللغة أصلًا. والذي ندين الله به ويلزم قبوله كل منصف محقق: أنه لا يجوز إطلاق المجاز في القرآن مطلقا على كلا القولين:

أما على القول بأنه لا مجاز في اللغة أصلاً -وهو الحق- فعدم المجاز في القرآن واضح، وأمَّا على القول بوقوع المجاز في اللغة العربية فلا يجوز القول به في القرآن.

---

(1) انظر: مختصر الصواعق، (690/2 وما بعدها).

وأوضح دليل على منعه في القرآن إجماع القائلين بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نفيه، ويكون نافيه صادقا في نفس الأمر، فتقول لمن قال: رأيت أسدا يرمي، ليس هو بأسد، وإنما هو رجل شجاع، فيلزم على القول بأن في القرآن مجازا أن في القرآن ما يجوز نفيه. ولا شك أنه لا يجوز نفي شيء من القرآن، وهذا اللزوم اليقيني الواقع بين القول بالمجاز في القرآن وبين جواز نفي بعض القرآن قد شوهدت في الخارج صحته، وأنه كان ذريعة إلى نفي كثير من صفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن العظيم.

وعن طريق القول بالمجاز توصل المعطلون لنفي ذلك فقالوا: "لا يد، ولا استواء، ولا نزول"، ونحو ذلك في كثير من آيات الصفات؛ لأن هذه الصفات لم ترد حقائقها؛ بل هي عندهم مجازات، فاليد مستعملة عندهم في النعمة أو القدرة، والاستواء في الاستيلاء، والنزول نزول أمره، ونحو ذلك، فنفوا هذه الصفات الثابتة بالوحي عن طريق القول بالمجاز".

وقد بالغ -رحمه الله- في نفي المجاز واستدل بأقوال أهل اللغة وعلماء الشريعة وأقوال أهل المنطق وناظرهم على ذلك بطريقتهم فقال: "مع أن الحق الذي هو مذهب أهل السنة الجماعة إثبات هذه الصفات التي أثبتها تعالى لنفسه والإيمان بها من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل. وطريقُ مناظرة القائل بالمجاز في القرآن هي أن يقال: لا شيء من القرآن يجوز نفيه، وكل مجاز يجوز نفيه، ينتج من الشكل الثاني: لا شيء من القرآن بمجاز، وهذه النتيجة كلية سالبة صادقة. ومقدمتا القياس الاقتراني الذي أنتجها لا شك في صحة الاحتجاج بهما؛ لأن الصغرى منهما وهي قولنا: لا شيء من القرآن يجوز نفيه مقدمة صادقة يقينًا لكذب نقيضها يقينًا؛ لأن نقيضها هو قولك: بعض القرآن يجوز نفيه، وهذا ضروري البطلان، والكبرى منهما وهي قولنا: وكل مجاز يجوز نفيه صادقة بإجماع القائلين بالمجاز، ويكفينا اعترافهم بصدقها؛ لأن المقدمات الجدلية يكفي في قبولها اعتراف الخصم بصدقها، وإذا صح تسليم المقدمتين صحت النتيجة التي هي قولنا: لا شيء من القرآن بمجاز، وهو المطلوب"[1].

---

(1) منع جواز المجاز، (ص/7-8).

ثم عقد فصلاً ناقش فيه بعض النصوص التي ادُّعِيَ وقوع المجاز فيها فقال:"فصل في الإجابة على ما ادُّعِيَ فيه المجاز.

فإن قيل: ما تقول أيُّها النافي للمجاز في القرآن في قوله تعالى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف:77]. وقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:82]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:11] وقوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء:24]؟.

فالجواب: أَنَّ قولَه: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾لا مانعَ من حمله على حقيقة الإرادة المعروفة في اللغة؛ لأن الله يعلم للجمادات ما لا نعلمه لها كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:44].

وقد ثبت في "صحيح البخاري" حنين الجذع الذي كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم[1].

وثبت في "صحيح مسلم" أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إني أعرف حجرا كان يسلِّم عليّ في مكة"[2].

وأمثال هذا كثيرة جداً، فلا مانع من أن يعلم الله من ذلك الجدار إرادة الانقضاض. ويجاب عن هذه الآية -أيضاً- بما قدَّمنا من أنه لا مانع من كون العرب تستعمل الإرادة عند الإطلاق في معناها المشهور، وتستعملها في الميل عند دلالة القرينة على ذلك. وكلا الاستعمالين حقيقة في محله. وكثيراً ما تستعمل العرب الإرداة في مشارفة الأمر، أي قرب وقوعه كقرب الجدار من الانقضاض سُمِّي إرادة.

وكقول الراعي:

في مهمه قلقت بها هاماتها   قلق الفؤوس إذا أردن نضولا[3].

يعني بقوله "أردن": تحركن مشرفات على النضول وهو السقوط.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب: الخطبة على المنبر.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب: فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

(3) ديوان الراعي النميري، (164/1).

وكقول الآخر:

يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن دماء بني عقيل[1].

فقوله: "يريد الرمح صدر أبي براء"، أي: يميل إليه، وأمثال هذا كثير في اللغة العربية.

والجواب عن قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:82]، من وجهين أيضا:

الأول: أن إطلاق القرية وإرادة أهلها من أساليب اللغة العربية أيضاً كما قدَّمنا.

الثاني: أن المضاف المحذوف كأنه مذكور لأنه مدلول عليه بالاقتضاء، وتغيير الإعراب عند الحذف من أساليب اللغة أيضاً كما عقده في "الخلاصة" بقوله:

وما يلي المضاف يأتي خلفا عنه في الإعراب إذا ما حذفا

مع أن كثيرا من علماء الأصول يسمون الدلالة على المحذوف في نحو قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:82]، دلالة الاقتضاء. واختلفوا هل هي من المنطوق غير الصريح، أو من المفهوم كما أشار له في "مراقي السعود" بقوله:

وفي كلام الوحي والمنطوق هل ما ليس بالصريح فيه قد دخل

وهو دلالة اقتضاء إن يدل لفظ على ما دونه لا يستقل

والجمهور على أنها من المفهوم لأنها دلالة التزام، وعامة البيانيين وأكثر الأصوليين على أن دلالة الالتزام غير وضعية وإنما هي عقلية، ودلالة المجاز على معناه مطابقة وهي وضعية بلا خلاف، فظهر أن مثل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:82]، من المدلول عليه بالاقتضاء، وأنه ليس من المجاز عند جمهور الأصوليين القائلين بالمجاز في القرآن، وأحرى غيرهم مع أن حد المجاز لا يشمل مثل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾؛ لأن القرية فيه -عند القائل بأنه من مجاز النقص- مستعملة في معناها الحقيقي، وإنما جاءها المجاز عندهم من قبل النقص المؤدي لتغيير الإعراب، وقد قدمنا أن المحذوف مقتضى، وأن إعراب المضاف إليه إعراب المضاف إذا حذف من أساليب اللغة العربية.

والجواب عن قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:11] أنه لا مجاز زيادة فيه؛ لأن العرب تطلق المثل وتريد به الذات، فهو أيضا أسلوب من أساليب اللغة العربية.

---

(1) انظر كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، (85/1).

وهو حقيقة في محله كقول العرب: مثلك لا يفعل هذا، يعنون: لا ينبغي لك أن تفعل هذا. ودليل هذا وجوده في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ [الأحقاف:10]، أي: شهد على القرآن أنه حق. والحكم بأنه مجاز لا دليل عليه يجب الرجوع إليه.

والجواب عن قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء:24]: أن الجناح هنا مستعمل في حقيقته؛ لأن الجناح يطلق لغة حقيقة على يد الإنسان وعضده وإبطه، قال تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾ [القصص:32].

والخفض مستعمل في معناه الحقيقي الذي هو ضد الرفع؛ لأن مريد البطش يرفع جناحيه، ومظهر الذل والتواضع يخفض جناحيه، فالأمر بخفض الجناح للوالدين كناية عن لين الجانب لهما والتواضع لهما كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء:215].

وإطلاق العرب خفض الجناح كناية عن التواضع ولين الجانب أسلوب معروف، ومنه قول الشاعر:

وأنت الشهير بخفض الجناح ... فلا تك في رفعه أجدلا

وأما إضافة الجناح إلى الذل فلا تستلزم المجاز كما يظنه كثير؛ لأن الإضافة فيه كالإضافة في قولك حاتم الجود، فيكون المعنى: واخفض لهما الجناح الذليل من الرحمة، أو الذلول على قراءة الذل بالكسر"(1).

وقال مبيناً أن صفات الله عز وجل على الحقيقة لا على المجاز لأن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة دلت على ذلك فقال -رحمه الله-: "إن الله تبارك وتعالى موصوف بتلك الصفات حقيقة لا مجازا؛ لأنا نعتقد اعتقاداً جازماً لا يتطرق إليه شك، أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها لا تدل البتة إلا على التنزيه عن مشابهة الخلق واتصافه تعالى بالكمال والجلال. وإثبات التنزيه والكمال والجلال لله حقيقة لا مجازاً لا ينكره مسلم.

ومما يدعو إلى التصريح بلفظ الحقيقة ونفي المجاز كثرة الجاهلين الزاعمين أن تلك الصفات لا حقائق لها وأنها كلها مجازات. وجعلوا ذلك طريقاً إلى نفيها؛ لأن المجاز يجوز

---

(1) منع جواز المجاز، (ص/26-30).

نفيه، والحقيقة لا يجوز نفيها. فقالوا مثلا: اليد مجاز يراد به القدرة والنعمة أو الجود، فنفوا صفة اليد، لأنها مجاز. وقالوا: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:5] مجاز؛ فنفوا الاستواء لأنه مجاز"[1].

وقال-رحمه الله- في موضع آخر: "ومن المعلوم أن هذه الصفات لو كان يقصد بها شيء آخر من المجازات التي يحملها عليها المؤولون لبادر صلى الله عليه وسلم إلى بيانه؛ لأنه لا يجوز في حقه صلوات الله عليه وسلامه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه لاسيما في العقائد"[2].

وقال-رحمه الله-: " إنما قلنا حقيقة لا مجازاً لقطعِنا وجزمِنا بأن تلك الصفات التي مدح الله بها نفسه صفات كمال وجلال منزهة عن مشابهة صفات الخلق؛ كتنزيه ذاته عن مشابهة ذواتهم. وجميع العقلاء إذا راجعوا عقولهم تحققوا أن الظاهر المتبادر لكل مسلم هو مخالفة الله لخلقه وتنزيهه عن مشابهتهم في صفاتهم وذواتهم وأفعالهم؛ فالظاهر المتبادر من صفة الاستواء والوجه واليد مثلاً أنها صفات كمال وجلال منزهة عن كل ما يخطر في قلوب الجهلة من مشابهة صفات الخلق. وإذا كان ظاهرها المتبادر منها التنزيه وعدم المشابهة فإثباتها حقيقة لا محذور فيه؛ لأن إثبات الكمال والتنزيه لله لا محذور فيه البتة"[3].

وبين أن سبب القول بعدم الحقيقة عند من ينفيها هو ما يقع في نفوسهم من التشبيه فقال: "إن سبب نفوره من لفظة الحقيقة ونفي المجاز هو ما ينطوي عليه قلبه من سوء الظن بكلام الله في كتابه، وأن ظاهره المتبادر منه الكفر والتشبيه. ولو هداه الله إلى ما هدى إليه السلف الصالح من اليقين الجازم بأن ما مدح الله به نفسه في كتابه بالغ من الكمال والتنزيه ما يقطع علائق الوساوس وأوهام التشبيه؛ لأنه جل وعلا لا يمكن بحال أن يشبهه شيء من خلقه لما وقع فيما وقع فيه.

فقد كان في بادئ الأمر يتبادر إلى ذهنه التشبيه لظنه أن ظواهر آيات الصفات تستلزم التشبيه، وكان ثانياً معطلاً بدعواه أن ما مدح الله به نفسه في كتابه من الصفات

---

(1) أضواء البيان، (482/7-483).
(2) رحلة الحج، (ص/83).
(3) المعين والزاد، (ص/43).

كالاستواء واليد لا حقيقة لها. سبحانك هذا بهتان عظيم. وعلى كل حال فإنا نقطع بأن ما مدح الله به نفسه في كتابه كله كمال وجلال منـــزه أتم التنـــزيه عن مشابهة الخلق، وأن حقيقة ذلك الكمال والجلال ثابتة له تعالى حقاً؛ لأن من أسمائه تعالى الحق: فهو جل وعلا حق، وعبادته حق، وجميع صفاته حق، وكل ما أثنى به على نفسه حق يقين.

فمن ادعى على شيء من صفاته التي مدح بها نفسه أنها لا حقيقة لها متهجماً عليها بادعائه أن ظاهرها المتبادر منها الكفر الذي هو مشابهة صفات الخلق. فالله جل وعـــلا حسبه، وسيجازيه الجزاء اللائق به"[1]. ... إلى ان قال -رحمه الله-: "وقد قال الإمـــام مالك -رحمه الله-: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، فلو كان الاستواء لا حقيقة له عنده لما صرح بأن الإيمان به واجب ولقال: إنـــه يجب تأويله بمعنى آخر، وأنه مجاز لا حقيقة له"[2].

وقال -رحمه الله- أيضاً في معرض الرد على أهل الأهواء: "إن أصل الحقيقة في اللغة التي نزل بها القرآن "فعيلة" بمعنى: فاعل، من قول العرب: حق الشيء، بمعـــنى ثبـــت، أو بمعنى مفعول من حققت الشيء -بتخفيف القاف- إذا أثبته.وإذا علمـــت أن الحقيقـــة معناها من معنى مادة الثبوت، فثبوت صفات الله دلت عليه نصوص الوحي دلالة قاطعـــة لا نزاع فيها. فمعنى اتصافه بصفاته حقيقة بدلالة المطابقة: هو كونها ثابتة له حقاً، وهذا هو معنى نصوص الوحي، فلا زيادة فيه البتة على المعنى الذي دل عليه الوحي. وقد ذكر آنفاً أن من أسمائه الحق، وذلك مستلزم لأن صفاته كلها حق، وكل ما هو ثابت حقيقـــة فهو حق، وبهذا تعلم أن نفي الحقيقة عن بعض الصفات مستلزم لنفي ثبوتها، ونفي ثبوت ما أثبته الله لنفسه محادة له جل وعلا من حيث لا يشعر ذلك النافي.

---

(1) المصدر السابق، (ص/43-44).

(2)المصدر نفسه، (ص/45).

وأما نفي المجاز عن صفات الله فقد أوضحناه في رسالة مستقلة، ومن أوضح أدلته أن القائلين بالمجاز منذ نشأ المجاز مجمعون على أن من الفوارق بينه وبين الحقيقة في اصطلاح البيانيين أن كل مجاز يجوز نفيه باعتبار الحقيقة ... ومعلوم أن ما مدح الله به نفسه في كتابه لا يجوز نفي شيء منه، وذلك مستلزم منع المجاز فيؤول؛ لأن وجود المجاز يستلزم جواز النفي كما وضحنا"[1].

وقال في بيان أن جميع صفات الله عز وجل على الحقيقة لا مجاز فيها كما يدعي نفاة الصفات: "إن جميع ما وصف الله به نفسه في هذا القرآن العظيم من الصفات فهو موصوف به حقيقة لا مجازاً مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة صفات الحوادث -سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً-، وذلك البيان العظيم لجميع الصفات في قوله جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، فنفى عن مماثلة الخلائق بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ وأثبت له الصفات على الحقيقة بقوله: ﴿ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾"[2].

وقال: "اعلم أنما ذكرنا من أن ما وصف الله به نفسه من الصفات فهو موصوف به حقيقة لا مجازاً على الوجه اللائق بكماله وجلاله، وأنه لا فرق البتة بين صفة يشتق منها وصف كالسمع والبصر والحياة، وبين صفة لا يشتق منها كالوجه واليد، وأن تأويل الصفات كتأويل الاستواء بالاستيلاء لا يجوز ولا يصح"[3].

وقال-رحمه الله- في رده على الذين يزعمون أنهم على طريقة الأشعري -رحمه الله تعالى- فقال: "بل إن الأشعري -رحمه الله – مصرح في كتبه العظيمة التي صنفها بعد رجوعه عن الاعتزال كالموجز ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين والإبانة عن أصول الديانة أن معتقده الذي يدين الله به هو ما كان عليه السلف الصالح من الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وإثبات ذلك كله من غير كيف ولا تشبيه ولا تعطيل، وأن ذلك لا يصح تأويله ولا القول بالمجاز به،

---

(1) المعين والزاد، (ص/43).
(2) أضواء البيان، (25/1).
(3) المصدر السابق، (486/7).

وأن تأويل الاستواء بالاستيلاء هو مذهب المعتـزلة ومن ضاهاهم. وهو أعلم الناس بأقوال المعتـزلة لأنه كان أعظم إمام في مذهبهم قبل أن يهديه الله إلى الحق"[1].

ويرى الشنقيطي -رحمه الله- أن حمل نصوص الصفات على الحقيقة دون المجاز هو قول أهل السنة والقول بخلافه هو منهج أهل التشبيه الذين يزعمون أن إجراء النصوص على ظاهرها يقود إلى التشبيه، فإذا سمع أحدهم نصوص الصفات يتبادر إلى ذهنه التشبيه ثم يقوده ذلك إلى التعطيل أو التأويل أو ادعاء المجاز، أما من سلمه الله من هذه الآفة فهو المؤمن الموحد المنـزه لله عز وجل عن كل صفة نقص، المثبت له كل صفات كمال.

يقول-رحمه الله-: "فإثبات الحقيقة ونفي المجاز في صفات الله هو اعتقاد كل مسلم طاهر القلب من أقذار التشبيه؛ لأنه لم يسبق إلى ذهنه من اللفظ الدال على الصفة كصفة اليد والوجه إلا أنها صفة كمال منـزهة عن مشابهة صفات الخلق، فلا يخطر في ذهنه التشبيه الذي هو سبب نفي الصفة أو تأويلها بمعنى لا أصل له"[2].

وبهذا يتبين لنا موقف أئمة المالكية المحققين من المجاز، وأنهم لا يرون وقوعه في القرآن، وأن الأصل في آيات الصفات الحقيقة، وقد تواطأ على هذا متقدمهم ومتأخرهم، وهم بهذا يخالفون منهج أهل الكلام من الجهمية والأشعرية وغيرهم ممن يدعون المجاز في نصوص الصفات ليتوصلوا بذلك لنفي صفاته عز وجل. وهذا الموقف من المالكية هو موقف أهل السنة والجماعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في مناقشته لنفاة الصفات: "... ولو كانت أسماء الله وصفاته مجازاً يصح نفيها عند الإطلاق لكان يجوز أن الله ليس بحي ولا عليم ولا قدير ولا سميع ولا بصير ولا يحبهم ولا يحبونه ولا استوى على العرش ونحو ذلك، ومعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز إطلاق النفي على ما أثبته الله تعالى من الأسماء الحسنى والصفات؛ بل هذا جحد للخالق وتمثيل له بالمعدومات"[3].

---

(1) أضواء البيان، (25/1).

(2) المصدر السابق، (493/7-494).

(3) مجموع الفتاوى، (198/5).

المطلب الرابع: موقفهم من فهم النص.

إن فهم النص من أهم المسائل التي لها أثر في الاستدلال على مسائل الدين عموماً والتوحيد خصوصاً وتوحيد الأسماء والصفات على وجه أخص، وما وقع الضلال عند من ضل في باب الأسماء والصفات ممن ينتسبون إلى أهل القبلة إلا بسبب الانحراف في فهمهم للنصوص.

ولقد وفق الله أهل السنة والجماعة وهم الطائفة المنصورة إلى لزوم الصراط المستقيم وفهم نصوص الكتاب والسنة فهماً صحيحاً، فسلموا من الانحراف ولزموا الحق في حين ضلّ فئام من الناس بسبب الفهم للنصوص على غير مراد الله ومراد رسوله -نعوذ بالله من الزيغ والانحراف-.

والمحققون من أئمة المالكية كغيرهم من أهل السنة والجماعة فهموا نصوص الكتاب والسنة كما فهمها الصحابة والتابعون لهم بإحسان؛ فنجوا من التخبط والضلال. وبالتتبع والاستقراء لمنهجهم في فهم النصوص نجد أنه يتضح من خلال أربع مسائل الآتية:

المسألة الأولى: إجراء النصوص على ظاهرها، وعدم تأويلها.

المسألة الثانية: التسليم لفهم السلف الصالح.

المسألة الثالثة: الرجوع إلى لغة العرب.

المسألة الرابعة: الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

المسألة الأولى: إجراء النصوص على ظاهرها، وعدم تأويلها.

أنزل الله عز وجل كتابه المبين على رسوله صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين وجعله تبياناً لكل شيء. يقول الله عز وجل ممتناً على رسوله وعلى المؤمنين: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:89]. وأمر رسوله أن يبين للناس ما أنزل إليه ربه فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:44]. فقام عليه الصلاة والسلام بتبليغ ما أنزل إليه وبيانه للناس، و لم يتوفاه الله عز وجل حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لايزيغ عنها إلا هالك.

ومع كثرة نصوص الكتاب والسنة، فلم يأت نص يأمر بصرف أي منها عن ظاهره؛ فدل ذلك على أن الأصل في هذه النصوص إجراؤها على ظاهرها لأن الأصل في الخطاب إجراؤه على ظاهره إلا بدليل يصرفه عن هذا الظاهر. ونصوص الصفات يجب أن تحمل على ظاهرها لأن المتكلم بها أعلم بما ينزل، وكلامه هدى وبيان، فهو من أفصح الكلام وأبينه، و لم ينزل ما يصرفه عن ظاهره؛ ولو كان هذا الظاهر غير مراد لبين ذلك سبحانه أو بينه رسوله صلى الله عليه وسلم وقت التنزيل لأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة ولا سيما في أهم الأمور وهو أمر العقيدة.

والمراد بالظاهر هو ما يتبادر إلى ذهن المخاطب من المعاني الشرعية؛ لأن نصوص الكتاب والسنة ومنها نصوص الأسماء والصفات ليس فيها ألغاز ولا أحاجي ولا تعميه مما يتعب الأذهان أو يدعوها إلى صرفها عن ظاهرها أو تأويلها عما يتبادر منها.

وعلى ذلك جرى اتفاق أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً واشتد نكيرهم على من صرف هذه النصوص عن ظاهرها إلى ما يخالفه من تأويل لم يرد به نص أو تحريف مبتدع(1).

والمحققون من أئمة المالكية لا يخرجون عن هذا الإجماع، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

---

(1) انظر المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع / تأليف: خالد بن مسعود الجعيد وزميليه، (ص/332).

1. قول الحافظ أبي عمر بن عبد البر -رحمه الله- حيث قال مبيناً موقف السلف الصالح من نصوص النـــزول والمجيء والتجلي: "وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "ينـــزل ربنا إلى السماء الدنيا" عندهم مثـــل قـــول الله عـــز وجـــل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف:143]،ومثل قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:22]. كلـــهم يقـــول ينـــزل ويتجلى ويجيء بلا كيف، لا يقولون كيف يجيء؟ وكيـــف يتجلـــى؟ وكيـــف ينـــزل؟ ولا من أين جاء؟ ولا من أين تجلى؟ ولا من أين ينـــزل؟ لأنه ليس كمثله شيء من خلقه، وتعالى عن الأشياء ولا شريك له"[1].

فبين أن الأصل عندهم إجراء النصوص على ظاهرها، فلم يؤول أحد منهم النصوص أو يصرفها عن ظاهرها لأنهم يعرفون معنى هذه النصوص المتبادر منها ولم يأت نص من معصوم يصرف هذه النصوص عن هذا الظاهر؛ فدل على أن الحق في إجرائهـــا علـــى ظاهرها.

2. قول الإمام القرطبي -رحمه الله- حيث قال في بيان وجوب إجراء نصوص الصفات على ظاهرها وعدم تأويلها بخلاف هذا الظاهر: "فإذا قلنا: يد وسمع وبصر ونحوها، فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد: القوة والنعمـــة، ولا معـــنى السمع والبصر: العلم، ولا نقول: إنها جوارح وأدوات للفعل، ذهب إلى هذا جماعة مـــن الأئمة، فلم يتأولوها، وكذلك جميع الصفات أجروها على ظاهرهـــا، ونفـــوا الكيفيـــة والتشبيه عنها"[2].

فهذا التقرير من الإمام القرطبي يبين أنه يرى وجوب إجراء نصوص الصفات علـــى ظاهرها، وإجارتها من التأويل الباطل.

---

(1) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (7 / 153)

(2) انظر جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، للدكتور إبراهيم التهامي، (ص/160)، حاشية رقم (1).

3. قول العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي. قال -رحمه الله-: في رده على من يزعم أنه لا يجوز العمل بكتاب الله إلا لمن بلغ رتبة الاجتهاد، ومن لم يكن كذلك فعليه بالتقليد، وقول من زعم أنه لا يجوز العمل بالعام حتى يبحث عن المخصص.

يقول -رحمه الله-: "وعلى كل حال فظواهر النصوص، من عموم وإطلاق، ونحو ذلك، لا يجوز تركها إلا لدليل يجب الرجوع إليه من مخصص أو مقيد، لا لمجرد مطلق الاحتمال، كما هو معلوم في محله؛ فادعاء كثير من المتأخرين أنه يجب ترك العمل به حتى يبحث عن المخصص والمقيد مثلاً، خلاف التحقيق"[(1)].

وقال في رده على من قال: إن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر: "فهذا أيضاً من أشنع الباطل وأعظمه، وقائله من أعظم الناس انتهاكاً لحرمة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، سبحانك هذا بهتان عظيم.

ثم قال مبيناً أنه لا يجوز العدول عن ظاهر النصوص وتأويلها: "والتحقيق الذي لا شك فيه وهو الذي كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامة علماء المسلمين أنه لا يجوز العدول عن ظاهر كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال من الأحوال بوجه من الوجوه، حتى يقوم دليل صحيح شرعي صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجوح"[(2)].

وقال: "وقد أجمع جميع المسلمين على أن العمل بالظاهر واجب حتى يرد دليل شرعي صارف عنه إلى المحتمل المرجوح، وعلى هذا كل من تكلم في الأصول. فتنفير الناس وإبعادها عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوى أن الأخذ بظواهرها من أصول الكفر هو من أشنع الباطل وأعظمه كما ترى.

ثم يقول بعد أن بين أن الواجب على المسلم أن يتجنب أصول الكفر والأسباب الموصلة إليها: "وبما ذكرنا يتبين أن أعظم أسباب الضلال: ادعاء أن ظواهر الكتاب والسنة دالة على معان قبيحة ليست بلائقة، والواقع في نفس الأمر بُعدها وبرآءتها من ذلك".

---

(1) أضواء البيان، (462/7).

(2) المصدر السابق، (468/7).

ثم يوضح أن من أعظم الأسباب التي أدت بالقائلين بعدم الأخذ بظواهر النصوص الجهل وعدم المعرفة والخوف من الوقوع في التشبيه، وقد وقعوا به فشبهوا أولاً ثم عطلوا ثانياً حيث صرفوا النصوص عن ظاهرها: "والواقع في نفس الأمر أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها المتبادرة منها لكل مسلم رَاجَع عقله، هي مخالفة صفات الله لصفات خلقه.

ولا بد أن نتساءل هنا فنقول:

أليس الظاهر المتبادر مخالفة الخالق للمخلوق في الذات والصفات والأفعال؟ والجواب الذي لا جواب غيره: بلى.

وهل تشابهت صفات الله مع صفات خلقه حتى يقال إن اللفظ الدال على صفته تعالى ظاهره المتبادر منه تشبيهه بصفة الخلق؟ والجواب الذي لا جواب غيره: لا.

فبأي وجه يتصور عاقل أن لفظاً أنزله الله في كتابه مثلاً دالاً على صفة من صفات الله أثنى بها تعالى على نفسه، يكون ظاهره المتبادر منه مشابهته لصفة الخلق؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

فالخالق والمخلوق متخالفان كل التخالف، وصفاتهما متخالفة كل التخالف. فبأي وجه يعقل دخول صفة المخلوق في اللفظ الدال على صفة الخالق؟ أو دخول صفة الخالق في اللفظ الدال على صفة المخلوق مع كمال المنافاة بين الخالق والمخلوق؟

فكل لفظ دل على صفة الخالق ظاهره المتبادر منه أن يكون لائقاً بالخالق منزها عن مشابهة صفات المخلوق. وكذلك اللفظ الدال على صفة المخلوق لا يعقل أن تدخل فيه صفة الخالق.

فالظاهر المتبادر من لفظ اليد بالنسبة للمخلوق هو كونها جارحة هي عظم ولحم ودم، وهذا هو الذي يتبادر إلى الذهن في نحو قوله تعالى: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:38].

والظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في نحو قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:75]، أنها صفة كمال وجلال، لائقة بالله جل وعلا ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله.

وقد بين جل وعلا عظم هذه الصفة وما هي عليه من الكمال والجلال وبين أنها من صفات التأثير كالقدرة، قال تعالى في تعظيم شأنها:﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر:67]. وبين أنها صفة تأثير كالقدرة، في قوله تعالى:﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:75] ، فتصريحه تعالى بأنه خلق نبيه آدم بهذه الصفة العظيمة التي هي صفات كماله وجلاله يدل على أنها من صفات التأثير كما ترى.

ولا يصح هنا تأويل اليد بالقدرة البتة لإجماع أهل الحق والباطل، كلهم على أنه لا يجوز تثنية القدرة. ولا يخطر في ذهن المسلم المراجع عقله، دخول الجارحة التي هي عظم ولحم ودم في معنى هذا اللفظ الدال على هذه الصفة العظيمة من صفات خالق السماوات والأرض.

فاعلم أيها المدعي أن ظاهر لفظ اليد في الآية المذكورة وأمثالها لا يليق بالله؛ لأن ظاهرها التشبيه بجارحة الإنسان، وأنه يجب صرفها عن هذا الظاهر الخبيث، ولم تكتف بهذا حتى ادعيت الإجماع على صرفها عن ظاهرها = أن قولك هذا كله افتراء عظيم على الله تعالى وعلى كتابه العظيم، وأنك بسببه كنت أعظم المشبهين والمجسمين، وقد جرك شؤم هذا التشبيه إلى ورطة التعطيل؛ فنفيت الوصف الذي أثبته الله في كتابه لنفسه بدعوى أنه لا يليق به، وأولته بمعنى آخر من تلقاء نفسك بلا مستند من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قول أحد من السلف.

وماذا عليك لو صدقت الله وآمنت بما مدح به نفسه على الوجه اللائق بكماله وجلاله من غير كيف ولا تشبيه ولا تعطيل؟

وبأي موجب سوغت لذهنك أن يخطر فيه صفة المخلوق عند ذكر صفة الخالق؟

هل تلتبس صفة الخالق بصفة المخلوق على أحد حتى يفهم صفة المخلوق من اللفظ الدال على صفة الخالق؟

فاخش الله يا إنسان، واحذر من التقول على الله بلا علم، وآمن بما جاء في كتاب الله مع تنـــزيه الله عن مشابهة خلقه. واعلم أن الله الذي أحاط علمه بكل شيء لا يخفى عليه الفرق بين الوصف اللائق به والوصف غير اللائق به، حتى يأتي إنسان فيتحكم في ذلك فيقول: هذا الذي وصفت به نفسك غير لائق بك، وأنا أنفيه عنك بلا مستند منك ولا من رسولك، وآتيك بدله بالوصف اللائق بك.

فاليد مثلاً التي وصفت بها نفسك لا تليق بك لدلالتها على التشبيه بالجارحة، وأنا أنفيها عنك نفياً باتاً، وأبدلها لك بوصف لائق بك وهو النعمة أو القدرة مثلاً أو الجود. سبحانك هذا بهتان عظيم.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ، رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ﴾ [الطلاق:10-11].

ومن الغريب أن بعض الجاحدين لصفات الله المؤولين لها بمعان لم ترد عن الله ولا عن رسوله، يؤمنون فيها ببعض الكتاب دون بعض. فيقرون بأن الصفات السبع التي تشتق منها أوصاف ثابتة لله مع التنـــزيه، ونعني بها القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام؛ لأنها يشتق منها قادر حي عليم ... إلخ، وكذلك في بعض الصفات الجامعة كالعظمة والكبرياء والملك والجلال مثلاً؛ لأنها يشتق منها العظيم المتكبر والجليل والملك، وهكذا، ويجحدون كل صفة ثبتت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لم يشتق منها غيرها كصفة اليد والوجه ونحو ذلك. ولا شك أن هذا التفريق بين صفات الله التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم لا وجه له البتة بوجه من الوجوه.

ولم يرد عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم الإذن في الإيمان ببعض صفاته وجحد بعضها وتأويله لأنها لا يشتق منها. وهل يتصور عاقل أن يكون عدم الاشتقاق مسوغاً لجحد ما وصف الله به نفسه؟

ولا شك عند كل مسلم راجع عقله، أن عدم الاشتقاق لا يرد به كلام الله فيما أثنى به على نفسه، ولا كلام رسوله فيما وصف به ربه.

والسبب الموجب للإيمان إيجاباً حتماً كلياً هو كونه من عند الله، وهذا السبب هو الذي علم الراسخون في العلم أنه الموجب للإيمان بكل ما جاء عن الله سواءً استأثر الله بعلمه كالمتشابه، أو كان مما يعلمه الراسخون في العلم كما قال الله عنهم: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران:7].

فلا شك أن قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:75] من عند ربنا، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:284] من عند ربنا أيضاً، فيجب علينا الإيمان بالجميع لأنه كله من عند ربنا.

أما الذي يفرق بينه، وهو عالم بأن كله من عند ربه، بأن هذا يشتق منه، وهذا لا يشتق منه فقد آمن ببعض الكتاب دون بعض.

والمقصود أن كلما جاء من عند الله، يجب الإيمان به سواء كان من المتشابه، أو من غير المتشابه، وسواء كان يشتق منه أو لا.

ومعلوم أن مالكاً -رحمه الله- سئل كيف استوى؟ فقال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب".

وما يزعمه بعضهم من أن القدرة والإرادة مثلاً ونحوهما ليست كاليد والوجه، بدعوى أن القدرة والإرادة مثلاً ظهرت آثارهما في العالم العلوي والسفلي بخلاف غيرهما كصفة اليد ونحوها، فهو من أعظم الباطل.

ومما يوضح ذلك أن الذي يقوله، هو وأبوه وجده من آثار صفة اليد التي خلق الله بها نبيه آدم.

ونحن نرجو أن يغفر الله تعالى للذين ماتوا على هذا الاعتقاد لأنهم لا يقصدون تشبيه الله بخلقه، وإنما يحاولون تنــزيهه عن مشابهة خلقه. فقصدهم حسن ولكن طريقهم إلى ذلك القصد سيئة.

وإنما نشأ لهم ذلك السوء بسبب أنهم ظنوا لفظ الصفة التي مدح الله بها نفسه يدل ظاهره على مشابهة صفة الخلق؛ فنفوا الصفة التي ظنوا أنها لا تليق قصداً منهم لتنــزيه الله، وأولوها بمعنى آخر يقتضي التنــزيه في ظنهم، فهم كما قال الشافعي رحمه الله:

رام نفعاً فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقاً

ونحن نرجو أن يغفر الله لهم خطأهم، وأن يكونوا داخلين في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:5].

وخطؤهم المذكور لا شك فيه، ولو وفقهم الله لتطهير قلوبهم من التشبيه أولاً، وجزموا بأن ظاهر صفة الخالق هو التنــزيه عن مشابهة صفة المخلوق، لسلموا مما وقعوا فيه.

وقال -رحمه الله- مبيناً أنه لو كان ظاهر آيات الصفات غير مراد لبينه النبي صلى الله عليه وسلم: "ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم عالم كل العلم بأن الظاهر المتبادر مما مدح الله به نفسه في آيات الصفات هو التنـــزيه التام عن صفات الخلق، ولو كان يخطر في ذهنه أن ظاهره لا يليق لأنه تشبيه بصفات الخلق، لبادر كل المبادرة إلى بيان ذلك؛ لأنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، ولا سيما في العقائد، ولا سيما فيما ظاهره الكفر والتشبيه -على حد زعم من زعم ذلك-.

فسكوت النبي صلى الله عليه وسلم عن بيان هذا يدل على أن ما زعمه المؤلون لا أساس له كما ترى"[1].

وقال في رده على الذين يؤولون الاستواء بالاستيلاء خوفاً من التشبيه: "وعلى كل حال، فإن المؤول زعم أن الاستواء يوهم غير اللائق بالله لاستلزامه مشابهة استواء الخلق، وجاء بدله بالاستيلاء لأنه هو اللائق به في زعمه، ولم ينتبه لأن تشبيه استيلاء الله على عرشه باستيلاء بشر بن مروان على العراق هو أفظع أنواع التشبيه، وليس بلائق قطعاً، إلا أنه يقول: إن الاستيلاء المزعوم منـــزه عن مشابهة استيلاء الخلق، مع أنه ضرب له المثل باستيلاء بشر على العراق، والله يقول: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:74].

ونحن نقول: أيها المؤول هذا التأويل، نحن نسألك إذا علمت أنه لا بد من تنـــزيه أحد اللفظين أعني: لفظ ﴿اسْتَوَىٰ﴾ الذي أنزل الله به الملك على النبي صلى الله عليه وسلم قرآناً يتلى، كل حرف منه عشر حسنات، ومن أنكر أنه من كتاب الله كفر، ولفظة استولى التي جاء بها قوم من تلقاء أنفسهم من غير استناد إلى نص من كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من السلف، فأي الكلمتين أحق بالتنـــزيه في رأيك؟ الأحق بالتنـــزيه كلمة القرآن المنـــزلة من الله على رسوله، أم كلمتكم التي جئتم بها من تلقاء أنفسكم من غير مستند أصلاً؟

ونحن لا يخفي علينا الجواب الصحيح، عن هذا السؤال إن كنت لا تعرفه.

---

(1) أضواء البيان، (7/474-479).

ثم قال مبيناً أن القول بالتأويل مذهب باطل، مستدلاً على بطلانه برجوع القائلين به من أساطين أهل الكلام: "واعلم أن أئمة القائلين بالتأويل رجعوا قبل موتهم عنه لأنه مذهب غير مامون العاقبة، لأن مبناه على ادعاء أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها لا تليق بالله لظهورها وتبادرها في مشابهة صفات الخلق، ثم نفي تلك الصفات الواردة في الآيات والأحاديث لأجل تلك الدعوى الكاذبة المشؤومة، ثم تأويلها بأشياء أخر دون مستند من كتاب أو سنة، أو قول صحابي أو أحد من السلف.

وكل مذهب هذه حاله، فإنه جدير بالعاقل المفكر أن يرجع عنه إلى مذهب السلف.

وقد أشار تعالى في سورة الفرقان أن وصف الله بالاستواء صادر عن خبير بالله، وبصفاته عالم بما يليق به، وبما لا يليق وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان:59].

فتأمل قوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾، بعد قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾، تعلم أن من وصف الرحمن بالاستواء على العرش خبير بالرحمن وبصفاته، لا يخفي عليه اللائق من الصفات وغير اللائق. فالذي نبأنا بأنه استوى على عرشه هو العليم الخبير الذي هو الرحمن، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:14]. وبذلك تعلم أن من يدعي أن الاستواء يستلزم التشبيه وأنه غير لائق غير خبير، نعم والله هو غير خبير.

وبهذه النقول عن العلامة الشنقيطي -رحمه الله- يتبين لنا موقفه -رحمه الله- من فهم النصوص وأنه يرى وجوب إبقائها على ظواهرها ولا يسلط عليها طاغوت التأويل.

4. قول الشيخ سيدي بن سيدي محمد المشهور بلقب "الشيخ باب" المالكي الشنقيطي[1]

---

(1) هو: العلامة المحدث أبو محمد سيدي بن سيدي محمد المالكي، وقد اشتهر بلقبه باب، فيقال له: الشيخ سيدي باب جمعا بين الاسم واللقب وتمييزا له عن جده: الشيخ سيدي الكبير. من مؤلفاته: الذكر المشروع وغير المشروع، والرسالة في بيان إعجاز القرآن، ت: سنة (1342هـ)، انظر ترجمته في الوسيط، (ص/240)، والسلفية وأعلامها في موريتانيا، (ص/282-2899).

حيث قال في منظومته التي حررها على منهج السلف في باب الأسماء الصفات:

ما أوهم التشبيه في آيات ... وفي أحاديث عن الثقات
فهي صفات وصف الرحمن ... بها وواجب بها الإيمان
ثم على ظاهرها نبقيها ... ونحذر التأويل والتشبيها
قال بذا الثلاثة القرون ... والخير باتباعهم مقرون
وهو الذي ينصره القرآن ... والسنن الصحاح والحسان
وكم رآه من إمام مرتضى ... من الخلائق بناظر الرضى

إلى أن قال في وجوب إجراء النصوص على ظاهرها والبعد عن التأويل:

... ومن تأول فقد تكلفا ... وغير ما له به علم قفى
وفي الذي هرب منه وقع ... وبعضهم عن قوله هذا رجع
حتى حكى في منعه الإجماعا ... وجعل اجتنابه اتباعاً[1]

وقد شرح -رحمه الله- هذه المنظومة متبعاً منهج السلف الصالح في هذا الباب ومستشهداً بالآيات والأحاديث وكلام أئمة السلف. ثم قال: "وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار الذين ساروا على هذا المنهج: كالإمام مالك، والشافعي، والسفيانين، والليث بن سعد، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من الأئمة المتمسكين بهذا المذهب.

كلهم تلقوا آيات الصفات وأحاديثها بالقبول وتجنبوا فيها التمثيل والتأويل حيث كانوا يقولون: أمروها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11][2].

وبعد أن بين -رحمه الله-أن هذا هو مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الأمة لا سيما القرون المفضلة قال: "وكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة".

وقرر أنه من المحال أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ ما أنزل عليه لا سيما في ما يتعلق في باب الأسماء والصفات فقال: "ثم إنه من المحال أن يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

---

(1) عقيدة باب بن الشيخ سيدي، (ص/1).

(2) عقيدة باب بن الشيخ سيدي، (ص/2-3) وانظر السلفية وأعلامها في موريتانيا، (ص/306).

[المائدة:3] ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما تجوز نسبته إليه مما لا تجوز"[1].

وليس بعد هذا البيان من بيان لمن وفقه الله وطهر قلبه من أقذار التشبيه، فرحم الله أهل السنة ورفع درجاتهم أحياءً وأمواتاً.

4. قول الشيخ محمد المهابة[2] -رحمه الله-

قال -رحمه الله-: "... إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم من الفقهاء والمحدثين مجمعون على إبقاء نصوص الكتاب **والسنة على ظواهرها** ... والسكوت عليها من غير تعطيل ولا تشبيه، ولا تكييف ولا تأويل، بل يعتقدونها بلا تكييف، مع اعتقادهم أن الله تعالى ليس كمثله شيء ... إن هذا المذهب هو الذي كان عليه مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك -رحمهم الله-، فقد روي عنهم كلهم أنهم أثبتوا الصفات التي وردت في الكتاب والسنة، وقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف، وهو قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ... وأما الجهمية فأنكروا ذلك وتأولوا آيات الصفات وأحاديثها، وفسروها على غير ما فسر أهل العلم"[3].

وبعد أن بين الشيخ محمد المهابة للأشاعرة مذهب السلف في الاعتقاد بظواهر النصوص والصفات الواردة فيها من غير تأويل ولا صرف لها عن ظاهرها، مع التنزيه لله عز وجل وذاته العلية عن أن تشبه الذوات وتتصف بصفات المخلوقين، قال:

"على هذا النهج مضى سلف الأمة وعلماء السنة، ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه

---

(1) السلفية وأعلامها في موريتانيا، تأليف: الطيب بن عمر بن الحسين، (ص/290-293).

(2) هو: العلامة اللغوي محمد المهابة بن سيدي محمد بن الطالب أميجن الجملي ينسبون إلى إدريس ابن عبدالله، حفظ القرآن في صغره، وبرع في الفقه، واللغة العربية، وعلومها، والحديث ومصطلحه، وكان شديد الذكاء، متفوقا على أقرانه، وقد تصدى للرد على المبتدعة من متكلمين ومتصوفة، وغيرهم حتى لقب بابن تيمية الصغير. من مؤلفاته: حاشية على عبدالباقي شارح مختصر خليل، ونظم في أسماء الله الحسنى. انظر: ترجمته في السلفية وأعلامها في موريتانيا، (ص/300-301).

(3) مذهب السلف في التفويض في آيات الصفات، (ص/8-9) والسلفية في موريتانيا، (ص/309).

وسلم ولا أحد من أصحابه من طريق صحيح، تصريح بوجوب تأويل شيء من ذلـــك، ولا المنع من ذكره؛ ومن المحال أن يترك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الباب فلا يبين ما يجوز نسبته إلى الله مما لا يجوز..."[1].

وبهذه النقول يتضح لنا جهود أئمة المالكية وأنهم يرون إجراء نصوص الصفات على ظاهرها، ولا يحملونها على التأويل الباطل، وعلى هذا مضى سلفهم وسار خلفهم مما يدل على إجماعهم على هذا المنهج السلفي، شأنهم في ذلك شأن أهل السنة والجماعة.

يقول ابن قيم الجوزية في هذا الصدد:

"وقد تطابقت نصوص الكتاب والسنة والآثار على إثبات الصـــفات لله وتنوعـــت دلالتها عليها أنواعا توجب العلم الضروري بثبوتها، وإرادة المتكلم اعتقاد ما دلت عليـــه والقرآن مملوء من ذكر الصفات والسنة ناطقة بمثل مانطق به القرآن مقررة له مصدقة له مشتملة على زيادة في الإثبات، ومن أبين المحال وأوضح الضلال حمل ذلك كلـــه علـــى خلاف حقيقته وظاهره، ودعوى المجاز فيه والاستعارة وأن الحق في أقوال النفاة المعطلين وأن تأويلاتهم هي المرادة من هذه النصوص؛ إذ يلزم من ذلك أحد محاذير ثلاثة لا بد منها أو من بعضها وهي: القدح في علم المتكلم به، أو في بيانه، أو في نصحه"[2].

---

(1) المرجع السابق، (ص/11).
(2) الصواعق المرسلة، (320/1-324).

المسألة الثانية: التسليم لفهم السلف الصالح.

من قواعد أهل السنة والجماعة في الاستدلال الرجوع والتسليم لفهم السلف الصالح والاسترشاد بفهمهم لنصوص الكتاب والسنة في أصول الدين وفروعه لا سيما في أبواب الاعتقاد لأنهم خير الأمة بنص النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك حيث بين عليه الصلاة والسلام أن الخيرية في القرون الثلاثة الأولى، وأول هؤلاء الأعلام الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- حيث شاهدوا التنزيل وعاصروه ولازموا النبي صلى الله عليه وسلم وتلقوا الوحي عنه وأخذوا تأويله منه كما في حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- في حديث حجة الوداع[1].

وقد حفظ الصحابة -رضي الله عنهم- سنة النبي صلى الله عليه وسلم وبلغوها كما سمعوها وفهموها فهم أفقه الأمة وأعلم الأمة بمراد الله ورسوله، وتلقى التابعون عنهم ذلك وفهموه كما فهموه عن رسول الله، ثم اتصل ذلك بمن بعدهم من تابعيهم من أعيان القرون الثلاثة المفضلة؛ فوجب الاقتداء بهم ومعرفة إجماعهم والرجوع إلى فهمهم، وهذا هو المنهج الذي سار عليه أهل السنة والجماعة يبلغه كل سلف لخلفهم إلى يومنا هذا.

والمحققون من أئمة المالكية كغيرهم من أهل السنة والجماعة يسيرون على هذا المهيع الواضح. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

1. **قول الإمام مالك** -رحمه الله- حيث قال في بيان التسليم والاتباع لأقوال السلف وأن الخير في اتباعهم لأنهم أعلم بالنصوص لقربهم من زمن التنزيل ولأخذهم عن سلفهم الصالح من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة -رضوان الله عليهم- وقد أخذ الصحابة عن رسول الله وحضروا التنزيل وفهموه. قال: "التسليم للسنن لا تعارض برأي ولا تدافع بقياس، وما تأوله منها السلف تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ونتبعهم فيما بينوا ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو تأويله"[2].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم.

(2) كتاب الجامع، (ص/148-149).

وقال أشهب: سمعت مالك بن أنس -رحمه الله- يقول: "إياكم والبدع! فقيل يا أبا عبد الله: وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان"[1].

وقال عبد الرحمن بن مهدي -رحمه الله-: دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن؟ فقال: "لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد؟ لعن الله عمراً؛ فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل".

وقال مطرف -رحمه الله- سمعت مالكاً -رحمه الله- إذا ذكر عنده فلان من أهل الزيغ والأهواء- يقول: "قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل واستكمال لطاعة الله عز وجل وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتدٍ، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا"[2].

وقال -رحمه الله-: "من أحدث اليوم في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:3]، فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً"[3].

فهذا الإمام مالك -رحمه الله- يرى وجوب الرجوع إلى فهم السلف الصالح، وأنه لا يجوز لأحد أن يقول بشيء لم ينقل عنهم في أبواب الدين عموماً والتوحيد على وجه الخصوص، ويرى أن الخروج عن ذلك زيغ وضلال وانحراف وزندقة، بل ينكر على من يسأل مسائل لم ترد عن السلف الصالح -رحمهم الله عز وجل-.

---

(1) منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة، (ص/115).
(2) ترتيب المدارك، (88/1).
(3) منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة، (ص/117).

2. **قول ابن الماجشون-رحمه الله-** حيث قال في كتاب كتبه لأحد أصحابه بعد أن حثه على السنة ولزومها ولزوم ما كان عليه السلف الصالح من فهم وعلم: "... فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم؛ فإنهم على علم وقفوا وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبفضل لو كان فيها أحرى، وإنهم لهم السابقون. فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن حدث بعدهم فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا عنه بما يشفي، فما دونهم مقصر ولا فوقهم محسر، لقد قصر دونهم أناس فجفوا، وطمح آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم"[(1)].

وكتب عبد الملك بن الماجشون إلى سحنون -رحمهما الله- لما ذكر له ما حدث من الكلام في التشبيه والقرآن قال: "أما بعد: وفقنا الله وإياكم لطاعته. سألتني عن مسائل ليست من شأن أهل العلم والعمل بها جهل، فيكفيك من مضى من صدر هذه الأمة أنهم اتبعوا بإحسان و لم يخوضوا في شيء منها، وقد خلص الدين إلى العذراء في خدرها، فما قيل لها كيف ولا أين؟ فاتبع لما اتبعوا واعلم أن العلم الأعظم الذي لا يشاء الرجل أن يتكلم في شيء من هذا، فيكب فيهوي في نار جهنم"[(2)].

فقد بين-رحمه الله- أن الحق في اتباع السلف وعدم الخروج عما كانوا عليه، وبين أن الخروج عما عليه السلف الصالح سبب للهلاك؛ وهذا من أكبر الأدلة على أنه -رحمه الله- يرى لزوم ما عليه أهل السنة.

3. **قول الإمام الشاطبي.**

قال -رحمه الله- في بيان وجوب اتباع السلف وتقديم فهمهم: "الحذر الحذر من مخالفة الأولين! فلو كان ثم فضل ما لكان الأولون أحق به، والله المستعان". ثم قال: "... وما توهمه المتأخرون من أنه دليل على ما زعموا ليس بدليل البتة؛ إذ لو كان دليلا عليه، لم يعزب عن فهم الصحابة والتابعين ثم يفهمه هؤلاء، فعمل الأولين كيف كان مصادم لهذا المفهوم ومعارض له، ولو كان ترك العمل؛ فما عمل به المتأخرون من هذا القسم

(1) الإبانة، (247/2).

(2) ترتيب المدارك، (209/1).

مخالف لإجماع الأولين، وكل من خالف الإجماع فهو مخطئ، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة، فما كانوا عليه من فعل أو ترك؛ فهو السنة والأمر المعتبر، وهو الهدى، وليس ثم إلا صواب أو خطأ؛ فكل من خالف السلف الأولين فهو على خطأ، وهذا كاف"(1).

وقال -رحمه الله-: "وكثير من فرق الاعتقادات تعلق بظواهر من الكتاب والسنة في تصحيح ما ذهبوا إليه، مما لم يجر له ذكر ولا وقع ببال أحد من السلف الأولين، وحاش لله من ذلك"(2).

وقال: "فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به؛ فهو أحرى بالصواب وأقوم في العلم والعمل"(3).

وبتأمل النقول السابقة نجد أن الإمام الشاطبي يرى وجوب الرجوع إلى فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لأنهم الأولى بالاتباع في كل شيء من أمور الدين؛ وذلك لقرب عهدهم من زمن التنـــزيل وسلامة ألسنتهم من العجمة وكونهم من القرون المفضلة التي أثنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم، وأن كل ما يخالف فهمهم فهو ضلال وانحراف.

4. **قول الإمام محمد الأمين الشنقيطي** حيث قال -رحمه الله- مبيناً موقف السلف من صفات الله عز وجل وفهمهم لها وأن ذلك هو الأسلم والأعلم والأحكم: "إن من كان على معتقد السلف الصالح إذا سمع مثلاً قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:5] امتلأ قلبه من الإجلال والتعظيم والإكبار لصفة رب العالمين التي مدح بها نفسه وأثنى عليه بها، فجزم بأن تلك الصفة التي تمدح بها خالق السماوات والأرض بالغة من غايات الكمال والجلال ما يقطع علائق أوهام المشابهة بينها وبين صفات الخلق؛ لأن الصفة لا يمكن أن تشبه صانعها في ذاته ولا في شيء من صفاته. وبإجلال تلك الصفة وتعظيمها وحملها على أشرف المعاني اللائقة بكمال من وصف بها نفسه وجلاله يسهل على ذلك المؤمن السلفي أن يؤمن بتلك الصفة ويثبتها لله كما أثبتها لنفسه على أساس التنـــزيه؛ فيكون أولاً منـــزهاً سالماً من أقذار التشبيه، وثانياً مؤمناً بالصفات مصدقاً بها على أساس

---

(1) الموافقات، (3/ 280-281).

(2) المصدر السابق، (3/ 282).

(3) المصدر نفسه، (3/ 289).

التنـــزيه، فيكون سالماً من أقذار التعطيل. فيجمع بين التنـــزيه والإيمان بالصفات على نحو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، فمعتقده طريق سلامة محققة؛ لأنه مبني على ما تضمنته آية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ من التنـــزيه والإيمان بالصفات، فهو تنـــزيه من غير تعطيل وإيمان من غير تشبيه ولا تمثيل، وكل هذا طريق سلامة محققة وعمل بالقرآن، فهذا هو مذهب السلف"(1).

وقال -رحمه الله- أيضاً: "والسلف الصالح -رضي الله عنهم- ما كانوا يشكون في شيء من ذلك، ولا كان يشكل عليهم. ألا ترى إلى قول الفرزدق وهو شاعر فقط، وأما من جهة العلم فهو عامي:

وكيف أخاف الناس والله قابض … على الناس والسبعين في راحة اليد

فمن علم مثل هذا من كون السماوات والأرضين في يده جلّ وعلا أصغر من حبة خردل، فإنه عالم بعظمة الله وجلاله، لا يسبق إلى ذهنه مشابهة صفاته لصفات الخلق. ومن كان كذلك زال عنه كثير من الإشكالات التي أشكلت على كثير من المتأخرين"(2).

وهكذا نجد أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يستدلون على فهم نصوص الصفات بفهم السلف الصالح -رحمهم الله-، شأنهم شأن إخوانهم من أهل السنة والجماعة كما يدل على ذلك:

أ. **قول ابن تيمية** في رجوع أئمة السلف إلى أقوال التابعين وتابعيهم في تفسير القرآن الكريم: "إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه كان آيةً في التفسير، ... وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم"(3).

---

(1) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، (ص/47-48) وانظر: آداب البحث والمناظرة، (ص/373-374).
(2) أضواء البيان، (321/2).
(3) مجموع الفتاوى، (368/13-369).

ويقول في الأخذ بأقوال القرون الثلاثة الأولى: "معرفة أقـوالهم في العلـم والـدين وأعمالهم خير وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعمالـه كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك؛ فـإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة، فالاقتداء بهم خير مـن الاقتـداء بمـن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يـذكر مـن إجماع غيرهم ونزاعهم، وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوماً، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم، فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم، ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه لقولـه تعـالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:59]"[1].

ب. ويقول ابن القيم: "فصل في جواز الفتوى بالآثار السلفية والفتاوي الصحابية وأنها أولى بالأخذ بها من آراء المتأخرين وفتاويهم، وأن قربها إلى الصواب بحسب قرب أهلها من عصر الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وأن فتاوى الصحابة أولى أن يؤخذ بها من فتاوي التابعين، وفتاوى التابعين أولى من فتاوى تابعي التابعين وهلم جرا، وكلما كان العهد بالرسول أقرب كان الصواب أغلب، وهذا حكم بحسب الجنس لا بحسب كل فرد فرد من المسائل، كما أن عصر التابعين وإن كان أفضل من عصر تابعيهم، فإنما هو بحسب الجنس لا بحسب كل شخص شخص"[2].

(1) مجموع الفتاوى، (13/24-25).

(2) إعلام الموقعين، (4/118).

المسألة الثالثة: الرُّجوعُ إلى لغة العرب.

يستدل أهل السنة والجماعة بمفهوم لغة العرب على إثبات الصفات لله عز وجل ومعرفة معانيها لأن القرآن نزل بلغة العرب وخاطبهم بما يعرفون معانيه من لغتهم. ويدل لذلك أن العرب لم يكن أحد منهم يسأل عن معنى مسألة من مسائل الدين لا في الإحكام ولا في العقائد، و لم يحدث الانحراف عند المسلمين في مسائل العقيدة في القرون الثلاثة الأولى حتى عربت كتب اليونان وضعف اللسان العربي بعد انتشار المولدين في الإسلام من أبناء فارس والروم، وتصدر كثير منهم للتدريس والفتيا مع انتشار العجمة؛ ولذا فإن الرجوع إلى لغة العرب من أهم الأمور المعينة على فهم مراد الله ومراد رسوله.

فمن أراد فهم معاني النصوص فعليه الرجوع إلى اللغة الأم التي نزل بها القرآن والسنة. وأهل السنة والجماعة على هذا المهيع يسيرون وإلى تلك الطريق يرجعون.

والمحققون من أئمة المالكية لا يخرجون عن هذا السبيل، شأنهم شأن إخوانهم من أئمة أهل السنة والجماعة، وأقوالهم في دروسهم وفتاويهم ومؤلفاتهم تدل على ذلك، ومن أمثلته ما يلي:

1. **قول الإمام مالك** حيث قال -رحمه الله- في الأثر المشهور عنه في إجابة السائل عن الاستواء: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

ففي قوله -رحمه الله- "الاستواء معلوم" أي: معلوم من لغة العرب وأنه يراد به العلو والاستقرار والقصد. فمعنى الاستواء متقرر عند العرب؛ ولذا فلا يحتاج إلى تأويل أو تحريف أو اجتهاد في استنباط معنى، فهو بين واضح. ولذا لم يحتج -رحمه الله- إلى حشد أدلة أو جمع أقوال للاستدلال على معنى الاستواء. وهذا من أكبر الأدلة على أن الرجوع إلى لغة العرب مما يعين على فهم معاني صفات الله عز وجل.

ومما يدل على أنه -رحمه الله- يرى وجوب معرفة لغة العرب أن ذلك شرط أساس لكل من تصدى لتفسير كتاب الله عز وجل حتى لا يقع في الخلل إذ لا بد من فهم اللغة العربية لفهم مراد الله عز وجل، ومن ذلك معرفة أسماء الله وصفاته؛ إذ أن القرآن العظيم هو الطريق لمعرفة معاني الأسماء والصفات. يقول -رحمه الله-: "لا أُوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً"[1]، ومراده من لم تتوفر فيه أهلية التفسير ومنها معرفة لغة العرب كما تقدم.

---

(1) انظر مالك بن أنس، تأليف: عبد الغني الدقر، (ص/283) وشعب الإيمان للإمام البيهقي، (425/2).

وهذا من أكبر الأدلة على أنه -رحمه الله- يرى وجوب فهم لغة العرب لمن أراد أن يفسر القرآن حتى لا يقع في شيء من تحريف كتاب الله عز وجل لئلا يقع في الخطأ فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته.

2. **قول الإمام أبو عمر الطلمنكي.**

قال -رحمه الله- محتجاً باللغة العربية على المعتزلة والجهمية الذين ينكرون أسماء الله عز وجل خوفاً من التشبيه بزعمهم: " فقد قال قوم من المعتزلة والجهمية لا يجوز أن يسمى الله عزوجل بهذه الأسماء على الحقيقة ويسمى بها المخلوق؛ فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه وأثبتوها لخلقه، فإذا سئلوا: ما حملهم على هذا الزيغ؟ قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه. قلنا: هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها؛ لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا تحصل بالتسمية، وإنما تشبيه الأشياء بأنفسها أو بهيئات فيها كالبياض بالبياض والسواد بالسواد والطويل بالطويل والقصير بالقصير، ولو كانت الأسماء توجب اشتباهاً لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها وعموم تسمية الأشياء به. فنسألهم: أتقولون إن الله موجود؟ فإن قالوا نعم، قيل لهم: يلزمكم على دعواكم أن يكون مشبها للموجودين. وإن قالوا موجود ولا يوجب وجوده الاشتباه بينه وبين الموجودات، قلنا: فكذلك هو حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم، يعني ولا يلزم اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات"(1).

فانظر كيف أنه -رحمه الله- استدل باللغة العربية على مجادلة المخالفين، وأن مجرد الاشتباه في المسميات لا يلزم منه التشابه في كل شيء، وهذا استدلال بلغة العرب التي هي قالب نصوص الكتاب والسنة.

3. **قول الشاطبي.**

قال -رحمه الله- مبيناً أن من أسباب انحراف الفرق الضالة عن الصراط المستقيم الجهل باللغة العربية: "إن الله عز و جل أنزل قرآناً عربياً لا عجمة فيه بمعنى أنه جاء في ألفاظه ومعانيه وأساليبه على لسان العرب، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزُّخرُف:3] وقال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ [الزُّمَر:28]وقال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:193-195].

---

(1) العلو للعلي الغفار، تأليف: الإمام شمس الدين الذهبي، إشراف: أشرف بن عبد المقصود، (ص/246).

وكان المُنَـزَّل عليه القرآنُ عربيّاً أفصح من نطق بالضاد، وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وكان الذين بُعِث فيهم عرباً أيضاً، فجرى الخطاب به على معتادهم في لسانهم؛ فليس فيه شيء من الألفاظ والمعاني إلا وهو جارٍ على ما اعتادوه، ولم يداخله غيره، بل نفى عنه أن يكون فيه شيء أعجمي فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل:103].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ﴾ [فُصِّلَت:44].

هذا؛ وإن كان [قد] بُعِث للناس كافة؛ فإن الله جعل جميع الأمم وعامة الألسنَة في هذا الأمر تبعاً للسان العرب، وإذا كان كذلك فلا يفهم كتاب الله تعالى إلا من الطريق الذي أنزله عليه، وهو اعتبار ألفاظها ومعانيها وأساليبها".

... فإذا ثبت هذا فعلى الناظر في الشريعة والمتكلم فيها -أصولاً وفروعاً- أمران:

- **أحدهما**: أن لا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربيّاً أو كالعربي في كونه عارفاً بلسان العرب، بالغاً فيه مبالغ العرب أو مبالغ الأئمة المتقدمين كالخليل، وسيبويه، والكسائي، والفراء، ومن أشبههم وداناهم، وليس المراد أن يكون حافظاً كحفظهم وجامعاً كجمعهم، وإنما المراد أن يصير فهمه عربيّاً في الجملة، وبذلك امتاز المتقدمون من علماء العربية على المتأخرين؛ إذ بهذا المعنى أخذوا أنفسهم حتى صاروا أئمة، فإن لم يبلغ ذلك فحسبه في فهم معاني القرآن: التقليد، وأن لا يحسن ظنه بفهمه دون أن يسأل فيه أهل العلم به.

قال الشافعي -رحمه الله- لما قرر معنى ما تقدم: "فمن جَهِل هذا من لسانها - يعني: لسان العرب- وبلسانها نَزَل الكتاب وجاءت السنة به؛ فتكلَّف القول في علمها تكلُّف ما يجهل بعضه، ومن تكلف ما جهل وما لم تُثْبته معرفته كانت موافقته للصواب -إن وافقه من حيث لا يعرفه- غير محمودة، وكان بخطئه غير معذور إذا نطق فيما لا يحيط علمُه بالفرق بين الصواب والخطأ فيه.

وما قاله حقٌّ؛ فإن القول في القرآن والسنة بغير علم تكلُّف -وقد نُهينا عن التكلف- ودخولٌ تحت معنى الحديث حيث قال عليه الصلاة و السلام: "حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً، [فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا]"؛ لأنهم إذا لم يكن لهم لسان عربي يرجعون إليه في كتاب الله وسنة نبيه، رجع الأعجمي إلى فهمه وعقله المجرد عن التمسك بدليل، فضلَّ عن الجادة.

وقد خرّج ابن وهب عن الحسن أنه قيل له: أرأيت الرجل يتعلم العربية ليقيم بها لسانه ويصلح بها منطقه ؟ قال: نعم، ليتعلمها؛ فإن الرجل يقرأ [الآية] فيعيا بوجهها، فيهلك. وعن الحسن قال: أهلكتهم العجمة، يتأولون القرآن على غير تأويله!

- **والأمر الثاني** : أنه إذا أشكل عليه في الكتاب أو في السنة لفظ أو معنى فلا يُقدم على القول فيه دون أ ن يستظهر بغيره ممن له علم بالعربية، فقد يكون إماماً فيها ولكنه يخفى عليه الأمر في بعض الأوقات؛ فالأولى في حقه الاحتياط إذ قد يذهب على العربي المحض بعضُ المعاني الخاصة حتى يسأل عنها، وقد نقل شيء من هذا عن الصحابة -وهم العرب- فكيف بغيرهم؟!

نقل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [يوسف:101] حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها أي: أنا ابتدأتها.

قا ل الشافعي : "لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً".

قال : "ولا نَعْلَمُه يحُيط بجميع علمه إنسان غير نبي ولكنه لا يذهب منه شيء على عامّتها حتى لا يكون موجوداً فيها مَن يعرفه".

قال: "والعلم به عند العرب: كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلاً جمع السُّنن فلم يذهب منها عليه شيء، فإذا جُمع علم عامة أهل العلم بها؛ أتى على السنن، وإذا فُرِّق كل واحد منهم؛ ذهب عليه الشيء منها، ثم كان ما ذهب عليه منها موجوداً عند غيره ممن كان في طبقته وأهل علمه".

قال : وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها لا يذهب منه شيء عليها ولا يُطلب عند غيرها، ولا يعلمه إلا من قَبِله عنها، ولا يَشركها فيه إلا من اتَّبعها في تعلمه منها، ومن قبله منها فهو من أهل لسانها، وإنما صار غيرهم من غير أهله بتركه؛ فإذا صار إليه صار من أهله".

هذا ما قال، ولا يخالف فيه أحد. فإذا كان الأمر على هذا؛ لزم كل من أراد أن ينظر في الكتاب والسنة أن يتعلم الكلام الذي به أُدِّيت، وأن لا يحسِّن ظنه بنفسه قبل الشهادة له من أهل علم العربية بأنه ممن يستحق النظر، وأن لا يستقل بنفسه في المسائل المشكلة التي لم يحط بها علمه دون أن يسأل عنها من هو من أهلها، فإن ثبت على هذه الوَصاة كان -إن شاء الله- موافقاً لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام".

ثم قال: "...إن الصحابة كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض ما يشكل عليهم فهمه من ألفاظ اللغة العربية، وأن الواجب اقتفاء آثارهم في ذلك".

فهذه أدلة تدل على أن بعض العرب يعزب عن علم بعض العرب؛ فالواجب السؤال كما سألوا فيكون على ما كانوا عليه، وإلا زلّ فقال بالشريعة برأيه لا بلسانها. ثم قال بعد أن ذكر أمثلة زلّ أصحابها بسبب عدم رجوعهم إلى لغة العرب: "فقد ظهر بهذه الأمثلة كيف يقع الخطأ في العربية في كلام الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك يؤدي إلى تحريف الكلم عن مواضعه! والصحابة رضوان الله عليهم برآء من ذلك لأنهم عرب لم يحتاجوا في فهم كلام الله تعالى إلى أدوات ولا تعلُّم، ثم من جاء بعدهم ممن ليس بعربي اللسان تكلَّف ذلك حتى علمه، وحينئذ داخل القومَ في فهم الشريعة وتنـــزيلها على ما ينبغي فيها كسلمان الفارسي وغيره. فكل من اقتدى بهم في تنـــزيل الكتاب والسنة على العربية -إن أراد أن يكون من أهل الاجتهاد-؛ فهو إن شاء الله داخل في سوادهم الأعظم، كائن على ما كانوا عليه، فانتظم في سلك [الفرقة] الناجية" (1)

فبين -رحمه الله تعالى- أن الرجوع إلى اللغة العربية وفهمها كما فهمها السلف الصالح من أعظم أسباب النجاة وسلوك الصراط المستقيم، والانحراف عن ذلك أو الإعراض سبب للهلاك -والعياذ بالله-.

---

(1) الاعتصام، (2/50-58).

4. **قول العلامة محمد الأمين الشنقيطي**، قال- رحمه الله- بعد كلام له في إثبات الصفات لله عز وجل مبينا الاستدلال بلغة العرب: "وهذا الذي أوضحناه من إثبات الصفات لله حقيقة من غير تكييف، ولا تشبيه هو معنى قول الإمام مالك رحمه الله: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول؛ فإن معنى قوله: الاستواء غير مجهول- أن هذا الوصف معروف عند العرب، وهو في لغتهم الارتفاع والاعتدال؛ لكن ما نسب إلى الله من هذا الوصف لا يشابه ما نسب منه للحوادث، وذلك معنى قوله: والكيف غير معقول.

فقول الإمام مالك: الاستواء غير مجهول- نفي للتعطيل، وقوله: والكيف غير معقول- نفي للتشبيه والتكييف، وبنفي الأمرين يكون الصواب، وما روي عن مالك- رحمه الله- روي مثله عن أم المؤمنين هند بنت أبي أمية أم سلمة رضي الله عنها"[(1)]

وبهذه النقول يتضح لنا أن المحققين من أئمة المالكية يرجعون في استدلالهم لتقرير توحيد الأسماء والصفات إلى لغة العرب التي نزل بها القرآن، وهم لا يخرجون بهذا المنهج عما عليه أهل السنة والجماعة كما تقدم نقل الإمام الشاطبي عن الإمام الشافعي -رحمهما الله جميعاً-، كما يتبين أن هذا هو منهج متقدمي المالكية ومتأخريهم -رحم الله الجميع-.

---

(1) الرحلة إلى الحج، (ص/67).

المسألة الرابعة: الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

إن من القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة في إثبات صفات الله عز وجل وأسمائه أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذي حذوه ويتبع فيه مثاله. والقاعدة في ذلك كله قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]. فكما أن لله عز وجل ذاتاً حقيقية منـــزهة عن مشابهة الذوات؛ فكذلك له صفات حقيقية منـــزهة عن مشابهة صفات المخلوقين[1].

وأئمة المالكية كغيرهم من أهل السنة والجماعة لا يخرجون عن هذه القاعدة، ومن أمثلة ذلك:

أولاً: قول الإمام مالك -رحمه الله- حيث قال في الأثر المشهور عنه لمن سأله عن الاستواء: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

فقد بين -رحمه الله- أن الاستواء معلوم لأنه صفة من صفات الله عز وجل ثابتة بدليل الكتاب والسنة والإجماع واللغة. والاستواء مضاف إلى الله عز وجل وذات الله عز وجل معلومة بدليل الكتاب والسنة والإجماع والفطرة؛ لكن لا تعلم حقيقة ذاته عز وجل لعدم إحاطة العقول بذلك، فكذلك يجب عدم السؤال عن حقيقة الاستواء لعجز العقول عن إدراك ذلك، وهذه قاعدة يجب طردها في جميع صفات الله عز وجل.

ثانياً: قول القرطبي حيث قال -رحمه الله-: " فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود بما ذكرنا لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته على ما يأتي إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.

فإذا قلنا يد وسمع وبصر ونحوها، فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، لا نقول إن معنى اليد: القوة والنعمة، ولا معنى السمع والبصر: العلم، ولا نقول إنها جوارح وأدوات للفعل، ذهب إلى القول بهذا جماعة من الأئمة، فلم يتأولوا، وكذلك جميع الصفات أجروها على ظاهرها ونفوا الكيفية والتشبيه عنها...

---

(1) انظر: جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات، تأليف: د/وليد بن محمد بن عبد الله العلي (993/2) وانظر الرسالة المدنية لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (355/6).

قال الخطابي: "فإن قيل كيف يصح الإيمان بما لا نحيط علماً بحقيقته أو كيف يتعاطى وصفه تعالى بشيء لا درك له في عقولنا؟ قيل له: إن إيماننا صحيح بحق ما كلفناه منها، وعلمنا محيط بأمر الذي ألزمناه فيها وإن لم نعرف لما تحتها حقيقة ولا كيفية، وقد أمرنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والجنة ونعيمها والنار وأليم عقابها، ومعلوم أنا لا نحيط علماً بكل شيء منها على التفصيل؛ وإنما كلفنا بالإيمان بها جملة. ألا ترى أنا لا نعلم أسماء عدة الأنبياء وكثيراً من الملائكة، ولا يمكننا أن نحصي عددهم ولا أن نحيط بصفاتهم ولا أن نعلم خواص معانيهم، ولم يكن ذلك قادحاً في إيماننا بما أمرنا أن نؤمن به من أمرهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في صفة الجنة: "يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"، وقد حجب عنا علم الروح ومعرفة كيفيته مع علمنا بأنه له التمييز وبه تدرك المعارف، وهذه كلها مخلوقات الله؛ فما ظنك بصفات رب العالمين سبحانه"[1].

فقد بين -رحمه الله تعالى- أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات؛ فكما أننا نثبت لله عز وجل ذاتاً مقدسة منـــزهة عن مشابهة ذوات المخلوقين، ومـــع إيماننـــا بذلك إلا أننا لا نحيط بذاته سبحانه، فكذلك يجب أن نجري الكلام في الصفات فنثبت لله صفات حقيقية على ما يليق بجلاله، ولكننا لا نستطيع أن نعرف كيفياتها ولا نحيط بشيء منها لقوله عز وجل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:255].

ثالثاً: قول العلامة محمد الأمين الشنقيطي حيث قال -رحمه الله- في بيان أن القـــول في الصفات والقول في الذات من باب واحد وأنه لا يجوز التفريق: "الثاني: أن تعلمـــوا أن الصفات والذات من باب واحد؛ فكما أننا نثبت ذات الله جل وعـــلا إثبـــات وجـــود وإيمان، لا إثبات كيفية مكيفة، فكذلك نثبت لهذه الذات الكريمة المقدسة صفات، إثبات إيمان ووجود لا إثبات كيفية وتحديد"[2].

---

(1) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (10/2).

(2) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، (ص/38).

وقال في بيان أن الصفات جميعها من باب واحد: "... أن جميع الصفات من بـــاب واحد إذ لا فرق بينها البتة؛ لأن الموصوف بها واحد، وهو جل وعلا لا يشبه الخلـــق في شيء من صفاتهم البتة، فكما أنكم أثبتم له سمعاً وبصراً لائقين بجلاله لا يشبهان شيئاً من أسماع الحوادث وأبصارهم، فكذلك يلزم أن تجروا هذا بعينه في صفة الاستواء والنـــزول والمجيء، إلى غير ذلك من صفات الجلال والكمال التي أثنى الله بها على نفسه"[(1)].

وبهذا يتبين لنا أن منهج المحققين من أئمة المالكية في الاستدلال هـــو أن القـــول في الصفات كمثل القول في الذات وأن الصفات من باب واحد؛ فما يقال في صفة يقال في الصفة الأخرى، ويستوي في ذلك متقدموا المالكية ومتأخروهم، وهذا هو منهج أئمة أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

يقول الخطيب البغدادي -رحمه الله-: "أما الكلام في الصفات فإن ما روي منـــها في السنن الصحاح مذهب السلف -رضي الله عنهم- إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفـــي الكيفية والتشبيه عنها ... والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكـــلام في الذات ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله؛ فإذا كان معلوما أن إثبات رب العالمين عز و جل إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف"[(2)].

---

(1) المصدر السابق، (ص/38).

(2) ذم التأويل لابن قدامة، (ص/15)، والفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (284/18).

المطلب الخامس: موقفهم مما يوهم التعارض في النص، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى: تعريف التوهم والتعارض لغة واصطلاحا.

أولاً: تعريف التوهم لغة واصطلاحا.

أ- التوهم لغة.

التوهم على وزن تفعل: اسم فاعل من أوهم يوهم إيهاماً، فهو موهم، وأصله الثلاثي "وهم"[1].

والوهم يطلق في اللغة ويستعمل لعدة معان من أهمها:

بِسْـــــــمِ -الغلط: قال ابن منظور في اللسان: "يقال: وهمت في كذا وكذا أي: أغلطت، ووهمت في الحساب أوهم وهماً إذا غلطت فيه"[2].

ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ - الترك والإسقاط: قال ابن فارس:الوهم وهم القلب، يقال: وهمت أهم وهماً إذا ذهب وهمي إليه، ومنه قياس التهمة. وأوهمت في الحساب إذا تركت منه شيئاً[3].

وجاء في الصحاح: أوهمت الشيء إذا تركته كله، يقال: أوهم من الحساب مائة أي: أسقط[4]. ويقال: أوهم الرجل في كتابه وكلامه: إذا أسقط[5].

ٱلرَّحِيمِ - السهو: وهم في الصلاة وهماً ووهم كلاهما سها. ووهمت في الصلاة سهوت، فأنا أهم[6].

بِسْـــــــمِ -ذهاب القلب إلى ما لا يراد:: قال ابن فارس: "الوهم وهم القلب. يقال: وهمت أهم وهماً إذا ذهب وهمي إليه. ومنه قياس التهمة"[1].

---

(1) انظر: موهم الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم، تأليف: ياسر أحمد علي الشمالي، (ص/35).

(2) لسان العرب، مادة وهم، (130/8).

(3) معجم مقاييس اللغة، مادة وهم، (ص/1068).

(4) الصحاح، (220/5)، مادة وهم.

(5) تهذيب اللغة، (466/1).

(6) المصدر السابق، (665/1)، مادة وهم.

وقال الجوهري: وهمت في الشيء بالفتح ، أهَم وهماً: إذا ذهب وهمك إليه وأنت تريد غيره"[2].

ب- **الوهم اصطلاحاً**: هو ما يجعل القلب يذهب إلى المعنى الذي لايقصد ولا يراد فيكون سبباً للوهم[3].

ثانياً: تعريف التعارض لغة واصطلاحا.

أ- **التعارض لغة.**

التعارض مصدر عارض يعرض تعارضاً، فهو يقتضي فاعلين فأكثر[4].

وأصل المادة العُرض بضم العين وتدور على معان كثيرة من أهمها:

بِسْــــــمِ -المنع. قال الأزهري: "يقال: اعترض الشيء إذا وضع كالخشبة المعترضـــة في الطريق

تمنع السالكين سلوكها. وكل مانع منعك من شغل وغيره من الأعراض فهو عارض. وقد عارض أي: حال حائل ومنع مانع[5]".

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ - المقابلة. قال ابن منظور: "عارض الشيء بالشيء معارضة: قابله، وعارضت

كتاباً بكتابين: أي قابلته"[6].

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه

---

(1) معجم مقاييس اللغة، (272/4)، مادة وهم.

(2) الصحاح، (220/5)، مادة وهم.

(3) انظر: موهم الاختلاف والتناقض، (ص/35).

(4) انظر: منهج التوفيق والترجيح بين مختلف الحديث وأثره في الفقه، تأليف: عبد المجيد بن محمد السوسوة، (ص/33) ودراسات في التعارض والترجيح، تأليف: السيد صالح عوض،(ص/12).

(5) تهذيب اللغة، (425/1-463)، مادة عرض، وتاج العروس، (43/5)، مادة عرض.

(6) لسان العرب، مادة عرض، (28/5).

عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي"[1].

وقال ابن الأثير: أي كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن، من المعارضة: المقابلة[2].

ٱلرَّحِيمِ - الظهور والإظهار.

قال الجوهري: "عرض له أمر كذا: أي ظهر، وعرضت له الشيء: أظهرته وأبرزته إليه"[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة:31]. ويقال: عرضت المتاع للبيع: أي أظهرته لذوي الرغبة ليشتروه[4].

ومنه أيضاً قوله عز وجل: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف:100]، أي: أبرزناها وأظهرناها للكافرين[5].

ب- التعارض في الاصطلاح.

تباينت عبارات الأصوليين واختلفت في تعريف التعارض وتحديده، وأقرب هذه التعريفات تعريف الأسنوي حيث قال: "التعارض بين الأمرين هو تقابلهما على وجه يمنع كل منهما مقتضى صاحبه"[6].

وهذا التعريف يلاحظ عليه ما يلي:

بِسْمِ . ذكر الأمرين والأولى أن يقول دليلين لأنه أخص ويقيد ذلك بالشرعيين.

ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ . عبارة: "يمنع كل منهما مقتضى صاحبه" تفيد التعارض الكلي فقط، والواقع احتمال وجود تعارض جزئي في بعض الدليل؛ فكان الأولى التنصيص

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، (ح 3624). ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم.

(2) النهاية في غريب الحديث، (212/3).

(3) الصحاح، (1082/3) ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، (272/2)، مادة عرض

(4) المصباح المنير، (ص/153).

(5) تفسير ابن جرير الطبري، (39/16).

(6) نهاية السؤل (217/2)، بحاشية شرح البدخشي.

على ذلك في التعريف.

والذي يظهر لي أن يقال في تعريف التعارض: "هو تقابل دليلين شرعيين على وجه يقتضي كل واحد منهما عدم مقتضى الآخر كلياً أو جزئياً"[1].

(1) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، تأليف: عثمان ابن علي حسن، (1/314-316).

المسألة الثانية: موقف أهل السنة من وقوع التعارض بين النصوص.

من المتقرر عند أهل السنة والجماعة أن جميع ما أخبر الله به أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم حق؛ ذلك لأن ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن والسنة هو من علم الله تعالى، الذي يعلم السر وأخفى. فما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فالله تعالى أخبر به، وما أمر به صلى الله عليه وسلم فالله تعالى أمر به، ومحال أن يقع فيما أخبر به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أو أمر به الله تعالى ورسوله تضاد أو اختلاف، وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه.

فالقرآن الذي هو كلام الله تعالى -وكلامه إنما يوافق علمه- محال أن يقع بين آياته اختلاف وتعارض: بمعنى أن تخبر آية بثبوت شيء وتخبر أخرى بنفيه، أو تأمر آية بفعل شيء ثم تأمر أخرى بتركه(1)، بل هذا من أمارات الجهل والعجز والتي يتصف بها المخلوق دون الخالق سبحانه.

وكذلك السنة النبوية -وهي وحي من الله كما تقدم- محال أن يقع بين نصوصها اختلاف وتعارض، لا في أخبارها ولا في أحكامها، حيث إنها من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول إنما يخبر بوحي من الله تعالى: نصاً أو إقراراً، ووحيه تعالى موافق لعلمه، فهي -أي السنة- كالقرآن: يخرجان من مشكاة واحدة، فما ثبت للقرآن من هذه الجهة فهو يثبت للسنة، فلا تعارض ولا اختلاف بين نصوصهما: لا بين آية وآية، ولا بين حديث وحديث، ولا بين آية وحديث، بل الكل يجري على نظام واحد ونسق متحد؛ فنصوص الكتاب والسنة يشبه بعضها بعضاً: ألفاظها ومعانيها، أدلتها ومدلولاتها، ولذاك نجد أن الله تعالى قد وصف كتابه بأنه كله متشابه كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزُّمَر:23] والتشابه هنا ضد الاختلاف المنفي عن القرآن كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82]، بل الاختلاف باطل وهو وصف للقول الباطل كما قال تعالى في صفة قول المشركين: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات:8-9].

---

(1) ما لم يكن بينهما تناسخ.

والتشابه هو تماثل الكلام وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضاً، فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، بل يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته، وكذلك إذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر، بل ينهى عنه أو عن نظيره أو عن ملزوماته -ما لم يكن هناك نسخ-. وكذلك إذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيض ذلك، بل يخبر بثبوته أو ثبوت ملزوماته، وإذا أخبر بنفي شيء لم يثبته، بل ينفيه أو ينفي لوازمه، بخلاف القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضاً، فيثبت الشيء تارة وينفيه أخرى، أو يأمر به وينهى عنه في وقت واحد ...

وهذا التشابه يكون في المعاني وإن اختلفت الألفاظ لما يكون بين المعاني من توافق وتعاضد وتناسب وتلازم(1).

فنصوص القرآن والسنة لا تتعارض فيما بينها كما يدعيه أهل البدع(2)، بل كلها وحي من عند الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:3-4]والله تعالى أنزل كتابه القرآن على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بتبليغه وبيانه للناس: قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:44]. والبيان قدر زائد على القرآن المنزل، فمحال أن يتعارض البيان مع المبيَّن وقد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:3]. والقرآن إنما كمل بتبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم لألفاظه ومعانيه وبيان مدلولات ذلك بسنته القولية والعملية، وبذلك وضحت المحجة وقامت الحجة وختمت الرسالة وتمت النعمة ورضي الرب تعالى منه ذلك، فالقول بأن هناك تعارضاً بين نصوص الكتاب والسنة هو مجرد دعوى؛ الغرض منها الطعن في الشريعة والرسالة(3).

---

(1) انظر: الرسالة التدمرية لابن تيمية، (ص/64-65).

(2) انظر: الاعتصام للشاطبي، (246/1) وانظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، تأليف: عثمان ابن علي حسن، (317/1-318).

(3) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، تأليف: عثمان بن حسن علي، (318/1).

ومن الأدلة على عدم وقوع التعارض بين النصوص ما يلي:

بِسۡــــــمِ . قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء:82] فنفى

الله أن يقع في كلامه اختلاف ولو كان فيه ما يقتضي ذلك لم يصدق عليه هذا الكـــلام بحال، وكذلك السنة إذ هي وحي من الله تعـــالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم:3-4].

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ . قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النســاء:59] وجه الدلالة من

الآية أن الله أمر عند الاختلاف وحصول التنازع بالرجوع إلى كتاب الله وإلى رسول الله في حال حياته وإلى سنته بعد وفاته، ولو كان في نصوص الكتاب والســـنة أو بينـــهما تناقض واختلاف لما كان في الرجوع إليهما فائدة، بل كان الرجوع إليهما ممـــا يزيـــد التنازع والاختلاف.

ٱلرَّحِيمِ . أنه لو كان بين النصوص الصحيحة الصريحة تعارض حقيقي لأدى ذلك إلى التكليف بما لا يطاق؛ لأن الشارع لو أمر المكلف بفعل شيء ونهاه عن فعل الشيء ذاته وطلبهما معاً لكان تكليف بما لا يطاق، والشريعة لا تكلف المرء بمـــا لا يســـتطيع ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [الأنعام:152].

بِّسۡــــــمِ . لو كان بين النصوص تعارض حقيقي لكان معنى ذلك أنها متناقضـــة وأن الشارع

يأتي بدليلين متناقضين في ذاتهما، وهو وصف للشارع بالجهل والعجز، وهذا محال علـــى الشارع جل شأنه، فهو المنـــزه عن كل نقص والمتفرد بكل كمال.

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ . أن عامة أهل الشريعة أثبتوا الناسخ والمنسوخ في نصوص الكتاب والسنة وحذروا

من الجهل به والخطأ فيه . ومعلوم أن الناسخ والمنسوخ إنما يكون بين دليلين متعارضـــين بحيث لا يصح اجتماعهما بحال، وإلا لما كان أحدهما ناسخاً والآخر منسوخاً. فلو كان التعارض الحقيقي جائزاً لما كان للبحث عن إثبات الناسخ والمنسوخ لدفع التعارض فائدة، بل كان عبثاً، وهذا لا شك أمر باطل؛ فدل على أن التعـــارض الحقيقـــي في نصـــوص

الشريعة غير موجود[1].

وبهذا يتضح أنه لا يمكن أن يوجد تعارض حقيقي بين نصين قطعيين في واقع الأمر. وإذا تقرر أنه لا يمكن وقوع تعارض حقيقي بين نصوص الشريعة في نفس الأمر وأن التعارض الذي قد يتوهمه بعض من ينظر في نصوص الكتاب والسنة هو توهم في نظرهم لا في نفس حقيقة الأمر. وقد ذكر أهل العلم أسباباً لهذا التعارض الظاهري منها:

أولا: أن يكون التعارض في نظر المجتهد وفهمه، وذلك لتقصيره في النظر أو لعدم قدرته على الفهم؛ فيحتمل أن يكون بين تلك النصوص عموم وخصوص، أو إطلاق و تقييد، أو استثناء لم يدركه المجتهد، ويحتمل أن يكون المجتهد غير عالم بسعة لسان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم: فالعرب تخاطب بالشيء عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر ويستغني بذكر أوله عن ذكر آخره، وعاماً ظاهراً يراد به الخاص، وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، وتسمي العرب الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة، كل هذا وغيره من لسان العرب وفطرتهم، وبلسانهم نزل القرآن وجاءت السنة، فمن جهل ذلك اختلف عنده العلم بالكتاب والسنة[2].

ثانياً: أن تكون نسبة الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم نسبة خاطئة، وذلك بأن يكون الحديث موضوعاً أو يكون هناك وهم من الراوي في نسبته إليه صلى الله عليه وسلم، فالراوي يغلط وإن كان ثقة ثبتاً[3].

ثالثاً: أن يكون هناك اختلاف في طريقة أداء الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قبل الصحابة -رضي الله عنهم-، فمنهم من يؤديه مفصلاً، ومنهم من يؤديه مختصراً، ومنهم من يأتي ببعض معناه دون بعض[4].

رابعاً: أن يكون هناك تناسخ بين النصوص ويغيب عن المجتهد علم ذلك فيظهر له

---

(1) الموافقات للشاطبي، (59/5-63) وانظر: أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين، تأليف: سليمان بن محمد الدبيخي (35/1).

(2) انظر: الرسالة للشافعي، (ص/52 وما بعدها) وانظر المنهج السلفي للقيسي، (ص/382).

(3) انظر: زاد المعاد، (149/4).

(4) انظر: الرسالة، (ص/213).

التعارض بينها[1].

(1) انظر: المرجع السابق، (ص/214-215) وانظر المنهج السلفي للقيسي، (ص/382-383).

المسألة الثالثة: موقف أئمة المالكية مما يوهم الاختلاف في النص.

تقدم بيان أن أهل السنة والجماعة لا يرون وجود التعارض بين الدليلين الصحيحين الصريحين في مسائل الدين عموماً وفي العقيدة خصوصاً. والمحققون من أئمة المالكية لا يخرجون عن هذا المنهج السلفي، فهم يرون عدم وجود التعارض بين دليلين على وجه لا يمكن الجمع معه. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

بِسۡمِ **موقف الإمام أبي عمرو ابن الطلمنكي.**

قال -رحمه الله تعالى- مبيناً وجه الجمع بين قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد:4] وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الأعراف:54]، حيث قد يتوهم من لا علم عنده وجود تعارض بين استواء الله على عرشه وعلوه عليه وبين معيته لخلقه، بينما الواقع أنه لا يوجد تعارض البتة بين المسألتين. يقول -رحمه الله-: "وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته مستوٍ على عرشه كيف شاء"(1).

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ **موقف الحافظ ابن عبد البر.**

أ- قال-رحمه الله تعالى- في بيان ما يوهم التعارض في مسألة رؤية الله عز وجل: "وفي قول الله عز وجل: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف:143] دلالة واضحة لمن أراد الله هداه: أنه يُرى إذا شاء، ولم يشأ ذلك في الدنيا بقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:103]، وقد شاء ذلك في الجنة بقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة:22-23]، ولو كان لا يراه أهل الجنة لما قال: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف:143]: وفي هذا بيان أنه لا يرى في الدنيا لأن أبصار الخلائق لم تعط في الدنيا تلك القوة. والدليل على أنه ممكن أن يرى في الآخرة بشرطه في الرؤية ما يمكن من استقرار الجبل ولا يستحيل وقوعه ولو كان محالاً كون الرؤية لقيدها بما يستحيل وجوده كما فعل بدخول الكافرين الجنة، قيد قبل ذلك بما يستحيل من دخول الجمل في سم الخياط"(2).

---

(1) اجتماع الجيوش الاسلامية، (ص/142).

(2) التمهيد، (153/7-154).

ب- وقال -رحمه الله- في العلو مبيناً عدم التعارض بين كونه عز وجل في العلو وكونه عز وجل إله في الأرض وإله في السماء، قال بعد أن ذكر قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزُّخرُف:84]: فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه، وذلك أنه إله معبود من أهل السماء وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير"[1].

وقال في موضع آخر: "وأما قوله في الآية الأخرى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، فالإجماع والاتفاق قد بين المراد بأنه معبود من أهل الأرض، فتدبر هذا فإنه قاطع إن شاء الله"[2].

فقد بين -رحمه الله- أن لا منافاة بين كونه عز وجل إله في الأرض وإله في السماء، وأن معناه إله معبود في السماء ومعبود في الأرض مبيناً أن تأمل ذلك يقطع الإشكال الذي قد يتوهمه من لا علم عنده.

ٱلرَّحِيمِ. **موقف الشاطبي** -رحمه الله تعالى- حيث قرر أنه لا يوجد تضاد ولا تعارض بين

آيات القرآن والأحاديث النبوية وأنه لا بد لمن ظهر له نوع تعارض أن يمعن النظر فسيتضح له أنه لا يوجد تعارض البتة، لكن قد يكون هناك نسخ أو تقييد أو تخصيص.

فقال بعد أن بين أنه يجب على الناظر في الشريعة أن ينظر إليها بعين الكمال: "والثاني : أن يوقن بأنه لا تضاد بين آيات القرآن ولا بين الأخبار النبوية ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جارٍ على مَهْيَع واحد ومنتظمٌ إلى معنى واحد، فإذا أدَّاه بادي الرأي إلى ظاهر اختلاف، فواجبٌ عليه أن يعتقد انتفاء الاختلاف؛ لأن الله قد شهد له أن لا اختلاف فيه؛ فليقف وقوف المضطرِّ السائل عن وجه الجمع أو المسلِّم من غير اعتراض إن كان الموضع مما لا يتعلق به حكم عمليّ، [فإن تعلق به حكم عمليّ التمس] المخرج حتى يقف على الحق اليقين أو يبقى باحثاً إلى الموت، فلا عليه من ذلك. فإذا اتضح له المغزى وتبينت له الواضحة فلا بد له من أن يجعلها حاكمة في كل ما يعرض له في النظر فيها ويضعها نصب عينيه في كل مطلب ديني كما فعل من تقدَّمنا ممن أثنى الله [ورسوله]

(1) التمهيد، (127/6).

(2) المصدر السابق، (ص/127).

عليهم.

- فأما **الأمر الأول**: فهو الذي أغفله المبتدعون فدخل عليهم بسبب ذلك الاستدراك على الشرع، وإليه مال كل من كان يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، فيقال له ذلك ويحذَّر ما في الكذب عليه من الوعيد فيقول: لم أكذب عليه وإنما كذبت له!

وحكي عن محمد بن سعيد المعروف بالأردني(1) أنه قال : إذا كان الكلام حسناً لم أر بأساً أن أجعل له إسناداً! فلذلك كان يحدِّث بالموضوعات، وقد قتل في الزندقة وصلب ...

- وأما **الأمر الثاني**: فإن قوماً أغفلوه أيضاً و لم ينعموا النظر حتى اختلف عليهم الفهم في القرآن والسنة؛ فأحالوا بالاختلاف عليها تحسيناً للظن بالنظر الأول، وهذا هو الذي عاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من حال الخوارج حيث قال: "يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم": فوصفهم بعدم الفهم للقرآن، وعند ذلك خرجوا على أهل الإسلام إذ قالوا: لا حكم إلا لله وقد حكَّم الرجال في دين الله حتى بيَّن لهم حبر القرآن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- معنى قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف:40، 76] على وجه أذعن بسببه منهم ألفان -أو من رجع منهم إلى الحق-، وتمادى الباقون على ما كانوا عليه اعتماداً -والله أعلم- على قول من قال منهم: لا تناظروه ولا تخاصموه؛ فإنه من الذين قال الله فيهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزُّخرُف:58](2).

فتأملوا -رحمكم الله- كيف كان فهمهم في القرآن؟ ثم لم يزل هذا الإشكال يعتري أقواماً حتى اختلفت عليهم الآيات والأحاديث وتدافعت على أفهامهم فتبجَّحوا به قبل إمعان النظر.

---

(1) محمد بن سعيد المصلوب شامي من أهل دمشق هالك اتهم بالزندقة فصلب، والله أعلم وكان من أصحاب مكحول. قال الإمام أحمد: قتله المنصور على الزندقة وصلبه. انظر ترجمته في ميزان الاعتدال في نقد الرجال (164/6)، وتقريب التهذيب (79/2).

(2) انظر مناظرة عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- للخوارج في البداية والنهاية لابن كثير، (249/7)، وانظر مناظرات أئمة السلف مع حزب إبليس وأفراخ الخلف، تأليف: سليم بن عيد الهلالي، (ص/95-100).

ولنذكر من ذلك عشرة أمثلة :

أحدها: قول من قال: إن قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات:27] يتناقض مع قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون:101].

والثاني: قول من قال في قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن:39] مضاد لقوله: ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت:13] وقوله تعالى: ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:93].

والثالث: قول من قال في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فُصِّلَت:9] إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت:11-12]: إن هذا صريح في أن الأرض مخلوقة قبل السماء، وفي الآية الأخرى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات:27-30]، فصرح بأن الأرض مخلوقة بعد السماء.

ومن هذه الأسئلة ما أورده نافع بن الأزرق أوغيره على ابن عباس -رضي الله عنهما- فخرّج البخاري في المعلقات عن سعيد بن جبير قال: "قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون:101] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات:27] ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء:42] ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:23]، فقد كتموا في هذه الآية. ﴿أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ [النازعات:27-28] إلى قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: 30] فذكر خلق السماء قبل الأرض ثم قال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت:9] إلى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ إلى قوله: ﴿طَائِعِينَ﴾ فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء وقال : ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:96] ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:158] ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:134]، فكأنه كان ثم مضى؟

فقال -يعني ابن عباس-: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:101] في النفخة الأولى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزُّمَر:68] فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الأخرى أقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾ فإن الله عز وجل يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم وقال المشركون تعالوا نقول: لم نكن مشركين، فختم على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتم حديثاً وعنده ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [النساء:42]

وقوله عز وجل: ﴿خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فُصِّلَت:9]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ﴾ [البقرة:29] في يومين آخرين، ثم دحا الأرض: ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله: دحاها، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾فخلقت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلقت السموات في يومين، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾ [النساء:96]سمى نفسه بذلك وذلك (قوله) أي: لم يزل كذلك فإن الله عز و جل لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلاً من عند الله"(1).

والرابع: قول من قال : إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "إن الله لما خلق آدم مسح ظهره بيمينه فأخرج منه ذريته إلى يوم القيامة ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾" الحديث كما وقع مخالف لقول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:172]! فالحديث أنه أخذهم من ظهر آدم والكتاب يخبر أنه أخذ من ظهور بني آدم وهذا إذا تؤمل لا خلاف فيه؛ لأنه يمكن الجمع بينهما بأن يخرجوا من صلب آدم عليه الصلاة و السلام دفعة واحدة على وجه لو خرجوا على الترتيب كما أخرجوا إلى الدنيا ولا محال في هذا، بأن يتفطر في تلك الأخذة الأبناء عن الأبناء من غير ترتيب زمان وتكون النسبتان معاً صحيحتين في الحقيقة لا على المجاز.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب: سورة حم~ السجدة.

والخامس: قول من قال فيما جاء في الحديث: "أن رجلا قال: يا رسول الله نشدتك الله! إلا ما قضيت بيننا بكتاب الله. فقال خصمه -وكان أفقه منه-: صدق، اقض بيننا بكتاب الله وائذن لي في أن أتكلم" ثم أتى بالحديث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، أما الوليدة والغنم فرد عليك، وعلى ابنك هذا جلد مائة وتغريب عام، وعلى امرأة هذا الرجم" إلى آخر الحديث، هو مخالف لكتاب الله لأنه قد قال: "لأقضين بينكما بكتاب الله" حسبما سأله السائل ثم قضى بالرجم والتغريب وليس لهما ذكر في كتاب الله.

الجواب: إن الذي أوجب الإشكال في المسألة اللفظ المشترك في كتاب الله، فكما يطلق على القرآن يطلق على ما كتب الله تعالى عنده مما هو حكمه وفرضه على العباد، كان مسطوراً في القرآن أو لا، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [النساء:24] أي: حكم الله فرضه، وكل ما جاء في القرآن من قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ فمعناه: فرضه وحكم به، ولا يلزم أن يوجد هذا الحكم في القرآن.

والسادس: قول من زعم أن قوله تعالى في الإماء ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [النساء:25] لا يعقل مع ما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه و سلم رجم ورجمت الأئمة بعده؛ لأنه يقتضي أن الرجم يتنصف وهذا غير معقول، فكيف يكون نصفه على الإماء؟ ذهاباً منهم إلى أن المحصنات هن ذوات الأزواج وليس كذلك بل المحصنات هنا المراد بهن الحرائر بدليل قوله أول الآية: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾ [النساء:25] وليس المراد هنا إلا الحرائر لأن ذوات الأزواج لا تنكح.

والسابع: قولهم: إن الحديث جاء [بأن المرأة لا تنكح على عمتها ولا على خالتها وأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب] والله تعالى لما ذكر المحرمات لم يذكر من الرضاع إلا الأم والأخت، ومن الجمع إلا الجمع بين الأختين، وقال بعد ذلك: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾ [النساء:24]؛ فاقتضى أن المرأة تنكح على عمتها وعلى خالتها وإن كان رضاع سوى الأم والأخت حلالاً.

وهذه الأشياء من باب تخصيص العموم لا تعارض فيه على حال.

والثامن: قول من قال: إن قوله عليه الصلاة والسلام: "غسل الجمعة واجب على كل محتلم" مخالف لقوله: "من توضأ يوم الجمعة فبها نعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل" والمراد بالوجوب هنا التأكيد خاصة بحيث لا يكون تركاً للفرض وبه يتفق معنى الحديثين فلا اختلاف.

والتاسع: قولهم جاء في الحديث: "صلة الرحم تزيد العمر" والله تعالى يقول: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس:49]، فكيف تزيد صلة الرحم في أجل لا يؤخر ولا يقدم البتة؟

وأجيب عنه بأجوبة (منها): أن يكون في علم الله أن هذا الرجل إن وصل رحمه عاش مائة سنة وإلا عاش ثمانين سنة مع أن في علمه أنه يفعل بلا بد أو أنه لا يفعل أصلاً. وعلى كلا الوجهين: إذا جاء أجله لا يستأخر ساعة ولا يستقدم، قاله ابن قتيبة[1] وتبعه عليه القرافي[2].

والعاشر: قالوا في الحديث: "إنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة" ثم فيه: "كان عليه الصلاة و السلام ينام وهو جنب من غير أن يمس ماء": وهذا تدافع، والحديثان معاً لعائشة -رضي الله عنها-.

والجواب سهل؛ فالحديثان يدلان على أن الأمرين موسع فيهما لأنه إذا فعل أحد الأمرين وأكثر منه وفعل الآخر أيضاً وأكثر منه على ما يقتضيه "كان يفعل"، حصل منهما أنه كان يفعل ويترك، وهذا شأن المستحب، فلا تعارض بينهما.

فهذه عشرة أمثلة تبين لك مواقع الإشكال وأين رتبتها مع ثلج اليقين؟ فإن الذي عليه كل موقن بالشريعة: أنه لا تناقض فيها ولا اختلاف، فمن توهم ذلك فيها فهو لم ينعم النظر ولا أعطى وحي الله حقه؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء:82]؟ فحضهم على التدبر أولاً ثم أعقبه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82]، فبين أنه لا اختلاف فيه؛ وأن التدبر يعين على تصديق ما أخبر

(1) في كتابه مختلف الحديث، (499/2).

(2) في الفروق، (147/1-148).

به[1].

ويقول رحمه الله-: "أدلة الشريعة لا تتعارض في نفس الأمر، ولذلك لا تجد البتة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجب عليهم الوقوف؛ لكن لما كان أفراد المجتهدين غير معصومين من الخطأ أمكن التعارض بين الأدلة عندهم"[2].

وقال مستدلاً على عدم وقوع التعارض بين نصوص الكتاب والسنة: "**المسألة الثالثة**: الشريعة كلها ترجع إلى قول واحد في فروعها وإن كثر الخلاف، كما أنها في أصولها كذلك؛ ولا يصلح فيها غير ذلك، والدليل عليه أمور:

أحدها: أدلة القرآن، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82]؛ فنفى أن يقع فيه الاختلاف البتة، ولو كان فيه ما يقتضي قولين مختلفين لم يصدق عليه هذا الكلام على حال.

وفي القرآن: ﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية [النساء:59]، وهذه الآية صريحة في رفع التنازع والاختلاف؛ فإنه رد المتنازعين إلى الشريعة، وليس ذلك إلا ليرتفع الاختلاف، ولا يرتفع الاختلاف إلا بالرجوع إلى شيء واحد؛ إذ لو كان فيه ما يقتضي الاختلاف لم يكن في الرجوع إليه رفع تنازع، وهذا باطل.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ الآية[آل عمران:105] [3]: والبينات هي الشريعة، فلولا أنها لا تقتضي الاختلاف ولا تقبله البتة لما قيل لهم: من بعد كذا، ولكان لهم فيها أبلغ العذر، وهذا غير صحيح؛

---

(1) الاعتصام، (3/382-396).

(2) الموافقات، (4/294).

(3) وقد يقال: إن التفرق المنهي عنه التفرق بالعداوة والاختلاف في أصول الدين وتكفير بعضهم بعضاً كما هو الواقع في شأن هؤلاء اليهود والنصارى، الذين نعى عليهم هذا التفرق والاختلاف، ولو كان كما يقول؛ لكان المسلمون وأولهم الصحابة قد وقعوا فيما نهوا عنه، ولكان يترتب عليه الجزاء الذي ترتب على تفرق اليهود والنصارى -معاذ الله-، فقوله: "والبينات هي الشريعة"، نقول: بل أخص، فلا ينتج المطلوب. انظر الموافقات، (بسم الله الرحمن الرحيم)، حاشية (الرحيم).

فالشريعة لا اختلاف فيها.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:153]: فبين أن طريق الحق واحد، وذلك عام في جملة الشريعة وتفاصيلها.

وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [البقرة:213]، ولا يكون حاكماً بينهم إلا مع كونه قولاً واحداً فصلاً بين المختلفين.

وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى:13] الآية إلى قوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:13]، ثم ذكر بني إسرائيل وحذر الأمة أن يأخذوا بسنتهم؛ فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الشورى:14].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة:176].

والآيات في ذم الاختلاف والأمر بالرجوع إلى الشريعة كثير، كله قاطع في أنها لا اختلاف فيها، وإنما هي على مأخذ واحد وقول واحد. قال المزني صاحب الشافعي: "ذم الله الاختلاف وأمر عنده بالرجوع إلى الكتاب والسنة"، [فلو كان الاختلاف من دينه ما ذمه، ولو كان التنازع من حكمه ما أمرهم بالرجوع عنده إلى الكتاب والسنة"[(1)]].

والثاني: أن عامة أهل الشريعة أثبتوا في القرآن والسنة الناسخ والمنسوخ على الجملة، وحذروا من الجهل والخطأ فيه. ومعلوم أن الناسخ والمنسوخ إنما هو فيما بين دليلين يتعارضان بحيث لا يصح اجتماعهما بحال، وإلا لما كان أحدهما ناسخاً والآخر منسوخاً، والفرض خلافه؛ فلو كان الاختلاف من الدين لما كان لإثبات الناسخ والمنسوخ -من غير نص قاطع فيه- فائدة، ولكان الكلام في ذلك كلاماً فيما لا يجني ثمرة؛ إذ كان يصح العمل بكل واحد منهما ابتداءً ودواماً، استناداً إلى أن الاختلاف أصل من أصول الدين، لكن هذا كله باطل بإجماع؛ فدل على أن الاختلاف لا أصل له في الشريعة، وهكذا القول في كل دليل مع معارضه: كالعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، وما أشبه

---

(1) أورده ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" " ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ / بِسْمِ " ط المحققة".

ذلك؛ فكانت تنخرم هذه الأصول كلها وذلك فاسد؛ فما أدى إليه مثله.

والثالث: أنه لو كان في الشريعة مساغ للخلاف لأدى إلى تكليف ما لا يطاق؛ لأن الدليلين إذا فرضنا تعارضهما وفرضناهما مقصودين معاً للشارع؛ فإما أن يقال: إن المكلف مطلوب بمقتضاهما، أو لا، أو مطلوب بأحدهما دون الآخر، والجميع غير صحيح؛ فالأول يقتضي "افعل"، "لا تفعل" لمكلف واحد من وجه واحد، وهو عين التكليف بما لا يطاق، والثاني باطل؛ لأنه خلاف الفرض، وكذلك الثالث؛ إذ كان الفرض توجه الطلب بهما؛ فلم يبق إلا الأول: فيلزم منه ما تقدم.

لا يقال: إن الدليلين بحسب شخصين أو حالتين؛ لأنه خلاف الفرض، وهو أيضاً قول واحد لا قولان؛ لأنه إذا انصرف كل دليل إلى جهة لم يكن ثم اختلاف، وهو المطلوب.

والرابع: أن الأصوليين اتفقوا على إثبات الترجيح بين الأدلة المتعارضة إذا لم يمكن الجمع، وأنه لا يصح إعمال أحد دليلين متعارضين جزافاً من غير نظر في ترجيحه على الآخر، والقول بثبوت الخلاف في الشريعة يرفع باب الترجيح جملة إذ لا فائدة فيه ولا حاجة إليه على فرض ثبوت الخلاف أصلاً شرعياً لصحة وقوع التعارض في الشريعة، لكن ذلك فاسد؛ فما أدى إليه مثله.

والخامس: أنه شيء لا يتصور لأن الدليلين المتعارضين إذا قصدهما الشارع مثلاً لم يتحصل مقصوده؛ لأنه إذا قال في الشيء الواحد: "افعل"، "لا تفعل"؛ فلا يمكن أن يكون المفهوم منه طلب الفعل لقوله: "لا تفعل"، ولا طلب تركه لقوله: "افعل"، فلا يتحصل للمكلف فهم التكليف؛ فلا يتصور توجهه على حال. والأدلة على ذلك كثيرة لا يحتاج فيها إلى التطويل لفساد الاختلاف في الشريعة[1].

بِسْمِ **موقف الإمام الشنقيطي** -رحمه الله- حيث قال مبيناً عدم التعارض بين النصوص

التي جاءت بإثبات اليدين لله عز وجل مرة بالتثنية ومرة بالجمع: "فإن قيل دل الكتاب والسنة وإجماع السلف على أن الله وصف نفسه بصفة اليدين كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:75]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:64]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزُّمَر:67].

---

(1) الموافقات، (59/5 وما بعدها).

والأحاديث الدالة على مثل ما دلت عليه الآيات المذكورة كثيرة كما هو معلوم.
وأجمع المسلمون على أنه جل وعلا، لا يجوز أن يوصف بصفة الأيدي مع أنه تعالى قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس:71]، فلم أجمع المسلمون على تقديم آية ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ على آية ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾؟

فالجواب: أنه لا خلاف بين أهل اللسان العربي ولا بين المسلمين أن صيغ الجموع تأتي لمعنيين:

- **أحدهما**: إرادة التعظيم فقط، فلا يدخل في صيغة الجمع تعدد أصلاً؛ لأن صيغة الجمع المراد بها التعظيم إنما يراد بها واحد.
- **والثاني**: أن يراد بصيغة الجمع معنى الجمع المعروف.

وإذا علمت ذلك، فاعلم أن القرآن العظيم يكثر فيه جداً إطلاق الله جل وعلا على نفسه صيغة الجمع، يريد بذلك تعظيم نفسه ولا يريد بذلك تعدداً ولا أن معه غيره، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحِجر:9].

فصيغة الجمع في قوله: ﴿إِنَّا﴾وفي قوله: ﴿نَحْنُ﴾وفي قوله: ﴿نَزَّلْنَا﴾وقوله: ﴿لَحَافِظُونَ﴾لا يراد بها أن معه منزلاً للذكر، وحافظاً له غيره تعالى؛ بل هو وحده المنزل له والحافظ له، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ، أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة:58-59] وقوله: ﴿أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة:69]، وقوله: ﴿أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ [الواقعة:72]، ونحو هذا كثير في القرآن جداً، وبه تعلم أن صيغة الجمع في قوله: ﴿أَنَّا﴾. وفي قوله: ﴿خَلَقْنَا﴾وفي قوله: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ إنما يراد بها التعظيم، ولا يراد بها التعدد أصلاً.

وإذا كان يراد بها التعظيم لا التعدد، علم بذلك أنها لا تصح بها معارضة قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لأنها دلت على صفة اليدين، والجمع في قوله: ﴿أَيْدِينَا﴾لمجرد التعظيم.

وما كان كذلك لا يدل على التعدد فيطلب الدليل من غيره، فإن دل على أن المراد بالتعظيم واحد حُكِم بذلك: كالآيات المتقدمة، وإن دل على معنى آخر حُكِم به.

فقوله مثلاً: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ قام فيه البرهان القطعي أنه حافظ واحد، وكذلك قوله: ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾، ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾، ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ فإنه قد قام في كل ذلك البرهان القطعي على أنه خالق واحد، ومنزل واحد، ومنشئ واحد.

وأما قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ فقد دل البرهان القطعي، على أن الله موصوف بصفة اليدين كما صرح به في قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ كما تقدم إيضاحه قريبا.

وقد علمت أن صيغة الجمع في قوله: ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾، وقوله: ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ وقوله: ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ وقوله: ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ وقوله: ﴿خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ لا يراد بشيء منه معنى الجمع، وإنما يراد به التعظيم فقط[1].

وقال -رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:103]، هذه الآية الكريمة توهم أن الله تعالى لا يرى بالأبصار، وقد جاءت آيات أخر تدل على أنه يرى بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:22-23]، وكقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:26]، فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم، وكذلك قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:35] على أحد القولين، وكقوله تعالى في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:15]، يفهم من دليل خطابه أن المؤمنين ليسوا محجوبين عن رهم والجواب من ثلاثة أوجه:

- **الأول**: أن المعنى: لا تدركه الأبصار أي في الدنيا فلا ينافي الرؤية في الآخرة.
- **الثاني**: أنه عام مخصوص برؤية المؤمنين له في الآخرة، وهذا قريب في المعنى من الأول.
- **الثالث**: وهو الحق: أن المنفي في هذه الآية الإدراك المشعر بالإحاطة بالكُنْه، أما مطلق الرؤية فلا تدل الآية على نفيه بل هو ثابت بهذه الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة واتفاق أهل السنة والجماعة على ذلك.

---

(1) أضواء البيان، (7/494-496).

وحاصل هذا الجواب: أن الإدراك أخص من مطلق الرؤية لأن الإدراك المراد به الإحاطة، والعرب تقول: "رأيت الشيء وما أدركته"، فمعنى لا تدركه الأبصار: لا تحيط به كما أنه تعالى يعلمه الخلق ولا يحيطون به علماً، وقد اتفق العقلاء على أن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، فانتفاء الإدراك لا يلزم منه انتفاء مطلق الرؤية مع أن الله تعالى لا يدرك كنهه على الحقيقة أحد من الخلق، والدليل على صحة هذا الوجه ما أخرجه الشيخان من حديث أبي موسى مرفوعا: "حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"[1]، فالحديث صريح في عدم الرؤية في الدنيا ويفهم منه عدم إمكان الإحاطة مطلقاً.

والحاصل أن رؤيته تعالى بالأبصار جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة؛ لأن كل موجود يجوز أن يرى عقلاً، وأما في الشرع فهي جائزة وواقعة في الآخرة ممتنعة في الدنيا، ومن أصرح الأدلة في ذلك ما رواه مسلم وابن خزيمة مرفوعا: "إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا" والأحاديث برؤية المؤمنين له يوم القيامة متواترة والعلم عند الله تعالى[2].

وقال عند قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ...﴾ الآية [السجدة: 11]. أسند في هذه الآية الكريمة التوفِّي إلى ملك واحد.

وأسنده في آيات أخر إلى جماعة من الملائكة كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النساء: 97]، وقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: 61]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الآية [الأنفال: 50]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: 93].

وأسنده في آية أخرى إلى نفسه جل وعلا، وهي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُّمَر: 42].

والجواب عن هذا ظاهر وهو أن إسناده التَّوَفِّي إلى نفسه لأن ملك الموت لا يقدر أن يقبض روح أحد إلا بإذنه ومشيئته تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: 145]، وأسنده لملك الموت لأنه هو المأمور بقبض الأرواح،

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينام".

(2) دفع إيهام الاضطراب، (ص بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ - بِسْمِ ٱلرَّحِيمِ).

وأسنده للملائكة؛ لأن ملك الموت له أعوان من الملائكة تحت رئاسته يفعلون بأمره وينزعون الروح إلى الحلقوم فيأخذها ملك الموت، والعلم عند الله تعالى[1].

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزُّخرُف:84] هذا العطف مع التنكير في هذه الآية يتوهم الجاهل منه تعدد الآلهة مع أن الآيات القرآنية مصرحة بأنه واحد كقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:19] وقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الآية [المائدة:73].

والجواب: أن معنى الآية أنه تعالى هو معبود أهل السموات والأرض فقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ أي معبود وحده في السماء كما أنه المعبود بالحق في الأرض سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد:4]يدل على أنه تعالى مستوٍ على عرشه عالٍ على جميع خلقه. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:4] يوهم خلاف ذلك.

والجواب: أنه تعالى مستوٍ على عرشه كما قال، بلا كيف ولا تشبيه، استواء لائقاً بكماله وجلاله، وجميع الخلائق في يده أصغر من حبة خردل، فهو مع جميعهم بالإحاطة الكاملة والعلم التام ونفوذ القدرة سبحانه وتعالى علواً كبيراً، فلا منافاة بين علوه على عرشه ومعيته لجميع الخلائق.

ألا ترى -ولله المثل الأعلى- أن أحدنا لو جعل في يده حبة من خردل، أنه ليس داخلاً في شيء من أجزاء تلك الحبة مع أنه محيط بجميع أجزائها ومع جميع أجزائها؟ والسموات والأرض ومن فيهما في يده تعالى أصغر من حبة خردل في يد أحدنا، وله المثل الأعلى سبحانه وتعالى علواً كبيراً. فهو أقرب إلى الواحد منا من عنق راحلته، بل من حبل وريده، مع أنه مستوٍ على عرشه لا يخفى عليه شيء من عمل خلقه جل وعلا .

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير:19].

ظاهر هذه الآية يتوهم منه الجاهل أن القرآن كلام جبريل مع أن الآيات القرآنية مصرحة بكثرة بأنه كلام الله كقوله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:6]، وكقوله:

---

(1) دفع إيهام الاضطراب، (ص/ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ).

﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1].

والجواب واضح من نفس الآية؛ لأن الإيهام الحاصل من قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ﴾ يدفعه ذكر الرسول؛ لأنه يدل على أن الكلام لغيره لكنه أُرْسل بتبليغه فمعنى قوله: ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي: تبليغه عمن أرسله من غير زيادة ولا نقص.

وبهذا يتبين لنا موقف أئمة المالكية مما يوهم التعارض في النص، وأنهم يقررون أنه لا تعارض بين نصوص الكتاب والسنة، وهذا هو ما عليه متقدموهم ومتأخروهم، وأنهم يوافقون أهل السنة والجماعة في هذا الباب. ومما يدل على ذلك:

- قول الإمام الشافعي: "... وأن يعلم أن أحكام الله ثم أحكام رسوله لا تختلف، وأنها تجري على مثال واحد"(1). وقال في موضع آخر: "لا تخالف سنة رسول الله كتاب الله بحال"(2).

- وقال ابن خزيمة: "إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول خلاف الكتاب، ولا يكون الكتاب خلاف خبر النبي صلى الله عليه وسلم أبداً؛ وإنما يكون موافقاً لكتاب الله لا مخالفاً لشيء منه، ولكن قد يكون لفظ الكتاب لفظاً عاماً مراده خاص من الكتاب والسنة"(3).

---

(1) الرسالة، (ص/173).

(2) الرسالة، (ص/546).

(3) التوحيد، (ص/208)، تعليق: محمد خليل هراس.

الفصل الثالث: جهود علماء المالكية في تقرير أسماء الله الحسنى. وفيه أحد عشر مبحثاً:

- **المبحث الأول**: تعريف الاسم واشتقاقه والفرق بينه وبين الصفة.
- **المبحث الثاني**: جهودهم في بيان الفرق بين الاسم والمسمى.
- **المبحث الثالث**: جهودهم في بيان الفرق بين ما يسمى الله به وبين ما يخبر به عنه.
- **المبحث الرابع**: جهودهم في بيان أن أسماء الله توقيفية.
- **المبحث الخامس**: جهودهم في تقرير كون أسماء الله حسنى ومعنى ذلك.
- **المبحث السادس**: جهودهم في بيان ما يتعلق بِعدِّها.
- **المبحث السابع**: جهودهم في بيان ما يتعلق بإحصائها.
- **المبحث الثامن**: جهودهم في بيان اشتمال الأسماء على معان.
- **المبحث التاسع**: جهودهم في بيان حكم التعبد بها.
- **المبحث العاشر**: جهودهم في بيان حكم الحلف بها.
- **المبحث الحادي عشر**: جهودهم في بيان آثار أسماء الله الحسنى.

المبحث الأول: **تعريف الاسم واشتقاقه والفرق بينه وبين الصفة. وفيه مسألتان**:

المسألة الأولى: **تعريف الاسم واشتقاقه**.

أولا: تعريف الاسم في اللغة.

يقول ابن فارس المالكي -رحمه الله تعالى-: "سمو: السين والميم والواو أصل يدل على العلو. يقال سموت، إذا علوت. وسما بصره: علا. وسما لي شخص: ارتفع حتى استثبته... ويقال إن أصل "اسم" يسمو، وهو من العلو، لأنه تنويه ودلالة على المعنى"[(1)].

وقال صاحب القاموس: "سما سموا وسماء: علا وارتفع وتطاول. يقال: سمت همته إلى معالي الأمور: طلب العز والشرف، وسما في الحسب والنسب، وسما بصره إلى الشيء: طمح ... وسماه كذا وبكذا، جعل له اسماً"[(2)].

فعلى هذا القول يكون الاسم مشتقاً من العلو والارتفاع، وهذا القول هو قول النحاة البصريين، وقيل: إنه مشتق من السمة، وهي العلامة، وبه قال النحاة الكوفيون.

والتعريف الأول هو المختار لأن اشتقاقه من السمو هو الاشتقاق الخاص أو الأصغر[(3)].

الذي يتفق فيه اللفظان في الحروف وترتيبها، فإنهم:

يقولون في تصريفه: "سمَّيت"، ولا يقولون: "وَسَمْت".

ويقولون في جمعه: "أسماء"، ولا يقولون: "أوسام".

ويقولون في تصغيره: "سُمَيٌّ"، ولا يقولون: "وُسيم".

---

(1) معجم مقاييس اللغة، باب السين والميم وما يثلثهما، (ص/ 469).

(2) القاموس المحيط، باب السين، (ص/ 452).

(3) الاشتقاق الأصغرأو الخاص: هو الاشتراك في الحروف وترتيبها وهو المشهور، كقولك: علم يعلم فهو عالم. والاشتقاق الأوسط هو: الاشتراك في الحروف لا في ترتيبها، كقول الكوفيين: الاسم مشتق من السمة.

والاشتقاق الأكبر هو: الاشتراك في أكثر الحروف والتفاوت في بعضها، وقيل أحدهما مشتق من الآخر. انظر معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، (ص/271-272)، الحاشية رقم (3).

ويقال لصاحبه: "مُسمّى"، ولا يقال: "موسوم".

وأما "السِّمة" فهي تتفق مع الاسم في "الاشتقاق الأوسط " وهو ما يتفق فيه حروف اللفظين دون ترتيبهما، فإنه في كليهما (السين والميم والواو) لكن اشتقاقه من "السُّمو" هو الاشتقاق الخاص، كما أسلفنا.

ثانيا: ثم إن "السُّمو" هو بمعنى العلو والارتفاع والرفعة.

و"السِّمة" بمعنى العلامة.

وإذا كان الاسم مقصوده إظهار المسمّى وبيانه فإن المعنى الثاني وإن كان صحيحاً، لكن المعنى الأول أخص وأتم، فإن العلو مقارن للظُّهور، فالاسم يظهر به المسمّى ويعلو؛ فيُقال للمسمّي: سمِّه: أي أظهره وأعلِه، أي أعلِ ذكره بالاسم الذي يذكر به، وبعض النحاة يقول: سمي اسماً لأنه علا على المسمّى؛ أو لأنه علا على قسيميه الفعل والحرف؛ وليس المراد به هذا، بل لأنه يُعلِي المسمى فيظهر؛ ولهذا يقال: سمَّيته أي أعليته وأظهرته، فتجعل المعلى المظهر هو المسمى، وهذا إنما يحصل بالاسم. وما ليس له اسم فإنه لا يذكر ولا يظهر ولا يعلو ذكره؛ بل هو كالشيء الخفي الذي لا يُعرف[1].

قال **القرطبي**: "اسم، وزنه اِفْعٌ، والذاهب منه الواو لأنه من سموت، وجمعه أسماء، وتصغيره سُمَيّ. واختلِف في تقدير أصله، فقيل: فِعْل، وقيل: فُعْل. قال الجوهري[2]: وأسماء يكون جمعاً لهذا الوزن، وهو مثل جِذع وأجذع، وقُفل وأقفال، وهذا لا تدرك صيغته إلا بالسماع.

---

(1) انظر: الفتاوى، (6/207-209) ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، تأليف: الدكتور محمد بن خليفة التميمي (ص/ 271-273).

(2) هو: إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر، لغوي أديب، صاحب كتاب الصحاح، أصله من بلاد الترك، كان من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنة وعلماً، توفي سنة(393هـ)، انظر ترجمته في السير (17/80)، الأعلام (1/313)، معجم المؤلفين (2/267).

وفيه أربع لغات: اِسم بالكسر، واُسم بالضم. قال أحمد بن يحيى[1]: من ضم الألف أخذه من سموت أسمو، ومن كسر أخذ من سميت أسمى. ويقال: سِم وسُم، ويُنشَد:

والله أسماك سُما مباركا   آثرك الله به إيثاركا.

وقال آخر:

وعامُنا أعجبَنا مقدّمه   يُدعي أبا السَّمح وقِرضاب سِمه

مبتركا[2] لكل عظم يلحمه.

قرضب الرجل: إذا أكل شيئاً يابساً، فهو قرضاب.

"سِمُه" بالضم والكسر جميعاً.

ومنه قول الآخر:

باسم الذي في كل سورة سِمه

وسكنت السين من "باسم" اعتلالاً على غير قياس، وألفه ألف وصل، وربما جعلها الشاعر ألف قطع للضرورة، كقول الأَحْوَص[3]:

وما أنا بالمخسُوس[4] في جِذْم مالك   ولا مَن تَسمَّى ثم يلتزم الإسما[5].

وتقول العرب في النسب إلى الاسم: سِمُوِيّ، وإن شئت اسْميّ، تركته على حاله، وجمعه أسماء، وجمع الأسماء أسامٍ. وحكى الفرّاء: أعيذك بأسماوات الله.

ويبين -رحمه الله- اختلاف النحويين في اشتقاق الاسم فيقول: "اختلفوا في اشتقاق

---

(1) هو: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب الإمام في النحو واللغة، من كتبه: الفصيح، ومعاني القرآن، توفي ببغداد مسقط رأسه سنة (291هـ). انظر ترجمته في تاريخ بغداد: (5/ 204-212) ومعجم الأدباء:(5/102-146).

(2) رجل مبترك: معتمد على الشئ مُلّح. ويلحمه: ينـزع عنه اللحم.

(3) الأحوص الشاعر: أبو عاصم عبد الله بن محمد بن عبد الله الأنصاري شاعر هجاء، لقب بالأحوص لحوص كان في عينيه، وفد على الوليد ابن عبد الملك في الشام فأكرمه الوليد، ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته، فرده إلى المدينة وأمر بجلده، فجلد، ونفي إلى دهلك، وقيل الذي نفاه عمر بن عبد العزيز توفي، سنة (105هـ). انظر: ترجمته في السير، (4/593)، والأغاني، (4/224)، والأعلام ، (5/52).

(4) المخسوس: المرذول. وجذم كل شئ: أصله. ومالك: جدّ أعلى للشاعر.

(5) انظر لسان العرب، مادة (سما)، (10/126).

الاسم على وجهين:

فقال البصريون: هو مشتق من السُّمُوّ وهو العلوّ والرفعة، فقيل: اسم لأن صاحبه بمنــزلة المرتفع به. وقيل لأن الاسم يسمو بالمسمّى فيرفعه عن غيره. وقيل إنما سُمِّي الاسم اسماً لأنه علا بقوّته على قسمي الكلام: الحرف والفعل؛ والاسم أقوى منهما بالإجماع لأنه الأصل، فلِعُلُوّه عليهما سمي اسماً؛ فهذه ثلاثة أقوال.

وقال الكوفيون: إنه مشتق من السّمة وهي العلامة، لأن الاسم علامة لمن وضع له، فأصل اسم على هذا "وسم".

والأول أصح؛ لأنه يقال في التصغير سُمَيّ وفي الجمع أسماء، والجمع والتصغير يردّان الأشياء إلى أصولها، فلا يقال: وسيم ولا أوسام.

ويدل على صحته أيضاً فائدة الخلاف وهي:

أن من قال الاسم مشتق من العُلُوّ يقول: لم يزل الله سبحانه موصوفاً قبل وجود الخلق وبعد وجودهم وعند فنائهم، ولا تأثير لهم في أسمائه ولا صفاته، وهذا قول أهل السنة.

ومن قال الاسم مشتق من السّمة يقول: كان الله في الأزل بلا اسم ولا صفة، فلما خلق الخلق جعلوا له أسماءً وصفاتٍ، فإذا أفناهم بقى بلا اسم ولا صفة؛ وهذا قول المعتزلة وهو خلاف ما أجمعت عليه الأمة، وهو أعظم في الخطإ من قولهم: إنّ كلامه مخلوق، تعالى الله عن ذلك!"[(1)].

وبمثل هذا القول قال **ابن عطية المالكي -رحمه الله-** في بيان اشتقاق الاسم: " و (اسم) أصله سِمو بكسر السين أو سُمو بضمها.

وهو عند البصريين مشتق من السُّموّ، يقال: سما يسمو، فعلى هذا تُضم السين في قولك سُمو، ويقال: سمي يسمي، فعلى هذا تُكسر؛ وحذفت الواو من سمو وكسرت السين من سم كما قال الشاعر:

باسم الذي في كل سورة سِمه ....[(2)]

وسكنت السين من بسم اعتلالاً على غير قياس، وإنما استدل على هذا الأصل الذي

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، (1/100-101).

(2) قيل هو لرجل من كلب، وقد أنشده أبو زيد كما قال ذلك بن بري. انظر لسان العرب، مادة (سما)، (10/126).

ذكرناه بقولهم في التصغير سُميّ، وفي الجمع أسماء، وفي جمع الجمع أسامي.

وقال الكوفيون أصل اسم وسم من السّمة وهي العلامة لأن الاسم علامة لمن وضع له، وحذفت فاؤه اعتلالاً على غير قياس، والتصغير والجمع المذكوران يردّان هذا المذهب الكوفي. وأما المعنى فيه فجيد لولا ما يلزمهم من أن يقال في التصغير وُسيم وفي الجمع أوسام؛ لأن التصغير والجمع يردّان الأشياء إلى أصولها"[1].

فمما تقدم يتبين لنا أن أئمة المالكية يقررون أن الاسم مشتق من السمو وهو العلو والارتفاع، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة.

يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-**: "وهو مشتق من "السُّموّ" وهو العلو كما قال النحاة البصريون، وقال النحاة الكوفيون هو مشتق من "السِّمة" وهي العلامة، وهذا صحيح في "الاشتقاق الأوسط" وهو ما يتفق فيه حروف اللفظين دون ترتيبهما؛ فإنه في كليهما (السين والميم والواو) والمعنى صحيح، فإن السمة والسيما: العلامة. ومنه يقال: وسمته أسمه كقوله:﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ [القلم:16]، ومنه التوسم كقوله:﴿لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحِجر:75]، لكن اشتقاقه من "السمو" هو الاشتقاق الخاص الذي يتفق فيه اللفظان في الحروف وترتيبها، ومعناه أخص وأتم؛ فإنهم يقولون في تصريفه: سميت ولا يقولون وسمت، وفي جمعه أسماء لا أوسام، وفي تصغيره سُميّ لا وسيم. ويقال لصاحبه مسمّى لا يقال موسوم، وهذا المعنى أخص.

"فإن العلو مقارن للظهور" كلما كان الشيء أعلى كان أظهر، وكل واحد من العلو والظهور يتضمن المعنى الآخر، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "وأنت الظاهر فليس فوقك شيء"[2] ولم يقل فليس أظهر منك شيء؛ لأن الظهور يتضمن العلو والفوقية ؛ فقال: "فليس فوقك شيء" ...

---

(1) المحرر الوجيز، (1/84-85).

(2) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

فالاسم يظهر به المسمّى ويعلو؛ فيقال للمسمّي: سمّه: أي أظهره وأعلِه، أي أعلِ ذكره بالاسم الذي يذكر به؛ لكن يذكر تارة بما يحمد به ويذكر تارة بما يذم به ... وما ليس له اسم فإنه لا يذكر ولا يظهر ولا يعلو ذكره؛ بل هو كالشيء الخفي الذي لا يعرف؛ ولهذا يقال: الاسم دليل على المسمّى وعلم على المسمّى ونحو ذلك"[1].

---

(1) مجموع الفتاوى، (6/207-209) باختصار.

المسألة الثانية: الفرق بين الاسم والصفة.

تقدم تعريف الاسم واشتقاقه، وأما الصفة فسيأتي تعريفها في مبحث مستقلّ.

ومن الأمور المتقررة عند أهل السنة والجماعة أن أسماء الله عز وجل متضمنة للصفات، فكل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي يدل عليه الاسم الآخر؛ فالعزيز مثلاً متضمن لصفة العزة وهو مشتق منها، والخالق متضمن لصفة الخلق وهو مشتق منها، فأسماء الله مشتقة من صفاته.

وأسماؤه عز وجل أعلام وأوصاف: أعلام من حيث دلالتها على الله عز وجل، وهي أوصاف لتضمنها صفاته سبحانه وتعالى. وقد دل القرآن والسنة على ذلك.

فمن أدلة القرآن:

قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [الشورى:19]، وجه الدلالة أن قوله عز وجل: ﴿ٱلْقَوِىُّ﴾ يدل على أن القوي من أسمائه سبحانه لنصه عز وجل على تسمية نفسه بذلك، ومعنى القوي: أي المتصف بالقوة. وكذلك﴿ٱلْعَزِيزُ ﴾ اسم من أسمائه سمّى به نفسه، ومعناه الموصوف بالعزة.

ومما يؤيد ما ذكرنا قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:58] وقوله عز وجل: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[فاطر:10]، وقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص:82].

فالرزاق اسم من أسمائه عز وجل وقد وصف بالقوة، وفي الآية الثانية أثبت الله عز وجل لنفسه العزة، وفيما ذكره الله عز وجل عن إبليس أنه أقسم بعزة الله عز وجل؛ وجميع هذه الأسماء مشتقة من مصادرها وهي الأوصاف التي اشتقت منها هذه الصفات.

وأما أدلة السنة فمنها:

ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"[1]. فأثبت المصدر الذي اشتق منه البصير.

ومن أمثلة إثبات المصدر الذي اشتق من اسم الله "السميع" حديث عائشة رضي الله

(1) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينام"...

عنها في قصة خولة وفيه: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات"[1].

وهذ ما يقرره المحققون من أئمة المالكية. ومما يدل على ذلك:

1. **قول ابن العربي –رحمه الله–** حيث قال: "حقيقة الاسم كل لفظ جعل للدلالة على المعنى إن لم يكن مشتقاً، فإن كان مشتقاً فليس باسم إنما هو صفة، هذا قول النحاة. فالعالم عندنا اسم كزيد اسم؛ لكن أحدهما يدل على الوجود والآخر يدل على الوجود ومعنى معه زائد عليه"[2].

فقد بين –رحمه الله– الفرق بين الاسم وبين الصفة، وأن اللفظ إذا دل على المعنى ولم يكن مشتقاً من معنى الفعل فهو الاسم، وأما إن كان مشتقاً فهو صفة. وضرب مثالاً بقول القائل: زيد العالم: فزيد اسم لأنه لفظ دل على المعنى ولم يكن مشتقاً، والعالم صفة لأنه مشتق من الفعل عَلِم[3].

2. **قول القرطبي.**

قال –رحمه الله– بعد أن نقل كلام ابن العربي المتقدم مقررا وشارحا له: "قلت: وبيان ذلك أنك إذا قلت زيد مثلاً، فهو يدل على ذات متشخصة في الوجود من غير زيادة ولا نقصان. فلو قلت مثلاً: العالم دل هنا على تلك الذات منسوبة إلى العلم، وهكذا. ومن هنا صح عقلاً أن تكثر الأسماء المختلفة على ذات واحدة ولا يوجب تعداداً فيها ولا تكثيراً، وكذلك الصفات من القدرة والإرادة ونحو ذلك.

ثم قال –رحمه الله–: "قال ابن الحصار: واختلف في معنيين أحدهما: هل ما يدل عليه كل اسم من أسمائه الحسنى صفة قائمة بذات الخالق سبحانه موجودة كعلمه وقدرته وحياته وسائر ما قام عليه الدليل من صفاته أم هي أوصاف ونسب ليست بصفة قائمة بالذات؟

---

(1) خرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾.

(2) الجامع لأحكام القرآن، (4-1/4).

(3) الأسنى، (ص/47).

ثم نقل قول ابن العربي:" أن الأسماء راجعة إلى الصفات السبع" ورد عليه بقوله: "... والذي نعتقده أن كل اسم يدل على صفة يدل عليها وجه من وجوه الافتقار في الفعل فهي موجودة؛ إذ بهذا الاعتبار أثبتنا العلم والقدرة وسائر ما دلت عليه وجوه الافتقار، وبهذه الطريقة أثبتنا الكلام والسمع والبصر، وهذا طرد المعقول والمشروع"[1].

فالقرطبي -رحمه الله- يقرر التفريق بين الاسم والصفة، ويرى أن الصفة لا بد أن تكون مشتقة من معنى الفعل بخلاف الاسم.

مما تقدم يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية يقررون التفريق بين أسماء الله وصفاته من حيث الاشتقاق ويرون أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

فقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء بالمملكة العربية السعودية عن الفرق بين الاسم والصفة فأجابت بقوله: "أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير، فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر؛ أما الصفات فهي نعوت الكمال القائمة بالذات كالعلم والحكمة والسمع والبصر، فالاسم دل على أمرين والصفة دلت على أمر واحد، ويقال الاسم متضمن للصفة، والصفة مستلزمة للاسم..."[2].

ويمكن إجمال الفرق بين الأسماء والصفات بما يلي:

أولا: من حيث الدلالة لكل من الأسماء والصفات دلالة خاصةً:

أ- الاسم يدل على الذات. مثاله: الحكيم، اسم من أسماء الله دل على ذات الله.

ب- الصفة تدل على معنى قائم بالذات. مثاله: الحكمة صفة قائمة بالله تعالى.

---

(1) الأسنى، (ص/47).

(2) فتاوى اللجنة الدائمة، فتوى رقم (8942).

ثانيا: من حيث الاشتقاق:

أ- أسماء الله يشتق منها صفاته سبحانه. فالرحيم والرحمن يشتق منهما صفة الرحمة، والعليم يشتق منه صفة العلم، والعزيز يشتق منه صفة العزة، وهكذا.

ب- أما الصفات فلم يرد اشتقاق أسماء الله منها. مثل صفة الاستواء لم يرد المستوي اسماً لله، ولا يشتق من صفة المجيء اسم الجائي مثلاً.

ثالثا: من حيث التعبد. تشترك أسماء الله وصفاته في جواز التعبد والاستعاذة والحلف بها، وتختلف في التعبيد:

1. الأسماء يجوز التعبيد بها عند التسمية؛ فيجوز أن يسمى عبد الرحيم وعبد الرحمن وعبد الكريم.
2. أما الصفات فلا يجوز التعبيد بها: أي لا يجوز التسمية بها، فلا يقال: عبد الرحمة وعبد الكرم.

رابعا: من حيث الدعاء:

أ- الأسماء. يجوز دعاء الاسم فتقول: يا رحمن، يا رحيم، يا سميع، يا عليم، وهكذا.

ب- الصفات لا يجوز دعاؤها؛ فلا تقول: يا رحمت الله، أو يا سمع الله، أو يا عزة الله[1].

---

(1) انظر القواعد المثلى للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ومدارج السالكين لابن القيم.

المبحث الثاني: جهودهم في بيان الفرق بين الاسم والمسمى.

تمهيد.

كره السلف الخوض في مسألة الاسم: هل هو عين المسمى أم لا؟ ذلك أنها مسألة حادثة قليلة الفائدة، لم يرد فيها أثر من كتاب أو سنة ولا من أقوال السلف، وهذه المسألة نشأت نتيجة الخلاف مع المعتزلة في عهد الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله–. وقد كان الخلاف في كلام الله (القرآن) هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ فقالت المعتزلة: الاسم غير المسمّى. فرد السلف عليهم، وقد كان أول من رد عليهم الإمام أحمد –رحمه الله–. ولذلك يذكر الطبري –رحمه الله–[1] أن أول من أثر عنه الحديث رداً على المبتدعة وبياناً للحق في مسألة الاسم والمسمّى، ممن يُعتدّ بقوله هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل –رضي الله عنه–[2]، ومع ذلك فقد كان يشق على الإمام أحمد ويعظم عليه الكلام في الاسم والمسمّى ابتداءً لأنها مسألة حادثة[3].

قال الإمام الطبري –رحمه الله–: "وأما القول في الاسم أهو المسمّى أو غير المسمّى؟ فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع، ولا قول من إمام فيستمع، والخوض فيه شين والصمت عنه زين"[4].

وقال في موضع آخر: "حدث في دهرنا هذا حماقات خاض فيها أهل الجهل والغباء ونوكى الأمة والرعاع ، يتعب إحصاؤها ويمل تعدادها ، فيها القول في اسم الشيء أهو هو أم هو غيره؟"[5].

---

(1) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام المفسر المحدث المؤرخ الفقيه الأصولي المجتهد، عالم بالقراءات، بصير بالمعاني، فقيه في أحكام القرآن، عالم بالسنن، توفي سنة 310هـ.

(2) انظر: صريح السنة للطبري، (ص/25-26)

(3) انظر: قطعة من مقدمة الشيخ أبي محمد الحنبلي في عقيدة الإمام أحمد –ضمن طبقات الحنابلة لأبي يعلى (270/2)–، واعتقاد الإمام المبجل أبي عبد الله أحمد بن حنبل لأبي الفضل التميمي –ضمن طبقات الحنابلة لأبي يعلى (299/2)–.

(4) صريح السنة للطبري، (ص/26).

(5) صريح السنة للطبري، (ص/17-18).

ويرى أبو حامد الغزالي أن مسألة الاسم والمسمى: طويلة الذيل، قليلة النيل، قليلة الجدوى(1).

ولم ير المسلمون في آية من آيات الكتاب العزيز أو حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الاسم وكونه هو المسمّى أو غيره، وأن الصفات زائدة على الذات أم لا. ولذا كان السلف الصالح في غفلة من هذا، بل في عافية تامة من ذلك. ثم جرى إبليس من بني آدم مجرى الدم –في هذه المسألة– ولبّس على كثير من المتكلمين والصوفية فخاضوا في هذه الخرافات، وحسبوا أنهم أحسنوا صنعاً، ولم يعلموا أن هذا الصنيع عن مقاصد الدين بمعزل؛ فرحم الله امرءًا اقتصر على ظاهر الكتاب والسنة الصحيحة ولم يخض في تلك الموبقات والمهلكات التي لا تأتي بفائدة ولا تعود بفائدة"(2).

لكن لما ظهرت بعض الأقوال من أهل الباطل اضطر أهل الحق للرد عليهم بياناً للحق ودحضاً للباطل. وأهل السنة يعتقدون أن أسماء الله غير مخلوقة وأنها ليست من وضع البشر وأن الله هو الذي سمى نفسه بالأسماء الحسنى، ويستدلون على هذا الاعتقاد بأدلة كثيرة منها:

أولاً: ما جاء في القرآن من إثبات الأسماء له ووصفها بالحسن:

كقول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف:180]، وقوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء:110]، وقوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه:8].

فقد بين الله عز وجل في هذه الآيات أن له الأسماء الحسنى، ومن أصدق من الله قيلاً.

ثانياً: السنة حيث بين النبي صلى الله عليه وسلم أن لله عز وجل أسماءً سمَّى بها نفسه، وبين عليه الصلاة والسلام أن هذه الأسماء لها ثمرات وفوائد:

---

(1) انظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى للغزالي، (ص/31-39).

(2) انظر: الجوائز والصلات من جميع الأسامي والصفات لنور الحسن خان بن محمد صديق حسن خان، (ص/43)، وانظر: أسماء الله الحسنى للشيخ عبد الله صالح الغصن، (ص/19-22) بتصرف.

كقوله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة"[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "ما أصاب عبداً قط هم ولاغم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك بن عبدك بن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدله مكان حزنه فرحاً"[2].

فقد دل هذا الحديث على أن الله هو الذي سمى نفسه بأسمائه الحسنى وأنه أنزل بعضها، وعلّم بعض خلقه بعضها، واستأثر ببعض الأسماء فلم يطلع عليها أحد من خلقه.

وقد روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:158]، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:96]؟ فقال: "هو سمّى نفسه بذلك وهو لم يزل كذلك"؛ فأثبت -رضي الله عنهما- أن الله هو الذي سمّى نفسه بهذه الأسماء[3].

إذا تبين معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله عز وجل وأنهم يعتقدون أن الله هو الذي سمّى نفسه و لم يُسمِّه خلقه بذلك، فإنهم -رحمهم الله – يفرقون بين الاسم والمسمى كما سيأتي، وفيه مسألتان:

الأولى: المعنى اللغوي في الفرق بين الاسم والمسمى.

الثانية: المعنى الشرعي في الفرق بين الاسم والمسمى وأقوال الناس في ذلك.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار برقم (2736)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، برقم (2677).

(2) أخرجه الإمام أحمد في المسند، (1/391-452).

(3) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، تأليف: د/محمد بن خليفة التميمي، (ص/365-368).

المسألة الأولى: **المعنى اللغوي**.

تقدم في المبحث السابق معنى الاسم واشتقاقه من حيث اللغة ، وسيكون الكلام هنا على الفرق بين الاسم والمسمّى والتسمية؛ لأن منشأ الغلط من عدم التفريق بين معاني هذه الألفاظ الثلاثة. فنقول في بيان تعريف كل واحد من هذه الألفاظ:

1. الاسم: هو اللفظ الدال على المسمّى.
2. المسمّى: هو الشيء الموجود في الأعيان أو الأذهان.
3. التسمية: هي فعل المسمّي ووصفه الاسم للمسمّى.

فالاسم لفظ دال على المسمّى وليس هو المسمّى. تقول العرب: أجل مسمّى ولا تقول: أجل اسم، ويقولون: مسمّى هذا الاسم كذا ولايقول أحد: اسم هذا الاسم كذا، ويقولون: هذا الرجل مسمّى بزيد ولا يقولون: هذا الرجل اسم زيد، ويقولون: باسم الله ولا يقولون: بمسمّى الله.

كما أن الاسم ليس هو المسمّى وإن كان قد يراد به المسمّى مع أنه في نفسه "اسم" وليس هو المسمّى؛ ولكن يراد به المسمّى، وذلك لأن الاسم يتناول اللفظ والمعنى المتصور في القلب، وقد يراد به مجرد اللفظ، وقد يراد به مجرد المعنى.

وأما التسمية فهي النطق بالاسم والتكلم به، وليست هي الاسم نفسه، كما أن التحلية هي فعل المحلي ووضعه الحلية للمحلى[1].

وبهذا يتبين لنا الفرق بين هذه الألفاظ الثلاثة وأنها متباينة لتباين حقائقها، وأن لكل واحد منها دلالة خاصة به.

---

(1) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي، (ص/273-279).

المسألة الثانية: **الفرق بين الاسم والمسمى**.

اختلف الناس في الاسم هل هو عين المسمّى أم غيره على أقوال أشهرها ثلاثة:

الأول: أن الاسم هو المسمّى، وهو قول بعض المنتسبين إلى السنة، وهو أحد قولي الأشاعرة.

الثاني: أن الاسم غير المسمّى، وهو قول الجهمية والمعتزلة(1).

الثالث: أن الاسم للمسمّى، وهو دليل وعلم عليه، ولا يطلق القول في الاسم هل هو عين المسمّى أو غيره؟ ولكن يستفصل لأن الكلام عن هذه المسألة عام يحتاج إلى تقييد وتخصيص(2).

وهذا هو قول أهل السنة والجماعة وهو الصواب لموافقته للكتاب والسنة وصريح اللغة كما تقدم بيان ذلك، وكتب أهل السنة والجماعة دالة على ذلك.

والمحققون من أئمة المالكية لا يخرجون عما عليه إخوانهم من أهل السنة والجماعة. ومن أمثلة ذلك:

1. **قول ابن الحصار**.

يقول -رحمه الله تعالى-: "نقل أهل المقالات اختلافاً بين أهل السنة والمبتدعة فزعموا أن أهل السنة يقولون: الاسم هو المسمّى، وأهل البدع يقولون: الاسم غير المسمّى؛ وظاهر هذا الاختلاف في الاسم والمسمّى هيِّن المدرك وباطنه عسير المسلك؛ وذلك أن من ينفي الصفات من المبتدعة يزعم أن لا مدلول للتسميات إلا الذات، ولذلك يقولون: الاسم غير المسمّى، ومن يثبت الصفات يثبت للأسماء مدلولات هي أوصاف الذات، وهي غير العبارات، وهي الأسماء عندهم. والحق في هذا أن نقول: إن الاسم لفظ مشترك: تارة يطلق على التسمية، وتارة يطلق على المسمّى، وكذلك التسمية قد يراد بها اللفظ الدال على المسمّى وقد يراد بها حالة وضع اللفظ من المسمّي للمسمّى.

---

(1) وللرد عليهم وعلى أصحاب القول الأول انظر: فتاوى شيخ الاسلام بن تيمية، (186/6-210) وبدائع الفوائد، (1/ 19-20) وللاستزادة، يراجع: جامع البيان للطبري، (80/1).

(2) انظر: منهج الإمام ابن القيم في شرح أسماء الله الحسنى، تأليف: مشرف بن علي بن عبد الله الغامدي، (ص/99-101).

والاستدلال على هذا الاشتراك وجوده في كتاب الله تعالى وفي لسان العرب"[1].

فقد بين -رحمه الله- الفرق بين الاسم والمسمى وأن الاسم قد يطلق ويراد به التسمية، وقد يطلق ويراد به المسمّى، هذا هو أحد الأقوال عند أهل السنة والجماعة[2].

2. قول القرطبي -رحمه الله تعالى-.

قال -رحمه الله-: قال أبو قاسم الأنصاري: وذهبت المعتزلة إلى التسوية بين الاسم والتسمية والوصف والصفة، والتزموا على ذلك بدعة شنعاء وقالوا: لم يكن للباري سبحانه في الأزل صفة ولا اسم؛ فإن الاسم والصفة قول المسمّين والواصفين، ولم يكن في الأزل قول عندهم. ومن زعم أنه لم يكن لله سبحانه في الأزل صفة الألوهية فقد فارق الدين وراغم إجماع المؤمنين.

ثم قال القرطبي -رحمه الله-: "والدليل على أن الاسم يغاير التسمية وأنه يراد به المسمّى وأن التسمية ترجع إلى الأقوال آي من كتاب الله، منها قوله: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [مريم:7]، ثم قال: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:12]، فلو كان الاسم غير المسمّى لكان المنادى غير يحيى؛ وذلك لا يجوز. وقال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:6]، فأخبر أن اسم الرسول أحمد، وأحمد الشخص نفسه دون قول القائل وتسمية المسمّى. وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:1]، وإنما المسبح [وجود] الإله تعالى دون ألفاظ الذاكرين. وقال عز وجل: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:78]، والمعنى: تبارك ربك. وقال في ذم عبدة الأوثان: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ [يوسف:40]، ومعلوم أن عبدة الأوثان ما عبدوا اللفظ والقول الذي هو هبل واللات والعزى؛ وإنما عبدوا المسمّى بالتسميات.

مما تقدم يتبين لنا أن القرطبي -رحمه الله- يرى التفريق بين الاسم والمسمى والتسمية كما استقر عليه أهل السنة والجماعة.

3. قول الطاهر بن عاشور.

قال-رحمه الله- في تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾

---

(1) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي، (ص/38).

(2) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للشيخ محمد بن خليفة التميمي، (ص/278-279).

[الرحمن:78]، "وأسند "تبارك" إلى "اسم" وهو ما يعرف به المسمّى، وإذا كان اسمه قد تبارك فإن ذاته تباركت لا محالة؛ لأن الاسم دال على المسمّى"(1).

وعند تفسيره لقوله عز وجل: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:74]، يقول –رحمه الله–: "واسم الرب هو ما يدل على ذاته"(2).

وعند تفسيره لقول الله سبحانه: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة:52]، يقول –رحمه الله–: "واسم الله هو العلم الدال على الذات"(3).

فمما تقدم يتبين أن ابن عاشور –رحمه الله– يقرر منهج أهل السنة والجماعة وهو أن الاسم للمسمّى ودال عليه، وهو الصواب من أقوال أهل السنة.

وبهذا يتبين أن أئمة المالكية سلفاً وخلفاً لا يخرجون عن منهج أهل السنة والجماعة في الاسم والمسمى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– في هذا الباب: "والاسم يتناول اللفظ والمعنى المتصور في القلب، وقد يراد به مجرد اللفظ، وقد يراد به مجرد المعنى؛ فإنه من الكلام،"والكلام" اسم للفظ والمعنى، وقد يراد به أحدهما؛ ولهذا كان من ذكر الله بقلبه أو لسانه فقد ذكره، لكن ذكره بهما أتم. والله تعالى قد أمر بتسبيح اسمه وأمر بالتسبيح باسمه كما أمر بدعائه بأسمائه الحسنى؛ فيدعى بأسمائه الحسنى ويسبح اسمه، وتسبيح اسمه هو تسبيح له؛ إذ المقصود بالاسم المسمّى كما أن دعاء الاسم هو دعاء المسمّى. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء:110].

والله تعالى يأمر بذكره تارة وبذكر اسمه تارة، كما يأمر بتسبيحه تارة وتسبيح اسمه تارة؛ فقال: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[الأحزاب:41]، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ [الأعراف:205]، وهذا كثير. وقال: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزَّمل:8] كما قال: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:118]، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾

---

(1) التحرير والتنوير، (276/27).

(2) المصدر السابق، (328/27).

(3) التحرير والتنوير، (151/29).

[الأنعام:121]، ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة:4].

لكن هنا يقال: بسم الله؛ فيذكر نفس الاسم الذي هو "ألف سين ميم"، وأما في قوله: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ فيقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله. وهذا أيضاً مما يبين فساد قول من جعل الاسم هو المسمّى. وقوله في الذبيحة: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ [الأنعام:118] كقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:1]، وقوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ [هود:41]، فقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ هو قراءة بسم الله في أول السور.

وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبين أن هذه الآية تدل على أن القارئ مأمور أن يقرأ بسم الله وأنها ليست كسائر القرآن؛ بل هي تابعة لغيرها، وهنا يقول: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ كما كتب سليمان وكما جاءت به السنة المتواترة، وأجمع المسلمون عليه؛ فينطق بنفس الاسم الذي هو اسم مسمّى، لا يقول بالله الرحمن الرحيم؛ كما في قوله: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ فإنه يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ونحو ذلك، وهنا قال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ لم يقل: اقرأ اسم ربك وقوله: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ يقتضي أن يذكره بلسانه.

وأما قوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾ فقد يتناول ذكر القلب. وقوله : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ هو كقول الآكل باسم الله، والذابح باسم الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ومن لم يكن ذبح فليذبح بسم الله".

وأما التسبيح فقد قال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:42] وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى:1] وقال: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة:74].

وفي الدعاء: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء:110]، فقوله: ﴿أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ﴾ يقتضي تعدّد المدعو لقوله: ﴿أَيّٗا مَّا﴾، وقوله: ﴿فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ يقتضي أن المدعو واحد له الأسماء الحسنى، وقوله: ﴿ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ -ولم يقل ادعوا باسم الله أو باسم الرحمن- يتضمن أن المدعو هو الرب الواحد بذلك الاسم.

فقد جعل الاسم تارة مدعوّاً وتارة مدعوّاً به في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:180]، فهو مدعو به باعتبار أن المدعو هو المسمّى وإنما يدعى باسمه. وجعل الاسم مدعواً باعتبار أن المقصود به هو المسمّى، وإن كان في اللفظ هو المدعو المنادى، كما قال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ أي: ادعوا هذا الاسم أو هذا الاسم، والمراد إذا دعوته هو المسمّى؛ أي الاسمين دعوت ومرادك هو المسمّى: ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1]. انتهى.

(1) الفتاوى، (209/6-212).

المبحث الثالث: جهودهم في بيان الفرق بين ما يسمى الله به وبين ما يخبر به عنه.

من القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة التفريق بين الاسم والخبر عن الله عز وجل، ومن تلك الفروق ما يلي:

1. أن أسماء الله توقيفية لا يتجاوز فيها الكتاب والسنة، فلا يسمّى الله إلا بما سمّى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فيما صح من سنته.

وأما الخبر فبابه أوسع من باب الاسم، فيجوز الإخبار عن الله عز وجل باسم يفيد الخبر بمعنى من المعاني ولو لم يرد لفظه في الكتاب والسنة لا سيما إذا احتيج إليه كأن ينكر أحد من المبتدعة أوّلِيّة الله وأزلِيّته فيقول: ليس بقديم، أو ينكر وجود الله فيقول: ليس بموجود، ونحو ذلك؛ فيجوز والحالة هذه أن يرد عليه ويقال له بأن الله قديم وذات موجود.

2. أن أسماء الله حسنى قد بلغت في الحسن غاياتها، فهي تحمل الحسن المطلق. وأما الخبر عن الله فلا يكون باسم سيء ولا يلزم أن يكون حسناً. والله عز وجل يخبر عنه بالإرادة في قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء:27]،ولكن لا يسمّى بالمريد.

3. إذا كانت الأسماء دالة على الكمال والنقص في ذاتها فهي تحتمل الكمال والنقص في معناها نفسه، فهذه لا تطلق على الله وإنما تذكر مقيدة مثل: المكر والخداع والانتقام والاستهزاء؛ فيخبر عن الله عز وجل بأنه يمكر بالماكرين كما في قوله عز وجل: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:30] ولكن لا يسمّى الله بالماكر. وكذلك يخبر عن الله عز وجل أنه يستهزئ بالمنافقين كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة:15] ولكن لا يسمّى الله عز وجل بالمستهزئ، ويخبر عنه سبحانه بأنه يجيء يوم القيامة كما في قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:22] ولكن لا يسمّى الله عز وجل بالجائي.

4. أسماء الله تعالى مشتقة من صفاته وأفعاله، والاسم إذا أطلق جاز أن يؤخذ منه المصدر والفعل، فيخبر عنه فعلاً أو مصدراً نحو: السميع البصير القدير: يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة ويخبر عنه بالأفعال من ذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة:1] وقوله سبحانه: ﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات:23]،

وهذا إذا كان الفعل متعدّياً؛ أما إذا كان الفعل لازماً فلا يطلق عليه منه الاسم والصفة دون الفعل كما في اسمه "الحيّ" فإنه يثبت لله اسم الحيّ وصفة الحياة؛ ولكن لا يخبر عنه بالفعل فلا يقال: "حيي"[(1)].

والمحققون من أئمة المالكية -رحمهم الله- لم يخرجوا عن هذا المنهج السلفي، فهم يقررون وجود فروق بين ما يخبر عن الله به وبين ما يسمّى به، فالإخبار عن الله أوسع مما يسمّى أو يوصف به، ويدل على ذلك أقوالهم الآتية:

1. قول ابن بطال.

قال -رحمه الله تعالى-: "ذكر الأشعري أن القدرة والقوة والاستطاعة واحد؛ ولكن لا يشتق لله تعالى من الاستطاعة اسم، ولا يجوز أن يوصف بأنه مستطيع لعدم التوقيف في ذلك وإن كان جاء القرآن بالاستطاعة فقال: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة:112]؛ فإنما هو خبر عنه لا يقتضي إثباته صفة له تعالى"[(2)].

فقد بين -رحمه الله- أن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، فأما الإخبار فيجوز أن يخبر عن الله بشيء وقد لا يجوز وصفه أو تسميته بذلك.

وهذا الذي ذكره -رحمه الله- هو قول أهل السنة. يقول **ابن القيم -رحمه الله-**: "فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء. وقد أخطأ أقبح الخطأ من اشتق له من كل فعل اسماً وبلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسمّاه: الماكر، والمخادع، والفاتن، والكائد، ونحو ذلك. وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به؛ فإنه يخبر عنه بأنه شيء وموجود، ومذكور، ومعلوم، ومراد، ولا يسمّى بذلك"[(3)].

---

(1) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم، (178/1) ومدارج السالكين، (433/3) والمقصد الأسنى للغزالي، (ص/147) ومنهج ابن القيم في شرح أسماء الله الحسنى لمشرف بن علي الغامدي. وانظر: أسماء الله الحسنى، تأليف: عبد الله بن صالح الغصن، (ص/119-121).

(2) شرح صحيح البخاري، (418/10).

(3) بدائع الفوائد، (162/1).

2. قول القرطبي -رحمه الله تعالى-.

حيث قال في كتابه الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: "الفصل العاشر: قال جماعة من العلماء: ولا يجوز أن يشتق لله تعالى من شر ما خلق اسم ولا صفة، ولا من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب:43] "مصلّ"، ولا يوصف أيضاً بأنه صائم لكونه لا يطعم، ولا شاء من شاء، والباري تعالى، وإن كان اتفق جميع الأمة على وصفه بأنه قد شاء ويشاء؛ فلم يرد في كلامه ولا كلامهم شاء ... وكذلك لم يصفوه بأنه قاصد وإن كانت الإرادة هي القصد، كما لم يصفوه بأنه عارف، وبأنه ذاكر، استغنوا عنه بأنه عالم"[1].

وقال: "وقال علماؤنا -رحمة الله عليهم-: لا يوصف الباري سبحانه بأنه مستطيع لأن أسماءه لا تؤخذ إلا توقيفاً و لم يرد فيها "مستطيع". ثم قال: "... ولو روعي الاشتقاق من الأفعال لتعدّدت الأسماء إلى ما لا يحصى كثرة"[2].

3. قول الطاهر بن عاشور.

قال -رحمه الله-: "واختلف في الأفعال التي في القرآن نحو: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة:15] ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:54] ونحو ذلك، هل يطلق منها اسم الفاعل؟ فقالت فرقة: لا يطلق ذلك بوجه، وجوَّزت فرقة أن يقال ذلك مقيداً بسببه نحو: الله ماكر بالذين يمكرون بالدين، أما إطلاق ذلك دون تقييد فممنوع إجماعاً"[3].

مما تقدم يتبين أن أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون أن باب الإخبار عن الله أوسع من باب الأسماء، فيخبر عن الله بشيء؛ لكن لا يلزم أن يسمى به، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة. يقول **شمس الدين ابن قيم الجوزية -رحمه الله-** في تقرير ذلك: "ويجب أن يعلم هنا أمور:

- **أحدها:** أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

- **الثاني:** أن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه،

---

(1) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ص/14).

(2) المصدر السابق، (ص/266).

(3) التحرير والتنوير، (188/9).

بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد والفاعل والصانع؛ فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه. ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق، بل هو الفعّال لما يريد؛ فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلاً وخبراً.

- **الثالث**: أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى: المُضلّ الفاتن الماكر -تعالى الله عن قوله-؛ فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معيّنة، فلا يجوز أن يسمّى بأسمائها.

- **الرابع**: أن أسماءه عز وجل الحسنى هي أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العلمية بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى.

- **الخامس**: أن الاسم من أسمائه له دلالات: دلالة على الذات والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن، ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم.

- **السادس**: أن أسماءه الحسنى لها اعتباران: اعتبار من حيث الذات واعتبار من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة وبالاعتبار الثاني متباينة.

- **السابع**: أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه. فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع؟

- **الثامن**: أن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه فعلاً ومصدراً نحو: السميع البصير القدير، يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة:1]، وقوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات:23]، هذا إن كان الفعل متعدّياً. فإن كان لازما لم يخبر عنه به نحو: **الحي** بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل؛ فلا يقال: "حيي"[1].

---

(1) بدائع الفوائد - (162-161/1).

المبحث الرابع: جهودهم في بيان أن أسماء الله توقيفية.

من الأمور المتقررة عند أهل السنة والجماعة أن أسماء الله عز وجل تثبت بالخبر الصادق من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا مجال للعقل في إثباتها، فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة لأنها من قبيل الخبر عن الله؛ والخبر لا يثبت إلا عن طريق النصوص الصحيحة الصريحة، والعقل لا يمكنه إدراك ما يجب لله تعالى من الأسماء؛ فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:36]، وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:33].

ففي هذه الآية رتّب الله عز وجل المحرّمات ترتيباً تصاعدياً من الأدنى إلى الأعلى، وجعل أعلاها القول عليه بلا علم فهو محرم ويجب فيه الاقتصار على ما جاء به النص.

والمحققون من أئمة المالكية لا يخرجون عن هذه القاعدة، شأنهم في ذلك شأن إخوانهم من أهل السنة والجماعة، ومما يؤيد ذلك:

1. **قول الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي زمنين –رحمه الله–** حيث قال في كتاب أصول السنة: "باب: في الإيمان بصفات الله وأسمائه.

قال محمد: واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علماً، والعجز عما لم يدع إيماناً، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه وعلى لسان نبيه، وقد قال وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ ﴾ [القصص:88]، وقال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةًۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام:19] وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ ﴾ [آل عمران:28] وقال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:29] وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ﴾ [الطور:48] وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه:39] وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:64] وقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ [الزُّمَر:67] وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:46] وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:164]

وقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور:35] وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة:255]وقال: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد:3].

ومثل هذا في القرآن كثير فهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض كما أخبر عن نفسه، وله وجه ونفس وغير ذلك كما وصف به نفسه، ويسمع ويرى ويتكلّم، الأول ولا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية لا شيء بعده، والظاهر العالي فوق كل شيء ما خُلق، والباطن بطن علمه بخلقه تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة:29]، حيّ قيّوم، لا تأخذه سنة ولا نوم"[1].

فقد بين أبو عبد الله –رحمه الله– أن أسماء الله توقيفية وأنه يجب الإيمان بما سمّى الله به نفسه أو سمّاه به رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات، والوقوف عند الكتاب والسنة؛ فلا يسمّى الله إلا بما جاء به النص، وأيد ذلك بما ذكره من الصفات مستدلاً لها بأدلة القرآن العظيم كما هو منهج السلف الصالح في هذا الباب.

2. قول الحافظ بن عبد البر.

قال –رحمه الله–: "لا نسمّيه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما سمّى به نفسه على ما تقدم ذكرنا له من وصفه لنفسه لا شريك له، ولا ندفع ما وصف به نفسه لأنه دفع للقرآن"[2].

فبين –رحمه الله– أن الأصل في إثبات الأسماء لله عز وجل هو الكتاب والسنة مما يدل على أنه –رحمه الله– يرى وجوب التوقيف في إثبات أسماء الله عز وجل كما هو متقرر عند أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

3. قول محمد بن رشد حيث قال في شرح العتبية.

"قوله لا ينبغي لأحد أن يصف الله عز وجل إلا بما وصف به نفسه في القرآن يريد: أو وصفه به رسوله في متواتر الآثار واجتمعت الأمة على جواز وصفه به، وكذلك لا ينبغي عنده على قوله هذا أن يسمّى الله تعالى إلا بما سمّى به نفسه في كتابه أو سماه به رسوله أو اجتمعت الأمة عليه"[3].

---

(1) أصول السنة، (ص/61).

(2) التمهيد، (137/7).

(3) البيان والتحصيل، (401/16).

4. قول ابن عطية.

يقول -رحمه الله تعالى- مبيناً أن أسماء الله توقيفية ولا يجوز أن يسمّى الله عز وجل إلا باسم قد ورد في الكتاب أوالسنة: "... واختلف الناس في الاسم الذي يقتضي مدحاً خالصاً ولا يتعلق به شبهة ولا اشتراك إلا أنه لم يرد منصوصاً، هل يطلق ويسمىّ الله به؟ فنص الباقلاني على جواز ذلك، ونص أبو الحسن الأشعري على منع ذلك، والفقهاء والجمهور على المنع. والصواب أن لا يسمى الله تعالى إلا باسم قد أطلقته الشريعة ووقفت عليه أيضاً؛ فإن هذه الشريطة التي في جواز إطلاقه من أن تكون مدحاً خالصاً لا شبهة فيه ولا اشتراك أمر لا يحسنه إلا الأقل من أهل العلوم، فإذا أبيح ذلك تسور عليه من يظن بنفسه الإحسان وهو لا يحسن فأدخل في أسماء الله ما لا يجوز إدخاله"(1).

وهذا الذي قرره -رحمه الله- من أن أسماء الله توقيفية وأنه لا يجوز أن يسمّى الله عز وجل إلا بما جاء به الشرع هو منهج السلف الصالح، فتبين أنه -رحمه الله- يوافق أهل السنة والجماعة في هذا الباب(2).

5- قول القرطبي.

قال -رحمه الله- في كتابه الأسنى: "لا مدخل للقياس في أسماء الله تعالى، على هذا جمهور العلماء على ما نذكره. ثم نقل عن ابن العربي إباحته إطلاق الأسماء التي فيها معنى التعظيم والإكبار على الله عز وجل، ثم رده بقوله: وعلى (هذا) القول يجوز أن يطلق على الله اسم يقتضي التعظيم والمدح إذا لم يتعلق به شبهة ولا اشتراك وإن لم يرد منصوصاً، نص على هذا ابن الباقلاني واختاره ابن العربي على ما يأتي، ونص أبو الحسن الأشعري على المنع من ذلك؛ والجمهور على المنع وهو الصواب. ثم نقل أقوال بعض أئمة المالكية في بيان أن أسماء الله توقيفية فقال:

---

(1) المحرر الوجيز، (154/6).

(2) انظر: منهج ابن عطية في أصول الدين، رسالة علمية في جامعة الإمام، إعداد: علي بن عبد الرحمن القرعاوي، (ص/84-85).

قال ابن فورك [1]: "واعلم أن أسماء الله تعالى وصفاته عندنا مأخوذة نصاً وتوقيفاً، لايجوز أن تتعدّى إلى ما لم يرد به نص.

وقال أبو الحسن القابسي [2]: "أسماء الله تعالى وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف، والتوقيف كتاب الله وسنة رسوله واتفاق أمته، وليس للقياس في ذلك مدخل، وما أجمعت عليه الأمة فإنهم عن سمع علموه من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وقال أبو جعفر النحاس [3] في كتاب **علم أسماء الله تعالى**: "فإنما يلزم العبد الاستسلام، ولا يعرف ملك مقرب ولا نبي مرسل تلك الصفات إلا بالأسماء التي عرفهم الرب، ولا تدرى بالعقول والمقاييس منتهى صفات الخالق تعالى؛ فيلزم المسلم أن يتثبت، لا يجترئ على ما يلوح له وسمعه من جاهل".

ثم قال: "وجملة القول أنه لا يجوز أن يسمّى الله تعالى أو يوصف إلا بما سمّى به نفسه لخلقه ووصف، أو سمّاه به رسوله ووصف، أو أجمع المسلمون عليه؛ فإذا صح الاسم أو الصفة من طريق السمع فالواجب علينا الانقياد والتسليم له، وكان له من ذلك ما يليق بجلاله [4]!

ونقل القرطبي لهذه الأقوال وعدم تعقبها يدل على أنه –رحمه الله– يرى التوقيف في إثبات أسماء الله عز وجل على النقل كما هو منهج أهل الحق.

---

(1) هو: شيخ المتكلمين أبوبكر محمد بن الحسن الأصبهاني الأديب النحوي الواعظ، درس في العراق، ثم توجه إلى الري، كان أشعريا رأسا في الكلام، وكان شديد الرد على أصحاب عبد الله بن كرام، من مؤلفاته: رسالة في التوحيد، ومشكل الحديث وغريبه، مات سنة (406هـ) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، (272/4)، والسير، (214/17-215)، وطبقات السبكي، (52/3).

(2) هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي، المعروف بابن القابسي، كان إماما في علم الحديث، من مؤلفاته: المنقذ من شبه التأويل، وأحكام الديانة، والمهذب في الفقه. مات: (403هـ)ن انظر ترجمته في ترتيب المدارك،(223/2-227)ن ووفيات الأعيان، (320/3-321)، والسير، (158/17).

(3) هو: الإمام الفقيه المحدث الصدوق مسند الديار المصرية، أبو محمد عبدالرحمن بن عمر بن محمد التجيبي المصري المالكي البزاز، المعروف بابن النحاس توفي سنة، (416هـ) انظر ترجمته في السير، (313/17)، و شذرات الذهب، (204/3).

(4) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ص/7-15).

6- قول الطاهر بن عاشور.

قال -رحمه الله- مبيناً أن أسماء الله توقيفية ولا يجوز إطلاق أي اسم على الله ما لم يرد به دليل شرعي من كتاب أو سنة: "قال ابن عطية: واختلف في الاسم الذي يقتضي مدحاً خالصا ولا تتعلق به شبهة ولا اشتراك إلا أنه لم يرد منصوصاً، هل يطلق ويسمىّ الله به؟ فنص الباقلاني على جواز ذلك، ونص أبي الحسن الأشعري على منع ذلك، والفقهاء والجمهور على المنع. والصواب: أن لا يسمّى الله تعالى إلا باسم قد أطلقته الشريعة، وأن يكون مدحاً خالصاً لا شبهة فيه ولا اشتراك أمر لا يحسنه إلا الأقل من أهل العلوم، فإذا أبيح ذلك تسور عليه من يظن بنفسه الإحسان فأدخل في أسماء الله ما لا يجوز إجماعاً"[(1)].

ونقله رحمه الله لكلام ابن عطية وعدم تعقبه أو التعليق عليه بما يفيد الرد يدل على أنه يرى ذلك، ويوافق من نقل عنه، وهذا يدل على أنه-رحمه الله- يقرر أن أسماء الله توقيفية وأنه لا يتجاوز فيها النص كما هو منهج أهل السنة.

مما تقدم يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون أن أسماء الله توقيفية وأنه لا يجوز إطلاق اسم على الله ما لم يدل عليه نص من الكتاب أو السنة كما هو منهج أهل السنة والجماعة يؤيد ذلك.

ما ذكره **البغدادي** في أكثر من موضع من أصول الدين من أدلة على التوقيف في أسماء الله الحسنى، ومن ذلك قوله: "الدليل على المنع من القياس في أسماء الله عز وجل أن العبد لا يضع لمولاه اسماً كما يضع الولد لأبيه اسماً، إنما يضع الأب للولد والسيِّد للعبد؛ لأن الله تعالى موصوف بأسماء لا يوصف بما في معناها نحو صفته بأنه جواد كريم، ولا يوصف بأنه سخي". وقوله: "وكل ما نطق به القرآن من أسمائه تعالى فجائز إطلاقه، وما خرج من هذه الأقسام فلا يجوز وصف الله عز وجل به، ومن سمّاه بالقياس صار من القياس في إياس".

يريد-رحمه الله- أنه لا يجوز أن يطلق على الله عز وجل اسم إلا بدليل من الكتاب، أو السنة، أوالإجماع.

---

(1) التحرير والتنوير، (188/9).

ومن ذلك قوله في بيان ما يوصف به الله تعالى من فعل لا يعبر عنه باسم: "قال الله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:21]ولا يقال له: ساقٍ. وقال: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة:15] ولا يقال له: مستهزئ. وقال أيضاً: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة:79] ولا يقال له: ساخر، وقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:6] ولا يقال له: غضبان، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ﴾ [الأحزاب:56] ولا يقال له: مصلّ، وقال: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدَّثر:17] ولا يقال له: إنه مرهق. وفي هذا دليل على أن مأخذ أسمائه التوقيف دون القياس"[1].

(1) أصول الدين للبغدادي، (ص/129).

المبحث الخامس: جهودهم في تقرير كون أسماء الله كلها حسنى ومعنى ذلك.

وصف الله سبحانه وتعالى أسماءه بأنها حسنى في أربعة مواضع من كتابه. وذلك في قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف:180]، وقوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:110]، وقوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه:8]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:24].

فأسماء الله عز وجل كلها حسنى أي: بالغة في الحسن الغاية التي ما بعدها حسن، وقد جاء وصفها بأنها حسنى على وزن "فعلى" تأنيث أفعل التفضيل؛ وإنما كانت أسماؤه سبحانه وتعالى حسنى لأنها دالة على كمال صفاته التي هي مشتقة منها، فأسماء الله عز وجل أوصاف وألفاظ ذات معانٍ كما أن أسماءه سبحانه مدح وثناء وتمجيد.

وأهل السنة والجماعة يقررون أن جميع أسماء الله عز وجل حسنى وأنها قد بلغت في الحسن الغاية وهي متضمنة لأوصاف الكمال من كل الوجوه.

والمحققون من أئمة المالكية لا يخرجون عن هذا المعتقد، فهم يقررون ما يقرره إخوانهم أهل السنة، ومؤلفاتهم شاهدة بذلك. ومما يبين هذا الأمر ويؤكده ما يلي:

1. قول ابن بطال.

قال -رحمه الله-: "معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف:180] فأمر بدعائه بها، ووصفه لها بالحسنى يقتضى نفي تضمن كل اسم منها نقيض ما يوصف أنه حسن، ونقيض الحسن قبيح لا يجوز على الله، ومعنى هذا أن عالماً من أسمائه يقتضى علماً ينفى نقيضه من الجهل، وقادراً يقتضى قدرةً تنفى نقيضها من العجز، وحياً يقتضى حياةً تنفى ضدها من الموت، وكذلك سائر صفاته كلها، ففائدة كل واحدة منها خلاف فائدة الأخرى، فأمر تعالى عباده بالدعاء بأسمائه كلها لما يتضمن كل اسم منها ويخصه من الفائدة ليجتمع للعباد الداعين له بجميعها فوائد عظيمة، وليكون معبوداً بكل معنى[1]".

---

(1) شرح صحيح البخارى، (10/424-425).

فبين -رحمه الله- أن أسماء الله كلها حسنى، ومعنى ذلك: كمال الحسن الذي هو ضد القبح، وأنها متضمنة لكل معاني الكمال والجمال.

2. قول ابن عطية.

يقرر ابن عطية -رحمه الله- أن أسماء الله كلها حسنى، ويبين معنى ذلك فيقول: "والحسنى مصدر وصف به، ويجوز أن تقدر الحسنى: فعلى مؤنثة أحسن، فأفرد وصف جميع ما لا يعقل كما قال: ﴿مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه:18]، وكما قال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ:10]. وحسن الأسماء إنما يتوجه بتحسين الشرع لإطلاقها والنص عليها، ويضاف إلى ذلك أنها تضمّنت معان حسنة شريفة..."[1].

وابن عطية في تقريره هذا يوافق منهج أهل السنة؛ ذلك أن وصف أسماء الله بأنها حسنى جاء به الشرع وهي متضمنة لصفات الله عز وجل، وصفاته سبحانه قد بلغت في الكمال أعلاه ولا يمكن أن يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولهذا جاء النص على أن أسماءه سبحانه حسنى كما قال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:180][2].

3. قول القرطبي.

قال-رحمه الله- مقررا أن أسماء الله كلها حسنى، ومعنى ذلك: "واختلف في تسمية الله سبحانه أسمائه بالحسنى.

فقيل: لما فيها من العلو والتعظيم والتقديس والتطهير، فكل أمر معظم يسمى به.

وقيل: سميت حسنى لما وعد فيها من الثواب عند الذكر للعبد وجزيل العطاء عند التوسل بالدعاء.

وقيل: سميت حسنى لكونها حسنة في الأسماع والقلوب.

وقيل: لأنها تدل على توحيده وكرمه وجوده ورحمته وأفضاله، ولهذا حمد نفسه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:2]، وإنما حمد نفسه بما استحق واتصف به من صفات الجلال والعظمة والكمال. وهذه التسميات تدل على تلك الصفات، فله الحياة الدائمة وكل شيء هالك إلا وجهه، وله العلم المحيط الذي لا ينبغي إلا له،

---

(1) المحرر الوجيز، (154/6).

(2) انظر: منهج ابن عطية، (ص/87-90).

وله القدرة التامة على كل شيء، والمشيئة النافذة في كل شيء، والملك الدائم، والعزة التي لا ترام، التي لا تجب إلا له إلى سائر ما وجب له مما دلت عليه أسماؤه الحسنى. فكانت حسنى لحسن مدلولاتها، وكاملة بكمال مفهوماتها؛ فشرف الدلالات بشرف مدلولها.

ولذلك تعبدنا بصون المصاحف وإن كانت ورقاً وحبراً، وأمرنا بحفظها وحمايتها ورعيها، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو صوناً له عن أوضار العدو ونجاستهم، وكذلك يشرف العالم بشرف العلم كما يشرف العلم بشرف المعلوم، وكذلك يشرف الذاكر بشرف المذكور. والله سبحانه أشرف الموجودات، وبحسب ذلك تعظم المثوبة وتطيب المجازاة وتكثر، ولكن الحسن كله والشرف راجع إلى المذكور، وهذا كله بيّن لا يحتاج إلى برهان.

وقد قيل: إن معنى وصفها بالحسنى معرفة الواجب في وصفه، والجائز في نعته، والممتنع المحال في حقه. والحسنى مصدر وصف به، ويجوز أن تقدر الحسنى: فعلى مؤنثة أحسن كالكبرى مؤنث الأكبر"[1].

فقد بين -رحمه الله- أن أسماء الله كلها حسنى وبين معنى ذلك.

4. قول الطاهر بن عاشور.

قال-رحمه الله- مبيناً أن أسماء الله عز وجل حسنى ومعنى ذلك: "وصف الأسماء "بالحسنى" لأنها دالة على ثبوت صفات كمال حقيقي، أما بعضها فلأن معانيها الكاملة لم تثبت إلا لله نحو "الحيّ" و"العزيز" و"الحكيم" و"الغنيّ" وأما البعض الآخر فلأن معانيها مطلقاً لا يحسن الاتصاف بها إلا في جانب الله نحو "المتكبر" و"الجبار" [2].

ثم بين بعض معاني هذه الأسماء فقال: "والحي في كلام العرب من قامت به الحياة وهي صفة بها الإدراك والتصرف، أعني كمال الوجود المتعارف..."[3].

وبهذا يتبين لنا منهج الطاهر بن عاشور في تقريره لمعنى كون أسماء الله عز وجل حسنى وأن معنى ذلك أنها التي قد بلغت في الحسن أجمله وفي الكمال أعلاه، وهو بذلك يوافق تقرير السلف الصالح بالجملة.

---

(1) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ص/48-49).
(2) التحرير والتنوير، (178/9).
(3) المصدر السابق،(17/3).

5. **قول الشنقيطي** في معنى كون أسماء الله حسنى.

قال -رحمه الله-: "﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف:180] أسماء الله حسنى أي: هي أحسن شيء لأن الحسنى صيغة تفضيل، هي أفضل من كل شيء في الحُسن والجمال لما تدل عليه من صفات الكمال والجلال الموصوف بها خالقنا (جل وعلا) تقدس وتعاظم وتنزه؛ لأن أسماءه تدل على صفات كماله وجلاله جل وعلا[1].

فقد قرر-رحمه الله- أن أسماء الله كلها حسنى مبينا معنى الحسن فيها، وهو أنها تدل على الكمال والجمال الذي ليس فوقه غاية.

مما تقدم يتبين لنا تقرير المحققين من أئمة المالكية متقدمهم ومتأخرهم لأسماء الله عز وجل وأنها حسنى، ومعنى كونها حسنى، وذلك لما تتضمنه من صفات الكمال والجمال الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وهذا هو منهج أهل الحق في هذا الباب.

يقول **الإمام ابن القيم**: "فأسماء الله هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيراً بمرادف محض، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم.

فإذا عرفت هذا فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنى وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص، فله من صفة الإدراكات: العليم الخبير دون العاقل الفقيه، والسميع البصير دون السامع والباصر والناظر.

ومن صفات الإحسان: البر الرحيم الودود دون الرفيق والشفوق ونحوهما، وكذلك العلي العظيم دون الرفيع الشريف، وكذلك الكريم دون السخي، وكذلك الخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع المشكِّل، وكذلك سائر أسمائه تعالى يجري على نفسه منها أكملها وأحسنها وما لا يقوم غيره مقامه، فتأمل ذلك. فأسماؤه أحسن الأسماء كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا تعدل عما سمّى به نفسه إلى غيره، كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون"[2].

---

(1) العذب النمير من مجالس الشنقيطي، (ص/4).

(2) شفاء العليل (ص/405)، بدائع الفوائد (168/1).

المبحث السادس: جهودهم في بيان ما يتعلق بعدّها.

معتقد أهل السنة والجماعة أن أسماء الله الحسنى غير محصورة بعدد معين، وذلك أنه لم يرد دليل من الكتاب والسنة على الحصر، ولم ينقل عن أحد من السلف الصالح ما يدل على حصر الأسماء الحسنى، بل إن الأدلة من السنة على عدم حصر الأسماء كثيرة منها:

1. قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً"(1).

فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن أسماء الله عز وجل على ثلاثة أقسام: قسم أنزله في كتابه لعباده يعرفه من قرأ كتاب الله عز وجل، وقسم علمه من شاء من عباده من ملائكته ورسله وأنبيائه كما علم آدم بعض الأسماء، وقسم استأثر به في علم الغيب فلم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهذا من أعظم الأدلة على عدم حصر أسماء الله عز وجل بعدد معين.

2. ما جاء في حديث عائشة عند مسلم أنها -رضي الله عنها- قالت: "فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"(2).

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في المسند (391/1)، وابن حبان في صحيحه برقم (2372)، والحاكم في المستدرك (509/1)، والطبراني في الكبير (210/10). وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان، انظر مجمع الزوائد للهيثمي، (136/10).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح في كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، برقم (486).

والشاهد منه قوله صلى الله عليه وسلم: "لا أحصي ثناءً عليك"، فقد بين صلى الله عليه وسلم أنه لا يستطيع إحصاء الثناء على الله عز وجل، وذلك لعدم إحاطته بأسمائه سبحانه وصفاته؛ فدل على أن أسماء الله عز وجل غير محصورة بعدد.

3. حديث أنس الطويل في الشفاعة وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال: "ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي"(1). وفي رواية لمسلم: "لا أقدر عليه الآن".

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن الله يفتح على رسوله في ذلك الموطن من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه قبل ذلك، والمحامد لا تكون إلا بذكر أسماء الله عز وجل وصفاته، فلو كانت محصورة لبين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، بل إن هناك محامد غير المحامد التي بين الله لعباده في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأئمة المالكية لا يخرجون عما عليه أهل السنة والجماعة، وأقوالهم شاهدة بذلك، فمما جاء عنهم في هذا الباب.

1. قول ابن عطية.

يقول ابن عطية –رحمه الله– مقررا أن أسماء الله غير محصورة بعدد، وأن منها ما جاء به القرآن ومنها ما جاءت به السنة، فيقول: "ومن أسماء الله تعالى ما ورد في القرآن ومنها ما ورد في الحديث وتواتر، وهذا هو الذي ينبغي أن يعتمد عليه. وقد ورد في الترمذي حديث عن أبي هريرة ونص فيه على تسعة وتسعين اسماً وفي بعضها شذوذ، وذلك الحديث ليس بالمتواتر؛ وإنما المتواتر منه قول النبي صلى الله عليه وسلم "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة"(2).

ومعنى أحصاها: أي عدّها وحفظها، وتضمّن ذلك الإيمان بها والتعظيم لها والرغبة فيها والعبرة في معانيها. وهذا حديث البخاري، والمتحصل منه أن لله تبارك وتعالى هذه

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة، من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– واللفظ له.

(2) رواه البخاري في كتاب الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط الثنيا في الإقرار، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها.

الأسماء مباحاً إطلاقها"[1].

فابن عطية -رحمه الله- قد بين أن أسماء الله عز وجل لا تحد بعدد معين، وأن عدم الحصر فيها هو المذهب الصحيح، وحديث أبي هريرة الذي فيه ذكر تسعة وتسعين اسماً لم يرد به الحصر ولا يفهم ذلك منه، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة.

2. قول القرطبي.

قال -رحمه الله-: "لم يذكر الله تعالى لأسمائه في كتابه عدداً مسمًّى، ولكن جاء في حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة"[2].

وقال: "واختلفوا هل أسماء الله محصورة في التسعة والتسعين أم لا؟ ثم ذكر قول ابن حزم ثم قال: قال آخرون وهم الأكثر إلى أنه يجوز أن تكون له أسماء زائدة عليها، إذ لا يجوز أن تتناهى أسماؤه؛ لأن مدائحه وفواضله غير متناهية كما قال في كلماته: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:27]، وقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:109].

ثم ذكر الأحاديث الواردة في ذلك ثم قال: "... واحتجوا أيضاً بقوله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة"، وحملوه على قضية واحدة لا قضيتين، وتكون تمام الفائدة في خبر "إن" في قوله: "من أحصاها"لا في قوله" تسعة وتسعين" وهو كقول القائل: إن لزيد ألف درهم أعدها للصدقة، وقوله: إن لعمرو مائة ثوب من زاره خلعها عليه. وهذا لا يدل على أن ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم ولا من الثياب أكثر من ألف ثوب؛ وإنما دلالته أن الذي أعدّه من الدراهم للصدقة ألف درهم، وأن الذي أرصده من الثياب للخلع مائة ثوب.

3. قول الطاهر ابن عاشور.

قال رحمه الله-: "وليست أسماء الله الحسنى منحصرة في التسعة والتسعين الواردة في الحديث الصحيح عن الأعرج وعن أبي رافع وعن همام بن منبه عن أبي هريرة -رضي

---

(1) المحرر الوجيز، (6/155-156).

(2) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ص/12،9،1).

الله عنه-: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: " إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة "؛ لأن الحديث الصحيح ليس فيه ما يقتضي حصر الأسماء في ذلك العدد، ولكن تلك الأسماء ذات العدد لها تلك المزِيّة.

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه و سلم دعا فقال: يا حنان، يا منان؛ و لم يقع هذان الاسمان فيما روي من التسعة والتسعين. وليس في الحديث المروي بأسانيد صحية مشهورة تعيين الأسماء التسعة والتسعين[1].

ثم قال: "... وتعيين هذه الأسماء لا يقتضي أكثر من أن مزِيّتها أن من أحصاها وحفظها دخل الجنة، فلا يمنع أن تعدّ لله أسماء أخرى. وقد عدّ ابن برجان الأشبيلي في كتابه في أسماء الله الحسنى مائة واثنين وثلاثين اسماً مستخرجة من القرآن والأحاديث المقبولة"[2].

فقد قرر -رحمه الله- أن أسماء الله تعالى ليست محصورة بعدد، وأن ذكر التسعة والتسعين اسماً لا يدل على الحصر وإنما يدل على ثواب إحصاء وحفظ هذه الأسماء وهو دخول الجنة، وهذا لا يخرج عما يقرره أهل السنة والجماعة.

4. قول الشنقيطي.

قال -رحمه الله-: "وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة"، هذا حديث صحيح معروف. وقد جاء عد أسمائه عند بعض الناس، ذكره الترمذي، وذكر غيره روايات منها بعض الأسماء، والرواية التي ذكرها الترمذي تقريباً مائة وواحد تزيد باثنين وهي معروفة. وقد جاءت روايات في السنن -وأخرج الحاكم بعضها وصححه- تذكر بعض أسماء الله جل وعلا.

ثم قال: والمحققون من العلماء يقولون إن أسماء الله لا تحصر في ذلك كما دل عليه الحديث المشهور، حديث ابن مسعود الذي بين فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن كل من أصابه حزن -مثلاً- أو غم إذا دعا به أذهب الله حزنه وأبدله سروراً، وهو حديث معروف مشهور. ثم أورد الحديث ثم قال: ومحل الشاهد منه: قوله صلى الله عليه وسلم:

---

(1) التحرير والتنوير، (1679/1).

(2) المصدر السابق.

"أو استأثرت به في علم الغيب عندك"، فدل على أن له أسماء استأثر بها في علم الغيب عنده. وهذا هو الأصح لأن صفاته -جل وعلا- الحسنى لا تحصى، وأسماؤه لا يحصيها غيره -جل وعلا-"[1].

مما تقدم نجد أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون أن أسماء الله عز وجل غير محصورة، وهذا هو الذي يقرره أهل السنة والجماعة كما نقل اتفاقهم على ذلك **الإمام النووي -رحمه الله-** حيث قال عند شرحه لحديث أبي هريرة: "إن لله تسعة وتسعين اسماً..."الحديث: "اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه: أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين؛ وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة. فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء. ولهذا جاء في الحديث الآخر: " أسألك بكل اسم سمّيت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك"[2].

---

(1) العذب النمير، (4/352-353).
(2) شرح صحيح مسلم للنووي، (6/176).

المبحث السابع: **جهودهم في بيان ما يتعلق بإحصائها.**

وفيه مسألتان:

- **الأولى:** معنى الإحصاء في اللغة.

- **الثانية:** إحصاء أسماء الله عز وجل.

المسألة الأولى: **معنى الإحصاء في اللغة.**

الإحصاء في لغة العرب يطلق على عدة معان منها:

1- الكثرة والسعة: فإن العرب تعبر عن كثرة الشيء وسعته بالحصى، يقال: عنده حصى من الناس أي جماعة. قال الشاعر:

ولسنا إذا عد الحصى بأقله[1].

وقال: **لكم مجد الله المزوران والحصى** **لكم قبضة من بين أثرى وأقترا**[2].

2- العد: يقال حصيت الحصى إذا عددته، وأحصيته إذا ميزت بعضه من بعض. يقال: لم أر أكثر منهم "حصى" أي: عدداً.

وقال الأعشى:

فلست بالأكثر منهم حصىً **وإنما العزة للكاثر**[3].

3- العقل: تطلق الحصاة ويراد بها العقل. قال الشاعر:

وإن لسان المرء ما لم تكن له **حصاة على عوراته لدليل**[4].

4- الإطاقة: يقال أحصيت الشيء إذا أطقته واتسعت له. قال الله عز وجل: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ [المزّمل:20]، قال القرطبي في تفسير هذه الآية: "أي: لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك اليوم والقيام به، وقيل: أي: لن تطيقوا قيام الليل، والأول أصح"[5].

---

(1) صدر بيت وعجزه ... **وإن معد اليوم مودٍ ذليلها.**

(2) البيت للكميت. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد، (136/1).

(3) انظر:ديوان الاعشى، (ص/193).

(4) انظر:ديوان طرفة بن العبد، (ص/112).

(5) الجامع لأحكام القرآن، (53/19).

المسألة الثانية: إحصاء أسماء الله عز وجل عند أهل العلم.

مما لا ريب فيه عند أهل السنة والجماعة أن العلم بأسماء الله عز وجل وإحصاءها سبب لكل خير، وطريق للفلاح كما أنه سبب لدخول الجنة كما في الحديث الصحيح: "إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة".

وقد اختلفت عبارات أهل العلم في معنى الإحصاء الوارد في هذا الحديث تبعاً لدلالة الإحصاء في لغة العرب والذي تقدم ذكره باختصار. فمن هذه الأقوال:

١- أن المراد بالإحصاء العدّ حتى تستوفى، فيعدّ أسماء الله عز وجل حتى يستوفيها ويحفظها ويدعو الله بها ويثني عليه بها جميعاً. ومما يدل على ذلك أنه قد جاء في بعض ألفاظ الحديث المتقدم: "لا يحفظها أحد". وقد رجح هذا القول الإمام البخاري وغيره من المحققين كما قال النووي(1) في شرح مسلم، ورجحه الخطابي(2) وابن الجوزي(3).

وقد رد هذا القول الحافظ بن حجر وقال: "فيه نظر؛ لأنه لا يلزم من مجيئه بلفظ حفظها تعيين السرد عن ظهر قلب، بل يحتمل الحفظ المعنوي"(4).

2- الإطاقة كما في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزَّمل:20]، أي: لن تطيقوه كما تقدم تفسير القرطبي، ولقوله صلى الله عليه وسلم: "استقيموا ولن تحصوا..."(5)، أي: لن تطيقوا وتبلغوا الاستقامة. والمعنى أن يطيق العبد الأسماء الحسنى ويحسن المراعاة لها، وأن يعمل بمقتضاها، فإذا قال: السميع البصير" علم أن الله يسمعه ويراه وأنه لا تخفى عليه منه خافية؛ فيخافه في سره وعلانيته ويراقبه في كل أحواله،

---

(1) شرح صحيح مسلم للنووي، (8/17)، وانظر الأذكار، (ص/132).

(2) شأن الدعاء، (ص/26).

(3) فتح الباري، (229/11).

(4) المصدر السابق.

(5) الحديث رواه أحمد وابن ماجة في كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء؛ والدارمي في كتاب الصلاة والطهارة، باب ما جاء في الطهور؛ والحاكم في المستدرك (130/1)، والطبراني في الصغير (11/1) عن ثوبان مرسلاً ومتصلاً. وقال في الزوائد: رجال إسناده ثقات أثبات، إلا أن فيه انقطاعاً بين سالم وثوبان، لكن أخرجه الدارمي وابن ماجة متصلاً. وقال عبد القادر الأرناؤوط في هامش جامع الأصول (395/9): صحيح بطرقه. وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح: 962 (322/1).

وإذا قال: "الحكيم" سلّم لجميع أوامره لعلمه أنها على مقتضى حكمته سبحانه.

3- أن المراد بالإحصاء العقل والمعرفة. فإن العرب تقول: فلان ذو حصاة أي: ذو عقل ومعرفة بالأمور. قال طرفة:

وإن لسان المرء ما لم تكن له حصاة على عوراته لدليل(1).

فيكون معنى الإحصاء على هذا القول هو: معرفتها وعقل معانيها والإيمان بها، فمن فعل ذلك استحق دخول الجنة.

4- قراءة القرآن، فيكون القارئ قد استوفى الأسماء كلها في أصناف التلاوة، فكأنه قال: من حفظ القرآن وقرأه فقد استحق دخول الجنة.

5- دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف:180]. دعاء الله عز وجل يتضمن أمرين:

أ- دعاء ثناء وعبادة.

ب- دعاء طلب ومسألة.

ومما لا شك فيه أن دعاء الله عز وجل بأسمائه وصفاته والتعرف عليه بها والمداومة على ذكره بأسمائه الحسنى وصفاته العلى هو أولى هذه الأقوال بالصواب؛ لأنه لا بد من العمل بمقتضى ذلك كما أنه لا ينفع حفظ ألفاظ القرآن الكريم من لم يعمل به ويتأدب بآدابه. وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الخوارج الذين يكثرون من قراءة القرآن بأنه لا يجاوز حناجرهم، ولذا لم ينتفعوا به لما لم يؤمنوا به(2).

والمحققون من أئمة المالكية لا يخرجون عن هذا المنهج السلفي، ومما يدل على ذلك ما يلي:

1. قول أبي عمرو ابن الطلمنكي.

قال -رحمه الله-: "من تمام المعرفة بأسماء الله تعالى وصفاته التي يستحق بها الداعي

---

(1) ديوان طرفة بن العبد، (ص/112).

(2) انظر: شأن الدعاء للخطابي (ص/26-29)، وانظر: اسم الله الأعظم، تأليف: د/عبد الله الدميجي، وأسماء الله الحسنى د/عبد الله الغصن (ص/96-98)، ومنهج ابن القيم في شرح أسماء الله الحسنى، تأليف: مشرف ابن علي الغامدي، (ص/149-151).

والحافظ ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المعرفة بالأسماء والصفات وما تتضمن من الفوائد وتدل عليه من الحقائق، ومن لم يعلم ذلك لم يكن عالماً لمعاني الأسماء ولا مستفيداً بذكرها ما تدل عليه من المعاني"[1].

فبين -رحمه الله- أن إحصاء أسماء الله عز وجل الذي رتب النبي صلى الله عليه وسلم عليه دخول الجنة هو معرفة هذه الأسماء وما تدل عليه، والتعبد لله عز وجل بذلك، مما يورث له تعظيم الرب عز وجل وطاعته والخوف منه ورجاءه عز وجل.

2. قول ابن بطال.

قال -رحمه الله- مبيناً معنى إحصاء أسماء الله عز وجل الوارد في حديث أبي هريرة- رضي الله عنه-: "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر"[2]: "طريق العمل بها أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها كالرحيم والكريم فإن الله يحب أن يرى حلاها على عبده، فليمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها. وما كان يختص بالله تعالى كالجبار والعظيم فيجب على العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد نقف منه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد نقف منه عند الخشية والرهبة، فهذا معنى أحصاها وحفظها. ويؤيده أن من حفظها عداً وأحصاها سرداً و لم يعمل بها يكون كمن حفظ القرآن و لم يعمل بما فيه، وقد ثبت الخبر في الخوارج أنهم يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم[3].

فهذا معنى الإحصاء عند ابن بطال. فهو يرى أن معنى ذلك التعبد لله عز وجل بها وامتثال ما تدل عليه والتأدب معها بحسب معانيها.

---

(1) فتح الباري، (229/11).
(2) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحد.
(3) فتح الباري، (229/11).

وقال: "الإحصاء فى اللغة على وجهين:

- **أحدهما** بمعنى: الإحاطة بعلم عدد الشيء وقدره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن:28]، وهذا قول الخليل.

- والثاني بمعنى: الإطاقة له، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزَّمل:20]، أى لن تطيقوه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "استقيموا ولن تحصوا" أى: لن تطيقوا العمل بكل ما لله عليكم.

والمعنى فى ذلك كله متقارب، وقد يجوز أن يكون المعنى: من أحصاها عدداً وحفظاً وعلماً بما يمكن علمه من معانيها المستفاد منها علم الصفات التى تفيدها؛ لأن تحت وصفنا له بعالم إثبات علم له تعالى لم يزل موصوفاً به لا كالعلوم، وتحت وصفنا له بقادر إثبات قدرة لم يزل موصوفاً بها لا كقدرة المخلوقين، وكذلك القول فى الحياة وسائر صفاته، وفيه وجه آخر يحتمل أن يكون الإحصاء المراد فى هذا الحديث والله أعلم: العمل بالأسماء والتعبد لمن سمّي بها.

فإن قال قائل : كيف وجه إحصائها عملاً ؟ قيل له: وجه ذلك أن ما كان من أسماء الله تعالى مما يجب على المؤمن الاقتداء بالله تعالى فيه كالرحيم والكريم والعفو والغفور والشكور والتواب وشبهها، فإن الله تعالى يحب أن يرى على عبده حلاها ويرضى له معناها، والاقتداء به تعالى فيها، فهذا العمل بهذا النوع من الأسماء. وما كان منها مما لا يليق بالعبد معانيها كالله والأحد والقدوس والجبار والمتعال والمتكبر والعظيم والعزيز والقوي وشبهها، فإنه يجب على العبد الإقرار بها والتذلل لها والإشفاق منها، وما كان بمعنى الوعيد كشديد العقاب، وعزيز ذى انتقام، وسريع الحساب وشبهها؛ فإنه يجب على العبد الوقوف عند أمره واجتناب نهيه، واستشعار خشية الله تعالى من أجلها خوف وعيده وشديد عقابه. هذا وجه إحصائها عملاً، فهذا يدخل الجنة إن شاء الله.

وأخبرني بعض أهل العلم عن أبي محمد الأصيلي أنه أشار إلى هذا المعنى غير أنه لم يشرحه فقال: الإحصاء لأسمائه تعالى هو العمل بها لا عدّها وحفظها فقط؛ لأنه قد يعدّها المنافق والكافر وذلك غير نافع له.

ثم قال: "قال المؤلف:يعني- نفسه- والدليل على أن حقيقة الإحصاء والحفظ فى

الشريعة إنما هوالعمل قوله صلى الله عليه وسلم فى وصف الخوارج: "يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية"، فبين أن من قرأ القرآن و لم يعمل به لم ترفع قراءته إلى الله، ولا جازت حنجرته، فلم يكتب له أجرها وخاب من ثوابها كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:10]، يعنى أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله تعالى.

وكما قال ابن مسعود لرجل : إنك فى زمان كثير فقهاؤه قليل قرّاؤه، [تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع فيه حروفه]، وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قرّاؤه [تحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده]. فذم [من] حفظ الحروف وضيع العمل و لم يقف عند الحدود، ومدح من عمل بمعاني القرآن وإن لم يحفظ الحروف، فدل هذا على أن الحفظ والإحصاء المندوب إليه هو العمل. ويوضح هذا أيضاً ما كتب به عمر بن الخطاب إلى عماله : إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه. و لم يرد عمر بحفظها إلا المبالغة فى إتقان العمل بها من إتمام ركوعها وسجودها وإكمال حدودها لا حفظ أحكامها وتضييع العمل بها، والله الموفق(1).

فهذا معنى إحصاء أسماء الله الحسنى عند ابن بطال، وهو بهذا يوافق ما عليه أهل السنة والجماعة.

3. قول ابن عطية.

قال -رحمه الله-: "ومعنى أحصاها: عدّها وحفظها، ويتضمن ذلك الإيمان بها والتعظيم لها والرغبة فيها والاعتبار بمعانيها"(2).

فبين -رحمه الله- أن معنى الإحصاء ليس فقط العد والحفظ، بل لا بد مع ذلك من الإيمان بها وبما تدل عليه وتعظيمها والتعبد لله بمعانيها، فذاك معنى إحصائها. ويؤيد ذلك قول الأصيلي حيث قال: "ليس المراد بالإحصاء عدّها فقط لأنه قد يعدها الفاجر، وإنما المراد العمل بها(3).

---

(1) شرح صحيح البخاري (10/419-421).

(2) فتح الباري، (11/229).

(3) نفس المصدر والصفحة.

4. قول القاضي عياض.

قال-رحمه الله- في شرح مسلم: "وقوله: "من أحصاها":

قيل: من حفظها، وقد جاء مفسراً في حديث: "من حفظها".

وقيل: من عدها ليدعو بها، كقوله: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن:28].

وقيل: من أحصاها: من وحد الله بها ودعا بها، يريد توحيده وتعظيمه والإخلاص له

وقيل: أحصاها بمعنى أطاقها، كقوله: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزّمل:20] أي: تطيقوه، إطاقتها: حسن المراعاة لها، والمحافظة لحدودها، والتصديق بمعانيها، والعلم بها. ومقتضى كل اسم وصفة يستفاد منها وتحقيقها.

وقيل إحصاؤها: العمل بها، والتعبد لله بمعنى كل اسم منها، والإيمان بما لا يقتضى تعبداً ولا عملا.

وقيل: معنى ذلك ختم القرآن وتلاوته كله؛ لأنه مستوف لهذه الأسماء"(1).

5. قول القرطبي -رحمه الله-.

قال: " **الفصل الرابع**: قوله صلى الله عليه وسلم: "من أحصاها" فيه لغتان:

- **الأولى**: أحصأها مهموزة اللام، ومعناها: علَّم غيره بها مستوفاة كاملة.
- **الثانية**: أحصاها غير مهموز.

واختلف العلماء في معنى أحصاها، فقيل: عدّها وحفظها، فتارة يحصيها بالبحث والتفتيش عنها، فيكون ثوابه على هذا الإحصاء الجنة لما انبعثت منه من الاجتهاد في البحث عنها. وتارة يكون إحصاؤها حفظها بعد أن وجدها محصاة قد أحصاها غيره، فيكون ثوابه على حفظها الجنة، وعلى هذا ورد في بعض طرق الحديث الصحيح: "من أحصاها دخل الجنة"، وفي بعضها "من حفظها".

قال الأقليشي -رحمه الله تعالى-: "فتأمل هذا ما أحسنه، طوراً يكون إحصاؤها بالبحث والنظر من القرآن والأثر، وطوراً يكون إحصاؤها حفظها. فلعله -عليه السلام- أولاً أطلق قوله: "من أحصاها دخل الجنة" ووكل العلماء إلى إحصائها بالبحث والنظر، ثم أشفق على أمته ويسر لهم الأمر فأحصاها لهم وأخرجها محصاة وقال: من حفظها دخل الجنة.

---

(1) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، (86/8).

وقيل إحصاؤها: الفهم لها والعلم بها. وقيل إحصاؤها: أن ينـزل كل اسم منها منـزلته من غير تفريط المرجئة في أسماء الرجاء، ولا إفراط الخوارج في الأسماء المتضمنة للوعيد والتهديد. وقيل: الإيمان بها والتعظيم لها. وقيل: التحلي بها والرعي لها والعمل بها. وهذه الأقوال كلها قريبة المعاني إلا الأول والثاني، وكلها وعد يختص بالمؤمن بلا إشكال، وأن المطلوب من معرفته التعبد بها والائتمام بما تقتضيه على سنن العبودية والتبرؤ من شاكلة الربوبية. وفي هذا مستروح إلى أن المراد بالإحصاء أمر يزيد على العدّ والحفظ، وهو الصحيح والله أعلم"[1].

وقال:"...قال بعض علمائنا: والإحصاء في الكلام على ثلاث مراتب:

- **أولها**: العدد ومنه قوله تعالى:﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن:28].
- **والثانية** بمعنى الفهم، يقال: رجل ذو حصاة أي: ذو لب وفهم، ومنه سمّي العقل:حصاة. قال كعب بن زهير الغنوي:

وإن لسان المرء ما لم تكن له حصاة على عوراته لدليل

- **والثالثة** بمعنى الإطاقة على العمل بذلك.

قال: والمرجو من الله تعالى أن من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الجنة، لكن المرتبة الأولى هي رتبة أصحاب اليمين، والثانية للسابقين، والثالثة للصديقين.

قلت: فنرجو من الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أصحاب اليمين بالبحث عنها والحفظ لها والاشتغال بها.

وقد تقدم أن من نوع الإحصاء استخراجها بالبحث عنها، وقد قال بعض العلماء: إن معنى "من أحصاها" أن يقرأ القرآن حتى يختمه فيستوفي هذه الأسماء كلها في أضعاف التلاوة، فكأنه قال: من حفظ القرآن وقرأه فقد استحق دخول الجنة"[2].

وبهذه النقول يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية يقررون أن معنى إحصاء أسماء الله الحسنى ليس بمجرد العدّ، وإنما يشتمل جميع أنواع الإحصاء الواردة عن السلف في تقرير ذلك، شأنهم شأن أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

---

(1) الأسنى، (ص/2-3).

(2) المصدر السابق، (ص/71).

ومما يؤيد ذلك ما قرره **الإمام الخطابي –رحمه الله تعالى–**[1] حيث قال في بيان معنى الإحصاء الوارد في الحديث: " في الإحصاء أربعة أوجه:

– **أحدها** –وهو أظهرها–: الإحصاء الذي هو بمعنى العدّ، يريد أنه يعُدّها ليستوفيها حفظاً فيدعو ربه بها كقوله سبحانه: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن:28].ويدل على صحة هذا التأويل الحديث: "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر"[2].

– والوجه الثاني: أن يكون الإحصاء بمعنى الطاقة كقوله سبحانه: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزَّمل:20] أي: لن تطيقوه[3]، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم: "استقيموا ولن تحصوا" أي: لن تطيقوا كل الاستقامة.

والمعنى: أن يطيقها، يحسن المراعاة لها والمحافظة على حدودها في معاملة الرب سبحانه بها، وذلك مثل أن يقول: يا رحمن يا رحيم، فيخطر بقلبه الرحمة، ويعتقدها صفة لله جل وعز؛ فيرجو رحمته ولا ييأس من مغفرته كقوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر:53]

وإذا قال: السميع البصير، علم أنه لا يخفى على الله خافية، وأنه بمرأى منه ومسمع، فيخافه في سره وعلنه ويراقبه في كافة أحواله. وإذا قال: الرزاق، اعتقد أنه المتكفل برزقه يسوقه إليه في وقته، فيثق بوعده ويعلم أنه لا رازق له غيره ولا كافي له سواه.

وإذا قال: المنتقم، استشعر الخوف من نقمته واستجار به من سخطه.

وإذا قال: الضار النافع، اعتقد أن الضر والنفع من قبل الله جل وعز لا شريك له، وأن

---

(1) هو الإمام الحافظ المحدث الفقيه الأديب اللغوي، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي الشافعي أبو سليمان، توفي سنة 388هـ بمدينة بست. انظر ترجمته: معجم الأدباء، (250/4) وسير أعلام النبلاء، (27/17) وطبقات الشافعية للسبكي، (283/3).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه –بهذه الرواية– كتاب الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحد.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (تفسير القرطبي)، (538/9) وتفسير البحر المحيط، (366/8)، وتفسير التحرير والتنوير (283/29).

أحداً من الخلق لا يجلب إليه خيراً ولا يصرف عنه شراً، وأن لا حول ولا قوة إلا به.

وكذلك إذا قال: القابض الباسط، والخافض الرافع، والمعز المذل، وعلى هذا سائر الأسماء.

- **والوجه الثالث**: أن يكون الإحصاء بمعنى العقل والمعرفة؛ فيكون معناه من عرفها وعقل معانيها وآمن بها دخل الجنة، مأخوذ من الحصاة وهي العقل، قال طرفة:

وإن لسان المرء ما لم يكن له حصاة على عوراته لدليل.

والعرب تقول: فلان ذو حصاة أي: ذو عقل ومعرفة بالأمور.

- **والوجه الرابع**: أن يكون معنى الحديث أن يقرأ القرآن حتى يختمه فيستوفي هذه الأسماء كلهات في أضعاف التلاوة، فكأنه قال: من حفظ القرآن وقرأه فقد استحق دخول الجنة. وذهب إلى نحو من هذا أبو عبد الله الزبيري -رحمه الله-" [1].

---

(1) شأن الدعاء، (ص/26-29).

المبحث الثامن: **جهودهم في بيان اشتمال الأسماء على معان.**

من معتقد أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله عز وجل أن أسماء الله عز وجل ليست أسماء جامدة، بل يعتقدون أن أسماء الله عز وجل تشتمل على معان معلومة واضحة، فكل اسم من أسماء الله له معنى يخصه يختلف عن معنى الاسم الآخر؛ فأسماء الله تعالى مترادفة من حيث دلالتها على ذات الله عز وجل، ومتباينة من حيث معانيها. هذه الأسماء واضحة المعاني لكنها مجهولة الكيفية.

ولذلك نجد أن السلف الصالح -عليهم رحمة الله- يثبتون اللفظ والمعنى ويفوضون علم الحقيقة والكيفية في أسماء الله وصفاته.

ومن ناحية أخرى يقرر أهل السنة والجماعة أن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف: فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وهي أوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني. ففي قول الله عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف:58] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف:8]، ففي الآية الأولى: إثبات صفة الرحمة لله عز وجل التي تضمنها اسمه الرحيم كما في الآية الثانية.

كما يقرر أهل السنة والجماعة أن أسماء الله كلها حسنى وليس فيها اسم ليس كذلك، والتمييز بين الحسن وغيره إنما يكون بالمعنى الذي يدل عليه هذا الاسم، ولما اشتملت أسماء الله عز وجل على صفات الكمال المطلق كانت حسنى أي: بالغة الغاية في الحسن. ولما كانت هذه الأسماء متضمنة لأكمل المعاني وأجل الصفات صار الواجب إجراء نصوص أسماء الله عز وجل على ظاهرها مع اعتقاد أنه ليس للنص معنى في الباطن يخالف هذا الظاهر مع أن الظاهر يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه من الكلام[1].

وهذا الذي ذكرته هو ما يقرره أئمة أهل السنة والجماعة مهما تعددت مدارسهم الفقهية؛ ولذا نجد أن المحققين من أئمة المالكية لا يخرجون عن هذا، فيقررون أن أسماء الله تعالى مشتملة على معان لائقة بالله عز وجل؛ ولذا فهم لا يحرفون ولا يلحدون في أسماء الله عز وجل امتثالاً لقوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف:180].

وكتبهم وأقوالهم المنثورة التي نقلها عنهم تلامذهم شاهدة بذلك. ومن أمثلته:

---

(1) انظر: أسماء الله الحسنى، تأليف: الشيخ عبد الله بن صالح الغصن، (ص/43-45).

1. قول ابن عطية -رحمه الله-.

قال: "وحسن أسماء الله إنما يتوجه بتحسين الشرع لإطلاقها والنص عليها، وانضاف إلى ذلك أيضاً أنها تضمنت معانيا حساناً شريفة"(1).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلك:14] "اللطيف": المتلطف في خلقه واختراعه وإتقانه، وبخلقه وعباده، و"الخبير": المختبر لباطن أمورهم وظاهرها(2).

وقال عند قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان:26]، و"الغني" الذي لا حاجة له في وجوده وكماله إلى شيء، ولا ينقص لجهة من الجهات. و"الحميد": أي كذلك هو بذاته وصفاته.

وقال: "وهو الغني الحميد": هو مستغنٍ عن كل أحد، والله تعالى غني عن الناس وعن كل شيء من مخلوقاته، غني على الإطلاق، و"الحميد" المحمود بالإطلاق(3).

وقال عند قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر:23] "القدوس" بضم القاف وهو فعول من تقدس إذا تطهر، وحظيرة القدس الجنة لأنها طاهرة، ومنه: روح القدس، والأرض المقدسة: وبيت المقدس...(4).

وقال عند قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:24] و"البارئ" معناه: "الخالق"، برأ الله الخلق أي: أوجدهم، و"المصور" هو الذي يوجد الصور(5).

مما تقدم يتبين أن ابن عطية -رحمه الله- يرى أن الأسماء تتضمن معاني، وأنها ليست أسماء جامدة، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

---

(1) تفسير ابن عطية، (154/6).

(2) المصدر السابق، (308/5).

(3) منهج ابن عطية في أصول الدين، رسالة ماجستير، تأليف: علي بن عبد الرحمن القرعاوي، (ص/124).

(4) المصدر السابق، (ص/126-127).

(5) المصدر نفسه، (ص/129).

2. **قول القرطبي.**

قال -رحمه الله- عند عدّه للفوائد المستنبطة من البسملة عند ذكر اسمي الله" الرحمن الرحيم": "واختلفوا هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين؟ فقيل: هما بمعنى واحد، كندمان ونديم، قاله أبو عبيدة. وقيل: ليس بناء فَعلان كفَعيل، فإن فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل نحو قولك: رجل غضبان، للمتلئ غضباً، وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول. قال عَمَلَّس[1]:

فأما إذا عضّت بك الحرب عضّةً فإنك معطوفٌ عليك رحيم

ف"الرحمن" خاصُّ الاسم عامّ الفعل، و"الرحيم" عام الاسم خاصُّ الفعل. هذا قول الجمهور.

قال أبو علي الفارسي: "الرحمن" اسم عام في جميع أنواع الرحمة، يختص به الله. "والرحيم" إنما هو في جهة المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:43]. وقال العرزمي[2]: "الرحمن" بجميع خلقه في الأمطار ونعم الحواس والنِّعم العامة، و"الرحيم" بالمؤمنين في الهداية لهم، واللطف بهم.

قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:3]، وصف نفسه تعالى بعد "رب العالمين"، بأنه "الرحمن الرحيم"، لأنه لما كان في اتصافه ب"رب العالمين" ترهيب قرنه ب"الرحمن الرحيم"، لما تضمن من الترغيب، ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه؛ فيكون أعون على طاعته وأمنع، كما قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:49-50]وقال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر:3].وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قَنِط من جنته أحد".وقد تقدم ما في هذين الاسمين من المعاني، فلا معنى لإعادته.

وهذا من أصرح الأدلة على أنه -رحمه الله- يرى اشتمال أسماء الله عز وجل على معان.

---

(1) هو عملس بن عقيل، كما في هامش بعض نسخ الأصل و"لسان العرب" مادة رحم.

(2) هو عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي، كما في "الخلاصة".

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:4]، "قال أبو حاتم: إن مالكاً أبلغ في مدح الخالق من "ملك"، و "ملك" أبلغ في مدح المخلوقين من "مالك"، والفرق بينهما أن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك، وإذا كان الله تعالى مالكاً كان ملكاً. واختار هذا القول القاضي أبو بكر بن العربي وذكر ثلاثة أوجه ثم نقلها وقال مبيناً معاني هذا الاسم: "... ويتضمن الاقتدار والاختيار، وذلك أمر ضروري في الملك؛ إن لم يكن قادراً مختاراً نافذاً حكمه وأمره، قهره عدوه وغلبه غيره وازدرته رعيته. ويتضمن البطش والامر والنهي والوعد والوعيد؛ ألا ترى إلى قول سليمان عليه السلام: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا﴾ [النمل:20-21]، إلى غير ذلك من الأمور العجيبة والمعاني الشريفة التي لا توجد في المالك"[1].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ﴾ [الحشر:23]أي المنزه عن كل نقص، والطاهر عن كل عيب.

وعند قوله﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾: أي ذو السلامة من النقائص... وقيل: السلام معناه المسلم لعباده.

وعندقوله ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾ أي: المصدق لرسله بإظهار معجزاته عليهم، ومصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب، ومصدق الكافرين ما أوعدهم من العقاب. وقيل: المؤمن الذي يؤمن أولياءه من عذابه ويؤمن عباده من ظلمه؛ يقال: آمنه من الأمان الذي هو ضد الخوف كما قال تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش:4] فهو مؤمن، قال النابغة:

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند[2].

وقال مجاهد: المؤمن الذي وحد نفسه بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:18].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، (1/140-141).

(2) العائذات: ما عاذ بالبيت من الطير، والغيل: الشجر الكثيف الملتف، والسند: ما قابلك من الجبل وعلا من السطح. انظر: الجامع لأحكام القرآن، (8/46)، حاشية (4).

وقال عند قوله: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:24]، "الخالق" هنا المقدر. و"البارئ" المنشئ المخترع. و"المصور" مصور الصور ومركبها على هيئات مختلفه[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:2] أي: الذي يُصْمَد إليه في الحاجات. كذا روى الضحاك عن ابن عباس قال: الذي يُصْمَد إليه في الحاجات كما قال عزوجل: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل:53].

قال أهل اللغة: الصمد: السيد الذي يُصْمَد إليه في النوازل والحوائج. قال:

ألا بَكّر الناعي بخير[2] بني أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال قوم: الصَّمد: الدائم الباقي، الذي لم يزل ولا يزال. وقيل: تفسيره ما بعده ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:3]. قال أُبيّ بن كَعْب: الصَّمد: الذي لا يِلد ولا يُولَد، لأنه ليس شئ إلا سيموت، وليس شئ يموت إلا يُورث.

وقال علي وابن عباس أيضاً وأبو وائل شقيق بن سلمة وسفيان: الصَّمد: هو السيد الذي قد انتهى سُودَدُه في أنواع الشرف والسُّودَد، ومنه قول الشاعر:

علوتُه بحسام ثم قلت له خذها حُذَيف فأنت السيد الصمد.

وقال أبو هريرة: إنه المستغني عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد. وقال السدّيّ: إنه المقصود في الرغائب، والمستعان به في المصائب. وقال الحسين بن الفضل: إنه الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وقال مقاتل: إنه الكامل الذي لا عيب فيه؛ ومنه قول الزبرِقان:

سيروا جميعا بنصف الليل واعتمدوا ولا رهينة إلا سيد صمد.

وقال الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير: الصمد: المُصمَت الذي لا جوْف له[3]، قال الشاعر:

شهاب حروب لا تزال جياده عوابس يَعْلُكْن الشكيم المُصمّدا[4][5].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، (8/45-48).

(2) ويروى بخيري وهو الصواب لأنه ذكر بعده اثنين.

(3) وهذا لا يجوز على الله تعالى لعدم ورود ذلك في الكتاب أو السنة.

(4) علكت الدابة اللجام، تعلكه (من باب قتل) علكاً: لاكته وحركته.، والشكيم والشكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس.

(5) الجامع لأحكام القرآن، (20/245).

وقال: "لا خلاف أن الاسم الواحد قد يرد على مفهومات، ولا ينبغي أن نختلف في أنه ليس من الأسماء الحسنى ترادف، وأن كل اسم منها مختص بمفهوم كالواحد والأحد، والغفور والغافر، والعليم والخبير، وشبهها؛ وقد قال تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، ففرق بينهما فرقاً يدل على التفاوت مع أن كل واحد من الرداء والإزار زينة للابس ولكن الرداء أشرف من الإزار، ولذلك جعل مفتاح الصلاة: "الله أكبر" و لم يقم غيره مقامه عند ذوي البصائر النافذة.

وكذلك العرب تفرق بين اللفظين في استعمالها: فتستعمل الكبير ولا تستعمل العظيم؛ ولو كانا مترادفين لتواردا في كل مقام. تقول العرب: فلان أكبر من فلان ولا تقول: أعظم. وكذلك الجليل غير الكبير والعظيم؛ فإن الجلال يشير إلى صفات الشرف"(1).

فقد بين -رحمه الله- أن الأسماء من حيث دلالتها على المعاني متباينة، فكل اسم يدل على ما لا يدل الآخر وإن كانت مترادفة من حيث دلالتها على مسمًّى واحد وهو الله عز وجل؛ وهذا يدل على أنه يقرر أنها مشتملة على معاني.

وقال عند ذكره اسم الله "العزيز" بعد أن ذكر الأقوال في معنى العزيز: "... وقيل: العزيز هو المعز لغيره، فَعيل بمعنى مُفْعِل كأليم بمعنى مؤلم. وقيل: هو بمعنى معز ومعزوز، فيكون بمعنى مفعول كقولهم: كف خضيب بمعنى مخضوب، ورجل قتيل بمعنى مقتول. وقيل: المعنى: عزيز عليه أولياؤه، فحذف.

ثم قال: "قلت فهذه ثمانية معان يجوز وصف الله تعالى بها كلها في قول علمائنا. يقال: العزيز بمعنى: الغالب القاهر من صفات الأفعال، ومنه قوله تعالى: ﴿حمٓ، تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الجاثية:1-2]، أي من الله القاهر المحكم خالق الأشياء.

وإذا قيل في العزيز إنه: من القوة فهو صريح في الدلالة على الاقتدار ويتضمن سائر الصفات التي لا تصح القدرة إلا بها كالحياة.

وإذا قيل في العزيز إنه: لا مثل ولا نظير، فهو يدل في حق الله تعالى وجود تكامل

(1) الأسنى، (ص/46-47).

حتى لا يماثل. وإذا قيل إنه: الجليل، فهو يدل في حق الله تعالى على شرف الذات وكمال الصفات.

وإذا قيل إنه: الممتنع الذي لا يرام، فهو يدل صريحاً على الملك الأعلى القاهر الصمد ويتضمن ذلك: قهر من سواه ومعجز من دونه.

وإذا قيل معناه: المعز، فهو صريح في ترفيعه من يشاء وهو من صفات الفعل، فيتضمن جميع الصفات التي لا يتم الفعل إلا بها، ويتضمن الإرادة، وذلك يقتضي أن يخفض من يشاء ويذل من يشاء.

وإذا قيل إنه: معز، فيدل على عبادة العابدين وحرمة المتحرمين له سبحانه رجاء رضوانه وخوف عقابه، وهو أيضاً من الصفات المشعرة بالأفعال.

وإذا قيل إنه بمعنى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة:128]، فيدل على كرامته سبحانه لأوليائه وأهل طاعته، ويكون أيضاً من صفات الأفعال.

فهو سبحانه المختص في كل معنى من هذه المعاني بما يجب له ويستحيل على غيره، فهذا الاسم له بكل اعتبار، ولغيره مجاز بكل اعتبار. وإذا عز المخلوق فوصف بالعزة، فهذا الاسم له مستعار، وحقيقته للواحد القهار، فهو العزيز الذي لا يضام جاره ولا يذل أنصاره، وهو الممتنع الذي امتنع عن الأبصار أن تدركه، وعن الأوهام أن تكيفه، وهو القوي الذي لا يغالب والقوي الذي لا يناهض، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، المعز لأوليائه، المانع لهم وعنهم"[(1)].

وقال عند ذكر اسم الله "السلام" بعد نقله كلام ابن العربي ... قال: -يعني ابن العربي-: "ثم اختلفوا في توجيه النسبة على ثلاثة أقوال:

- الأول: معناه الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل آفة ونقص.

- الثاني: معناه ذو السلامة: أي المسلم على عباده كما قال: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:58].

- الثالث: الذي سلم الخلق من ظلمه.

قلت: فعلى الأول يكون من صفات الذات، وعلى الثاني يكون راجعاً إلى معنى

---

(1) الأسنى، (ص/183-184).

الكلام، وعلى الثالث يكون من صفات الفعل. وقد قيل: أن السلام من الله بمعنى ذو السلام أي: منه السلام لعباده حتى يسلمهم، وهذا في الدنيا ... قال ابن عباس: "السلام" اسم من أسماء الله سبحانه وضعه في الأرض فأفشوه بينكم" ومن فضل السلام الوصول إلى دار السلام(1).

وقال عند ذكره اسمي الله: "الرحمن الرحيم": "... وهذان الاسمان يدلان على أنه سبحانه راحم وأن له رحمة ومرحوم، فيوصف سبحانه بأنه "رحمن" بصفته الخاصة به، ويوصف بأنه "رحيم" بفعله الذي يرحم به من يشاء؛ فمن حيث الصفة يتضمن الحياة، إذ الرحمة صفة لا يصح أن يتصف بها من ليس بحيّ، ويتضمن العلم إذ لا يصح أن يرحم إلا من يعلم، ويتضمن الإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام؛ فإن من رحمته أن يجيب المضطر إذا دعاه، ويتضمن اللطف، إلى غير ذلك. ومن حيث تدل على الفعل يتضمن كل صفة لا يتم الفعل إلا بها"(2).

وقال-رحمه الله- في بيان اشتمال اسمه المجيد على معان:

وقد ورد المجيد بعد اسمه الودود في سورة البروج، وجاء في حديث أبي هريرة وأجمعت عليه الأمة. وفي صحيح الحديث: "إنك حميد مجيد"(3). ويجوز إجراؤه على العبد إذا كان له مجد ولا خلاف في ذلك.

قال الجوهري: المجد: الكرم، والمجيد: الكريم. وقال: مجد الرجل -بالضم- فهو مجيد، وماجد. ويقال: ظريف من ظرف، وكريم من كرم؛ لكنه لم يرد ظارف ولا كارم، وورد ماجد من مجد. قال النابغة:

لهم لواء بيدي ماجدٍ بطلٍ لا يقطع الخلق إلا طرفه سامي.

ويقال المجيد: الشريف. قال الله تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق:1] معناه: والله أعلم والقرآن الشريف. وكذا قوله الحق: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾ [البروج:21] لأن كلام الله

(1) الأسنى، (ص/203).

(2) المصدر السابق، (ص/408)

(3) خرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: رقم (10)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد.

عز وجل غير مخلوق. والمجد في كلام العرب: الشرف الواسع. يقال: رجل ماجد إذا كان سخياً مُفْضِلاً، كثير الخير، ومجيد للمبالغة.

وقال بعد أن ذكر قول ابن العربي في أنه لا يصح تسمية الله عز وجل بالماجد والمجيد: "قلت: فيما قاله نظر، وقد تقدم القول في ذلك ، وإذا كان الله عز وجل أخبر عن نفسه بأنه عالم الغيب، وعليم ، وعلام، ومالك، وملك، ومليك؛ فمعلوم أن كل اسم له مزية على الآخر، إما من جهة المبالغة أو المعنى، فلا يكون ذكرهما تكراراً من غير فائدة كما ذكرنا.

قال الأقليشي: وردت الصفتان عند الترمذي، فلا بد أن نحملهما على التعدد فيهما تكتمل الأسماء تسعة وتسعين، وحملها على التعدد يكون من وجهين:

- **أحدهما**: أن يكون **الماجد** من صفات الذات، ويكون "المجيد" بمعنى: الممجد، فيكون من صفات الأفعال.

- **والوجه الثاني**: أن يكون **"الماجد" و"المجيد"** معاً من صفات الذات، وتكون المبالغة في" **المجيد"** تعطي مزية معنى. فيكون "الماجد" الذي له المجد من ذاته لذاته، ويكون "المجيد" الذي له مع المجد الذاتي تمجيد لنفسه، وتمجيد من عباده له بما هو عليه من المجد.

وقال أبو القاسم الزجاجي: واشتقاق "المجيد" من قول العرب: أمجدت الدابة علفاً إذا أكثرته لها، فكان "المجيد" المبالغ في الكرم ، المتناهي فيه.

وقال ابن السكيت: الشرف والمجد يكونان بالآباء، يقال: رجل شريف ماجد له آباء متقدمون في الشرف. قال: والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن لم آباء لهم شرف.

الهروي: قول ابن السكيت: يكون بالآباء خطأ؛ لأنه قد جاء في صفات الله تعالى "المجيد" كما جاء الكرم، والله يتعالى عن الآباء والأبناء، وقد يوصف بالمجد القرآن وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ، فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج:21-22] وقال: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج:15]فخفض الدال نعتاً للعرش، وقيل: (لربك) أي: أن بطش ربك المجيد لشديد، وبه قرأ الكوفيون إلا عصاماً. وزعم ابن العربي في "الأمد" له أن القرّاء اتفقوا عليه "المجيدُ" برفع الدال اتباعاً لقوله ﴿مَّجِيدٌ﴾وهو الله.

قلت: وهذا سهو منه وغفلة ونسيان منه ووهلة، وما قاله ابن السكيت يعقوب من أن الشرف والمجد يكونان بالآباء صحيح، وذلك بالنسبة إلينا، لا فيما كان صفة لله تعالى

ومختصاً به، والله أعلم.

والمجد في كلام العرب: عبارة عن اجتماع أوصاف مع الاتساع والكثرة في جميعها، وفي المثل: في كل شجرة نار، واستمجد المرخ والعفار[1]، أي: استكثر، كأنما أخذا من النار وهو حسبهما. وقال: لأنهما يسرعان الوري، فشُبِّها بمن يكثر العطاء طالباً للمجد. من كلام العرب: مجدت الإبل تمجد -بفتح العين في المستقبل وضمها في الماضي- إذا وقعت في مرعى كثير واسع، وأمجدها الراعي أيضاً، ورجل ماجد: مفضَال كثير الخير. ومجيد في المبالغة. فالمجد أصله في كلامهم: السعة، يقال: رجل ماجد إذا كان سخياً واسع العطاء. والقوم في مجد أي: في سعة وخصب. ورجال أمجاد: إذا كانوا كرام الأفعال، ذوي أحساب واسعة.

وقد يراد بالمجد التعظيم. قال أمية ابن أبي الصلت:

مجدوا الله وهو للمجد أهل.

وقال النابغة:

لهم لواء بيدي ماجدٍ بطل.

وقد تقدم جميعه. وإذا تقرر أن المجد راجع إلى معنى: الكثرة، فمجد البارئ تعالى كثرة تخرج عن طريق البشر في العد والإحصاء، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"[2] فلا كمال إلا وهو له، ولا نقص إلا وهو منـــزه عنه، فهو سبحانه المجيد بالحقيقة والشريف على الإطلاق.

قال الحليمي: المجيد المنيع المحمود؛ لأن العرب لا تقول لكل محمود مجيد، ولا لكل منيع مجيد. وقد يكون الواحد منيعاً غير مجيد كالمخامر الخليع الجائر، أو اللص المتحصن ببعض القلاع، وقد يكون محموداً غير منيع كأمير السوقة، والصابرين من أهل القبلة. فلما لم يقل لكل واحد منهما مجيد، علمنا أن المجيد من جمع بينهما فكان منيعاً لا يرام، وكان في منعته حسن الخصال جميل الفعال. والبارئ جل ثناؤه يُجلُّ عن أن يرام وأن يوصل إليه، وهو مع ذلك مُحسنٌ مُفضلٌ، لا يستطيع العبد أن يحصي نعمته ولو استنفد

---

(1) انظر: تاج العروس، (311/4)، مادة: مرخ.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود.

فيه مدته؛ فاستحق اسم المجيد وما هو أعلى منه[1].

وقال بعض العلماء: للمجد أربعة أركان، ولا يكون ماجداً موجوداً وجود كمال إلا باجتماعها، وهي: المُلك والسلطان وكثرة الجدة وكرم الأفعال. فإذا كان الملك قد تمكن سلطانه، وكثرت مماليكه، وازدحمت حوائج العبيد عليه، مع رفعة منـــزلته صفوحاً عن الجاني، كثير العفو عن المسيء، غافراً للزلات قابلاً للمعاذير، حسن الإجابة للصريخ، مكسباً للمعدوم، يكرم الوفود ويغيث الملهوف، ويحمي ويَذُبّ عن الحريم؛ فهو ماجد. وقد مُجِّد بكرم فعله وشريف مرتبته وعلو منـــزلته، فكيف بملك لا تقدر الأوهام قدره، ولا تبلغ الألسنة وصفه؛ فهو الماجد على الإطلاق والمجيد. فالمجد إذاً: كرم الأفعال، وتمكن الملك والسلطان، وكثرة الأفضال. ولهذا قال بعض المَسُودِين لقومه: إنما سدتكم ببذل المال وحماية الحريم والكف عنكم مع الإفضال عليكم، فمن فعل فعلي فقد ساواني، ومن سبقني فقد سادني، ومن زدت عليه فقد سدته.

وقال ابن العربي في بيان معنى اسم الله المجيد: "وقال بعض الأشياخ: "المجيد" هو الشريف ذاته، الجميل فعاله، الجزيل نواله. وذلك لأن شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال، وكثرة العطاء، كان مجداً. وكأنه يجمع اسم "الجليل" و"الوهاب" و"الكريم".

قال ابن العربي: وهو بعيد من أربعة أوجه:

– **أحدها**: أنه دوي لا تشهد لها لغة ولا يعضدها أثر، وليس لدليل العقل فيها مدخل.

– **والثاني**: أن التعيين لمعان الأسماء إنما تكون بالنظر إلى اشتقاقها ومقتضاها في اللغة؛ وإما أن يكون بما يرد في تفسيرها في الآثار. وهذا البعض الذي ذكره لا تعطيه اللغة ولا ورد به أثر.

– **الثالث**: أنه يعارض بوجوه منها –وهو أقواها– أن يقال له بل المجيد: الشريف الذات، الكامل الصفات، الجميل الأفعال، فلم حذفت ركن كمال الصفات؟ وهو أولى وأعظم من جمال الأفعال.

– **الرابع**: أن يقال: بل المجيد: الشريف الذات، الكامل الصفات، الغفور للخطايا الموبقات[2]، المضاعف للثواب والحسنات. وهذه معارضات لا جواب عنها، وتكثر

---

(1) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، (197/1)، وقد تم التصويب منه.

(2) الموبقات: جمع موبقة، وهي التي ترمي بصاحبها في النار.

أمثالها في معنى لها التعيين بحال.

ثم قال -رحمه الله-: "واختلف علماؤنا في كون هذا الاسم من صفات الذات أو من صفات الأفعال، فقال: قال بعضهم: اتفق معظم أصحابنا على أن "المجيد" من صفات الأفعال، إذ هو عبارة عن كثرة العطاء. وقال بعض الأشياخ: هو شرف الذات وكثرة النوال على ما قدمنا[1].

قال ابن الحصار: شرف الذات يجمعه: شرف الجلال والكمال، والنزاهة المطلقة عن جميع النقائص. وذلك يتضمن كرم الأفعال وشرفها أيضاً. و"مجيد" أبلغ من "ماجد"، وهذا لا يتصور فيه اختلاف ممن يعقل اللسان العربي. فإذا كان هو أولى بالمبالغة كان أولى باستيعاب معاني المجد. وقد قدمنا أن المجد يتضمن أوصافاً وأفعالاً. فإذا كملت للماجد استحق المبالغة واتصف بوصف يميز به عمن لم تتكامل له تلك الصفات. وبذلك يكون مدلاً فيما يأتي ويذر من أفعاله، لا يلحقه نقص ولا يستدرك عليه فعل لتكامل العلم والحلم والرضا والغضب والإعطاء والمنع، إلى غير ذلك من الصفات المتعلقة بهذا الاسم. ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإذا قال العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:4]، قال الله: مجدني عبدي"[2]، وذلك لما يكون من يوم الدين من الرضاء التام والغضب الدائم والإعطاء الذي لا ينقطع والفضل التام مع الإنعام والانتقام، فتأمل ذلك فإن العبارات لا تأتي عليه[3].

فمن خلال هذه النقول يتبين لنا أن القرطبي -رحمه الله تعالى- يقرر أن أسماء الله عز وجل ليست أعلاماً جامدة، بل تشتمل على معانٍ، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة.

3. قول ابن عاشور.

قال- رحمه الله- في تفسير الآيات الخواتم لسورة الحشر بعد ذكر جملة من الفوائد المستنبطة من السورة، قال مقرراً اشتمال أسماء الله عز وجل على معانٍ، وآثار ذلك على العباد:

(1) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي، (ص/231-238).
(2) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة.
(3) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي، (ص/237).

"وختم ذلك بالتذكير بالقرآن الدال على الخير، والمعرف بعظمة الله المقتضية شدة خشيته عقب ذلك بذكر طائفة من عظيم صفات الله ذات الآثار العديدة في تصرفاته المناسبة لغرض السورة زيادة في تعريف المؤمنين بعظمته المقتضية للمزيد من خشيته، وبالصفات الحسنى الموجبة لمحبته، وزيادة في إرهاب المعاندين المعرضين من صفات بطشه وجبروته"[1]

وقال-رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر:22-إلى آخر السورة] ووجه تعقيب صفة عموم العلم بصفة الرحمة أن عموم العلم يقتضي أن لا يغيب عن علمه شيء من أحوال خلقه وحاجتهم إليه، وقال عند ذكر اسمه تعالى : الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن: وعقب وصف الرحمة بوصف الملك للإشارة إلى أن رحمته فضل وأنه مطلق التصرف. وعقب **بالقدوس** وصف الملك للاحتراس إشارة إلى أنه منزه عن نقائص الملوك المعروفة من الغرور ونحو ذلك من نقائص النقوس.

والسلام: مصدر بمعنى المسالمة وصف الله تعالى به على طريقة الوصف بالمصدر للمبالغة في الوصف:أي ذو السلام أي السلامة، وهي أنه تعالى سالم الخلق من الظلم والجور، وبهذا ظهر تعقيب وصف الملك بوصف السلام؛ فإنه بعد أن عقب ب**القدوس** للدلالة على نزاهة ذاته عقب **بالسلام** للدلالة على العدل في معاملته الخلق.

وذكر وصف **المؤمن** عقب الأوصاف التي قبله إتمام للاحتراس من توهم وصفه تعالى **بالملك** أنه لا كالملوك المعروفين بالنقائص فأفيد أولاً نزاهة ذاته بوصف **القدوس،** ونزاهة تصرفاته عن الغدر والكيد بوصف **المؤمن،** ونزاهة تصرفاته عن الجور والظلم بوصف **السلام** وتعقيب **المؤمن بالمهيمن** لدفع توهم أن تأمينه عن ضعف أو عن مخافة غيره، فأُعلموا أن تأمينه لحكمته مع أنه رقيب مطلع على أحوال خلقه، فتأمينه إياهم رحمة بهم[2].

فمما تقدم يتبين أن الطاهر ابن عاشور- رحمه الله- يقرر أن أسماء الله تعالى غير جامدة وأنها مشتملة على معان، وهو إن لم يذكر الأسماء؛ فإن ما يقال في الصفات يقال في

---

(1) التحرير والتنوير، (128/28).

(2) التحرير والتنوير (119/28-122) بتصرف.

الأسماء ولذلك قال عن قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر:24]"تذييل لما عدد من صفات الله تعالى: أي له جميع الأسماء الحسنى التي تعضدها الصفات المذكورة آنفاً والمراد بالأسماء الصفات عبر عنها بالأسماء؛ لأنه متصف بها على ألسنة خلقه ولكونها بالغة منتهى حقائقها بالنسبة لوصفه[1].

وقد اتضح من كل ما سبق من كلامه -رحمه الله- أنه يقرر أن أسماء الله عز وجل مشتملة على معان، وأنها ليست أسماء محضة لا تدل على معان، بل لها معان واشتقاقات. وهو بهذا يوافق ما عليه أهل السنة والجماعة من كون أسماء الله تشتمل على معان.

وبهذه النقول عن بعض أئمة المالكية يتبين لنا تقريرهم أن أسماء الله تشتمل على معان، وأنها ليست أعلاما محضة، وعلى ذلك اتفق متقدمهم ومتأخرهم، وهذا هو ما يقرره أهل السنة والجماعة.

يقول **ابن القيم -رحمه الله-**: "ومن الإلحاد في أسمائه تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها؛ كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به؛ وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغةً وفطرةً، وهو يقابل إلحاد المشركين؛ فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطّلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه. ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب. وكل من جحد شيئاً عما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك، فليستقلل أو ليستكثر[2].

المبحث التاسع: جهودهم في بيان حكم التعبد لله بها.

شرف العبد أن يحقق العبودية لله عز وجل، وأكمل الخلق عبادة لله عز وجل أنبياؤه ورسله، وأكملهم في ذلك سيدهم وإمامهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وقد وصفه ربه بالعبودية في أشرف المقامات: ففي مقام إنزال القرآن عليه يقول الله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:1]، وفي مقام الوحي

---

(1) المصدر السابق(122/28).

(2) بدائع الفوائد، (169/1-170).

يقول الله عز وجل: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم:10]، وفي مقام الإسراء يقول الله عز وجل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:1].

وأساس العبودية عبودية القلب، وعبادة بقية الجوارح تبع لها وفرع عنها، فمتى صحت عبودية القلب صحت كل عبودية وأثمرت.

وأسماء الله وصفاته لها ارتباط وثيق بعبودية القلب، فهي سائق القلب وحاديه إلى الله عز وجل، ولهذا كان الاعتناء بها ومعرفتها والتعبد لله عز وجل بمقتضاها من أعظم الأمور المعينة على تزكية القلب وطهارته.

ومتى تمكنت معرفة أسماء الله من قلب العبد خلصت قلبه من كل شائبة شركية أو بدعية وطهرت نفسه من كل دنس؛ ألا ترى أن اسم الجلالة "الله" إذا تمكن من القلب طرد منه كل شرك وبدعة، وإذا تحقق ذلك للعبد كان قريباً من ربه وخالقه، مسارعاً في طلب رضاه، بعيداً عن كل ما يغضبه من المعاصي والمخالفات كبيرها وصغيرها.

وكذلك التعبد باسم الله "العليم" يبعث على التقوى وحفظ الجوارح، كما يبعث على حفظ القلب والخواطر، وهكذا التعبد ببقية الأسماء يبعث على التوكل والإنابة والمحبة والخوف والرجاء، وغير ذلك من أنواع العبودية.

ولذا فإن أهل السنة والجماعة يولون موضوع التعبد بأسماء الله عز وجل جُلّ اهتمامهم لإيمانهم أنه من أعظم أنواع العبودية قدراً وأشرفها شأناً، والاعتناء به اعتناء بباب عظيم من أبواب التدين، وتبرز أهمية ذلك من خلال الأمور الآتية:

- **أولاً: العلم بأسماء الله من أشرف العلوم:**

من القواعد المقررة عند أهل العلم أن شرف العلم بشرف معلومه، ولما كان هذا العلم متعلقاً بالله كان من أعظم العلوم وأجلها. يقول ابن العربي في فضل العلم بأسماء الله تعالى: "شرف العلم بشرف المعلوم، والباري أشرف المعلومات، فالعلم بأسمائه أشرف العلوم"(1).

- **ثانياً: العلم بأسماء الله هو الطريق لمعرفته سبحانه.**

---

(1) أحكام القرآن، (804/2).

إن توحيد الله ومعرفته من أفرض الواجبات وأشرفها، ولا يمكن معرفة الباري إلا عن طريق معرفة أسمائه عز وجل؛ فكانت معرفة الأسماء والتعبد لله بها هي الطريق الأمثل لمعرفة الله عز وجل، وهذا هو روح العبادة والحادي للقلوب للقيام بعبودية الرب سبحانه والتقرب إليه.

- **ثالثاً: العلم بأسماء الله هو أصل الدين وسر العبودية.**

إن سر العبودية والغاية منها وأساس الهداية هو: معرفة أصل الدين الذي تعبدنا الله به، وذلك بالإخلاص لله عز وجل والتذلل له؛ ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بمعرفة أسماء الله والتعبد له بمقتضى هذه الأسماء. وكلما كان العبد بربه أعرف كانت عبادته له أتم وحرصه على التقرب إليه أعظم؛ ولذلك كان أعظم مراتب الدين مرتبة الإحسان وهو: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[1].

- **رابعاً: الإيمان بأسماء الله عز وجل يوجب محبته سبحانه.**

إن الإيمان بأسماء الله وتأمل حسنها وجمالها يوجب للعبد محبة الله عز وجل. وهل هناك سعادة أعظم من معرفة الله ومحبته وتعظيمه والتقرب إليه والثناء عليه بما هو أهله، واللهج بذكره آناء الليل والنهار، وبذل النفس والمال والجاه فيما يرضيه، وإنزال الحوائج كلها به، وتفويض الأمور إليه، وحسن الرجاء فيه، والطمع في عفوه ومغفرته؟ فهل يبقى بعد هذا في قلب عبده مكان لغيره أو تميل شعبة من شعب قلبه لغيره؟ ومن كان كذلك رضي بالله معبوداً وكافياً، وهذا لا يحصل إلا لمن حقّق الإيمان بأسماء الله عز وجل وصدق بمقتضياتها وآمن بمعانيها" [2].

ولهذا نجد أن سلف هذه الأمة من الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعين لهم بإحسان كانوا أقوى الناس معرفةً بربهم وأشدهم حباً له، وأصدقهم قياماً بعبادته وحثاً على طاعته

---

(1) جزء من حديث جبريل الطويل الذي خرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه.

(2) انظر: جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات ، تأليف: الدكتور وليد بن محمد العلي، (288/1) وانظر: التعبد بالأسماء والصفات للشيخ وليد بن فهد الودعان، على الإنترنت عبر الرابط .waled.wadan@hotmail com

ودعوةً إلى توحيده؛ وأقوالهم المدونة في الكتب والرسائل والمحفوظة عنهم شاهدة بذلك.

والمحققون من أئمة المالكية قد قرروا هذا الأمر وهو التعبد لله عز وجل بأسمائه وصفاته. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

1. **قول ابن بطال.**

قال -رحمه الله- عند شرحه قول البخارى في كتاب التوحيد: باب السؤال بأسماء الله والاستعاذة بها: "معنى الترجمة [معنى] قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:180]، فأمر بدعائه بها، ووصفه لها بالحسنى يقتضى نفي تضمن كل اسم منها نقيض ما يوصف أنه حسن، ونقيض الحسن قبيح لا يجوز على الله، ومعنى هذا أن عالماً من أسمائه يقتضى علماً ينفي نقيضه من الجهل، وقادراً يقتضى قدرة تنفي نقيضها من العجز، وحياً يقتضى حياة تنفي ضدها من الموت، وكذلك سائر صفاته كلها؛ ففائدة كل واحدة منها خلاف فائدة الأخرى. فأمر تعالى عباده بالدعاء بأسمائه كلها لما يتضمن كل اسم منها ويخصه من الفائدة ليجتمع للعباد الداعين له بجميعها فوائد عظيمة، ويكون معبوداً بكل معنى[1].

فبين أن الله أمر عباده بدعائه بأسمائه، مما يدل على أنه يرى أن التعبد لله عز وجل بأسمائه الحسنى من اجل المطالب وأعظم المقاصد.

2. **قول ابن رشد في الدعاء بأسماء الله.**

قال محمد بن رشد: "لا اختلاف في جواز الدعاء بيا الله ويا رحمان ويا رحيم؛ لأن الله من أسماء الله العظام، وقد قيل فيه: إنه اسمُه الأعظم الذي إذا دُعِي به أجاب وإذا سئل أعطى، والرحمن: اسم من أسمائه المختصة به، والرحيم اسم من أسمائه التي سَمَّى بها نفسَه في كتابه؛ إلا أن الدعاء بيا رحمان يا رحيم غير بيِّن[2] لما ذكرناه من أنهما من أسمائه التي

(1) شرح البخاري، (10/424-425).

(2) يريد-رحمه الله- أن الدعاء باللهم أولى؛ لأنه دعاء الأنبياء، قال-رحمه الله في الجزء الأول من البيان والتحصيل، (ص/293)" مسألة: وسئل عن الرجل يدعو في الصلاة فيقول: يا الله يا رحمان، قال: يقول يا رحمان، ثم قال: واللهم أبين عندي. فقيل له: يدعو بما دعت به الأنبياء؟ قال نعم، في كتاب الله تبارك وتعالى: اللهم. قال محمد بن رشد: قوله: واللهم أبين

قد أجمعت الأمة على تسميته بها لتسمية الله عَزَّ وجهُه نفسَه بها في كتابه العزيز.

واللهم بمنـــزلة الله؛ لأن الميم زيدت في اسم الله عوض يا النداء المحذوفة من أولـــه تعظيماً له بذلك، وقد جاء القرآن بذلك. قال الله عز وجل: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران:26]الآيـــة، وقـــال: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة:114]، وقـــال: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنفال:32]، وقال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزُّمَر:46].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللَّهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد"[(1)]. وكان من دعائه صلى الله عليـــه وســـلم إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: "اللهم لك الحمد أنت نـــور الســـماوات والأرض، ولك الحمد ..." الحديث[(2)]، وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يقل أحدكم إذا دعا: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت"[(3)] الحديث.

والسنن في هذا أكثر من أن تُحصى، ولذا استحب مالكٌ اللهم في الدعاء، وإنما كره مالك الدعاء بيا سيدي ويا حنَّان وبما أشبه ذلك من الأسماء لاختلاف أهل العلم في جواز تسميته بها؛ إذ لم ترد في القرآن ولا في السنن المتواترة ولا أجمعت الأمـــة علـــى جـــواز تسميته بها.

عندي أي أحب إلي، لا أن إجازة الدعاء بيا رحمان غير بين، إذ لا اختلاف بين المسلمين أن الرحمان اسم من أسماء الله تعالى المختصة به".

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، (345/3)، وابن سعد في الطبقات، (242/2)، والبزار في المسند برقم (140) وقال الهيثمي في المجمع، (28/2) رواه البزار وفيه عمر بن صهبان، وقد أجمعوا على ضعفه، وعزاه الحافظ ابن عبدالبر في التمهيد، (42/5) إلى البزار من طريق عمر بن محمد العمري وصححه.

(2) أخرجه البخاري في كتاب أبواب التهجد، باب: التهجد بالليل، ومسلم في كتاب الصلاة، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(3) رواه البخاري بلفظ إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقل: اللهم إن شئت فأعطني، فإن الله لا مستكره له.

وأما الدعاء بيا منَّان فلا كراهية فيه لأنه من أسماء الله القائمة من القرآن، قال الله عز وجل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾ [إبراهيم:11][1].

مما تقدم يتبين لنا أن ابن رشد يقرر التعبد لله عز وجل بأسمائه الحسنى، ومن ذلك الدعاء بها.

3. قول القرطبي.

قال -رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف:180]، فيه ست مسائل:

الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ أي: اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يا هادي اهدني، يا فتاح افتح لي، يا تواب تب علي، وهكذا. فإن دعوت باسم عام قلت: يا مالك ارحمني، يا عزيز احكم لي، يا لطيف ارزقني. وإن دعوت بالأعم الأعظم فقلت: يا الله، فهو متضمن لكل اسم"[2].

---

(1) البيان والتحصيل، (17/422-423).

(2) أحكام القرآن، (7/327).

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف:180]، "والإلحاد يكون بثلاثة أوجه:

الثالث:"... بالنقصان منها كما يفعله الجُهّال الذين يخترعون أدعية يُسمّون فيها الله تعالى بغير أسمائه، ويذكرونه بغير ما يذكر من أفعاله، إلى غير ذلك مما لا يليق به. قال ابن العربي: " فحذار منها، ولا يدعوَنّ أحدكم إلا بما في كتاب الله والكتب الخمسة، وهي البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي. فهذه الكتب التي يدور الإسلام عليها، وقد دخل فيها ما في الموطأ الذي هو أصل التصانيف، وذروا ما سواها، ولا يقولَنّ أحدكم: أختار دعاء كذا وكذا، فإن الله قد اختار له وأرسل بذلك إلى الخلق رسوله صلى الله عليه وسلم"[1].

وقال: "... ثم يجب على من علم أن الله سبحانه هو السلام أن يتضرع إليه ويسأله السلامة في الدنيا والآخرة. أما السلامة في الدنيا فمنها ظاهرة وباطنة: فالظاهرة العافية من الآلام والأسقام وجميع ما تكرهه النفس من المحن التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم، وأما السلامة الباطنة في الدنيا فسلامة دينك وسلامة يقينك عن الكفر والبدع والعصيان حتى تقدم عليه بأوثق عرى الإيمان، فتنال منه السلامة المؤبدة في دار السلام وتنجو من العذاب والآلام التي لحقت الكفار في أدراك النار"[2].

وقال -رحمه الله-: "... ثم يعلم: أنه متعبد بذكر اسمه في أوائل أموره كلها من أكل وشرب، وذبح ونحر، وركوب بر وبحر، وطهارة ودخول منزل، ونوم وجماع وقراءة، إلى غير ذلك من تصرفاته. وكل ذلك مشروع على الإطلاق وخاصة في أوائل الأمور المشروعة..."[3].

---

(1) المصدر السابق، (328/7).
(2) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ص/203-204).
(3) المصدر السابق، (ص/287).

وقال -رحمه الله-: "فأما ما يدعى به ويبتهل به إليه ويسأل فهو ما ورد في الكتاب والسنة وأجمعت على التسمي به جميع الأمة، والإجماع في الأسماء دليل ثابت بنص القرآن وما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي هذه: ... ثم ذكر جملة من أسماء الله عز وجل ثم قال بعد ذلك: "... وقد جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا، ما ثبت في صحيح مسلم أنه دعا به يوم بدر: "اللهم منزل الكتاب، مجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم"[1].

وثبت عنه عليه السلام أنه كان إذا قام من الليل وافتتح صلاته قال: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة"[2] الحديث.

وكان إذا سافر قال: "اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل"[3][4].

مما تقدم يتبين لنا منهج الإمام القرطبي -رحمه الله- في تقرير التعبد بأسماء الله عز وجل كإخوانه من أئمة المالكية كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

بِسْ . قول الطاهر بن عاشور.

قال -رحمه الله-: "والتفريع في قوله: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ تفريع عن كونها أسماء له وعن كونها حسنى، أي: فلا حرج في دعائه بها لأنها أسماء متعددة لمسمّى واحد لا كما يزعم المشركون، ولأنها حسنى فلا ضير في دعاء الله تعالى بها. وذلك يشير إلى أن الله يدعى بكل ما دل على صفاته وعلى أفعاله[5].

فقد قرر -رحمه الله- جواز التعبد بأسماء الله تعالى ومن ذلك دعاؤه عز وجل بها، وذلك لكونها حسنى أي: بلغت الغاية في الحسن، كما قرر أن تعدد الأسماء لا يدل على

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: استحباب الدعاء عند لقاء العدو، واللفظ له.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب ما يقوله إذا ركب إلى سفر الحج وغيره.

(4) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ص/75-76).

(5) التحرير والتنوير، (187/9).

تعدد المسمى، وإنما هذه الأسماء كلها لمسمّى واحد وهو الله عز وجل. وفي ذلك الرد على المشركين الذين أنكروا على بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما سمعوه يقرأ فيذكر الله في قراءته، ومرة يقرأ فيذكر الرحمن فقالوا: محمد يزعم أن الإله واحد، وهو إنما يدعوا آلهة كثيرة؛ فنزل قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:180][1].

قول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

قال -رحمه الله تعالى-: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ فادعوه بتلك الأسماء كأن تقول: يا رحمن ارحمنا، يا رحيم ارحمني. قال بعض العلماء: تقول: يا رحيم ارحمني، يا رازق ارزقني، يا حكيم احكم لي، ولا تقول: يا حكيم اغفر لي، أو يا رازق ارحمني. والتحقيق أن هذا كله جائز لأن أسماء الله متلازمة، كل صفة في واحد منها تستلزم جميع الصفات الأخرى لعظمة صفاته -جل وعلا-، واستلزام كل واحدة منها غاية الكمال والجلال"[2].

فقد قرر-رحمه الله- التعبد بأسماء الله عز وجل كما هو معتقد أهل السنة والجماعة.

قول العلامة محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب عبد الله المالكي.

قال -رحمه الله- عند شرحه لما بوَّب عليه البخاري في كتاب التوحيد من كتابه الصحيح، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها: "أي: هذا باب في بيان مشروعية السؤال -أي سؤال الله تعالى- بأسمائه الحسنى وطلب الاستعاذة بها من الشرورر الدنيوية والأخروية[3].

وقال عند قوله صلى الله عليه وسلم: "وليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه"[4]، ففيه دلالة واضحة على مشروعية سؤال الله تعالى بأسمائه الحسنى والاستعاذة بها".

---

(1) التحرير والتنوير، (186/9).

(2) العذب النمير من مجالس الشنقيطي، (352/4).

(3) نور الحق الصبيح في شرح بعض أحاديث الجامع الصحيح، (585/10).

(4) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: السوال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب: ما يقول عند النوم.

وقال عند قوله صلى الله عليه وسلم: "لو أن أحدكم أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان"[1]. فإن فيه دلالة واضحة على مشروعية سؤال الله تعالى بأسمائه الحسنى والاستعاذة والاستعانة بها. وحديث عدي بن حاتم في ذكر اسم الله عند إرسال الكلب المعلّم على الصيد ومطابقته لما ترجم له واضحة لما فيه من الاستعانة باسمه على قتل الصيد وتذكيته"[2]. وذكر ذلك عند قوله صلى الله عليه وسلم: "... اذكروا أنتم اسم الله"[3].

قال -رحمه الله- عند قول البخاري -رحمه الله- باب: قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ [الإسراء:110] "أي: ادعوا ربكم بأي هذين الاسمين شئتم، فهما اسمان له تعالى"[4].

وقال: "... لأن الترجمة مضمونها التسوية بين أن يدعى الرب تعالى باسم الله أو باسمه الرحمن، وأن دعائه بيا رحمن ليس بأولى ولا بأفضل من دعائه بيا الله، وأنهما اسمان لذاته المقدسة"[5].

فقد بين -رحمه الله- أنه لا فرق بين أن يدعى الله بأي اسم من أسمائه، ودعاؤه سبحانه وتعالى عبادة كما في قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:60]، فسمّى الله تعالى الدعاء عبادة وهو كذلك. وهذا يدل أنه -رحمه الله- يرى التعبد بأسماء الله عز وجل كما هو منهج أهل الحق.

فقد بين رحمه الله- حكم الدعاء بأسماء الله والاستعانة والاستعاذة بها، مما يدل على

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: السوال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، ومسلم في كتاب النكاح، باب: ما يستحب أن يقوله عند الجماع.

(2) نور الحق الصبيح في شرح بعض أحاديث الجامع الصحيح، (587/10).

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: السوال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: الصيد بالكلاب المعلمة.

(4) نور الحق الصبيح، (562/10).

(5) المصدر السابق، (564/10).

أنه يرى ذلك ويقرره، ولا شك أن الدعاء والاستعاذة والاستعانة عبادات مـــن أعظـــم العبادات.

وبهذه النقول يتبين لنا جهود أئمة المالكية سلفاً وخلفاً في بيان حكم التعبد بأسماء الله عز وجل، وأنهم يقررون جواز ذلك كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

يقول **ابن قيم الجوزية -رحمه الله-**: "وأكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسمـــاء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخـــر كمـــن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع، أو عبودية اسمه الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم(1)، أو التعبـــد بأسماء التودد والبر واللطف والإحسان عن أسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء ونحو ذلك".

وهذه طريقة الكمَّل من السائرين إلى الله وهي مشتقة من قلب القـــرآن، قـــال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف:180]، والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ودعاء الثناء ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها"(2).

---

(1) المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى، وإنما جاء هنا إخباراً عنه سبحانه وتعالى، انظر: منهج الإمام بن قيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى، تأليف: مشرف الغامدي (ص/157)، حاشية (3).

(2) مدارج السالكين، (1/420-421).

المبحث العاشر: جهودهم في بيان حكم الحلف بها.

الحلف:

قال ابن فارس المالكي:

(حلف) الحاء واللام والفاء أصل واحد، وهو الملازمة. يقال: حالف فلان فلاناً، إذا لازمه. ومن الباب الحلف؛ يقال: حلف يحلِف حلِفاً؛ وذلك أن الإنسان يلزمه الثبات عليها. ومصدره الحلف والمحلوف أيضاً. ويقال: هذا شيء محلف إذا كان يشك فيه فيتحالف عليه[1]. قال:

كميت غير مُحلفة ولكن كلون الصرف عُلّ به الأديم

وقال: "(يمن) الياء والميم والنون: كلمات من قياس واحد. واليمين: الحلف، وسمّي الحلف يميناً؛ لأن المتحالفين كأن أحدهما يصفق بيمينه على يمين صاحبه"[2].

فالمادة تدور على القسم والثبات والتأكيد للأمر بذكر معظم، ولا يجوز الحلف إلا بالله، أو باسم من أسمائه وصفاته كما جاء في الصحيح.

وقال ابن منظور: "حلف الحلف والحِلْف القسم لغتان، حلف أي: أقسم يحلف حلفا وحلفا وحلفا ومحلوفا، وهو أحد ما جاء من المصادر على مفعول مثل المجلود والمعقول والمعسور والميسور، والواحدة منه حَلْفة، قال امرؤ القيس:

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث ولا صالي[3].

ويقولون: محلوفةً بالله ما قال ذلك، ينصبون على إضمار يحلف بالله محلوفةً أي قسماً، والمحلوفة هو القسم ... ورجل حالف وحلاف وحلافة: كثير الحلف، وأحلفت الرجل وحلفته واستحلفته بمعنى واحد، ومثله: أرهبته واسترهبته، وقد استحلفه بالله ما فعل ذلك، وحلفه وأحلفه، قال النمر بن تولب:

قامت إلي فأحلفتها بهدي قلائده تختنق[4].

وفي الحديث: "من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها"[5].

---

(1) معجم مقاييس اللغة، مادة (حلف)، (ص/261).

(2) المصدر السابق، مادة (يمن)، (ص/1072).

(3) مختار الشعر الجاهلي (38/1).

(4) لسان العرب، (499/5).

(5) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة:225]، ومسلم في كتاب الأيمان، باب: من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه.

والحلف: اليمين، وأصلها العقد بالعزم والنية فخالف بين اللفظين تأكيداً لعقده وإعلاماً أن لغو اليمين لا ينعقد تحته"[1].

فالحلف يطلق على اليمين لأنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كل واحد من المتحالفين بيمين صاحبه وحفظوا اليمين بذلك لأن من شأنها حفظ الشيء، فسمّي الحلف بذلك لأن الحالف يؤكد الأمر الذي حلف عليه ويحفظه.

قال أبو عبد الله القرطبي: "الأيمان جمع يمين، وقيل: يمين فعيل من اليُمن وهو البركة، سمّاها الله تعالى بذلك لأنها تحفظ الحقوق. ويمين تذكر وتؤنث، وتجمع أيمان وأيمن، قال زهير:

فتجمع أيمن منا ومنكم[2][3].

وقال الشيخ مبارك بن علي التميمي الأحسائي المالكي: "اليمين في اللغة: الحلف، مأخوذة من اليمين لأنهم كانوا إذا تحالفوا وضع أحدهم يمينه في يمين صاحبه، فسمّي الحلف يميناً لذلك ... ولما كان الحلف يقوي الخبر سمّي يميناً، فعلى هذا يكون التزام الطلاق والعتاق وغيرهما يميناً ... واليمين مؤنثة، ففي الحديث: "من اقتطع مال مسلم بيمين كاذبة"[4]. فهي والحلف والإيلاء ألفاظ مترادفة، وهي أعم من القسم[5].

وقد أجمع أهل السنة على أنه لا يجوز الحلف إلا بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

أ- حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: "إن الله ينهاكم أن تحلفوا

---

(1) لسان العرب، فصل الحاء، حرف الفاء، (5/398-399).

(2) وعجز البيت: **بمقسمة تمور بها الدماء**، انظر ديوان زهير بن أبي سلمى.

(3) الجامع لأحكام القرآن، (6/264).

(4) تسهيل المسالك إلى هداية السالك إلى مذهب الإمام مالك، (4/1045).

(5) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب عهد الله عز وجل، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار.

بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"[1].

ب- حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من الأشعريين نستحمله فقال: "والله لا أحملكم وما عندي ما أحملكم"[2]... الحديث. والشاهد منه أن النبي صلى الله عليه وسلم حلف بالله عز وجل.

والمحققون من أئمة المالكية يقررون جواز الحلف بأسماء الله عز وجل وصفاته دون ما سوى ذلك، وقد دونوا ذلك في مؤلفاتهم وبينوه في شروحاتهم ودروسهم. ومن ذلك ما يلي:

1. **الإمام مالك -رحمه الله-.**

فقد روى في موطئه عن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تبارك وتعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"[3].

وأبطل -رحمه الله- حلف النصارى والمجوس بما يعظمونه مع أنهم قد يصدقون إذا حلفوا بمعظميهم؛ لأنه يرى أن الحلف عبادة لا يجوز صرفها لغير الله، فلا يجوز الحلف إلا بالله وحده أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته.

قال ابن القاسم: سمعته -أي مالك- يقول: "لا يحلفون إلا بالله فقط"[4]، بل كره -رحمه الله- أن يحلف أحد بلسان أعجمي خوفاً من أن يحلف باسم من أسمائه فقال: "وما يدريه الذي قال أهو كما قال"[5].

ومن خلال هذا النقل عن الإمام مالك يتبين لنا أنه -رحمه الله- يرى جواز الحلف

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب: "لا تحلفوا بآبائكم"، ومسلم في كتاب الأيمان، باب: من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب: "لا تحلفوا بآبائكم"، ومسلم في كتاب الأيمان، باب: النهي عن الحلف بغير الله تعالى.

(3) الموطأ، جامع الأيمان، (218/2)، برقم (2223)، وهو في البخاري ومسلم وقد تقدم تخريجه.

(4) المدونة، (135/5).

(5) المصدر السابق، (62/1)، وانظر: جهود المالكية في توحيد العبادة، (ص/502-503).

بأسماء الله عز وجل وعدم الحلف بغير أسماء الله وصفاته.

2. قول عبد الرحمن بن القاسم.

قال الإمام سحنون في المدونة: "ما جاء في الحلف بالله أو باسم من أسماء الله.

قلت: أرأيت إن حلف الرجل باسم من أسماء الله أتكون أيماناً في قول مالك مثل أن يقول والعزيز والسميع والعليم والخبير واللطيف، هذه وأشباهها في قول مالك كل واحدة منها يمين؟ قال-أي: ابن القاسم-: نعم.

قلت: أرأيت إن قال: والله لا أفعل كذا وكذا، هذه يمين؟ قال: نعم. هي يمين عند مالك.

قلت: أرأيت إن قال: تالله لا أفعل كذا وكذا أو لأفعلن كذا وكذا؟ قال: لم أسمع من مالك فيها شيئاً، وهي يمين يكفرها.

قلت: أرأيت إن قال: وعزة الله وكبرياء الله وقدرة الله وأمانة الله؟ قال: هذه عندي أيمان كلها وما أشبهها، و لم أسمع من مالك فيها شيئاً.

قلت: أرأيت إن قال لعمر الله لا أفعل كذا وكذا، أتكون هذه يميناً في قول مالك؟ قال: نعم، أراها يميناً و لم أسمع من مالك فيها شيئاً"(1).

فقد قرر الإمام ابن القاسم جواز الحلف باسم من أسماء الله عز وجل وأن من حلف بشيء من أسماء الله عز وجل فحنث، أن عليه الكفارة.

3. قول الحافظ بن عبد البر.

قال -رحمه الله- بعد أن نقل حديث ابن عمر المتقدم عند الإمام مالك في الموطأ: "وفي هذا الحديث من الفقه أنه لا يجوز الحلف بغير الله عز وجل في شيء من الأشياء ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجتمع عليه، وقد روى سعيد بن عبيدة عن ابن عمر فيه حديثاً شديداً: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من حلف بغير الله فقد أشرك"(2)، ذكره أبو داود وغيره.

ثم قال: "أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة منهي عنها لا يجوز الحلف

---

(1) المدونة، (103/2).

(2) خرجه ألإمام أحمد (34/2-76)، والطيالسي (1896)، وأبو داوود (3251)، والترمذي (1535) وحسنه، وابن حبان (1177) وحسنه، والحاكم (18/1، 297/4) وصححه على شرطهما وأقره الذهبي.

بها لأحد".

وقال: " والذي أجمع عليه العلماء في هذا الباب هو أنه من حلف بالله، أو باسم من أسماء الله، أو بصفة من صفاته، أو بالقرآن، أو بشيء منه فحنث فعليه كفارة يمين على ما وصف الله في كتابه من حكم الكفارة، وهذا ما لا خلاف فيه عند أهل الفروع، وليسوا في هذا الباب بخلاف. وأجمع العلماء على أن تصريح اليمين بالله هو قول الحالف بالله أو والله أو تالله"(1).

وقال: لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع، قال ابن حجر -رحمه الله- بعد نقله لكلام الحافظ بن عبد البر هذا: "ومراده بنفي الجواز الكراهة أعم من التحريم والتنزيه، فإنه قال في موضع آخر: أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة منهي عنها لا يجوز لأحد الحلف بها"(2).

مما تقدم يتبين لنا أن الحافظ بن عبد البر -رحمه الله- يقرر جواز الحلف بأسماء الله عز وجل، وأن الكفارة تجب على من حلف بالله أو بأسمائه ثم حنث، كما يقرر تحريم الحلف بغير الله عز وجل، وينقل على ذلك إجماع العلماء، وهذا هو ما يقرره أهل السنة والجماعة.

4. قول القاضي عبد الوهاب البغدادي.

قال -رحمه الله تعالى- مبيناً حكم اليمين بأسماء الله عز وجل: "الأيمان على ضربين: يمين جائزة ويمين ممنوعة، فالجائزة هي اليمين بالله تعالى وبجميع أسمائه كالرحمان والرحيم والسميع والعليم وغير ذلك من أسمائه ...

ثم قال مبيناً حروف القسم: "والألفاظ التي يحلف بها قسمان: أحدهما تجريد الاسم المحلوف به كقوله: والله لا فعلت، والآخر زيادة عليه وهي ضربان: زيادة متصلة وزيادة منفصلة. والمتصلة هي الحروف نحو: والله وبالله وتالله، وأيم الله، ولعمر الله، والمنفصلة هي الكلمة نحو: أحلف وأشهد وأقسم، فهذه إن قرنها بالله أو بصفات ذاته نطقاً أو نيةً كانت أيماناً(3).

وقال: الحلف الجائز هو بالله وصفات ذاته، والحلف بغيره ممنوع كالحلف بالأنبياء

---

(1) التمهيد، (14/366-369).

(2) انظر: فتح الباري، (11/540).

(3) التلقين في الفقه المالكي، (ص/71-72).

والآباء والكعبة وما أشبه ذلك من المخلوقات لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم، ولا تحلفوا إلا بالله، ومن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"[(1)].

فقد قرر -رحمه الله- جواز الحلف بأسماء الله عز وجل وتحريم الحلف بغير أسماء الله وصفاته كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

5. قول القاضي ابن العربي.

قال -رحمه الله-: "اليمين تنعقد بالله تعالى وصفاته العليا وأسمائه الحسنى كيفما ترددت العبارة عنها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"[(2)].

وقال: "... لما كانت اليمين بالله تعالى مشروعة في كتابه مبيناً حكمها جارياً على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لفظها، استقرت دينا وثبت حكمها فلم يتطرق إليها اختلاف..."[(3)].

فقد بين -رحمه الله- أن اليمين إنما تنعقد بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، وأن هذا هو المشروع، مما يدل على أنه -رحمه الله- يقرر جواز الحلف بأسماء الله عز وجل كما هو منهج أهل الحق.

6. قول ابن رشد.

قال أبو الوليد محمد بن رشد القرطبي في كتابه المقدمات بعد أن ذكر أنواع الأيمان وأن منها ما هو مباح ومنها ما هو محرم: "... فالمباحة: الحلف بالله تعالى أو باسم من أسمائه الحسنى أو بصفة من صفاته العلى، قال الله عز وجل: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ﴾ [فاطر:42]، وقال: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ [الأنعام:109]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يحلف: "لا ومقلب القلوب، لا والذي نفسي بيده" امتثالا لما أمر الله به من الحلف باسمه حيث يقول في سورة يونس: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم

---

(1) المعونة، (629/1).

(2) تقدم تخريجه.

(3) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، (611-610/2).

بِمُعۡجِزِينَ ﴾ [يونس:53] وفي سورة التغابن: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [التغابن:7] وفي سورة سبأ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ:3](1).

فقد بين -رحمه الله- حكم الحلف بأسماء الله عز وجل وأن ذلك من المباح، مستدلاً على ذلك بأقوى الأدلة وهي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

7. **قول أبي العباس القرطبي**، (ت: **656**).

قال -رحمه الله- في شرح صحيح مسلم عند شرحه لحديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"، قوله: "من كان حالفاً فليحلف بالله" لا يفهم منه قصر اليمين الجائزة على الحلف بهذا الاسم فقط، بل حكم جميع أسماء الله تعالى حكم هذا الاسم؛ فلو قال: والعزيز، والعليم، والقادر، والسميع، والبصير، لكانت يميناً جائزة، وهذا متفق عليه"(2).

فقد قرر -رحمه الله- جواز الحلف بأسماء الله عز وجل وأن الحلف بأي اسم من أسماء الله عز وجل جائز، وذكر اتفاق العلماء على ذلك.

8. **قول الإمام القرطبي** صاحب التفسير.

قال -رحمه الله-: "المحلوف به هو الله سبحانه وأسماؤه الحسنى، كالرحمن والرحيم والسميع والعليم والحليم، ونحو ذلك من أسمائه وصفاته العليا ... وأجمع أهل العلم على أن من حلف فقال: والله أو بالله أو تالله فحنث أن عليه الكفارة.

قال ابن المنذر: وكان مالك والشافعي وأبو عبيد وأبو ثور وإسحق وأصحاب الرأي يقولون: من حلف باسم من أسماء الله وحنث فعليه الكفارة، وبه نقول، ولا أعلم في ذلك خلافاً.

قلت: قد نقل في باب ذكر الحلف بالرحمن أن من حلف بالرحمن فحنث فلا كفارة عليه.

(1) المقدمات (1/406-407).

(2) المفهم، (4/623).

قلت: والرحمن من أسمائه سبحانه مجمع عليه ولا خلاف فيه.

وقال: لا تنعقد اليمين بغير الله تعالى وأسمائه وصفاته.

وقال أحمد بن حنبل: إذا حلف بالنبي صلى الله عليه وسلم انعقدت يمينه، لأنه حلف بما لا يتم الإيمان إلا به، فتلزمه الكفارة كما لو حلف بالله[1].

وهذا يرده ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"[2]؛ وهذا حصر في عدم الحلف بكل شئ سوى الله تعالى وأسمائه وصفاته كما ذكرنا.

ومما يحقق ذلك ما رواه أبو داود والنسائي وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون"[3] ثم ينتقض عليه بمن قال: وآدم وإبراهيم، فإنه لا كفارة عليه، وقد حلف بما لا يتم الإيمان إلا به"[4].

فبين -رحمه الله- بما لا مزيد عليه حكم الحلف بأسماء الله عز وجل وأنه لا يجوز الحلف إلا بالله أو بأسمائه، ورد على القول بجواز الحلف بالنبي مستدلاً بالسنة الصحيحة

---

(1) لم أجده صريحاً عند الإمام أحمد ونصوصه ترده، ولكن قال الحافظ بن حجر في فتح الباري: "واستثنى بعض الحنابلة من ذلك الحلف بنبينا صلى الله عليه و سلم فقال: تنعقد به اليمين وتجب الكفارة بالحنث، فاعتل بكونه أحد ركني الشهادة التي لا تتم إلا به. وأطلق ابن العربي نسبته لمذهب أحمد وتعقبه بأن الإيمان عند أحمد لا يتم إلا بفعل الصلاة، فيلزمه أن من حلف بالصلاة أن تنعقد يمينه ويلزمه الكفارة إذا حنث، ويمكن الجواب عن إيراده والانفصال عما ألزمهم به ..." انظر الفتح، (543/11). قلت: فلعله قول لبعض الحنابلة، ولا يلزم من قول بعض الأصحاب أن يكون قولاً للإمام، بل من الخطإ نسبته للإمام أحمد دون تثبت.

(2) تقدم تخريجه.

(3) خرجه ابن حبان (4357)، وأبو داوود (3248)، والنسائي (3778)، والبيهقي في شعب الإيمان (304/4)، والحافظ في التلخيص (168/4)، وصححه الألباني: انظر صحيح سنن أبي داوود (313/2)، وصحيح سنن النسائي (7/3).

(4) الجامع لأحكام القرآن، (269/6-271).

الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالمنع من ذلك.

9. قول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

قال -رحمه الله تعالى-: اعلم أن اليمين لا تنعقد إلا بأسماء الله وصفاته، فلا يجوز القسم بمخلوق لقوله صلى الله عليه وسلم: "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"، ولا تنعقد يمين بمخلوق كائناً من كان، كما أنها لا تجوز بإجماع من يعتد به من أهل العلم، وبالنص الصحيح الصريح في منع الحلف بغير الله"[1].

مما تقدم يتبين لنا تقرير أئمة المالكية سلفاً وخلفاً لجواز الحلف بالله أو باسم من أسمائه الحسنى، وأنهم يقررون أن الحلف لا ينعقد بما سوى ذلك، فلا تجب الكفارة إلا على من حلف باسم من أسماء الله عز وجل ثم حنث، كما أنهم لا يرون جواز الحلف بغير الله عز وجل أو أسمائه أو صفاته، وهم بذلك يوافقون ما عليه أهل السنة والجماعة في هذا الباب. ومن ذلك ما قرره **الحافظ ابن حجر** في فتح الباري عند ذكره للأحاديث التي فيها صفة حلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "وجملة ما في الباب أربعة ألفاظ:

- أحدها: والذي نفسي بيده، وكذا نفس محمد بيده ...
- ثانيها: لا ومقلّب القلوب.
- ثالثها ورابعها: والله، ورب الكعبة ..."

ثم قال: "ودل ما سوى الثالث من الأربعة على أن النهي عن الحلف بغير الله لا يراد به اختصاص لفظ الجلالة بذلك، بل يتناول كل اسم وصفة تختص به سبحانه وتعالى، وقد جزم ابن حزم وهو ظاهر كلام المالكية والحنفية بأن جميع الأسماء الواردة في القرآن والسنة الصحيحة وكذا الصفات صريح في اليمين، تنعقد به وتجب لمخالفته الكفارة"[2].

---

(1) أضواء البيان، (147/2).

(2) فتح الباري، (534/11).

المبحث الحادي عشر: جهودهم في بيان آثار أسماء الله الحسنى .

مما لاشك فيه أن من أجل المقاصد وأنفع العلوم العلم بالله ومعرفة أسمائه وصفاته وما تشتمل عليه من معان ـــ والتعبد له سبحانه وتعالى بمقتضى هذه الأسماء الحسنى وذلـــك بإثبات أسماء الله سبحانه واعتقاد أنها قد بلغت من الحسن أعلاه وأن تظهر آثـــار هـــذه الأسماء في القلب وعلى الجوارح محبة وتعظيماً وخشية، فمن كان بالله أعرف كان منـــه أخوف وبه أشد تعلقا وله أشد رجاءاً وتوكلاً وتفويضاً إليه في جمع الأمور، وكلما حقق المكلف التعبد بأسماء الله الحسنى علماً وعملاً كان أعظم له توحيداً وأشد له تتريها عمالا يليق بجنابه سبحانه وتعالى.

ولذا فإن أهل السنة والجماعة لما حققوا التوحيد لله عز وجل بجميع أنواعه ولاسيما توحيده عز وجل بمعرفته وإثبات أسمائه وصفاته واعتقادهم أن جميـــع أسمائـــه حســـنى وصفاته عليا أثمر ذلك لهم قوة في الإيمان واليقين وصدقاً في التعبد وإخلاصاً في العمـــل وبعداً عن الإشراك به في أسمائه وصفاته وربوبيته وأولوهيته.

ولأهمية هذا الأمر بين أهل السنة والجماعة أنه يجب على العبد أن يعرف أسماء الله عز وجل ويؤمن بها ويعمل بمقتضاها في جميع أموره فتظهر أثارها عليه في عبادته وسلوكه بل حياته كلها .

والمحققون من أئمة المالكية كغيرهم من أهل السنة والجماعة لهم جهود في بيان أثار أسماء الله الحسنى يظهر ذلك من خلال تتبع أقوالهم التي دونوها في مؤلفاتهم فمن ذلك :

1. قول أبي عمرو بن الطلمنكي .

قال رحمه الله مبيناً الآثار المترتبة على الإيمان بأسماء الله الحسنى والتي تحصل لمن عـــرف هذه الأسماء وآمن بها ودعا الله عز وجل بها: "من تمام المعرفة بأسماء الله و صـــفاته الـــتي يستحق بها الداعي والحافظ ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – أي قوله : "إن لله تسعه وتسعين اسماً مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة "[(1)] . المعرفة بالأسماء والصفات وما تتضمن من الفوائد وما تدل عليه من الحقائق. ومن لم يعلم ذلك لم يكن عالماً لمعاني الأسماء ولا مستفيداً بذكرها ما تدل عليه من المعاني"[(2)].

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (229/11).

فقد بين-رحمه الله- أثر الإيمان بأسماء الله الحسنى ومعرفة ذلك، وأن من شرط حصول الثواب الموعود لمن أحصى أسماء الله الحسنى المعرفة لمعاني هذه الأسماء.

2. قول ابن بطال.

قال رحمه الله تعالى : " فإن قال قائل : كيف وجه إحصائها عملاً ؟
قيل له : وجه ذلك أن ما كان من أسماء الله ـــ تعالى ـــ مما يجب على المؤمن الإقتداء بالله تعالى فيه كالرحيم والكريم والعفو والغفور والشكور والتواب وشبهها فإن الله تعالى- يحب أن يرى على عبده حلاها ويرضى له معناها، والاقتداء به تعالى فيها فهذا العمل بهذا النوع من الأسماء. وما كان منها مما لا يليق بالعبد معانيها كالله والأحد والقدوس والجبار والمتعال والمتكبر والعظيم والعزيز والقوي وشبهها، فإنه يجب على العبد الإقرار بها والتذلل لها والإشفاق منها.

وما كان بمعنى الوعيد كشديد العقاب وعزيز ذي انتقام ،وسريع الحساب وشبهها؛ فإنه يجب على العبد الوقوف عند أمره واجتناب نهيه واستشعار خشية الله تعالى من أجلها وخوف وعيده، وشديد عقابه هذا وجه إحصائها عملاً فهذا يدخل الجنة إن شاء الله "[1]

فبين رحمه الله أنه يجب على العبد استشعار معاني أسماء الله عز وجل وظهور أثارها عليه فيرجو رحمة الله عز وجل ويطمع في كرمه وعفوه ويرجو مغفرته لعلمه أنه غفور وتواب وعفو وهذا من أعظم ما يقوي الرجاء في رحمة الله سبحانه وهو ما يؤثر في قلب العبد ويزيده نشاطاً في الطاعة ويدفعه إلى العمل الصالح وذلك جزء من آثار هذه الأسماء الحسنى
وحينما يتأمل معاني أسماء الله عز وجل الجبار والمتكبر والعظيم والعزيز والقوي وما في معناها من أسماء العظمة والجلال يزيده خوفاً ورهبة وإشفاقاً وخشية من عذابه فيدفعه ذلك إلى البعد عن معصية الله عز وجل أو التعرض لسخطه لما يعلمه من شدة بطشه وأخذه وهل هذا إلا من ثمرات إيمان العبد بهذه الأسماء.

---

(1) شرح صحيح البخاري لابن بطال (420/10)

3. قول القرطبي.

قال رحمه الله : " فالباري إذ لم يكن له في ألوهيته شريك صح أن الكفايات كلها واقعة به سبحانه، فلا ينبغي أن تكون العبادة ألا له والرغبة إلا إليه والرجاء إلا منه، ولا دفع شيء إلا به فيجب على العبد أن يتحقق ويعلم أنه لا كافي على الإطلاق في جميع الأمور ومهماتها وشدائدها صغيرها وجليلها، إلا هو سبحانه، فيكتفي به عن ما سواه فمن اكتفى به عن غيره فقد اكتفى بالمكتفى الحقيقى ومن أكتفى بغيره عنه فلم يكتف بمكتف بل بلوامع السراب إذ لم يتخذ مكتفيا رب الأرباب"[(1)].

وقال عند ذكره السلام :" فيجب على كل مسلم أن يعلم أن الله سبحانه هو السلام على الكمال بكل اعتبار تقدم بيانه في حقه سبحانه ثم يجب على من علم أن الله سبحانه هو السلام أن يتضرع إليه ويسأله السلامة في الدنيا والأخرة، أما سلامة الدنيا، فمنها ظاهرة وباطنة، فالظاهرة : العافية من الآلام والأسقام وجميع ما تكرهه النفس من المحن التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما السلامة الباطنة في الدنيا: فسلامة دينك وسلامة يقينك من الكفر والبدع والعصيان حتى تقدم عليه بأوثق عرى الإيمان فتنال منه السلامة المؤبدة في دار السلام وتنجو من العذاب والآلام التي لحقت بالكفار في أدراك النار وأن يسلم وجهه لله سبحانه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان:22]"[(2)]

وقال : عند ذكر اسمه تعالى القدوس :

"فيجب على كل مخلوق أن يعلم أن الله سبحانه هو : القدوس بكل اعتبار وأنه المتره على الإطلاق وأن طهارته منه وبه، ثم يجب عليه أن يقدس نفسه عن الشهوات ، وماله عن الشبهات وقلبه عن الغفلات، وجوارحه عن المخالفات ومطامعه عن الملاحظات، وذلك بامتثال أوامر ربه واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه، فإذا فعل ذلك استنار قلبه وخشع، وظهر ذلك على ظاهره، وتعدى ذلك لغيره فيطهر بطهارته أهله وولده، ثم كذلك على قدر طهارته وطهوريته يطهر غيره"[(3)].

---

(1) الأسنى، (ص/144).

(2) المصدر السابق (ص/ 204)

(3) المصدر نفسه (ص/ 206).

وقال في بيان أثار اسم الله **الجميل**:

" فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن الجمال كله لله تعالى على ما وصفنا وأن كل جمال منه وبه ثم يجب أن يتجمل بالطاعات والأعمال الصالحة ويجمل باطنه كما يجمل ظاهره وذلك بتصفيته من الأوضار كالغل والحسد والشماتة وسوء الظن إلى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة والبدع الضالة المضلة، فيكون قلبه موافقاً ظاهره فيجمل به أهله وولده ومن عاشره وخالطه"[(1)]

وقال في بيان آثار اسم الله **المجيد** .

" فإذا علم العبد أن مجد ربه سبحانه كما سبق وضوحه وهي كثرة الخصال ونفي النقائص فليجتهد في أن يكثر خصاله ويجتنب ماهي عنه وحينئذٍ يكون ماجدا.

ثم عليه تمجيد الخالق سبحانه بكل اعتبار ولاخلاف في ذلك فيمجده بقوله : لا إله إلا الله هو الملك القدوس ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو العزيز الجبار السبوح القدوس. تبارك الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم. تبارك الله الذي لاإله إلا هو الخالق الباري المصور، تبارك الذي لا إله إلا هو السلام المؤمن المتكبر ونحو هذا وما كان مثله ... "[(2)]

فتبين لنا مما سبق أن القرطبي-رحمه الله- يقرر أن الواجب على المكلف أن يعرف أسماء الله عز وجل ويتعبد لله بموجبها وأن تظهر آثارها عليه .

4. قول العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي.

قال-رحمه الله- عند قوله تعالى: "﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:180] أسماء الله حسنى أي: هي أحسن شيء؛ لأن الحسنى صيغة تفضيل، هي أفضل من كل شيء في الحُسن والجمال لما تدل عليه من صفات الكمال والجلال الموصوف بها خالقنا (جل وعلا) تقدس وتعاظم وتنزه؛ لأن أسماءه تدل على صفات كماله وجلاله جل وعلا.

﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ فادعوه بتلك الأسماء كأن تقول: يا رحمن ارحمنا، يا رحيم ارحمني. قال

---

(1) المصدر السابق،(ص/230).

(2) المصدر نفسه، (ص/238).

بعض العلماء: تقول: يا رحيم ارحمني، يا رازق ارزقني، يا حكيم احكم لي، ولا تقول: يا حكيم اغفر لي، أو يا رازق ارحمني. والتحقيق أن هذا كله جائز لأن أسماء الله متلازمة، كل صفة في واحد منها تستلزم جميع الصفات الأخرى لعظمة صفاته -جل وعلا-، واستلزام كل واحدة منها غاية الكمال والجلال، وقد ثبت في الصحيحن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة"، هذا حديث صحيح معروف"[1].

فقد قرر-رحمه الله- أن أسماء الله عز وجل لها آثار طيبة على العبد حينما يدعو ربه عز وجل ويتوسل إليه باسمائه الحسنى، فحينما يقول: يا رحمن الرحمن يترتب على ذلك حصول الأثر لهذا الاسم وهو الرحمة، وكذلك في اسمه الرزاق.

ومما تقدم يتضح لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقرون أن للإيمان بأسماء الله عز وجل آثاراً على أهل الإيمان بها، والمتعبدين لله عز وجل بمقتضاها، وهذا هو ما يقرره أهل السنة والجماعة إذ المشكاة واحده والمنهل متحد.

يقول ابن القيم- رحمه الله- :والرب تعالى يحب لذاته وأوصافه وأسمائه فهو عفو يحب العفو، ويحب المغفرة ، ويحب التوبة ، ويفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه أعظم فرح يخطر بالبال.

وكان تقدير ما يغفره ويعفو عن فاعله، ويحلم عنه ، ويتوب عليه ويسامحه: من موجب أسمائه وصفاته . وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك . وما يحمد به نفسه ويحمده به أهل سمواته وأهل أرضه : ما هو من موجبات كماله ومقتضى حمده . وهو سبحانه الحميد المجيد وحمده ومجده يقتضيان آثارهما.

ومن آثارهما: مغفرة الزلات، وإقالة العثرات، والعفو عن السيئات، والمسامحة على الجنايات . مع كمال القدرة على استيفاء الحق. والعلم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها، فحلمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن كمال عزته وحكمته، كما قال المسيح صلى الله عليه وسلم﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:118].

---

(1) العذب النمير من مجالس الشنقيطي، (352/4).

أي: فمغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك لست كمن يغفر عجزاً. ويسامح جهلاً بقدر الحق ، بل أنت عليم بحقك، قادر على استيفائه حكيم في الأخذ به.

فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات في العالم ، وفي الأمر ، تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد ، وتقديرها : هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال . وغاياتها أيضاً : مقتضى حمده ومجده ، كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته.

فله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة ، والآيات الباهرة ، والتعرفات إلى عباده بأسمائه وصفاته ، واستدعاء محبتهم له ، وذكرهم له وشكرهم له وتعبدهم له بأسمائه الحسنى؛ إذ كل اسم فله تعبد مختص به ، علماً ومعرفة وحالاً . وأكمل الناس عبودية : المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر.

فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر ، كمن يحجبه التعبد باسمه **القدير** عن التعبد باسمه: **الحليم الرحيم** أو يحجبه عبودية اسمه: **المعطي** عن عبودية اسمه : **المانع**، أو عبودية اسمه: **الرحيم والعفو الغفور** عن اسمه: **المنتقم**، أو التعبد بأسماء: **التودد** ، **والبر واللطف** ، **والإحسان** عن أسماء **العدل، والجبروت، والعظمة والكبرياء** ونحو ذلك.

وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن، قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف:180]) والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ، ودعاء الثناء ، ودعا التعبد وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها، وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته.

فهو **عليم**: يحب كل عليم، **جواد**: يحب كل جواد، **وتر**: يحب الوتر، **جميل**: يحب الجمال، **عفو**: يحب العفو وأهله، **حيي**: يحب الحياء وأهله، **بر**: يحب الأبرار، **شكور**: يحب الشاكرين، **صبور**: يحب الصابرين،**حليم**: يحب الحلم"[1].

---

(1) مدارج السالكين، (1/420-421).

الفصل الرابع: جهود علماء المالكية في تقرير صفات الله تعالى-

وفيه: خمسة مباحث :

- **المبحث الأول: التعريف بالصفة والفرق بينها وبين الوصف والنعت.**
- **المبحث الثاني : جهود علماء المالكية في بيان ما تعرف به الصفة.**
- **المبحث الثالث : جهودهم في بيان أن الصفات توقيفية.**
- **المبحث الرابع : جهودهم في بيان حكم التعبد بها.**
- **المبحث الخامس : جهودهم في بيان حكم الحلف بها.**

المبحث الأول: التعريف بالصفة والفرق بينها وبين الوصف والنعت، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الصفة:

الصفة مأخوذة من كلمة وصف التي تطلق في لغة العرب: على تحلية الشيء ونعته، يقال وصفت الشيء وصفاً وصفة، إذا أخبرت عن أمارته اللازمة لحليته ونعته. والهاء فيه عوض عن الواو.

يقول ابن فارس المالكي –رحمه الله–: "وصف: الواو والصاد والفاء، أصل واحد، وهو تحلية الشيء، ووصفته أصفه وصفاً، والصفة الأمارة اللازمة للشيء، كما يقال وزنته وزناً، والزنة: قدر الشيء. يقال اتصف الشيء في عين الناظر، احتمل أن يوصف. وأما قولهم: وصفت الناقة وصوفاً إذا أجادت السير، فهو من قولهم للخادم وصيف وللخادمة وصيفة. ويقال: أوصفت الجارية لأنهما يوصفان عند البيع"[1].

وقال بن منظور –رحمه الله–: "وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفة، حلاه، والهاء عوض من الواو. وقيل الوصف: المصدر، والصفة الحلية. وقال الليث: الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته، وتواصفوا الشيء من الوصف. وقال عز وجل: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:112] أراد ما تصفونه من الكذب. واستوصفه الشيء، سأله أن يصف له. واتصف الشيء أمكن وصفه، اتصف من الوصف. واتصف الشيء أي: صار متواصفاً، قال طرفة بن العبد[2]:

إني كفاني من أمر هممت به جار كجار الحذاقي الذي اتصفا.

أي: صار موصوفاً بحسن الجوار... "[3]

مما سبق يتبين لنا أن الصفة والوصف يراد بهما الكلام الذي يوصف به الموصوف، كما تقول: زيد شجاع، وقد يراد بهما المعاني التي دل عليها الكلام كالشجاعة والحلم وغير

---

(1) معجم مقاييس اللغة : باب الواو والصاد وما يثلثهما (ص/1054).

(2) هو عمر بن سفيان بن سعد بن مالك ، أمه وردة من رهط أبيه ، سمي طرفة بسبب بيت قاله، كان أحدث الشعراء سناً وأقلهم عمراً. قتل وهو ابن ست وعشرين سنة. انظر في ترجمته: طبقات فحول الشعراء للجمحي (137/1-138) والشعر والشعراء لابن قتيبة (ص 108-115).

(3) لسان العرب، (356/9) مادة، وصف.

ذلك.

يؤيد هذا ويزيده بياناً قول شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- حيث يقول: "الصفة والوصف تارة يراد به الكلام الذي يوصف به الموصوف لقول الصحابي في قول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1] أحبها لأنها صفة الرحمن، وتارة يراد بها المعاني التي دل عليها الكلام: كالعلم والقدرة، والجهميه والمعتزلة وغيرهم تنكر هذه وتقول: إنما الصفات مجرد العبارة التي يعبر بها عن الموصوف، والكلابية ومن اتبعهم من الصفاتية قد يفرقون بين الصفة والوصف، فيجعلون الوصف هو القول، والصفة المعنى القائم بالموصوف، وأما جماهير الناس فيعلمون أن كل واحد من لفظ الصفة والوصف مصدر في الأصل كالوعد والعدة، والوزن والزنة، وأنه يراد به تارة هذا وتارة هذا"[(1)] .

المسألة الثانية : النعت .

قال ابن فارس: "نعت: النون والعين والتاء كلمة واحدة وهي النعت ، وهو وصفك الشيء بما فيه من حسن، كذا قاله الخليل إلا أن يتكلف متكلف فيقول: ذا نعت سوء قال: وكل شيء جيد بالغ نعت"[(2)].

وقال ابن منظور : "نعت: النعت وصفك الشيء، تنعته بما فيه وتبالغ في وصفه، والنعت ما نعت به نعته ينعته نعتا وصفه، ورجل ناعت من قوم نعات، قال الشاعر: انعتها إني من نعاتها، ونعت الشيء وتنعته إذا وصفته، قال: واستنعته أي: استوصفته، واستنعته استوصفته، وجمع النعت نعوت، قال ابن سيده: لا يكسر على غير ذلك، والنعت من كل شيء جيده، وكل شيء كان بالغاً نقول: هذا نعت أي جيد، قال: والفرس النعت هو الذي يكون في غاية العتق، وما كان نعتاً، ولقد نَعُتَ ينعت نعاتة فإذا أردت أنه تكلف فعله قلت نعِت، يقال فرس نعتٌ ونعتة ونعيتة ونَعِيتٌ عتيقة ،وقد نعتت نعاتة، وفرس نعت ومنعت إذا كان موصوفاً بالعتق والجودة والسبق، قال الأخطل:

إذا عرف الآل الآكام علونه بمنعتـــات لا بغـــال ولا حمـــر

والمنعت من الدواب والناس الموصوف بما يفضله على غيره من جنسه، وهومفتعل من

---

(1) مجموع الفتاوى (335/3).

(2) معجم مقاييس اللغة، باب النون والعين وما يثلثهما ص/998).

النعت، يقال: نعته فانتعت.كما يقال وصفته فاتصف.

قال ابن الأعرابي: "أنعت إذا حسن وجهه حتى ينعت، وفي صفته صلى الله عليه وسلم يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله"(1).

قال ابن الأثير : "النعت وصف الشيء بما فيه حسن ولا يقال في القبيح إلا أن يتكلف متكلف فيقول: نعت سوء، والوصف يقال في الحسن والقبيح"(2)

وقال الفيروز آبادي (3): "النعت: كالمنع الوصف كالإنتعات والفرس العتيق السباق كالمنتعت النعتة والنعيتة وقد نعت ككرم نعاتة ، وأما نعت كفرح فلمتكلفه واستنعته استوصفته ، وأنعت حسن وجه حتى ينعت"(4).

مما تقدم يتبين لنا أن أهل اللغة يطلقون لفظ النعت على الصفة وقد يفرق بعضهم بينهما فيجعل الوصف عام في القبيح والحسن والنعت خاص بالحسن كما هو صنيع ابن فارس وابن الأثير وسيأتي مزيد بيان لذلك في المسأله الثالثة .

المسألة الثالثة : الفرق بين الصفة والوصف والنعت.

تقدم في المسألة الأولى أن الوصف والصفة بمعنى واحد، فقد يطلق الوصف والصفة على الكلام الذي يوصف به الموصوف، وقد يطلق ويراد به المعاني التي دل عليها الكلام، مما أغنى عن إعادته هنا. فلم يبق إلا الكلام على الفرق بين الصفة أو الوصف والنعت، وقد اختلف أهل العلم في الفرق بين الوصف والنعت فقيل: هما مترادفان، وقيل: هما متقاربان وقيل: "إن الوصف للذات، والنعت للفعل"(5).

وقد تقدم تفريق بعض أهل اللغة بين الوصف والنعت وقال بعضهم أن النعت يكون بالحلية نحو : طويل وقصير والصفة تكون بالأفعال نحو ضارب وخارج"(6).

---

(1) لسان العرب، (99/2).

(2) النهاية في غريب الحديث . باب النون مع العين (79/5).

(3) هو أبو ظاهر محمد بن يعقوب بن محمد مجد الدين الفيروز آبادي ولد بكارزين بلدة بفارس في ربيع الثاني سنة729 هـــ وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وتوفي بزبيد قاضياً ممتعاً بحواسه وقد ناهز التسعين سنة 817 هـــ أو 816هـــ انظر ترجمته في أنباء الغمر ، الضوء اللامع، وانظر ترجمه له موسعه في مقدمة القاموس المحيط للشيخ / نصر الهوريني

(4) القاموس المحيط . فصل النون باب التاء (165/1).

(5) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز، (ص/217).

(6) شرح المفصل لابن يعيش (1007/2)، وانظر جهود بن قيم الجوزية، للدكتور وليد بن محمد

ونتيجة لذلك نجد أن أهل السنة والجماعة قد ذكروا فروقاً بين الصفة أو الوصف والنعت في باب صفات الله عز وجل، وإن كان كل واحد من اللفظين يطلق على الله عز وجل.

ويدل على ذلك الكتاب والسنة كما في قوله عز وجل: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:180]، وكما في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم ب ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1] فلما رجعوا، ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: سلوه: لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أخبروه أن الله يحبه"[1].

والمصنفون من أهل السنة يطلقون ذلك في مؤلفاتهم كما هو صنيع البخاري في كتاب التوحيد من كتابه الصحيح، ومثله ابن خزيمة في كتاب التوحيد، وابن منده في كتاب التوحيد، والدارمي في رده على المريسي، وغيرهم كثير.

كما أنهم يطلقون لفظة النعت ويضيفونها إلى الله عز وجل كما يدل عليه صنيع ابن جرير الطبري في تفسيره، وابن تيمية في الفتاوى، وتلميذه بن القيم في المدارج، وابن كثير في التفسير، والذهبي في العلو، مما يدل على أنهم يرون جواز إطلاق هذه اللفظة وإضافتها إلى الله، وإن كان الأولى أن يقال: صفة الله، أو صفات الله بدل (نعت الله) أو (نعت الله أو نعوت الله) لورود الحديث الصحيح بذلك[2].

وأما الفروق التي يذكرها أهل السنة بين الوصف والنعت فنكتفي بما أورده ابن القيم – رحمه الله– حيث قال:

"الفرق بين الصفة والنعت من وجوه ثلاثة:

العلي ص(63/1).

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد. باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تعالى ومسلم في كتاب الصلاة . باب فضل قراءة قل هو الله أحد.

(2) انظر صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة تأليف علوي بن عبد القادر السقاف، (ص/222، 345، 349).

أحدهما : أن النعت يكون بالأفعال التي تتجدد. كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف:54] وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ، وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ، وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزُّخرُف:10-12]ونظائر ذلك .

والصفة هي الأمور الثابتة اللازمة للذات. كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ، هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:22-24]، ونظائر ذلك.

الفرق الثاني: أن الصفات الذاتية لا يطلق عليها اسم النعوت كالوجه واليدين والقدم والأصابع، وتسمى صفات. وقد أطلق عليها السلف هذا الاسم، وكذلك متكلمو أهل الإثبات سموها صفات، وأنكر بعضهم هذه التسمية كأبي الوفاء بن عقيل وغيره، وقال: لا ينبغي أن يقال: نصوص الصفات بل آيات الإضافات؛ لأن الحي لا يوصف بيده ولا وجهه، فإن ذلك هو الموصوف فكيف تسمى صفة؟

وأيضاً: فالصفة معنى يعم الموصوف فلا يكون الوجه واليد صفة.

والتحقيق: أن هذا نزاع لفظي في التسمية، فالمقصود: إطلاق هذه الإضافات عليه سبحانه، ونسبتها إليه، والإخبار عنه بها منزهة عن التمثيل والتعطيل، سواء سميت صفات أو لم تسم.

الفرق الثالث: أن النعوت ما يظهر من الصفات ويشتهر ويعرفه الخاص والعام. والصفات: أعم، فالفرق بين النعت والصفة فرق ما بين الخاص والعام، ومنه قولهم في تحلية الشيء: نعته كذا وكذا لما يظهر صفاته.

وقيل: هما لغتان لا فرق بينهما، ولهذا يقول نحاة البصرة: باب الصفة، ويقول نحاة الكوفة: باب النعت، والمراد واحد والأمر قريب"[1].

---

(1) مدارج السالكين (423/3 - 424)

المبحث الثاني : جهود علماء المالكية في بيان ما تعرف به الصفة.

يقرر أهل السنة والجماعة أن المضاف إلى الله عز وجل نوعان :

الأول : معاني لا تقوم بنفسها فهذه يطلق عليها صفات وإضافتها إلى الله عز وجل إضافة صفة إلى موصوف كمثل الكلام فكلام الله عز وجل صفة من صفاته أضيف إليه عز وجل قال سبحانه : ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:144] وقوله عز وجل ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:6] ومثل العزة المضافة إلى الله عز وجل كما في قوله تعالى حكاية عن إبليس ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [ص:82] وهكذا علم الله وعلوه وكبرياؤه وعظمته ورحمته وحياته فهذه كلها صفات الله عز وجل .

الثاني : أعيان تقوم بنفسها فهذه مخلوقة لله عز وجل وإضافتها إلى الله سبحانه إضافة خلق أو إضافة تشريف كما في قوله عز وجل: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الحج:26] وكما في قوله عز وجل: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحِجر:29]

فالنوع الأول: لا يمكن أن ينفصل عن الله عز وجل وهو غير مخلوق فيسمى صفات، وإضافته إلى الله عز وجل من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، فالعزة مثلاً وصف أضيف إلى الله عز وجل فهي بهذا الاعتبار صفة .

والنوع الثاني: أعيان قائمه بنفسها مخلوقة وإضافتها إلى الله عز وجل بحسب السياق ولا يمكن أن يطلق عليها أنها صفات وإنما يقال: أضيفت إلى الله إضافة تشريف كبيت الله وناقة الله وإما إضافة خلق وإيجاد كروح الله[1].

والمحققون من أئمة المالكية كغيرهم من أهل السنة والجماعة لا يخرجون في تقرير ما تعرف به الصفة عن هذا المنهج، ومن ذلك:

---

(1) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (359/1).

1. قول أبي العباس القرطبي[1]

قال رحمه الله عند تقريره لجواز الحلف بأسماء الله وصفاته :" وكذلك الحلف بصفات الله تعالى : كقوله : وعزة الله ، وعلمه ، وقدرته ، وما أشبه ذلك مما يتمحض فيه الصفة لله عز وجل ..."[2]

وأما ما يضاف إلى الله تعالى مما ليس بصفة كقوله : وخلق الله ، ونعمته وبيته فهذه ليست بأيمان، لأنها حلف بغير الله عز وجل كما تقدم .

فقد قرر رحمه الله أن الصفات هي كل ما يضاف إلى الله عز وجل من الأعيان التي لا تقوم بنفسها كالعزة ، والعلم ، والقدرة فهذه تضاف إلى الله عز وجل إضافة صفة إلى موصوف ولذلك جاز الحلف بها؛ لأن من المتقرر عنده جواز الحلف بأسماء الله وصفاته ولو لم تكن إضافة العزة ، والعلم والقدرة وما في معناها صفات لما جاز الحلف بها .

وأما ما يضاف إلى الله عز وجل من الأعيان القائمة بنفسها فهذه ليست من الصفات المضافة إلى الله عز وجل ولذا قرر رحمه الله عدم جواز الحلف بها لأن الحلف بها حلف بغير الله عز وجل .

والقرطبي بذلك يوافق ما عليه أهل السنة والجماعة في بيان ما تعرف به الصفة وأنها كل ما يضاف إلى الله عز وجل من المعاني التي لا تقوم بنفسها .

2. قول ابن العربي :

قال في بيان ما تعرف به الصفة : حقيقة الاسم كل لفظ جعل للدلالة على المعنى إن لم يكن مشتقاً فإن كان مشتقاً فليس باسم، وإنما هو صفة هذا هو قول النحاة ، فالعالم عندنا اسم كزيد اسم لكن أحدهما يدل على الوجود والآخر يدل على الوجود ومعنى معه زائد عليه[3]

فقد بين بن العربي رحمه الله أن اللفظ إذا دل على معنى و لم يكن مشتقاً أنه صفة لأنه يدل على العلم وعلى معنى زائد عليه، وهذا ما تعرف به الصفة .

---

(1) قدمت قول أبي العباس القرطبي؛ لأنه الأقرب في بيان ما تعرف به الصفة.
(2) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (69/15).
(3) الأسنى، (ص/37).

3. قول أبي عبدا الله القرطبي.

حيث قال -رحمه الله- بعد أن نقل كلام ابن العربي المتقدم : "قلت: وبيان ذلك أنك إذا قلت زيد مثلاً ، فهو يدل على ذات متشخصة في الوجود ومن غير زيادة ولا نقصان فلو قلت : العالم ، دل هنا على تلك الذات منسوبة إلى العالم ، وهكذا ومن هنا صح عقلاً أن تكثر الأسماء المختلفة على ذات واحدة، ولا يوجب تعداداً ولا تكثيراً، وكذلك الصفات من القدرة والإرادة ونحو ذلك لم تسم بما سميت به من قولنا : قدرة وعلماً وإرادة وإنما سميت بذلك تحديداً وتوقيفا بالكتاب والسنة وإجماع الأمة"(1).

مما تقدم يتبين لنا جهود متقدمي أئمة المالكية في بيان ما تعرف به الصفة وهم لا يخرجون بالجملة عما يقرره أهل السنة والجماعة كما بين ذلك أبو العباس بن تيميه رحمة الله، حيث قال في بيان ذلك : "

والمضاف إلى الله نوعان: فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة وإما أن يكون عينا قائمة بنفسها.

فالأول: إضافة صفة كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة:255] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:58] وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فُصِّلَت:15].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح حديث الاستخارة: "إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك، وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:115] وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة:10] وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق:5]

والثاني: إضافة عين كقوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج:26] وقوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس:13] وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان:6]

---

(1) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى(ص/37).

فالمضاف في الأول صفة لله قائمة به ليست مخلوقة له بائنة عنه، والمضاف في الثاني مملوك لله مخلوق له بائن عنه؛ لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى كما خص ناقة صالح من بين النوق، وكما خص بيته بمكة من البيوت، وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق. ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم:17] فإنه وصف هذا الروح بأنه تمثل لها بشرا سويا، وأنها استعاذت بالله منه إن كان تقيا، وأنه قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم:19]

وهذا كله يدل على أنها عين قائمة بنفسها ...وإذا كان الله قد بين أن المضاف هنا ليس من الصفات القائمة بغيرها بل من الأعيان القائمة بنفسها علم أن المضاف مملوك لله مخلوق له؛ لكن إضافته إلى الله تدل على تخصيص الله له من الاصطفاء والإكرام بما أوجب التخصيص بالإضافة، وقد ذكرت فيما كنت كتبته قبل هذا من الرد على النصارى الكلام في ذلك وغيره وبينت أن المضافات إلى الله نوعان أعيان، وصفات:

فالصفات إذا أضيفت إليه كالعلم والقدرة والكلام والحياة والرضا والغضب ونحو ذلك دلت الإضافة على أنها إضافة وصف له قائم به ليست مخلوقة لأن الصفة لا تقوم بنفسها فلا بد لها من موصوف تقوم به فإذا أضيفت إليه علم أنها صفة له لكن قد يعبر باسم الصفة عن المفعول بها فيسمى المقدور قدرة والمخلوق بالكلمة كلاما والمعلوم علما والمرحوم به رحمة كقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة"[(1)]

وقوله تعالى فيما يروي عنه نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال:" للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء"[(2)] ،ويقال للمطر والسحاب هذه قدرة قادر وهذه قدرة عظيمة، ويقال في الدعاء غفر الله لك علمه فيك أي معلومه.

وأما الأعيان: إذا أضيفت إلى الله تعالى؛ فإما أن تضاف بالجهة العامة التي يشترك فيها المخلوق مثل كونها مخلوقة ومملوكة له ومقدورة ونحو ذلك، فهذه إضافة عامة مشتركة كقوله: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان:11].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب الرجاء مع الخوف.

(2) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:30] .

وقد يضاف لمعنى يختص بها يميز به المضاف عن غيره مثل بيت الله، وناقة الله، وعبد الله وروح الله، فمن المعلوم اختصاص ناقة صالح بما تميزت به عن سائر النياق، وكذلك اختصاص الكعبة، واختصاص العبد الصالح الذي عبد الله وأطاع أمره، وكذلك الروح المقدسة التي امتازت بما فارقت به غيرها من الأرواح؛ فإن المخلوقات اشتركت في كونها مخلوقة مملوكة مربوبة لله يجري عليها حكمه وقضاؤه وقدره وهذه الإضافة لا اختصاص فيها ولا فضيلة للمضاف على غيره.

وامتاز بعضها بأن الله يحبه ويرضاه ويصطفيه ويقربه إليه ويأمر به أو يعظمه ويحبه فهذه الإضافة يختص بها بعض المخلوقات كإضافة البيت والناقة والروح وعباد الله من هذا الباب... وهذا الأصل الذي ذكرناه من الفرق فيما يضاف إلى الله بين صفاته وبين مملوكاته أصل عظيم ضل فيه كثير من أهل الأرض من أهل الملل كلهم فإن كتب الأنبياء التوراة والإنجيل والقرآن وغيرها أضافت إلى الله أشياء على هذا الوجه، وأشياء على هذا الوجه"[1].

(1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (1/359-361)

المبحث الثالث: **جهودهم في بيان أن الصفات توقيفية**.

من القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة أن صفات الله عز وجل توقيفيه، ويعنون بذلك أن طريقة إثبات صفات الله عز وجل يكون بالكتاب والسنة، فلا يثبتون لله تعالى من الصفات إلا ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته؛ لا يتجاوزون القرآن والسنة. فأهل السنة يرون وجوب الوقوف في أسماء الله عز وجل على ما جاء به النص، وأما العقل فلا يمكنه إدراك ما يجب لله عز وجل من الصفات؛ لأن ذلك من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، فوجب الرجوع في هذا الأمر إلى الكتاب والسنة. ويستدلون على ذلك بقوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:36] وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:33].

ففي الآية الأولى النهي عن التكلف بما ليس عند المكلف فيه علم وبيان، وأن ذلك أمر متوعد عليه، وفي الآية الثانية ترتيب للكبائر من الأصغر إلى الأكبر وبيان أن أعظم هذه الكبائر القول على الله بدون علم، ومن ذلك القول في صفاته بإثبات صفات لم ترد في كتابه ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو نفي صفات أثبتها في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. ومن المعلوم أن منهج السلف في الصفات هو منهجهم في الأسماء ولا فرق في ذلك، وقد تقدم بيان شيء من منهجهم في إثبات أن الأسماء توقيفية، فكذلك في الصفات، فالطريقة واحدة والمنهج واحد(1).

والمحققون من أئمة المالكية على نهج إخوانهم أهل السنة يسيرون، ولطريقتهم ملتزمون، ولما يقررونه في صفات الله عز وجل يقررون. ومن أمثله ذلك ما يلي:

---

(1) انظر: الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، والقواعد المثلى للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

1. **قول الإمام ابن أبي زمنين.** قال رحمه الله:

اعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علما، والعجز عما لم يدع إيمانا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه وعلى لسان نبيه، وقد قال وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:88] وقال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:19] وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:28] وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:29]وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:48] وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه:39] وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:64]وقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزُّمَر:67] وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:46] وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:164] وقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور:35] وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:255] وقال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد:3].

ومثل هذا في القرآن كثير، فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض كما أخبر عن نفسه، وله وجه ونفس وغير ذلك، كما وصف به نفسه، ويسمع ويرى ويتكلم، الأول ولا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية لا شيء بعده، والظاهر العالي فوق كل شيء ما خلق، والباطن بطن علمه بخلقه تعالى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:3] حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم"[1].

فقد قرر-رحمه الله- أن صفات الله عز وجل توقيفية، وأن أهل العلم لا يتكلفون إثبات صفات لم يثبتها الله لنفسه في كتابه، أو على ألسنة رسله، وهذا هو معتقد أهل الحق.

---

(1) شرح أصول السنة، (ص61/60).

2. قول محمد العتبي القرطبي [1]

قال -رحمه الله- "ولا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه يديه بشيء، ولا وجهه تبارك وتعالى بشيء، ولكنه يقول: له يدان كما وصف به نفسه، وله وجه كما وصف نفسه، تقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب؛ فإنه تبارك وتعالى لا مثل له ولا شبيه ولا نظير"[2].

فقد قرر رحمه الله أن الأصل في إثبات صفة لله عز وجل ورود النص بذلك، فلا يجوز لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه كما لا يجوز نفي صفة أثبتها لنفسه في كتابه.

3. قول القاضي عبدالوهاب البغدادي.

قال -رحمه الله- في تقريره أن صفات الله تعالى توقيفية يتبع فيها النص ويسلم فيها للشرع: "اعلم أن الوصف له تعالى بالاستواء اتباع للنص وتسليم للشرع وتصديق لما وصف نفسه تعالى به، ولا يجوز أن يثبت له كيفية[3]؛ لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا أخبر النبي عليه السلام بشيء، ولا سألته الصحابة عنه ... وقد أجمل مالك رحمه الله الجواب عن سؤال من سأله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:5] كيف استوى؟ فقال: "الاستواء منه غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة". ثم أمر بالسائل فأخرج[4].

فبين -رحمه الله- أنه يجب الوقوف في إثبات صفات الله عز وجل مع النص حيث جاء في الكتاب والسنة إثبات صفة الاستواء على العرش، ولم يأت ذكر الكيفية، فوجب الوقوف في

---

(1) محمد بن أحمد العتبي مولى عتبة ابن أبي سفيان القرطبي المالكي أبو عبد الله، فقيه حافظ راوية داعية، قال عنه تلميذه محمد بن لبابة: " لم يكن هنا -يعني في الأندلس- أحد يتكلم مع العتبي في الفقه ولا كان بعده أحد يفهم فهمه إلا من تعلم عنده"، وقال ابن عبد البر: "كان عظيم القدر عند العامة، معظما في زمانه"، من مؤلفاته: المستخرجة العتبية على الموطأ، وكراء الدور والأراضين، توفي بالأندلس سنة 255 ه، انظر ترجمته في: ترتيب المدارك (449/1) وبغية الملتمس (ص:40) والأعلام (307/5).

(2) البيان التحصيل شرح العتبية (400/16).

(3) أي كيفية معلومة للخلق وأما نفي الكيفية مطلقاً فليس من منهج أهل السنة والجماعة فهم يثبتون كيفية الصفات أي يثبتون معنى الصفة؛ ولكنهم لا يكيفون الحقيقة كما في أثر مالك.

(4) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير(ص28).

ذلك مع النص، واستدل على تقرير ذلك بقول إمام دار الهجرة أبي عبدا لله مالك ابن أنس من أن الواجب الوقوف على نصوص الكتاب والسنة، والإيمان بما جاء فيهما من صفات الله عز وجل. أما التكلف والخروج عن هذا فضلال وابتداع في دين الله عز وجل، يجب الإنكار على صاحبه وردعه بما يستحق من عقاب. فرحم الله أئمة أهل السنة، ما أشد حرصهم على توحيد الله عز وجل.

4. قول الحافظ بن عبد البر.

قال –رحمه الله– في بيان أن صفات الله توقيفيه لا يتجاوز فيها النص والإجماع: "... لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما سمى به نفسه على ما تقدم ذكرنا له من وصفه لنفسه لا شريك له، ولا ندفع ما وصف به نفسه؛ لأنه دفع للقرآن، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:22][(1)].

وقال –رحمه الله–: "فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير؛ فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[(2)].

وقال: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محدودة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقربها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود؛ والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله[(3)].

وقال –رحمه الله–: "ليس في الاعتقاد في صفات في الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه"[(4)].

---

(1) التمهيد (137/7) ، (3/2).
(2) المصدر السابق، (ص/145).
(3) المصدر السابق، (ص/145).
(4) جامع بيان العلم وفضله، (131/2).

وقال مبيناً أن الأصل في إثبات صفات الله عز وجل النص وأنه لا يجوز القياس في ذلك: "لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنة وهم أهل الفقه والحديث في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام"(1).

وقال: "ونهى السلف رحمهم الله عن الجدال في الله جل ثناؤه في صفاته وأسمائه، وأما الفقه فأجمعوا على الجدال فيه والتناظر؛ لأنه علم يحتاج فيه إلى رد الفروع على الأصول للحاجة إلى ذلك، وليس الاعتقادات كذلك؛ لأن الله عز وجل لا يوصف عند الجماعة أهل السنة إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أجمعت الأمة عليه؛ وليس كمثله شيء فيدرك بقياس أو بإمعان نظر"(2).

وقال: "ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات وما جاء عن الصحابة فهو علم يدان به، وما أحدث بعدهم و لم يكن له أصل فيما جاء عنهم فبدعة وضلالة، وما جاء في أسماء الله أو صفاته عنهم يسلم له و لم يناظر فيه كما لم يناظروا؛ قال أبو عمر: رواها السلف -أي نصوص الصفات- وسكتوا عنها، وهم كانوا أئمة الناس علماً وأوسعهم فهماً وأقلهم تكلفاً، و لم يكن سكوتهم عن عي؛ فمن لم يسعه ماوسعهم فقد خاب وخسر(3).

مما تقدم يتبين لنا أن الإمام أبا عمرو يقرر أن صفات الله عز وجل توقيفية ولايتجاوز فيها النص، وينقل إجماع السلف على ذلك.

5. قول محمد بن رشد.

قال -رحمه الله- في كتابه البيان والتحصيل في شرح العتبيه عند قول الإمام محمد العتبي رحمه الله: "لا ينبغي لأحد أن يصف الله عز وجل إلا بما وصف به نفسه في القرآن (... يريد أو وصفه به رسوله في متواتر الآثار(4) واجتمعت الأمة على جواز وصفه به)(5).

---

(1) المصدر السابق، (86/2).

(2) المصدر السابق، (120/2).

(3) المصدر السابق، (133/2).

(4) الصواب عدم الاقتصار في إثبات صفات الله عز وجل على الأحاديث المتواتره، بل يستدل بكل ما صح عنه صلى الله عليه وسلم سواء أكان متواتراً أو أحاداً.

(5) البيان والتحصيل (16/ 400 – 401).

وقال: "قوله -يعني محمد العتبي-: لا يشبه يدي ربه بشيء ولا وجهه تبارك وتعالى بشيء؛ ولكن يقول له يدان كما وصف نفسه، وله وجه كما وصف نفسه، يقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب"[(1)].

مما تقدم يتضح أن ابن رشد -رحمه الله- يقرر أن صفات الله تعالى توقيفية لايتجاوز فيها الكتاب والسنة، وأنه يجب الوقوف عند ذلك كما هو منهج أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً.

6. قول القرطبي.

قال -رحمه الله-: "لا مدخل للقياس في أسماء الله تعالى، على هذا جمهور العلماء على ما نذكره". ثم ذكر أقوال أهل العلم في تقرير كون صفات الله توقيفيه يتوقف في إثباتها على النص من الكتاب والسنة فقال:

قال ابن فورك : "واعلم أن أسماء الله تعالى وصفاته عندنا مأخوذة نصاً وتوقيفاً، لا يجوز أن تتعدى إلى مالا يرد به نص". وقال أبو الحسن القابسي: "أسماء الله تعالى وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف، والتوقيف كتاب الله وسنة رسوله واتفاق أمته، وليس للقياس في ذلك مدخل، وما اجتمعت عليه الأمة فإنهم عن سمع علموه من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وقال أبو جعفر النحاس في كتاب (علم أسماء الله تعالى): "فإنما يلزم العبد الاستسلام، ولا يعرف ملك مقرب ولا نبي مرسل تلك الصفات إلا بالأسماء التي عرفهم الرب، ولا يدري بالعقول والمقاييس منتهى صفات الخالق سبحانه وتعالى، فيلزم المسلم أن يتثبت معرفة الصفات بالاتباع والتسليم كما جاء".

ثم ختم ذلك بتقريره أن صفات الله عز وجل توقيفيه حيث قال: "وجملة القول أنه لا يجوز أن يسمى الله تعالى ويوصف إلا بما سمى به نفسه لخلقه ووصف أو سماه به رسوله أو أجمع المسلمون عليه؛ فإذا صح الاسم أو الصفة عن طريق السمع فالواجب علينا الانقياد والتسليم له، وكان له من ذلك ما يليق بجلاله"[(2)].

وقال -رحمه الله-: "قال جماعة من العلماء : ولا يجوز أن يشتق لله تعالى من شر ما خلق اسم ولا صفة، ولا من قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ ﴾ [الأحزاب:43] مصلٍ ، ولا يوصف أيضاً بأنه صائم لكونه لا يطعم، ولا شاء من شاء، والبارئ تعالى وإن كان قد اتفق

---

(1) المصدر السابق (16/ 401).

(2) الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، ص(7-15).

جميع الأمة على وصفه بأنه قد شاء ويشاء، فلم يرد في كلامه ولا كلامهم شاء، استغنوا عنه بقولنا: مريد وكل وصف واسم ورد بتعلق الإرادة. وكذلك لم يصفوه بأنه قاصد وإن كانت الإرادة هي القصد، كما لم يصفوه بأنه عارف وبأنه ذاكر، استغنوا عنه بأنه عالم.

ولا يشتق له من الحركة التي يحدثها في المتحركين محرك، ولا من الجراح التي يقدرها جارح، ولا يوصف بأنه شجاع، ولا فصيح ولا خطيب، ولا بليغ ولا حاذق ولا فقيه، ولا يوصف بالغيظ، ويوصف بالغضب، وفي التنزيل: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزُّخرُف:55] أي أغضبونا. وفي حديث الشفاعة: "إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله"[1]. ولا يوصف بالجرأة ولا بأنه صالح، ويوصف بأنه كامل، روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه ويقال: (الله خير من كذا) لقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل:59]، ولا يجوز أن يقال: شفيق؛ لأن الشفقة الحذر والخوف. ولا يسمى بموقن، لأن الموقن من علم بعد الارتياب، ولا يسمى بفهم لأن الفهم السريع التعلم، ولا يجوز أن يقال: عزم الله على كذا؛ لأن العزم هو القطع على الشيء بعد الروية.

وجملة القول أنه لا يجوز أن يسمى الله تعالى ويوصف إلا بما سمى به نفسه لخلقه ووصف، أو سماه به رسوله ووصف، أو أجمع المسلمون عليه، فإذا صح الاسم أو الصفة من طريق السمع فالواجب علينا الانقياد والتسليم له، وكان له من ذلك ما يليق بجلاله"[2].

مما تقدم يتبين لنا أن الإمام القرطبي-رحمه الله- يقرر أن صفات الله عز وجل توقيفية، وينقل على ذلك الإجماع.

7. قول محمد المكي بن عزوز.

قال -رحمه الله-: "صفاته وأسماؤه تعالى توقيفية، فلا يجوز أن يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله"[3].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ ومسلم في كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(2) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ص15/14).

(3) عقيدة التوحيد الكبرى، (ص/190).

فقد بين رحمه الله أن الواجب في صفات الله عز وجل وأسمائه الوقوف على النص، وأنه لا يجوز الاجتهاد في إثبات صفات لم ترد في الشرع.

وقد بين ذلك بقوله: "العقل مخلوق، والمخلوق لا يعرف من صفات خالقه إلا ما عرفه خالقه، فلا يعتقد ولا يتكلم أحد في أمور خالقه إلا ما أذن له فيه؛ فالعقل لا سبيل له إلى الحكم في المباحث الإلهية نفياً وإثباتاً إلا بتلقي علمها من إفادة نبوية"(1).

مما تقدم يتبين أن الشيخ محمد بن عزوز يقرر-رحمه الله- أن صفات الله عز وجل توقيفية يتبع فيها النص الوارد في الكتاب والسنة؛ وأن العقل لا يستقل بإثبات صفات الله عز وجل، وأن عليه أن يكون تابعا للنص، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة.

8. قول الشيخ عبد الحميد بن باديس.

قال -رحمه الله- مبيناً أن صفات الله عز وجل توقيفية يجب الإنتهاء فيها إلى ما جاء به النص: "نثبت له ما أثبته لنفسه على لسان رسله من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه"(2).

وبهذا يتبين أن الشيخ ابن باديس يقرر أن صفات الله عز وجل توقيفية يتبع فيها الكتاب والسنة، فلا نثبت لله من الصفات إلا ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله؛ لأن ذلك من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ومن أطلع عليه من رسله كما هو معتقد أهل الحق.

9. قول العلامة محمد الأمين الشنقيطي.

قال -رحمه الله- في تقرير أن أسماء الله توقيفية: "... والخير كل الخير في اتباع نور هذا القرآن العظيم، والاهتداء بهدي هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم؛ فما أثبته لنفسه نثبته مع غايات التنــزيه، وما أثبته سيد الخلق صلى الله عليه وسلم نثبته مع كمال التنــزيه، وما نفاه ننفيه مع غايات التنــزيه، وما سكت عنه الوحي لم يتعرض له بالكليــة؛ فــإن الله لم يكلفنا في صفاته إلا بما علمنا عن طريق كتابه، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم"(3).

فقد قرر-رحمه الله-أن الواجب على المسلم أن يقف مع نصوص الصفات وفق ما جاءت به نفيا وإثباتا، وما لم يرد نفيه ولا إثباته فيجب التوقف فيه.

---

(1) المصدر السابق، (ص/111).

(2) العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مع شرحها فتح رب البرية، (ص/167).

(3) صفات الله عز وجل، تحقيق: عبد الله الدغيثر، (ص/71).

من خلال هذه النقول عن المحققين من أئمة المالكية نرى أنهم سلفاً وخلفاً يقـــررون أن صفات الله عز وجل توقيفية لا يتجاوز فيها الكتاب والسنة، فما أثبـــت الله لنفســـه مـــن الصفات في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وجب إثباته، وما نفاه سبحانه عن نفسه يجب نفيه مع اعتقاد كمال ضده، ومالم يرد النص في إثباته أو نفيه فيجب التوقف فيه، وهم بذلك يوافقون أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-: "وليس لنا أن نصف الله تعـــالى بمـــا لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله نفيا ولا إثباتا، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون. فالواجب أن ينظر في هذا الباب-أعني باب الصفات- فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، ومـــا نفـــاه الله ورسوله نفيناه. والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني"[1].

(1) شرح الطحاوية، (ص/218).

المبحث الرابع : جهودهم في بيان حكم التعبد بها.

إن من أعظم ثمرات الإيمان بصفات الله عز وجل ظهور آثار هذه الصفات على تصرفات العبد، وإذا علمنا أن العبادة هي غاية التذلل لله عز وجل مع كمال المحبة له سبحانه، وتحقيق التوحيد له عز وجل يتضمن إثبات صفات الكمال له، وأنه سبحانه وحده الذي يستحق أن يعبد، ويخاف منه ويرجى، ويتوكل عليه، حينما يتحقق العبد أنه ليس له من دون ربه وكيل ولا ولي ولا شفيع، وأنه سبحانه ليس بينه وبين عباده واسطة في رفع حوائجهم إليه وتفريج كربهم وإغاثة لهفاهم وإجابة دعواهم؛ أورثه ذلك صدق المحبة لربه والرضا به رباً وإلهاً، وكافياً ومدبراً، فيقصده في جميع حوائجه دون من سواه، ويفوض إليه في كل أموره، ويستسلم له في كل أحواله.

وإذا أيقن أن من صفاته -سبحانه- المحبة والرضا، والفرح والضحك والرحمة، وعلم أنه سبحانه وتعالى يحب المطيعين من عباده، ويرضى عن أهل التوحيد، ويفرح بتوبة التائبين أشد من فرح الفاقد لراحلته التي انفلتت منه في الأرض المهلكة، وعليها طعامه وشرابه، حتى إذا استيئس منها واستسلم للموت لم يرعه إلا رؤيته لها وقد تدلى خطامها فوق رأسه(1). وإذ استيقن أن الله عز وجل يضحك من عباده ضحكاً يليق بجلاله، ويعجب من بعض فعالهم كما في الحديث: "يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الأخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب على القاتل فيستشهد"(2)، واستيقن أن الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة بولدها، كما في الحديث الذي رواه الشيخان من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امراة تبتغي إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار"؟ قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله أرحم بعباده من هذه بولدها"(3).

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب: التوبة، ومسلم في كتاب التوبة، باب: الحث على التوبة والفرح بها.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل. ومسلم في كتاب الإمارة، باب: بيان الرجلان يقتل أحدهما الأخر يدخلان الجنة.

(3) أخرجه البخاري في كتاب: الآدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ومسلم في كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

فإذا تحقق العبد ذلك واستيقنه، أورثه محبةً لربه، وطمعاً في رحمته ورجـــاءاً لمغفرتـــه، وسعياً في مرضاته، وإيثاراً لمحبته على محبة جميع الخلق، ورضاه على رضاهم. وهذا أعظـــم نعيم يدركه العبد في الدنيا، وهو سبب لنيل رضى ربه في الدار الآخرة وهو من أعلى النعيم، كما قال عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 72].

وإذا علم العبد أن ربه عز وجل يغضب على من يتجرأ على معصيته ويتجاوز حدوده، وأنه ينتقم لأوليائه من أعدائه، وأنه سبحانه وتعالى يغار إذا انتهكت محارمه، أورثـــه ذلـــك البعد عن أسباب سخطه وغضبه، وابتعد عن موجبات مقته؛ فيجمع بين الخوف والرجـــاء، وبين المحبة والتعظيم لله عز وجل.

وهكذا الإيمان بجميع صفات الله عز وجل يثمر للعبد ألواناً من العبودية لا يتسع المجال لعدها، ولكن المقصود التذكير بشيء من ذلك.

ولذلك نجد أن أهل السنة والجماعة يقررون هذه المسألة، ويرون أهما من أعظم ما يعين على تحقيق العبودية لله عز وجل، ومؤلفاهم ورسائلهم وأقوالهم شاهدة بذلك.

وأئمة المالكية كغيرهم من أهل السنة والجماعة يقررون التعبد لله عز وجـــل بمقتضـــى صفاته العليا، ومن أمثله ذلك ما يلي:

1. قول ابن رشد.

قال -رحمه الله- مبيناً أثر التعبد لله عز وجل بمعرفته ومعرفة صفاته، وأن ذلك سبب لخوفه ورجائه، الذين هما من أجل مراتب العبودية:

"فالعلم بالله وصفاته أشرف من العلم بكل معلوم من جهة أن متعلقه أشرف المعلومات وأكملها، ولأن ثماره أفضل الثمار، فإن معرفة كل صفة من الصفات توجب حالاً عليـــه، وينشأ من تلك الحال ملابسة أخلاق سنية ومجانبة أخلاق دنية؛ فمن عرف ســـعة الرحمـــة أثمرت معرفته سعة الرجاء، ومن عرف شدة النقمة أثمرت معرفته شدة الخوف، وأثمر خوفه الكف عن الإثم والفسق والعصيان، مع البكاء والأحـــزان والـــورع، وحســـن الانقيـــاد والاذعان"[1].

---

(1) فتاوى ابن رشد (1625/3).

فقد قرر-رحمه الله- أن التعبد لله عز وجل بمقتضى ما له من صفات عليا يثمر للعبد أجل أنواع العبودية التي هي الغاية من خلق الجن والإنس، وبمقدار معرفة العبد لصفات ربه يكون اثر ذلك في عبوديته لربه عز وجل.

2. قول ابن جزي المالكي.

قال -رحمه الله-: "اعلم أن سبب محبة الله معرفته، فتقوى هذه المحبة على قدر المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة، فإن الموجب للمحبة أحد أمرين، وكلاهما إذا اجتمع في شخص من خلق الله تعالى كان في غاية الكمال:

- الموجب الأول: الحسن والجمال.
- والآخر: الإحسان والإجمال.

فأما الجمال فهو محبوب بالطبع، فإن الإنسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن، والإجمال: مثل جمال الله في حكمته البالغة وصناعته البديعة، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار، التي تروق العقول وتهيج القلوب، وإنما يدرك جمال الله بالبصائر لا بالأبصار[1].

وأما الإحسان: فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وإحسان الله إلى عباده متواتر، وإنعامه عليهم باطن وظاهر، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم:34]. ويكيفك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي والمؤمن والكافر، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو في الحقيقة منه، وهو المستحق للمحبة وحده"[2].

فقد بين -رحمه الله تعالى- أن معرفة الله عز وجل، ومعرفة صفاته، يدعو العبد لمحبته، فهو ذو الفضل والإحسان، وصفاته سبحانه في غاية الحسن والكمال والجمال، ثم بين -رحمه الله- أثر هذه المحبة بقوله: " واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح، من الجد في طاعة الله، والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذذ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوق للقائه، والأنس بذكره"[3].

---

(1) الواجب أن يقيد هذا في الدنيا، فقد ثبت أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة بأبصارهم، وتكون تلك الرؤية أجل نعيم يحصل لهم فيها.

(2) انظر جهود علماء المالكية في تقرير توحيد العبادة، للشيخ عبدالله بن فهد العرفج، (ص/217).

(3) التسهيل (1/ 118).

3. قول الطاهر بن عاشور.

قال -رحمه الله- مبيناً أن محبة الله عز وجل تثمر عبادته التي هي غاية السعادة التي ينشدها المكلف، وأن واجد محبة الله سبحانه واجد لحلاوة الإيمان، بخلاف من لم يكن كذلك. وأن السبب في ذلك هو معرفة صفاته عز وجل: "فإننا نسمع بصفات مشاهير الرجال مثل: الرسل، وأهل الخير، والذين نفعوا الناس، والذين اتصفوا بمحامد الصفات كالعلم والكرم والعدل، فنجد من أنفسنا ميلاً إلى ذكرهم، ثم يقوى ذلك الميل حتى يصير محبة منا إياهم، مع أننا ما عرفناهم؛ ألا ترى أن مزاولة كتب الحديث والسيرة مما يقوي محبة المزاول في الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك صفات الخالق تعالى لما كانت كلها كمالات وإحساناً إلينا وإصلاحاً لفاسدنا، أكسبنا اعتقادها إجلالاً لموصوفها، ثم يذهب ذلك الإجلال يقوى إلى أن يصير محبة. وفي الحديث: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"[(1)]، فكانت هذه الثلاثة من قبيل المحبة، ولذلك جعل عندها وجدان حلاوة الإيمان، أي وجدانه جميلاً عند معتقده"[(2)].

مما تقدم يتضح حكم التعبد لله عز وجل بصفاته عند ابن عاشور، وأنه يرى أن معرفة صفات الله عز وجل من أقوى الأسباب الجالبة لمحبته، ومحبته سبحانه من أعظم أنواع العبودية له.

4. قول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

قال -رحمه الله- في بيان حكم التعبد بصفات الله عز وجل واستحضارها، وما تتضمنه من المعاني والآداب التي تثمر الخوف من الله عز وجل، والخوف عبادة عظيمه من أجل العبادات، كما تثمر قوة الرجاء وهو عبادة عظيمة كذلك.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: حلاوة الإيمان، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

(2) التحرير والتنوير، (3/ 255) وانظر جهود علماء المالكية في تقرير توحيد العبادة، تأليف: الشيخ/ عبدالله بن فهد العرفج، (ص/219).

ثم قال: "... ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ هو السميع لكل ما يقوله خلقه، العليم بكل ما يعمله خلقه. وقد قدمنا في هذه الدروس مراراً أنه جرت العادة في القرآن: أن الله لا يذكر آيات تتضمن أوامر ونواهي إلا وترى بعدها الواعظ الأكبر، والزاجر الأعظم؛ لأنه لا خلاف بين العلماء أنه لا يوجد واعظ أكبر، ولا زاجر أعظم من زاجر المراقبة والعلم. وهو أن يعلم هذا الإنسان المسكين أن خالق السماوات والأرض مطلع عليه، يعلم ما يسر وما يعلن، حتى ما يخطر في قلبه فهو يعلمه (جل وعلا)، إن الله يعلم خطرات القلوب، وكيف يجهل خطرات القلوب من هو خالق خطرات القلوب؟ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلك:14] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:16]. فالله يقول لنا في كل موضع من كتابه، لا تكاد تقلب ورقة واحدة من المصحف الكريم إلا وجدت فيها هذا الواعظ الأكبر، والزاجر الأعظم (سميع عليم)، (عليم حكيم)، (سميع بصير) يعلم كذا، لا تكاد تجد ورقة إلا فيها أن الله يعلم ما نفعل، وهذا أكبر واعظ، وأعظم زاجر.

ثم أراد -رحمه الله- أن يقرب هذا الأمر إلى النفوس بضرب الأمثلة فقال: "وقد ضرب العلماء لهذا مثلاً، قالوا: لو فرضنا أن في هذا البراح من الأرض ملكاً عظيماً شديد البأس، عظيم النكال، شديد الغضب إذا انتهكت حرماته، قتالاً للرجال، سفاكاً للدماء وحوله سيافه، والنطع مبسوط، والسيف يقطر دماً، وحول هذا الملك بناته ونساؤه وجواريه، أيخطر في البال أن أحداً من الحاضرين يطل بريبة أو غمزة، أو إشارة عين ؟ ! لا وكلاً، كلهم خاضع الطرف، خاشع الجوارح، أمنيته السلامة.

ونحن نؤكد لكم أن خالق السماوات والأرض أعظم اطلاعاً وأشد بطشاً، وأفظع فتكاً إذا انتهكت حرماته جل وعلا(1).

ثم بين -رحمه الله- ثمرة الخوف من الله عز وجل، الذي سببه علم العبد بأنه مطلع عليه، ويعلم ما يخفيه وما يعلنه، وأنه عليم بذات الصدور. فقال: "فعلى الإنسان أن يعلم أن هذا الواعظ الأكبر، والزاجر الأعظم، أن ربه يسمع ما يقول، ويعلم ما ينوي وما يفعل؛ إذا علم الإنسان هذا فإنه يحاسب ويطيع ربه.

---

(1) انظر تفسير الآية (59) من سورة الأنعام. العذب النمير، (392/1).

فلو علم أهل بلد من البلاد أن أمير ذلك البلد يعلم كل ما يفعلونه بالليل من الخسائس والدسائس، باتوا متأدبين، كافين عن كل ما لا ينبغي. وهذا خالق السماوات والأرض -مع عظمته وجلاله- بين لخلقة أنه مطلع عليهم، عالم بما يفعلون،ومع هذا لا يتأدبون ولا ينزجرون، فهذه وقاحة عظمى وجهل كبير، ولأجل هذا أنتم تعلمون في آيات من كتاب الله أن الله بين أن الحكمة التي خلق من أجلها الخلائق والموت والحياة والسماوات والأرض هي: أن يبتليهم على ألسنة رسله، أيهم يحسن العمل ممن لا يحسنه، كما قال تعالى في أول سورة هود: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ ثم بين الحكمة فقال: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:7]، وقال في أول سورة الكهف﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ ثم بين الحكمة فقال:﴿لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:7]، وقال في أول سورة الملك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ ثم بين الحكمة فقال: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك:2].

وإذا عرف العاقل أن خالق السماوات والأرض خلقه ليبلوه ويختبره: أهو يحسن العمل أم لا يحسنه؟ وربنا يقول: ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا﴾ و لم يقل: (أيكم أكثر عملا)؛ فلا بد أن يقول الإنسان: يا ليتني عرفت الطريق التي أنجح بها في هذا الاختبار، ويكون عملي حسناً، ولأجل هذه المهمة العظمى، لما غفل عنها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، جاء جبريل -عليه السلام- في صفة أعرابي في حديثه المشهور الصحيح، ليبين لهم ضمن حديثه المشهور: يا محمد صلوات الله وسلامه عليه، أخبرني عن الإحسان. يعني: والإحسان هو الذي خلق الخلق من أجل الاختبار فيه، فالنبي صلى الله عليه وسلم بين أن الإحسان الذي خلق الخلق للاختبار فيه لا يمكن أن يحصل إلا بهذا الزاجر الأعظم والواعظ الأكبر(1).

وقال -رحمه الله- مبيناً حكم التعبد بصفات الله عز وجل: "وهذه الصفات الجامعة: كالعلو، والكبر والعظم، والملك والجبروت، كل هذا جاء في القرآن العظيم وصف الخالق والمخلوق به، فقد وصف تعالى نفسه بالعلو والكبر والعظم، قال في وصف نفسه بالعلو والتعظيم: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِىُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة:255] وقال وفي وصف نفسه بالعلو والكبر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:34] ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد:9].

---

(1) العذب النمير، (2/191-193).

ثم بين -رحمه الله- أن الله أمر رسوله أن يبين للناس عظمة خالقهم، ووجوب خوفهم منه، وأنه مطلع عليهم لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، وأمره أن يجمع لهم بين الخوف والرجاء فقال: (فإن كذبوك وتمردوا وكفروا فقل لهم، رغبهم ورهبهم، وأجمع لهم بين الوعد والوعيد، فأخبرهم أن ربك واسع الرحمة لمن أطاعه يرحمه ويدخله جنته، شديد العقاب والنكال لمن عصاه؛ لأن مطامع العقلاء محصورة في أمرين: هما جلب النفع ودفع الضر، ومن أمثال العرب: " سوط وتمرة" ليكون الخوف والرجاء جناحين يطير بهما الإنسان إلى أمتثال أمر الله. هذا الملك الجبار الذي أدعوكم إليه رحيم، عظيم الرحمة الواسعة لمن أطاعه، شديد النكال والبأس لمن عصاه، فعليكم أن تخافوا بأسه ونكاله، وتطمعوا في رحمته فتطيعوه.

قال بعض العلماء: ومن معاني قوله: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام:147] حيث أمهلكم وأغدق عليكم نعمه، وأعطاكم العافية والإمهال، وأنتم تكذبون رسله وترتكبون مساخطه، وتتمردون عليه، فما أرحمه وما أعظم لطفه (جل وعلا)؛ إلا أنه قال: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إذا أراد بطشاً بقوم مجرمين لا يرد بأسه عنهم، ﴿بَأْسُهُۥ﴾ أي: عذابه ونكاله، لا يقدر أحد أن يرده لا بقوة ولا بشفاعة، ولا بغير ذلك، كبأس غيره من ملوك الدنيا الذي يرد بأسه بالقوة، ويرد بالشفاعة من غير إذن، فهو إذا أراد بقوم سوءاً فلا مرد له.

وكثير في القرآن أن يجمع الله بين الوعد والوعيد ،يجمع بين الخوف والطمع، كقوله هنا: ﴿ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وقوله في آخر هذه السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:165]، ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:49-50]. ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ، غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: 2-3]، وقوله جل وعلى:﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد:6]، إلى غير ذلك من الآيات[1].

(1) المصدر السابق، (408/2).

وبهذه النقول يتبين تقرير أئمة المالكية المحققين سلفاً وخلفاً حكم التعبد بصفات الله عز وجل، وأنهم يرون جواز ذلك، بل يرونه واجباً؛ لأن عبادة الله عز وجل هي المقصد من خلق الجن والإنس كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]، ولأن العبد كلما كان بربه أعرف، كان منه أخوف، ولما يرضيه أسرع.

وهذا الذي يقرره المحققون من أئمة المالكية هو الذي عليه أئمة السلف –رحمهم الله تعالى.

يقول الإمام بن القيم –رحمه الله– مبيناً ثمرة معرفة العبد لربه وهو تحقيق العبودية له سبحانه: "فمن شهد مشهد علو الله على خلقه، وفوقيته لعباده، واستوائه على عرشه، كما أخبر به أعرف الخلق وأعلمهم به، الصادق المصدوق، وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج القلب إليه، مناجياً له مطرقاً واقفاً بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلامه وعمله صاعد إليه، معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه، فيستحى أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير من الإماتة والإحياء، والتولية والعزل، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، وكشف البلاء وإرساله، وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس– إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسمه نافذة فيها كما يشاء ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:5].

فمن أعطى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به، وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات، ولا في قرار البحار، ولا تحت أطباق الجبال، بل أحاط بذلك علمه علما تفصيليا، ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإراداته، وجميع أحواله وعزماته وجوارحه، وعلم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإراداته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه، علانية له، بادية لا يخفى عليه منها شيء.

وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه سبحانه لأصوات عباده على اختلافها وجهورها وخفائها، وسواء عنده من أسر القول ومن جهر به، لا يشغله جهر من جهر عن سمعه لصوت من أسر، ولا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها، بل هي عنده كلها كصوت واحد، كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة، وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير جل جلاله،

الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حندس الظلماء، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة ومخها وعروقها ولحمها وحركتها، ويرى مد البعوضة جناحها في ظلمة الليل، وأعطى هذا المشهد حقه من العبودية بحرس حركاتها وسكناتها، وتيقن أنه بمرأى منه سبحانه ومشاهدة لا يغيب عنه منه شيء.

وكذلك إذا شهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال، وأنه قائم على كل شيء وقائم على كل نفس، وأنه تعالى هو القائم بنفسه، المقيم لغيره، القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره، وإيصال جزاء المحسن إليه وجزاء المسيء إليه، وأنه لكمال قيوميته لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يضل ولا ينسى.

وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين، وهو مشهد الربوبية. وأعلى منه مشهد الإلهية الذي هو مشهد الرسل وأتباعهم الحنفاء، وهو شهادة أن لا إله إلا هو، وأن إلهية ما سواه باطل ومحال، كما أن ربوبية ما سواه كذلك، فلا أحد سواه يستحق أن يؤله ويعبد، ويصلى له ويسجد، ويستحق نهاية الحب مع نهاية الذل لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، فهو المطاع وحده على الحقيقة، والمألوه وحده، وله الحكم وحده، فكل عبودية لغيره باطلة وعناء وضلال، وكل محبة لغيره عذاب لصاحبها، وكل غنى لغيره فقر وفاقة، وكل عز بغيره ذل وصغار، وكل تكثر بغيره قلة وذلة. فكما استحال أن يكون للخلق رب غيره، فكذلك استحال أن يكون لهم إله غيره، فهو الذي انتهت إليه الرغبات وتوجهت نحوه الطلبات، ويستحيل أن يكون معه إله آخر؛ فإن الإله على الحقيقة هو الغني الصمد الكامل في أسمائه وصفاته، الذي حاجة كل أحد إليه ولا حاجة به إلى أحد، وقيام كل شيء به وليس قيامه بغيره[1].

---

(1) طريق الهجرتين، (ص42/-43).

المبحث الخامس : جهودهم في بيان حكم الحلف بها.

تقدم تعريف الحلف وأنه: تأكيد الشيئ بذكر معظم بصفة مخصوصة، باستعمال أحد حروف القسم وهي الواو والياء والتاء. وقد أجمع أهل السنة على تحريم جواز الحلف بغير الله عز وجل وإباحة الحلف بالله، أو باسم من أسمائه الحسنى، أو صفة من صفاته العليا، حيث جاءت النصوص الصحيحة الصريحة بالنهي عن الحلف بغير الله وجواز الحلف بالله عز وجل. فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"[1]، وعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: "كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم لا ومقلب القلوب"[2]، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله"[3]، وعن عائشة -رضي الله عنها- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ياأمة محمد، والله لو تعلمون ماأعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلا"[4].

وقد بوب الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه باباً لبيان جواز الحلف بصفات الله عزوجل فقال: باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، وذكر تحته أحاديث تدل على جواز الحلف بصفات الله عزوجل منها:

- حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أعوذ بعزتك"[5].

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في كتاب الفتن، باب: لاتقوم الساعه حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

(4) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في كتاب الكسوف، باب: صلاة الكسوف.

(5) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (وهو العزيز الحكيم) ومسلم في كتاب الذكر والدعاء . باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر مالم يعمل.

- حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم: "يبقى رجل بين الجنة والنار، فيقول: يارب اصرف وجهي عن النار. لا وعزتك لا أسألك غيرها"(1).

- حديث أنس -رضي الله عنه- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لاتزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قط قط، وعزتك، ويزوي بعضها على بعض"(2).

فهذه النصوص وغيرها كثير تدل على جواز الحلف بصفات الله عزوجل كما هو قول أهل السنة والجماعة.

والمحققون من أئمة المالكية لايخرجون عما يقرره أهل السنة في هذا الباب، ومما جاء عنهم في تقرير ذلك ما يلي:

1. قول القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي.

قال رحمه الله: "الحلف الجائز هو بالله وبصفات ذاته، والحلف بغيره ممنوع: كالحلف بالأنبياء أو الأباء أو الكعبة، أو ما أشبه ذلك من المخلوقات، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لاتحلفوا بآبائكم ولابأمهاتكم، ولاتحلفوا الابالله، ومن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"(3). والمحلوف به ضربان: قديم ومحدث، فالقديم هو صفات الله تعالى وصفات ذاته، والكفارة تتعلق بهذا الضرب دون غيره، والمحدث ماعدا الباري وصفاته، فلا كفارة بشيء من ذلك.

وقال: "... وجميع أسمائه تعالى تتعلق بها الكفارة: كالرحمن والرحيم، والعزيز والسميع والعليم، وما أشبه ذلك، وكذلك صفات ذاته: كعلمه وقدرته، وجلاله وعظمته، وكبريائه وعزته وكلامه وعهده وميثاقه، وكفالته وحقه، وسائر صفات ذاته؛ وإنما قلنا ذلك لأنها يمين بتقديم غير مخلوق، فكان كالحلف بالذات"(4).

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الآذان، باب: فضل السجود. ومسلم في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريقة الرؤية.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب: الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته. ومسلم في كتاب (الجنة)، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(3) تقدم تخريجه.

(4) المعونة على مذهب عالم المدينة، (1/ 629-630).

مما تقدم يتبين أن القاضي -رحمه الله- يرى جواز الحلف بصفات الله عزوجل، وعدم جواز الحلف بغيره سبحانه، وأن الحلف بصفاته عزوجل موجب للكفارة عند حصول الحنث؛ لأن الصفة تتبع الموصوف. ومن المتقرر عن أهل السنة تحريم الحلف بغير الله.

2. قول الحافظ ابن عبد البر.

قال -رحمه الله- مبيناً حكم الحلف بصفات الله عزوجل، وناقلاً إجماع العلماء على جواز ذلك:

"فالذي أجمع عليه العلماء في هذا الباب هو أنه: من حلف بالله، أو باسم من أسماء الله، أو بصفة من صفاته، أو القرآن أو بشئ منه، فحنث فعليه كفارة يمين على ما وصف الله في كتابه من حكم الكفارة، وهذا ما لا خلاف فيه عند أهل الفروع، وليسوا في هذا الباب بخلاف.

وأجمع العلماء على أن تصريح اليمين بالله هو قول الحالف بالله، أو والله، أو تالله. واختلفوا فيمن قال: والله والله والله، أو والله والرحمن، أو والرحمن والرحيم، أو والله والرحيم الرحمان. فتحصيل مذهب مالك وأصحابه في ذلك، وهو قول الأوزاعي والبتي، أنها يمين واحدة أبداً إذا كرر شيئا مما ذكرنا؛ إلا أن يكون أراد استثناء يمين، فيكون كذلك، وسواء كان ذلك في مجلس واحد أو مجالس. وقال الشافعي: في كل يمين كفارة إلا أن يكون أراد التكرار. وقال أبو حنيفة: إذا قال والله والرحمان، فهما يمينان إلا أن يكون أراد اليمين الأولى فتكون يمينا واحدة، ولو قال: والله الرحمن كانت يمينا واحدة.

قال أبو عمر: "لا يختلفون فيمن قال: والله العظيم الرحمن الرحيم، ونحو هذا من صفاته عزوجل، أنهما يمين واحدة؛ وإنما اختلفوا إذا أدخل الواو. وقال زفر: إذا قال والله الرحمان كانت واحدة ...

واختلفوا فيمن حلف بحق الله، أو بعهد الله أو ميثاقه، أو نحو ذلك:

فقال مالك: من حلف بحق الله فهي يمين، قال: وكذلك عهد الله وميثاقه، وكفالته وعزته وقدرته وسلطانه، وجميع صفات الله وأسمائه، هي أيمان كلها فيها الكفارة، وكذلك لعمر الله، وأيم الله.

وقال الشافعي في حق الله، وجلال الله، وعظمته وقدرته: يمين إن نوى بها اليمين، وإن لم يرد اليمين فليست بيمين؛ لأنه يحتمل وحق الله واجب، وقدرة الله ماضية. وقال في أمانة الله: ليست بيمين، وفي لعمر الله وأيم الله: إن لم يرد بها اليمين فليست بيمين.

وقال الأوزاعي: من قال لعمر الله وأيم الله[1] لأفعلن كذا، ثم حنث فعليه كفارة يمين"[2]

قال ابن عبد البر: "وذكر مالك في هذا الباب أنه بلغه أن رسول الله صلى عليه وسلم كان يقول: "لاومقلب القلوب""[3].

قال أبو عمر: "هذا يدل على صحة قول الفقهاء: أن الحلف بصفات الله تعالى جائز تجب فيه الكفارة؛ لأنها منه تعالى ذكره[4].

وهكذا يتبين أن الحافظ بن عبد البر يقرر جواز الحلف بصفات الله عز وجل، وينقل إجماع أهل العلم على ذلك.

3. قول ابن رشد.

قال -رحمه الله- في كتاب البيان والتحصيل الذي شرح فيه العتبية، مقرراً جواز الحلف بصفات الله عز وجل:

وقال في الذي يقول: لعمر الله وأيم الله، إني أخاف أن يكون يميناً.

قال أصبغ: هي يمين إذا حلف بذلك ليفعلن أو لا يفعل فحنث.

قال محمد بن أحمد: أما أيم الله فلا إشكال في أنها يمين؛ لأن أيمن الله، وأيم الله، ومن الله، كلها لغات للعرب في القسم. فمن النحاة من ذهب إلى أن الأصل فيها عندهم أيمن الله جمع يمين، ثم حذفوا على عادتهم في الحذف ما كثر استعماله فقالوا: أيم الله لا فعلت أو لأ فعلن، كما قالوا: يمين الله لا فعلت أو لأ فعلن، كما قال الشاعر:

فقلت يمين الله أبـرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي.

---

(1) وقد جاء في السنه مايدل على جواز الحلف بلفظ (وأيم الله) كما عند البخاري، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "وأيم الله"، ثم ذكر حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمرته، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إن كنتم تطعنون في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة". الحديث خرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل زيد بن حارثه وأسامة بن زيد.

(2) التمهيد، (14/369-372).

(3) الاستذكار، (15/99).

(4) المصدر السابق، (15/101).

ومنهم من ذهب إلى أن ألف أيمن وصل، وإنما فتحت لدخولها على اسم غير متمكن، واشتقاقه من اليمن والبركة؛ وأما لعمر الله، ففي القول بأنها يمين نظر؛ لأن الأيمان التي تكون أيماناً ويجب فيها كفارة: اليمين بالله عز وجل، باسم من أسمائه وصفة من صفات ذاته كعلمه، وقدرته وإرادته، وحياته، وما أشبه ذلك من صفاته. والعمر هو العمر، وليس ذلك بصفة لله تعالى؛ إذ لا يوصف بأنه ذو عمر بإجماع من الأمة. فوجه قوله في لعمر الله إنها يمين هو: أن الحالف بذلك محمول على أنه أراد بعمر الله بقاء الله تعالى.

ثم قال مقرراً صفة البقاء لله عز وجل: "والذي عليه الأكثر والمحققون، إثبات البقاء صفة لله، ونفي أن يكون القدم صفة لله. وقال: أخشى أن يكون يميناً إذ من أهل العلم من يثبته صفة لله تعالى. وذهب أصبغ إلى قول من أثبته صفة لله، فحقق القول بأن ذلك يمين، وهو مثل ما في المدونة لابن قاسم.

وقال في الذي يحلف بالقرآن، أو بالكتاب، أو بالمصحف، أو بما أنزل الله، أفترى ذلك كله يميناً واحدة؟ فقال: أحسن ما سمعت، والذي تكلمنا فيه، أن يكون يميناً كل ما سمي من ذلك.

وقال فيمن حلف فقال: علي عهد الله وغليظ ميثاقه وكفالته، "في المسألة التي قبل هذه في الذي يحلف بالقرآن والكتاب والمصحف يمين واحدة، وإنما لم يوجب في قوله: وكفالته كفارة ثالثة؛ لأنه حمل يمينه على أنه أتى بكفالته، مخفوضة عطفا على ميثاقه، فلم يوجب على نفسه إلا شيئان: أحدهما عهد الله، والثاني غليظ ميثاقه وكفالته. ولو حمل على أنه أتى بها مرفوعة مقطوعة، معطوفة على العهد والميثاق، لأوجب عليه فيها كفارة ثالثة؛ لأنه بذلك يكون موجباً لها على نفسه كالعهد وغليظ الميثاق.

وقول ابن القاسم: أحسن ما سمع وتكلم فيه، في الذي يحلف بالقرآن أو بالكتاب أو بالمصحف، أن يكون يمينا كل ما سمي من ذلك، ظاهره أنه إذا جمعها في يمين واحدة فقال: وحق القرآن والكتاب والمصحف، لا فعلت كذا وكذا، أو لأفعلن، فحنث أن عليه ثلاث كفارات لاختلاف التسميات، وإن كان المحلوف به واحداً وهو كلام الله تعالى القديم. وهو خلاف قول سحنون في نوازله: من حلف بالتوراة والإنجيل في كلمة واحدة أن عليه كفارة واحدة.

ويلزم على ظاهر قول ابن القاسم هذا أن يلزم الرجل إذا قال: والله والرحمان والسميع والعليم، لا فعلت كذا، فحنث أربع كفارات لاختلاف التسميات أيضاً، وإن كان المحلوف به واحداً وهو الله عز وجل. وليس في المدونة في هذا بيان.

وذهب أبو إسحاق التونسي إلى أنه لا يجب في ذلك إلا كفارة واحدة؛ لأن المحلوف به واحد. قال: وكذلك الصفات إذا كان معناها واحداً مثل العظمة والجلال والكبرياء، وأما إن كانت معانيها مختلفة كالقدرة والعلم والإرادة، فعليه إذا جمعها في يمين واحدة كفارة لكل ما سمي منها؛ لأن كل واحد منها تفيد معنى في الموصوف بخلاف معنى الآخر، وليس بين الصفات المختلفة المعاني والأسماء المشتقة منها فرق؛ لأن الاسم المشتق من الصفة يفيد معناها، فإذا وجبت في الحلف بعلم الله، وقدرته، وإرادته، في يمين واحدة ثلاث كفارات من أجل أن كل صفة تفيد في الموصوف صفة تخالف الصفة الأخرى، وجب أيضاً في الحلف بالعالم، والقادر، والمريد، في يمين واحدة ثلاث كفارات من أجل أن كل اسم منها يفيد في المحلوف به صفة تخالف ما يفيده الاسم الآخر من الصفة[1].

فقد قرر-رحمه الله- حكم الحلف بصفات الله عز وجل وأن من حلف بصفة منها ثم حنث وجبت عليه الكفارة، وهذا هو منهج أهل الحق.

4. قول ابن العربي.

قال -رحمه الله- مبيناً جواز الحلف بصفات الله عز وجل: " اليمين تنعقد بالله تعالى، وصفاته العليا، وأسمائه الحسنى كيفما ترددت العبارة عنها، قال الرسول صلى الله وسلم عليه وسلم: "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"[2]، تأديباً لعمر بن الخطاب-رضي الله عنه- حين سمعه يحلف بأبيه"[3].

ثم قال رحمه الله: "... لما كانت اليمين بالله تعالى مشروعة في كتابه، مبيناً حكمها، جارياً على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لفظها، استقرت ديناً، وبين حكمها يقيناً، فلم يتطرق إليها اختلاف"[4].

---

(1) البيان والتحصيل، (3/173- 179) بتصرف.

(2) تقدم تخريجه.

(3) القبس موطأ مالك بن أنس، (2/ 610).

(4) المصدر السابق، (2/ 611).

فقد قرر القاضي أبو بكر بن العربي -رحمه الله تعالى- جواز الحلف بالله ،وبأسمائه، وصفاته، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد الأمة ممثلة في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى الحلف بالله عز وجل، والحلف بالله يشمل الحلف بأسمائه وصفاته؛ لأن الصفة تابعة للموصوف، فإذا جاز الحلف بالله جاز الحلف بصفاته عز وجل.

5. قول القاضي عياض.

قال -رحمه الله- عند شرحه حديث عبد الله بن مسعود في ذكر أخر رجل يدخل الجنة، وفيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فيقول: وعزتك لا أسأل غير ذلك" الحديث[1]. قوله: "لا وعزتك"، قال القاضي: فيه دليل على جواز الحلف بصفات الله، وكذلك في الحديث الذي بعده في قوله: "وعزتي وكبريائي"[2].

فقد قرر -رحمه الله- جواز الحلف بصفات الله عز وجل، كغيره من أئمة المالكية -رحم الله الجميع-.

6. قول أبي العباس أحمد بن عمر بن براهيم القرطبي.

قال رحمه الله عند شرحه لحديث عمر -رضي الله عنه- "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"[3]: "لا يفهم منه قصر اليمين الجائزة على الحلف بهذا الاسم فقط، بل حكم جميع أسماء الله تعالى حكم هذا الاسم، فلو قال: والعزيز، والعليم، والقادر، والسميع، والبصير، لكانت يميناً جائزة، وهذا متفق عليه. وكذلك الحكم في الحلف بصفات الله تعالى كقوله: وعزة الله، وعلمه، وقدرته، وما أشبه ذلك، مما يتمحض فيه الصفة لله، ولاينبغي أن يختلف في هذا النوع أنها أيمان كالقسم الأول. وأما ما يضاف إلى الله تعالى مما ليس بصفة له، كقوله: وخلق الله، ونعمته، ورزقه، وبيته، فهذه ليست بأيمان جائزة؛ لأنها حلف بغير الله عزوجل على ما تقدم. وبين هذين القسمين قسم آخر متردد بينهما، فاختلف فيه لتردده كقوله: وعهد الله، وأمانته، وكفالته، وحقه، فعندنا أنها أيمان ملحقه بالقسم الأول"[4].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: فضل السجود، ومسلم في كتاب الأيمان، باب: آخر أهل النار خروجاً.

(2) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، (368/1).

(3) تقدم تخريجه.

(4) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (123/7).

فقد قرر -رحمه الله- جواز الحلف بصفات الله عز وجل، كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

7. قول الإمام أبي عبدالله القرطبي.

قال -رحمه الله- مبيناً حكم اليمين بالله وصفاته، في معرض كلامه على أحكام اليمين:

"**الثامنة:** المحلوف به هو الله سبحانه وتعالى، وأسمائه الحسنى: كالرحمن والرحيم، والسميع والعليم والحكيم، ونحو ذلك من أسمائه، وصفاته العليا: كعزته وقدرته، وعلمه وإرادته، وكبريائه وعظمته، وعهده وميثاقه، وسائر صفات ذاته؛ لأنها يمين بقديم غير مخلوق، فكان الحالف بها كالحالف بالذات. روى الترمذي والنسائي وغيرهما أن جبريل عليه السلام لما نظر إلى الجنة ورجع إلى الله تعالى قال: "وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. وكذلك قال في النار: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها".

وخرجا أيضاً وغيرهما عن ابن عمر قال: كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم "لا ومقلب القلوب"، وفي رواية: "لا ومصرف القلوب".

وأجمع أهل العلم على أن من حلف فقال: والله، أو بالله، أو تالله، فحنث أن عليه الكفارة. قال ابن المنذر: وكان مالك والشافعي وأبو عبيد وأبو ثور وإسحق وأصحاب الرأي يقولون: من حلف باسم من أسماء الله وحنث فعليه الكفارة، وبه نقول، ولا أعلم في ذلك خلافاً.

قلت : قد نقل في باب ذكر الحلف بالقرآن، وقال يعقوب: من حلف بالرحمن فحنث فلا كفارة عليه. قلت: والرحمن من أسمائه سبحانه مجمع عليه ولا خلاف.

التاسعة: واختلفوا في وحق الله، وعظمة الله، وقدرة الله، وعلم الله، ولعمر الله، وأيم الله؛ فقال مالك: كلها أيمان تجب فيها الكفّارة.

وقال الشافعي: في وحق الله، وجلال الله، وعظمة الله، وقدرة الله، يمين إن نوى بها اليمين، وإن لم يرد اليمين فليست بيمين؛ لأنه يحتمل وحق الله واجب، وقدرته ماضية. وقال في أمانة الله: ليست بيمين، ولعمر الله وأيم الله إن لم يرد بها اليمين فليست بيمين.

وقال أصحاب الرأي: إذا قال: وعظمة الله، وعزة الله، وجلال الله، وكبرياء الله، وأمانة الله، فحنث فعليه الكفارة.

وقال الحسن في وحق الله: ليست بيمين ولا كفّارة فيها، وهو قول أبي حنيفة، حكـاه عنه الرّازي. وكذلك عهد الله وميثاقه وأمانته ليست بيمين. وقال بعض أصحابه: هي يمين. وقال الطحاويّ: ليست بيمين، وكذا إذا قال: وعلم الله، لم يكن يميناً في قول أبي حنيفـة، وخالفه صاحبه أبو يوسف فقال: يكون يميناَ.

قال ابن العربي : والذي أوقعه في ذلك أن العلم قد يطلق على المعلوم، وهو المحدث، فلا يكون يميناً. وذهل عن أن القدرة تطلق على المقدور، فكل كلام له في المقدور فهو حجتنا في المعلوم.

وقال ابن المنذر : وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "وأيم الله؛ إن كـان لخليقاً للإمارة" في قصّة زيد وابنه أسامة. وكان ابن عبّاس يقول: وأيم الله، وكذلك قال ابن عمر. وقال إسحق: إذا أراد بأيم الله يميناً، كانت يميناً بالإرادة وعقد القلب.

العاشرة: واختلفوا في الحلف بالقرآن؛ فقال ابن مسعود: عليه بكل آية يمين، وبه قـال الحسن البصريّ وابن المبارك. وقال أحمد: ما أعلم شيئا ًيدفعه. وقال أبو عبيد: يكون يمينـاً واحدة. وقال أبو حنيفة: لا كفّارة عليه. وكان قتادة يحلف بالمصحف. وقال أحمد وإسحاق لا نكره ذلك.

الحادية عشرة: لا تنعقد اليمين بغير الله تعالى وأسمائه وصفاته[1].

مما تقدم يتبين أن الإمام القرطبي –رحمه الله– يقرر جواز الحلف بصفات الله عز وجل. ومما يؤيد ذلك ما ذكره من أقوال أهل العلم الذين يرون جواز الحلف بصـفات الله عـز وجل، وعدم تعقبهم، مما يدل على أنه يرى ذلك.

8. قول الطاهر بن عاشور.

قال –رحمه الله–: "الأيمان جمع يمين، و اليمين القسم والحلف، وهو ذكر اسم الله تعالى، أو بعض صفاته، أو بعض شئونه العليا، أو شعائره؛ فقد كانت العرب تحلف بالله، و برب الكعبة، و بالهدي، وبمناسك الحج. والقسم عندهم بحرف من حروف القسم الثلاثة: الـواو والباء والتاء، وربما ذكروا لفظ حلفت أو أقسمت، وربما حلفوا بدماء البدن، وربما قـالوا: والدماء، وقد يدخلون لاماً على عمر الله، يقال: لعمر الله، يراد به التزام فعل، أو براءة مـن حق. وقد يحلفون بأشياء عزيزة عندهم لقصد تأكيد الخبر أو الالتزام، كقـولهم: وأبيـك، وعمرك ولعمري، ويحلفون بآبائهم. ولما جاء الإسلام نهى عن الحلف بغير الله.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، (6/269-270).

ومن عادة العرب في القسم، أن بعض القسم يقسمون به على التزام فعل يفعله المقسم ليلجئ نفسه إلى عمله ولا يندم عليه، وهو من قبيل قسم النذر، فإذا أراد أحد أن يظهر عزمه على فعل لا محالة ولا مطمع لأحد في صرفه عنه، أكده بالقسم.

قال بلعاء بني قيس:

وفارس في غمار الموت منغمس   إذا تألى على مكروهة صدقا.

أي: إذا حلف على أن يقاتل أو يقتل، أو نحو ذلك من المصاعب والأضرار، ومنه سميت الحرب كريهة، فصار نطقهم باليمين مؤذناً بالعزم، وكثر ذلك في ألسنتهم في أغراض التأكيد ونحوه، حتى صار يجري على اللسان كما تجري الكلمات الدالة على المعاني من غير إرادة الحلف. وصارت كثرته في الكلام لا تحصر، فكثر التحرج من ذلك في الإسلام قال كثير:

قليل الألايا حافظ ليمينه   وإن سبقت منه الألية برت[1].

يتبين من هذه النقول أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون جواز الحلف بصفات الله عز وجل، وأن الحلف بذلك عند الحاجة إليه إما لتأكيد أمر، أو نفي وقوعه جائز. وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة. يدل على ذلك قول الإمام الخطابي الشافعي -رحمه الله تعالى- حيث قال عند شرحه لحديث "من حلف بالأمانة فليس منا"[2]: "هذا يشبه أن تكون الكراهة فيها من أجل أنه أمر أن يحلف بالله وصفاته، وليست الأمانة من صفاته، أو إنما هي أمر من أمره، وفرض من فروضه، فنهوا عنه لما في ذلك من التسوية بينها وبين أسماء الله عز وجل وصفاته[3].

---

(1) التحرير والتنوير (362/2-363).

(2) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأيمان والنذور، باب: كراهية الحلف بالأمانة.

(3) معالم السنن، (46/4).

الفصل الخامس: جهود علماء المالكية في تقرير الصفات الذاتية. وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: جهودهم في تعريف الصفات الذاتية.**
- **المبحث الثاني: جهودهم في إثبات الصفات الذاتية، وفيه إحدى عشرة مسألة.**

المبحث الأول: تعريف الصفات الذاتية.

يقوم مذهب السلف الصالح في صفات الله عز وجل على قاعدتين هما:

الأولى: أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته. فيثبتون من الصفات ما أثبته لنفسه على الحقيقة مع الاعتقاد بأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11]، لا في ذاته ولا في صفاته، لا يتجاوزون القرآن والحديث. وأما الصفات التي لم ترد في الكتاب والسنة فإنهم يمسكون عنها نفيًا وإثباتًا.

الثانية: أنهم ينفون عن الله ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات النقص مع إثبات كمال ضدها.

يقول العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله-:"الحق في آيات الصفات مركب من أمرين:

أحدهما: تنـزيه الله جل وعلا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

والثاني: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:140]، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي قال فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم وَحْيٌ-يُوحَىٰ].

فمن نفى عن الله وصفاً أثبته لنفسه في كتابه العزيز، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جل وعلا، فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله جل وعلا، ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:16]

ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق، فهو مشبه ملحد ضال، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم مع تنـزيهه جل وعلا عن مشابهة الخلق، فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنـزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل، والآية التي أوضح الله بها هذا هي قوله تعالى:

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث بقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، فصرح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال"[1].

ويقول -رحمه الله-: "...أن السلامة كل السلامة والخير كل الخير في اتباع نور هذا القرآن العظيم، والاهتداء بهدي هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. فما أثبته الله لنفسه نثبته مع غايات التنزيه، وما نفاه عن نفسه ننفيه مع غايات التنزيه.

وما أثبته سيد الخلق صلى الله عليه وسلم لربه نثبته مع كمال التنزيه، وما نفاه ننفيه مع غايات التنزيه. وما سكت عنه الوحي ولم يتعرض له بالكلية، فإن الله لم يكلفنا في صفاته إلا بما علمنا عن طريق كتابه أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم"[2].

وإذا كان مستند أهل السنة والجماعة في إثبات صفات الله عز وجل هو الكتاب والسنة كما تقدم فإنا نجد أن تقسيم صفات الله عز وجل إلى أقسام وأنواع لم يكن معروفاً عند متقدِّمي أهل السنة والجماعة كما هو عند المتأخرين منهم؛ وذلك أنهم -رحمهم الله- كانوا يذكرون صفات الله عز وجل على الوجه الوارد في النص الشرعي، لا على الوجه الذي يذكره المتكلمون في الاعتقاد. فكان المنهج المستقر عند الصحابة والتابعين وأتباعهم أنهم يذكرون الصفات دون تفريق بين المتعلقة بالذات، أو المتعلقة بالأفعال.

يقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني -رحمه الله- في مقدمة الرسالة وهو يعدد صفات الله عز وجل: "... وهو العلي العظيم العالم الخبير المدبر القدير السميع البصير العلي الكبير، وأنه فوق عرشه المجيد بذاته وهو في كل مكان بعلمه. خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد. وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. على العرش استوى وعلى الملك احتوى وله الأسماء الحسنى والصفات العلى... كلم موسى بكلامه الذي هو

---

(1) أضواء البيان، (259-258/2).

(2) صفات الله عز وجل في ضوء الكتاب الكريم والرد على المخالفين، (ص/70-71). جمع وتحقيق: عبد الله الدغيثر.

صفة ذاته، لاخلق من خلقه، وتجلى للجبل فصار دكًا من جلاله، وأن القرآن كـــلام الله ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد"[1].

فلم يفرق-رحمه الله- بين صفات الذات وصفات الأفعال. وهذا هو منهج متقدمي السلف حتى خاض المتكلمون في صفات الله عز وجل وأولوها وعطلوها وقســـموها إلى أقسام ما أنزل الله بها من سلطان كالصفات النفسية والمعنوية وغير ذلك، فاضطر علماء السنة لهذا التقسيم واصطلحوا عليه؛ ولذا فإن المستقر عليه صنيع... المتأخرين من أهـــل السنة والجماعة تقسيم الصفات الإلهية إلى قسمين:

لَيْسَ – صفات ذاتية وهي التي لا تنفك عن الذات الإلهية، بل هي ملازمة لها أزلاً وأبدًا كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والوجه واليدين والقدم وغيرها.

كَمِثْلِهِۦ – صفات فعلية وهي المتعلقة بمشيئة الله وإرادته، إذا شاء الرب أن يفعلـــها فعلها في أي

وقت متى شاء وكيف شاء وإن شاء لم يفعلها كالمجيء والنـــزول والاســـتواء والقـــبض والفرح والرضا والغضب وغيرها[2].

وهذه الصفات سيأتي الحديث عنها في فصل مستقل، وإنما الحديث هنا عن القسم الأول وهي الصفات الذاتية، وهي التي لا تنفك عن الله عز وجل، كما أن هناك صفات ذاتيـــة من وجه وفعلية من وجه، كمثل الكلام فهو من حيث اتصاف الله عز وجل بـــه مـــن صفات الذات، ومن حيث الآحاد من صفات الأفعال.

وهذا التعريف لصفات الله عز وجل بنوعيها هو الذي عليه المحققون من أئمة المالكيـــة كغيرهم من أهل السنة. ومما يدل على ذلك ما يلي:

لَيْسَ . **قول الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد-رحمه الله-** حيث قال: "له الأسمـــاء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه، تعالى أن تكون صفاته مخلوقة، أو أسماؤه محدثة، كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته، لا خلق من خلقه، وتجلى للجبل فصار دكًا من جلاله، وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيـــد ولا صـــفة لمخلـــوق

---

(1) مقدمة الرسالة: جمع الشيخ بكر أبو زيد (ص/56-57).

(2) انظر: المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، (ص/408-409).

فينفد"[1].

فقد بين -رحمه الله- أن كلامه عز وجل صفة من صفات ذاته[2] وأن ذاتــه غــير مخلوقة، فهو بذلك يعرف الصفات الذاتية ويفرق بينها وبين صفات الأفعال.

كَمِثۡلِهِۦ . **قول القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي-رحمه الله-** حيث قال: "واعلم أن الكلام في أن صفات ذاته تعالى غير مخلوقة ولا محدثة، يجب أن يتأخر عن الكــلام في إثباتها والرد على نافيها، وإذا كان الأمر كذلك، وجب أن نبدأ بالدلالة على ثبوتهــا، ثم نعقبه بالقول في قدمها، والذي يدل على ثبوت علم الله تعالى، وقدرته، وحياته، وســائر صفات ذاته هو الدليل على وجودها به، إلا أن الكلام في العلم أظهر لتعلــق أســئلتهم به"[3].

فقد بين -رحمه الله- أن صفات الذات ثابتة لله تعالى، وهو في ذلك يرد على الذين ينكرون صفات الذات ويقولون: إن الله سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، وكان قبل ذلــك قد علق على قول ابن أبي زيد في إثباته الصفات الذاتية التي تقدم ذكرها حيــث قــال: "اعلم أن هذا الذي قاله -رحمه الله- يعني ابن أبي زيد-، هو الدين الصحيح والمــذهب المستقيم، الذي من حاد عنه ابتدع وضل، وفيه رد على المبتدعة والرافضة وغيرهم مــن ضروب المبتدعة النافية لصفات ذاته تعالى من علمه وقدرته، وسائر صفاته، الزاعمين أنه لا علم له، ولا قدرة، ولا حياة، والجاعلين كلامه من صفات فعله"[4].

وقد مثل-رحمه الله- بصفة العلم؛ لأنها هي التي حصل فيها التحريــف مــن قبــل المبتدعة الذين رد عليهم، ولأن القول في صفة واحدة يستدل به على بقيــة الصــفات وينسحب عليها.

شَىۡءٌ . **قول العلامة محمد الأمين الشنقيطي** حيث يقول -رحمــه الله- في إثبــات الصفات الذاتية لله عز وجل وتعريفها في معرض رده على أهل الكلام في تعــريفهم لمــا

---

(1) مقدمة ابن أبي زيد، تقديم: الشيخ بكر أبو زيد، (ص/57).

(2) وهذا باعتبار أصل الكلام وأما آحاده فهو من صفات الأفعال.

(3) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير، أبي محمد بن أبي زيد، (ص/30).

(4) المصدر السابق، (ص/29).

يسمونه بالصفات السلبية: "... وأما الصفة التي تدل على معنى وجودي: فهي المعروفة عندهم بصفة المعنى، فالقدم مثلا عندهم لا معنى له بالمطابقة إلا سلب العدم السابق. فإن قيل: القدرة مثلا تدل على سلب العجز، والعلم يدل على سلب الجهل، والحياة تدل على سلب الموت، فلماذا لا يسمون هذه المعاني سلبية أيضًا؟

فالجواب: إن القدرة تدل بالمطابقة على معنى وجودي قائم بالذات، وهي الصفة التي يتأتى بها إيجاد الممكنات، وإعدامها على وفق الإرادة، وإنما سلبت العجز بواسطة مقدمة عقلية، وهي أن العقل يحكم بأن قيام المعنى الوجودي بالذات يلزمه نفي ضده عنها لاستحالة اجتماع الضدين عقلا. وهذا في باقي المعاني. ... فإذا عرفتم هذا فاعلموا أن القدم والبقاء الذين يصف المتكلمون بهما الله تعالى، زاعمين أنه وصف بها نفسه في قوله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ [الحديد:3]، فقد جاء في القرآن الكريم وصف المخلوق بالقدم فقال تعالى: ﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴾ [يس:39]، وقال تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يوسف:95]، وقال تعالى: ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ﴾ [الشعراء:76]. وأما الله جل وعلا فلم يصف نفسه في كتابه بالقدم، وقد كره بعض السلف وصفه جل وعلا بالقدم لتشبيهه بالعرجون القديم... وأما الأولية والآخرية اللتان نص الله عليهما في قوله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾، فقد وصف المخلوقين بالأولية والآخرية فقال: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [المرسلات:16-17].

ولا شك أن لله أولية وآخرية لائقتين بكماله وجماله، وللمخلوقين أولية وآخرية مناسبتين لحالهم وفناهم وعجزهم وافتقارهم.

وقد وصف الله نفسه جل وعلا بأنه واحد فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [البقرة:163]، ووصف بعض المخلوقين بذلك فقال: ﴿يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ﴾ [الرعد:4]. ووصف نفسه بالغنى فقال: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر:15] وقال أيضًا: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم:8]. ووصف بعض المخلوقين بالغنى فقال: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡ﴾ [النساء:6] وقال: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ

ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [النور:32].

فهذه صفات السلب في القرآن الكريم قد بينا وصف الخالق والمخلوق بها، وذكرنا أن صفة الخالق لائقة بكماله وجماله، وصفة المخلوق مناسبة لعجزه وافتقاره[1].

---

(1) صفات الله عز وجل في ضوء الكتاب الكريم والرد على المخالفين، (ص/38-46).

وقال -رحمه الله-: "وأما الآن فنتكلم عن الصفات الجامعة كالعلو والعظم والكبر والملك والعزة والقوة والجبروت ونحو ذلك من الصفات الجامعة، فقد جاء في القرآن الكريم وصف الخالق والمخلوق بها بكثرة".

ثم ذكر أمثلة على ذلك ثم قال: "وأمثال هذه الصفات الجامعة كثيرة في القرآن ومعلوم أنه جل وعلا متصف بهذه الصفات المذكورة حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجماله، ووصف المخلوقين بها مخالف لما وصف به الخالق لمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق"[1].

ثم قال: ثم نتكلم عن الصفات التي اختلف فيها المتكلمون هل هي صفات فعل أم صفات معنى؟ والتحقيق أنها صفات معان قائمة بذات الله جل وعلا، كالرأفة والرحمة والحلم الخ.

وبهذا يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية يعرِّفون الصفات الذاتية بأنها الصفات اللازمة لذات المولى جل وعلا، ولا تنفك عنه بحال على ما يليق بجلاله وعظمته.

---

(1) المصدر السابق، (ص/62-67). وانظر أضواء البيان، (371/2).

المبحث الثاني: جهودهم في إثبات الصفات الذاتية. وفيه إحدى عشرة مسألة:

- المسألة الأولى: صفة الوجه.
- المسألة الثانية: صفة اليد.
- المسألة الثالثة: صفة العين.
- المسألة الرابعة: صفة القدم.
- المسألة الخامسة: صفة العلو.
- المسألة السادسة: صفة العلم.
- المسألة السابعة: صفتا السمع والبصر.
- المسألة الثامنة: صفة الحياة والقيومية.
- المسألة التاسعة: صفة القدرة.
- المسألة العاشرة: صفة العزة.
- المسألة الحادية عشرة: صفة الكلام.

تمهيد.

أهل السنة والجماعة يثبتون لله عز وجل جميع الصفات الواردة في كتاب الله عز وجل والثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته، ولا يفرقون بين جميع صفاته عز وجل؛ إذ القول في بعض الصفات كالقول في الصفات الأخرى.

وأئمة المالكية كإخوانهم من أهل السنة يثبتون لله عز وجل كل ما ثبت له من صفات الجلال والكمال. وقد آثرت الحديث عن عدد من صفات الباري جل وعلا وبيان جهود أئمة المالكية في إثباتها، حيث سيكون الحديث عن إحدى عشرة صفة. وسبب اختيار هذه الصفات دون غيرها لأمرين:

- الأول: أنها من الصفات التي كثر الخلط فيها لدى المبتدعة من الأشاعرة والماتوريدية ومن سار على طريقهم المنحرف في التشبيه تارة، والتعطيل أخرى، فأردت أن أبيِّن جهود المحققين من أئمة المالكية في إثباتها، وذلك إسهاماً في بيان معتقد أهل السنة والجماعة فيها، وإقامةً للحجة على بعض المخالفين من متأخري المالكية وغيرهم ممن انحرف عن المنهج الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة، الطائفة المنصورة سلفاً وخلفاً.
- الثاني: إيثاراً للاختصار وعدم الإطالة والإسهاب في الكلام في جميع صفات الباري عز وجل، ولأن القول في بعض الصفات كالقول في الصفات الأخرى؛ فيستدل بما ذُكر على ما لم يُذكر.

وسيكون الحديث من خلال المسائل الآتية:

المسألة الأولى: **صفة الوجه**.

عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات صفة الوجه لله عز وجل، وأن له وجهًا يليق بجلاله سبحانه وتعالى كما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.

وقد دل على إثبات هذه الصفة الكتاب والسنة والإجماع. فمما جاء من الأدلة على ذلك:

قوله عز وجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:27]. و قوله عز وجل: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص:88]. وقوله عز من قائل:﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان:9].

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام:65].قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بوجهك"، قال:﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾قال: "أعوذ بوجهك"، قال:﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هذا أيسر"[(1)].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن"[(2)].

وقد أجمع أهل السنة والجماعة ومنهم المحققون من أئمة المالكية على إثبات الوجه لله عز وجل. ومما يدل على ذلك:

---

(1) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾.

(2) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ . ومسلم في كتاب الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى.

1. **ما رواه مالك** في الموطأ عن يحيى بن سعيد أنه قال: "أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار، كلما التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه، فقال له جبريل: ألا أعلمك كلمات تقولهن إذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى. فقال جبريل: قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض وشر ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن"(1).

فرواية مالك –رحمه الله– لهذا الأثر في الموطأ الذي ألفه لبيان العقيدة والرد على الجهمية كما ورد ذلك عنه، دليل على تقريره هذه الصفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته سبحانه.

هُمّ.وممن قرر صفة الوجه لله عز وجل **الإمام عبد الرحمن بن القاسم–رحمه الله–**.

فقد نقل الإمام ابن أبي زمنين بسنده عنه أنه قال: "لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه يديه بشيء، ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه، يقف عندما وصف به نفسه في الكتاب"(2).

فقد صرح –رحمه الله– بإثبات صفة الوجه لله عز وجل على ما يليق بجلاله مع نفي التشبيه؛ لأن الله عز وجل وصف نفسه بذلك في كتابه. وهذا يدل على تقريره –رحمه الله– لهذه الصفة.

فِيهَا. ما قرره **الإمام ابن أبي زيد القيرواني–رحمه الله–** حيث قال في معرض تقريره

صفات الله عز وجل: "وأن الله سبحانه وتعالى يراه أولياؤه في المعاد بأبصار وجوههم لا يضامون في رؤيته، كما قال الله عز وجل في كتابه وعلى لسان نبيه. قال الرسول صلى الله عليه وسلم في قول الله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:26]، قال: الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى"(3).

---

(1) الموطأ، (129/2).

(2) أصول السنة، (ص/75).

(3) الجامع (ص/141).

فقد صرح –رحمه الله– بتقرير رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة مستدلا بالآية والحديث الذي فيه التصريح بإثبات هذه الصفة لله عز وجل. وهذا من أوضح الأدلة على تقرير هذه الصفة وأنها من صفات الذات، وأن أعلى نعيم أهل الجنة هو النظر إلى وجه الله الكريم في الجنة دار النعيم.

خَٰلِدُونَ . كما أن إيراد **الإمام ابن أبي زمنين** لهذا الأثر عن عبد الرحمن بن القاسم في كتابه

أصول السنة الذي ألفه لبيان عقيدة أهل السنة التي يرى وجوب اتباعها، يدل على تقريره لصفة الوجه لله عز وجل كغيرها من الصفات كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

وعقد باباً في إثبات النظر إلى الله عز وجل في الآخرة فقال: "باب في الإيمان بالنظر إلى الله عز وجل. قال محمد: ومن قول أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، وأنه يحتجب عن الكفار والمشركين فلا يرونه. وقال عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:26]، وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:22-23]، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:15]. فسبحان من ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:103].

وخرج بسنده عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البدر فقال: "هل ترون هذا القمر"؟ قلنا: نعم، قال: "هكذا ترون ربكم يوم القيامة، لا تضامون في رؤيته"[(1)].

ثم أورد بسنده عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قالوا يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: "هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر وليس دونه حجاب"؟ قالوا: لا، قال: "فهل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة، وليس دونها حجاب"؟ قالوا: لا، قال: فلا تضارون في رؤيته إلا كما تضارون في رؤية أحدهما"[(2)].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ومسلم في كتاب المساجد، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم (2968).

وساق بسنده عن صهيب -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا دخل أهل الجنة [الجنة] [1] نودوا: يا أهل الجنة إن لكم موعداً، قالوا: وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فيظهر فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم منه، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:26][2].

ثم ساق بسنده عن أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- أنه قرأ هذه الآية أو قرئت عليه فقال: "هل تدرون ما الزيادة؟ الزيادة النظر إلى وجه ربنا"[3].

وهذا يدل على أن الإمام ابن أبي زمنين يقرر إثبات صفة الوجه لله عز وجل كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

(٢٦). وممن قرر صفة الوجه لله عز وجل **الحافظ أبو عمرو بن عثمان الداني** حيث قال–

رحمه الله- بعد أن ذكر جملة من صفات الله عز وجل مقرراً لها: "فنص سبحانه على إثبات أسمائه وصفات ذاته، فأخبر جل ثناؤه أنه ذو الوجه الباقي بعد تقضي الماضيات وهلاك جميع المخلوقات. وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:88]. وقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:27][4].

فقد قرر -رحمه الله- إثبات الوجه لله عز وجل على منهج أهل السنة والجماعة. دون تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

---

(1) ساقطة، وتم إضافتها من صحيح مسلم.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى.

(3) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (1/رقم 471)، وابن خزيمة في التوحيد (450/1) برقم 2264، والدارقطني في الرؤية (رقم 193-201)، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني في حديث موقوف صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيحين، انظر: ظلال الجنة، (206/1).

(4) الرسالة الوافية، (ص/46).

وَٱلَّذِينَ. **قول الحافظ بن عبد البر.**

قال -رحمه الله- بعد أن ذكر قول الإمام مالك المشهور في الاستواء: "والنجاة في هذا الانتهاء إلى ما قال الله عز وجل ووصف به نفسه بوجه ويدين، وبسط واستواء وكلام، فقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:115](1)".

فقد قرر-رحمه الله- صفة الوجه لله عز وجل، وأن الواجب على من أراد النجاة في الدنيا والآخرة أن ينتهي إلى ما جاء عن الله عز وجل ولا يتجاوز ذلك؛ بل يؤمن ويصدق بأن ما قال الله حق، فالله عز وجل له وجه يليق بجماله وكماله.

كَسَبُوٓا۟. **قول الإمام القرطبي.**

قال -رحمه الله تعالى- عند تفسير قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:26]: روي من حديث أنس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾؟ قال: "للذين أحسنوا العمل في الدنيا لهم الحسنى وهي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم"، وهو قول أبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب في رواية، وحذيفة، وعبادة بن الصامت، وكعب بن عجرة، وأبي موسى، وصهيب ، وابن عباس في رواية، وهو قول جماعة من التابعين، وهو الصحيح في الباب(2).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:35]: قال أنس وجابر: "المزيد النظر إلى وجه الله تعالى بلا كيف"(3).

فقد قرر-رحمه الله- إثبات صفة الوجه لله عز وجل على ما يليق بجلاله من غير تكييف كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

ٱلسَّيِّـَٔاتِ. ومن قرر صفة الوجه لله عز وجل **العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي** حيث قال

-رحمه الله-: "الوجه صفة من صفات الله العلي وصف بها نفسه، فعلينا أن نصدق بما وصف به نفسه مع التنزيه التام عن مشابهة الخلق، ونؤمن بما وصف به نفسه مع

---

(1) التمهيد، (151/7).

(2) الجامع لأحكام القرآن، (330/8).

(3) المصدر السابق، (21/17).

التنــزيه التام عن مشابهة صفات المخلوقين"[1].

وقال: "والأصح أن الحسنى: الجنة، والمزيد: النظر إلى وجه الله الكريم"[2].

وقال: "الذي يظهر -والله تعالى أعلم- أن النضرة لما يرون من النعيم، والسرورو لما ينالونه من النظر إلى وجه الله الكريم"[3].

فقد قرر -رحمه الله- إثبات صفة الوجه لله عز وجل على ما يليق بجلاله وجماله، كما ذكر الله عز وجل عن نفسه وكما وصفه بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى وفق منهج أهل السنة والجماعة، وأنه وجه حقيقي لا يشبه وجوه المخلوقين، كما قال جل وعلا: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

وهكذا نجد أن أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يوافقون أهل السنة والجماعة من السلف ومن جاء بعدهم في إثبات صفة الوجه لله عز وجل من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. بل قد أجمع أهل السنة على ذلك كما نقل إجماعهم الإمام ابن خزيمة -رحمه الله- حيث يقول: "فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن، والعراق والشام ومصر مذهبنا: أن نثبت لله ما أثبته الله لنفسه. نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون؛ لأن ما لا صفة له عدم. تعالى الله عما يقول: الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنـزيله وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. قال الله جل ذكره في سورة الروم: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ إلى قوله: ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ [الروم:38]. وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ [الروم:39]. وقال: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان:9]. وقال:

---

(1) أضواء البيان، (801/6).

(2) المصدر السابق، (549/5).

(3) المصدر السابق، (395/8).

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [الليل: 19-20]"[1].

(1) كتاب التوحيد، تحقيق:د/عبد العزيز الشهوان، (1/26-27).

المسألة الثانية: **صفة اليد**.

يثبت أهل السنة والجماعة أن لله تعالى يدين تليقان بجلاله وعظمته كباقي صفاته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. وقد دل الكتاب والسنة على ذلك كما في قوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:64]. وقوله سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:75]. وقوله عز وجل: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:10].

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا"[(1)].

و قوله صلى الله عليه وسلم: "قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار"[(2)].

وأئمة المالكية كغيرهم من أهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة لله عز وجل وفق القاعدة التي قررها الإمام مالك بن أنس –رحمه الله– في الاستواء. ومن أمثلة ذلك:

ٱلْأَبْصَٰرُ . **ما قرره ابن القاسم** بقوله: "ولا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في

القرآن ولا يشبه يديه بشيء ولا وجهه تبارك وتعالى بشيء ولكنه يقول: له يدان كما وصف به نفسه، وله وجه كما وصف نفسه تقف عندما وصف به نفسه في الكتاب؛ فإنه تبارك وتعالى لا مثل له ولا شبيه ولا نظير...؛ ولكن هو الله الذي لا إله إلا هو كما وصف نفسه ، ويداه مبسوطتان كما وصفهما﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر:67]"[(3)]. فقد قرر –رحمه الله– صفة اليدين لله

---

(1) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ .

(2) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾. ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: النهي عن سب الدهر.

(3) البيان والتحصيل، (1400/2).

عز وجل على ما يليق بجلاله.

قول الإمام أبي عبد الله ابن أبي زيد القيرواني–رحمه الله– حيث يقول في معرض

تقريره لصفات الله عز وجل: "... وأن يديه مبسوطتان، والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، وأن يديه غير نعمتيه في ذلك وفي قوله سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:75]"(1).

فهو يقرر –رحمه الله– هذه الصفة لله عز وجل مستدلا على ذلك بالقرآن حيث أنه هو الأصل في بيان صفات الله عز وجل، فلن يصف الله تعالى أصدق من الله، ومن أصدق من الله قيلا.فمما استدل به –رحمه الله– في إثبات هذه الصفة قوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[المائدة:64]. ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر:67]. ففي هاتين الآيتين التصريح بإثبات صفة اليدين لله عز وجل، وأنهما يدان حقيقيتان يبسطهما بالعطاء كيف يشاء، ويقبض بهما ما يشاء، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وفي قول ابن أبي زيد –رحمه الله–: وأن يديه غير نعمتيه الرد على الأشاعرة الذين يؤولون اليد بمعنى النعمة فرارًا من التشبيه الذي وقع في نفوسهم، فهم شبهوا أولا، ثم عطلوا ثانيًا، ثم حرفوا ثالثًا فوقعوا في الضلال، وهذه نتيجة حتمية لمن أعرض عن الكتاب والسنة وحكم العقل. وفي استدلال الإمام بقوله عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، رد عليهم بما جاء في كتاب الله عز وجل؛ حيث أن في ذلك التصريح بأن خلق آدم باليدين.

والأمة مجمعون على عدم جواز تثنية القدرة كما ذكر ذلك العلامة الشنقيطي كما سيأتي في موضعه من هذا المبحث –إن شاء الله–. وبهذا يتبين لنا تقرير ابن أبي زيد لهذه

(1) كتاب الجامع، (ص/140).

الصفة وإثباتها لله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما هي طريقة السلف الصالح -رحمهم الله تعالى.

ٱلرَّحِيمِ. وممن قرر إثبات صفة اليدين لله عز وجل **الإمام ابن بطال-رحمه الله-** حيث قال في

شرحه لصحيح البخاري، باب قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: استدلاله - يعني الإمام البخاري- من قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:75]، وسائر أحاديث الباب على إثبات يدين لله، هما صفتان من صفات ذاته، ليستا جارحتين بخلاف قول المجسمة: أنهما جارحتان، وخلاف القدرية النفاة لصفات ذاته.

ثم إذا لم يجز أن يقال إنهما جارحتان، لم يجز أن يقال إنهما قدرتان، ولا إنهما نعمتان؛ لأنهما لو كانتا قدرتين لفسد ذلك من وجهين: أحدهما: أن الأمة أجمعت من بين نافٍ لصفات ذاته وبين مثبت لها، أن الله تعالى ليس له قدرتان بل له قدرة واحدة في قول المثبتة، ولا قدرة له في قول النافية لصفاته؛ لأنهم يعتقدون كونه قادرًا بنفسه لا بقدرة. والوجه الآخر: أن الله تعالى قال لإبليس: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾ [ص:75]. قال إبليس مجيبًا له: أنا خير منه. فأخبر بالعلة التي من أجلها لم يسجد، وأخبره تعالى بالعلة التي لها أوجب عليه السجود، وهو أن خلقه بيديه، فلو كانت اليد القدرة التي خلق آدم بها، وبها خلق إبليس لم يكن لاحتجاجه تعالى عليه بأن خلقه بما يوجب عليه السجود معنى؛ إذ إبليس مشارك لآدم فيما خلقه به تعالى من قدرته، ولم يعجز إبليس بأن يقول له: أي رب، وأي فضل له عليّ وأنا خلقتني بقدرتك كما خلقته؟

ولم يعدل إبليس عن هذا الجواب إلى أن يقول: أنا خير منه؛ لأنه خلقه من نار وخلق آدم من طين، فعدول إبليس عن هذا الاحتجاج مع وضوحه دليل على أن آدم خصه الله تعالى من خلقه بيديه بما لم يخص به إبليس.

وكيف يسوغ للقدرية القول بأن اليد هنا القدرة مع نفيهم للقدرة ؟ وظاهر الآية مع

هذا يقتضي يدين، فينبغي على الظاهر إثبات قدرتين(1)، وذلك خلاف للأمة.

ولا يجوز أن يكون المراد باليدين نعمتين لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق مثلـــه؛ لأن النعم مخلوقة كلها. وإذا استحال كونهما جارحتين، وكونهما نعمتين، وكونهما قـــدرتين ثبت أنهما يدان صفتان لا كالأيدي والجوارح المعروفة عندنا، اختص آدم بأن خلقه بهما من بين سائر خلقه تكريمًا له وتشريفًا"(2).

وهكذا يقرر ابن بطال هذه الصفة لله عز وجل كما هو منهج أهل الحـــق مســـتدلا بالكتاب والسنة والعقل، وفي ذلك الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة.

ذَٰلِكَ. **وقال ابن رشد** مقررا لهذه الصفة:"ولا اختلاف بينهم أيضاً في جـــواز إطـــلاق القول

بأن لله يدين ووجهاً وعينين؛لأن الله وصف بذلك نفسه بكتابه ، فوجب إطلاق القـــول بذلك والاعتقاد بأنها صفات ذاته من غير تكييف ولا تشبيه ولا تحديد، إذ لا يشبهه شيء من المخلوقات، هذا قول المحققين من المتكلمين، وتوقف كثير من الشيوخ عن إثبات هذه الصفات الخمس وقالوا: لا يجوز أن يثبت في صفات الله ما لم يعلم بضرورة العقـــل ولا بدليله، وتأولوها على غير ظاهرها، فقالوا: المراد بالوجه الذات كما يقال وجه الطريـــق ووجه الأمر ذاته ونفسه، والمراد بالعينين إدراك المرئيات، والمراد باليدين النعمتين ، وقوله تعالى " بيدي" أي ليدي؛ لأن حروف الخفض يبدل بعضها من بعض، **والصواب قـــول المحققين الذين أثبتوها صفات لذاته تعالى**"(3).

فقد قرر-رحمه الله- إثبات صفة اليدين لله تعالى كما رد على القائلين بتأويلها علـــى غير ظاهرها.

ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ. **وقال أبو الوليد الباجي**:"وقول النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى خلق آدم، ثم

---

(1) وقوله هذا من باب التنـــزل مع الخصم، وإلا فإن الظاهر يدل على اليدين لا على القدرتين، فتنبه.

(2) شرح صحيح البخاري (436/10).

(3) البيان والتحصيل، (401/16)

مسح ظهره بيمينه"اقتضى أن الباري تعالى موصوف بأن له يمينا... وأجمع أهل السنة على أن يديه صفة، وليست بجوارح كجوارح المخلوقين؛ لأنه سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]"[1].

وهذا ظاهر بأنه -رحمه الله- يقرر إثبات صفة اليدين لله عز وجل على ما يليق بجلاله.

---

(1) المنتقى شرح الموطأ، (268/9).

ﭐلرَّحِيمِ. **قول الشيخ عثمان بن سعيد الداني.**

قال -رحمه الله- في معرض ذكره لصفات الله عز وجل: :واليــدين ... ورد مــن إثباتهما في قوله تعالى مخبراً عن نفسه في كتابــه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة:64]، وقال جل وعــلا: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:75]، وليســتا بجــارحتين ولا ذواتي صــورة[1]، وقــال تعــالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزُّمَــر:67]، وتواترت الأخبار بإثبات ذلك من صفاته عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: "كلتا يديه يمين"[2].

وهذا يدل على أن الإمام الداني يقرر صفة اليدين لله عز وجل كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

قَالَ. **وقال الإمام القرطبي-رحمه الله-** في تقرير هذه الصفة: "فإذا كــان معلومــاً أن إثبات الباري-سبحانه-إنما هو إثبات وجود بما ذكرنا، لا إثبات كيفيــة، فكــذلك إثبات صفاته على ما يأتي؛ إنما هو إثبات وجود، لا إثبات تحديد، وتكييف.

فإذا قلنا يد، وسمع، وبصر، ونحوها؛ فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، لا نقول: معنى اليد القوة والنعمة، ولا معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول؛ إنها جوارح، وأدوات للفعل. ذهب إلى القول بهذا جماعة من الأئمة، فلم يتأولوا جميع الصفات، أجروها علــى ظاهرها، ونفوا الكيفية، والتشبيه عنها"[3].

وهذا واضح وبين أن القرطبي-رحمه الله- يقرر إثبات صفة اليدين لله عز وجل كمــا يليق بجلاله وجماله.

---

(1) طريقة أهل السنة أن يثبتوا ما أثبته الله لنفسه، وينفون ما نفاه الله عن نفسه، ويسكتون عما سكت النص عنه، ومن طريقتهم الإجمال في النفي، والتفصيل في الإثبات؛ فليت المؤلف اكتفى بهذا.

(2) الرسالة الوافية، (ص/46-47).

(3) الأسنى، (10/2) وانظر المسائل العقدية التي قررها الأئمة المالكية لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحمادي، (ص/151).

تَعَالَىٰ. وممن قرر إثبات اليدين لله عز وجل **الإمام عبد الله بن محمد القحطاني الأندلسي** المالكي حيث يقول في معرض تقريره لصفات الله عز وجل:

وله يدان كما يقول إلاهنا ... ويمينه جلت عن الأيمان

كلتا يدي ربي يمين وصفها ... وهما على الثقلين منفقتان[1].

فقد قرر -رحمه الله- هذه الصفة لله عز وجل وأنهما يدان حقيقيتان. فقوله: "وله يدان" فيه إثبات اليدين من غير تحريف ولا تعطيل. وقد استند في إثباتها إلى قول الله عز وجل حيث جاء في القرآن إثبات اليدين، ومن أصدق من الله قيلا، ولا يخبر عن الله أصدق من الله. وفي قوله: "يمينه جلت عن الأيمان"، فيه تنزيه اليد عن مشابهة أيدي المخلوقين على حد قوله عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

ثم بين —رحمه الله- أن كلتا يدي الله عز وجل توصف بأنها يمين. وهذا هو الذي ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف يدي الله عز وجل حيث جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص —رضي الله عنهما- مرفوعًا: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الله عز وجل ، وكلتا يديه يمين"[2].

جَزَآءٌ. وممن قرر ذلك العلامة الشيخ **محمد بن الأمين الشنقيطي—رحمه الله**— حيث قال في إثبات اليد لله تعالى وأنها يد حقيقية صفة كمال لائقة بالله عز وجل كغيرها من صفات الكمال والجمال: "... والظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في نحو قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ﴾ [ص:75]، أنها صفة كمال وجلال لائقة بالله جل وعلا، ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله.وقد بين جل وعلا عظم هذه الصفة وما هي عليه من الكمال والجلال، وبين أنها من صفات التأثير كالقدرة، قال تعالى في تعظيم شأنها: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزُّمَر:67]. وبين أنها صفة تأثير كالقدرة، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ﴾ [ص:75].

---

(1) نونية القحطاني ضمن أربح البضاعة، (ص/57).

(2) رواه مسلم في كتاب الأمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر.

فتصريحه تعالى بأنه خلق نبيه آدم بهذه الصفة العظيمة التي هي من صفات كماله وجلاله يدل على أنها من صفات التأثير كما ترى.ولا يصح هنا تأويل اليد بالقدرة البتة، لإجماع أهل الحق والباطل كلهم على أنه لا يجوز تثنية القدرة. ولا يخطر في ذهن المسلم المراجع عقله دخول الجارحة التي هي عظم ولحم ودم في معنى هذا اللفظ الدال على هذه الصفة العظيمة من صفات خالق السماوات والأرض"[1].

ثم رد على الذين يؤولون معنى اليد ويصرفون النصوص الدالة على ذلك عن ظاهرها خوفًا من التشبيه قائلا: "فاعلم أيها المدعي أن ظاهر لفظ اليد في الآية المذكورة وأمثالها لا يليق بالله؛ لأن ظاهرها التشبيه بجارحة الإنسان، وأنها يجب صرفها عن هذا الظاهر الخبيث، ولم تكتف بهذا حتى ادعيت الإجماع على صرفها عن ظاهرها. إن قولك هذا كله افتراء عظيم على الله تعالى، وعلى كتابه العظيم، وإنك بسببه كنت أعظم المشبهين والمجسمين، وقد جرك شؤم هذا التشبيه إلى ورطة التعطيل فنفيت الوصف الذي أثبته الله في كتابه لنفسه بدعوى أنه لا يليق به، وأولته بمعنى آخر من تلقاء نفسك بلا مستند من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قول أحد من السلف.

وماذا عليك لو صدقت الله وآمنت بما مدح به نفسه على الوجه اللائق بكماله وجلاله من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل؟

وبأي موجب سوغت لذهنك أن يخطر فيه صفة المخلوق عند ذكر صفة الخالق؟ هل تلتبس صفة الخالق بصفة المخلوق عند أحد حتى يفهم صفة المخلوق من اللفظ الدال على صفة الخالق؟ ... واعلم أن الله الذي أحاط علمه بكل شيء لا يخفي عليه الفرق بين الوصف اللائق به والوصف غير اللائق به، حتى يأتي إنسان فيتحكم في ذلك فيقول: هذا الذي وصفت به نفسك غير لائق بك، وأنا أنفيه عنك بلا مستند منك ولا من رسولك، وآتيك بدله بالوصف اللائق بك.

فاليد مثلا التي وصفت بها نفسك لا تليق بك لدلالتها على التشبيه بالجارحة، وأنا أنفيها عنك نفيًا باتا، وأبدلها لك بوصف لائق بك وهو النعمة أو القدرة مثلا أو الجود. سبحانك هذا بهتان عظيم"[2].

---

(1) أضواء البيان، (475/7).

(2) المصدر السابق، (476/7).

ثم أورد إشكالا قد يرد على أذهان بعض الناس، وهو لماذا وردت صفة اليد بالإفراد مرة، وبالتثنية مرة، وبصفة الجمع مرة؟ وأجاب عن ذلك فقال –رحمه الله-: "فإن قيل دل الكتاب والسنة وإجماع السلف على أن الله وصف نفسه بصفة اليدين كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:75].، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:64].، وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[الزمر:67].

والأحاديث الدالة على مثل ما دلت عليه الآيات المذكورة كثيرة كما هو معلوم، وأجمع المسلمون على أنه جل وعلا لا يجوز أن يوصف بصفة الأيدي مع أنه تعالى قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس:71]، فلم أجمع المسلمون على تقديم آية ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ على آية ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ ؟

فالجواب: أنه لا خلاف بين أهل اللسان العربي ولا بين المسلمين أن صيغ الجموع تأتي لمعنيين: أحدهما: إرادة التعظيم فقط، فلا يدخل في صيغة الجمع تعدد أصلا؛ لأن صيغة الجمع المراد بها التعظيم، إنما يراد بها واحد.

والثاني: أن يراد بصيغة الجمع معنى الجمع المعروف، وإذا علمت ذلك فاعلم أن القرآن العظيم يكثر فيه جدًّا إطلاق الله جل وعلا على نفسه صيغة الجمع، يريد بذلك تعظيم نفسه، ولا يريد بذلك تعددا ولا أن معه غيره، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9].

فصيغة الجمع في قوله: ﴿إِنَّا﴾ وفي قوله: ﴿نَحْنُ﴾ وفي قوله: ﴿نَزَّلْنَا﴾ وقوله: ﴿لَحَافِظُونَ﴾، لا يراد بها أن معه منزلا للذكر، وحافظا له غيره تعالى. بل هو وحده المنزل له والحافظ له، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ ﴿أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة:58-59]، وقوله: ﴿أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة:69]، وقوله: ﴿أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ [الواقعة:72]، ونحو هذا كثير في القرآن جدًّا، وبه تعلم أن صيغة الجمع في قوله: ﴿إِنَّا﴾، وفي قوله: ﴿خَلَقْنَا﴾، وفي قوله: ﴿عَمِلَتْ

﴿أَيۡدِينَآ﴾، إنما يراد بها التعظيم، ولا يراد بها التعدد أصلا. وإذا كان يراد بها التعظيم لا التعدد علم بذلك أنها لا تصح بها معارضة قوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾؛ لأنها دلت على صفة اليدين، والجمع في قوله: ﴿أَيۡدِينَآ﴾ لمجرد التعظيم[1].

وبهذه النقول يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون إثبات صفة اليد لله عز وجل على ما يليق بجلاله مثل غيرها من الصفات دون تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، كغيرهم من أهل السنة قديمًا وحديثًا، ومستندهم في ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

قال أبو عثمان الصابوني- وهو يصف معتقد أهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليدين لله حقيقة-: "ولا يحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين بتحريف المعتزلة الجهمية-أهلكهم الله-ولا يكيفونها بكيف، أو يشبهونها بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة -خذلهم الله-"[2].

---

(1) المصدر السابق، (7/494-495).

(2) عقيدة السلف أصحاب الحديث، (ص/161-162).

المسألة الثالثة: صفة العين.

يثبت أهل السنة والجماعة صفة العين لله جل وعلا كغيرها من الصفات على ما يليق بجلاله وكماله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾. وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على ذلك. فمن الأدلة:

قوله عز وجل: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود:37]. وقوله عز وجل: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه:39]. وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور:48]. وقوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:14].

وعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور –وأشار بيده إلى عينه–، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية"(1).

وقد قرر أئمة المالكية صفة العين لله عز وجل وأنها صفة ذاتية كغيرها من الصفات الذاتية الثابتة لله عز وجل.

يَوۡمٌ. فمن أئمة المالكية الذين ذكروا هذه الصفة لله عز وجل مقررًا لها **الإمام أبو عبد الله**

محمد ابن عبد الله الأندلسي المالكي المعروف بابن أبي زمنين حيث قال–رحمه الله تعالى– بعد ذكره لعدد من الأحاديث والآثار في إثبات صفات الله عز وجل، ومنها: حديث ابن عمر المتقدم في ذكر المسيح الدجال وفيه: إن الله ليس بأعور..." الحديث.

قال محمد: "فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لم تره العيون فتحده كيف هو كينونيته،؛ لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به"(2).

---

(1) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ . ومسلم في كتاب الإيمان، باب: ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال.

(2) شرح أصول السنة مع شرح رياض الجنة، (ص/74).

فقد قرر -رحمه الله- إثبات صفات الله عز وجل على ما يليق بجلاله وجماله، ولم يؤول شيئًا منها، ولم يحرف، بل أثبتها كما يثبتها أهل السنة والجماعة. ومن هذه الصفات صفة العين لله عز وجل.

2. **قول أبي عمرو الداني** في تقرير صفات الله عز وجل، ومنها العين: "والأعين: كما أفصح القرآن بإثباتها من صفاته... فذكر الآيات الدالة على ذلك، ثم قال: وقال -صلى الله عليه وسلم- حين ذكر الدجال: وإنه أعور، وقال: وإن ربكم ليس بأعور، فأثبت له العينين[1]"[2].

فقد قرر-رحمه الله- إثبات صفة العين لله عز وجل، واستدل بالنص من الكتاب والسنة على إثبات هذه الصفة لله عز وجل.

إنَّ . ومن قرر هذه الصفة لله عز وجل **أبو الوليد ابن رشد** حيث قال: "ولا اختلاف بينهم أيضاً في جواز إطلاق القول بأن لله يدين ووجهاً **وعينين**؛ لأن الله وصف بذلك نفسه بكتابه، فوجب إطلاق القول بذلك والاعتقاد بأنها صفات ذاته من غير تكييف ولا تشبيه ولا تحديد، إذ لا يشبهه شيء من المخلوقات، هذا قول المحققين من المتكلمين، وتوقف كثير من الشيوخ عن إثبات هذه الصفات الخمس وقالوا : لا يجوز أن يثبت في صفات الله ما لم يعلم بضرورة العقل ولا بدليله، وتأولوها على غير ظاهرها، فقالوا: المراد بالوجه الذات كما يقال وجه الطريق ووجه الأمر: ذاته ونفسه، والمراد بالعينين إدراك المرئيات، والمراد باليدين النعمتين ، وقوله تعالى: " بيدي" أي ليدي؛ لأن حروف الخفض يبدل بعضها من بعض، والصواب قول المحققين الذين أثبتوها صفات لذاته تعالى"[3].

فقد قرر-رحمه الله- إثبات صفة اليدين لله عز وجل، وأنها صفة ذات له عز وجل، وأبطل قول أهل التأويل الذين يؤوِّلون صفة العين بإدراك المرئيات.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) الرسالة الوافية، (ص/47).

(3) البيان والتحصيل، (401/16)

4. قال **الحافظ ابن عبد البر–رحمه الله تعالى–** في تقريره لهذه الصفة وغيرها من الصفات: "وقد روينا عن مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان بن سعيد الثوري، وسفيان بن عيينة، ومعمر بن راشد في الأحاديث التي في الصفات أنهم قالوا: أمروها كم جاءت. قال أبو عمر: نحو حديث التنزل، وحديث إن الله خلق آدم على صورته، وأنه يدخل قدمه في جهنم، وأنه يضع السماوات على أصبع، وأن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء، وأن ربكم ليس بأعور"[1].

فهذا الإمام أبو عمر يقرر هذه الصفات، ومنها صفة العين دون أن يحرفها أو يعطلها أو يكيفها أو يمثلها.ومن المعلوم أن باب الصفات واحد، فجميع الصفات التي ذكرها – رحمه الله– قد دلت عليها السنة مما يدل على ثبوت هذه الصفات لله عز وجل على ما يليق بجلاله.

5. وممن قرر صفة العين لله عز وجل على ما يليق بجلاله **الإمام محمد بن عبد الله القحطاني المالكي الأندلسي** حيث قال في نونيته مبينًا أن الله له عينان حقيقيتان تليق بجلاله وعظمته سبحانه:

لله وجه لا يحد بصورة ولربنا عينان ناظرتان[2].

والشاهد قوله: ولربنا عينان ناظرتان، فقد أثبت العينين لله، ثم بين أنهما حقيقيتان، وأنه ينظر بهما، فهما على هذا من صفات ذاته التي لا تنفك عنه كما في الحديث المتقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف المسيح الدجال وحذر منه، قال:"إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور".

---

(1) جامع بيان العلم وفضله، (2/131-132).

(2) نونية القحطاني ضمن مجموع بعنوان أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة للشيخ علي ابن سليمان آل يوسف (ص/57).

قَبْلَهُمْ . قول الشيخ محمد الأمين.

قال-رحمه الله-: "العين صفة لله تعالى لائقة بجلاله، لا تشبه صفة المخلوقين"[1].

فقد قرر في هذا الكلام المختصر إثبات صفة العين لله عز وجل، وأنها عين حقيقية لائقة بجلاله وكماله، وأن إثبات هذه الصفة لا يلزم منه مشابهة المخلوقين.

وبهذه النقول يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يثبتون لله عز وجل صفة العين ويقررونها كما وصف الله بذلك نفسه ووصفه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما هو منهج أهل السنة والجماعة الذين يثبتونها لله عز وجل.

يقول الإمام الدارمي-رحمه الله- في نقضه على المريسي: " وأما دعواك أنهم يقولون: جارح مركب، فهذا كفر لا يقوله أحد من المسلمين؛ ولكننا نثبت له السمع والبصر والعين بلا تكييف، كما أثبته لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم"[2].

---

(1) معارج الصعود (ص/113)، وانظر جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي للشيخ عبد العزيز الطويان، (307/1).

(2) رد الدارمي على بشر المريسي العنيد، (689/2).

المسألة الرابعة: **صفة القدم**.

صفة القدم من الصفات الذاتية التي يثبتها أهل السنة والجماعة لله عز وجل على ما يليق بجلاله كغيرها من الصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وقد دل الكتاب والسنة على إثبات هذه الصفة لله عز وجل. وجاءت النصوص بلفظ القدم تارة، وبلفظ الرجل أخرى. فمن ذلك:

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:42].

قوله صلى الله عليه وسلم:

"تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي. وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط. قط. قط. فهنالك تمتلئ وينزوى بعضها إلى بعض "(1). الحديث.

وقد مضى على هذا المعتقد المسلمون منذ عهد الصحابة وحتى انقضاء القرون الثلاثة الأولى يجرون النصوص على ظاهرها ويعتقدون ما تدل عليه من صفات الله عز وجل، ولا يفرقون بين صفة وأخرى، فما يقال ويعتقد في صفة يجب مثله في الصفة الأخرى فهم يعتقدون أن الله مستو على عرشه بائن من خلقه، وأنه يسمع بسمع، ويبصر ببصر، وله وجه يليق بجلاله، وله عين وقدم، ولا يؤولون، ولا يمثلون، بل يسلمون للنصوص، والمحققون من أئمة المالكية يقررون هذه الصفة كغيرها من صفات الله عز وجل كما هو منهج أهل السنة والجماعة. ومما ورد عنهم في هذه الصفة ما ذكره **ابن عبد البر** في كتابه التمهيد حيث ذكر قاعدة عامة في جميع الصفات ومنها القدم. يقول –رحمه الله تعالى-: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة. وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل

---

(1) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:30].
ومسلم في كتاب الجنة، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود. والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله و أئمة الجماعة"[1].

وساق-رحمه الله- في التمهيد عددًا من الأحاديث والآثار في إثبات صفات الله عز وجل.

ويقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله- مقررا صفة القدم:

" المراد بالاستفهام في قول النار: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾[ق:30]؟ هو طلبها للزيادة، وأنها لا تزال كذلك حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيتروى بعضها إلى بعض وتقول: قط قط أي كفاني قد امتلأت، وهذا الأخير هو الأصح، ولما ثبت في الصحيحين، وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن جهنم لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط"؛ لأن في هذا الحديث المتفق عليه التصريح بقولها: "قط قط" ، أي كفاني قد امتلأت، وأن قولها قبل ذلك: هل من مزيد لطلب الزيادة، وهذا الحديث الصحيح من أحاديث الصفات"[2].

وقال في موضع آخر بعد أن ذكر حديث القدم:

" وهذه صفة لله تعالى لائقة بجلاله تثبت كغيرها على أساس التنزيه"[3].

وبهذا يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفا وخلفا يقررون صفة القدم لله جل وعلا على الحقيقة دون تعطيل، أو تأويل، ومن غير تحريف، أو تكييف، وهذا هو ما عليه أهل السنة والجماعة.

يقول الإمام الترمذي:

"وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم روايات كثيرة مثل هذا ما يذكر فيه أمر الرؤية، وأن الناس يرون ربهم، وذكر القدم، وما أشبه هذه الأشياء".

والمذاهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم، أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: "تروى هذه

---

(1) التمهيد، (145/7).

(2) أضواء البيان، (692/7).

(3) شرح مراقي السعود، (ص/304).

الأحاديث ويؤمن بها، ولا تفسَّر ولا تتوهم، ولا يقال: كيف؟ وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه"[1].

(1) الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، (691/4)، ط: دار إحياء التراث العربي.

المسألة الخامسة: صفة العلو.

العلو من صفات الله عز وجل الذاتية التي لا تنفك عن الله عز وجل. وأهل السنة يثبتون هذه الصفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. وقد دل على إثبات هذه الصفة الكتاب والسنة والإجماع، كما دلت عليها الفطرة والعقل. فمن الأدلة على ذلك:قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:255]. وقوله سبحانه:﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:18]. وقوله: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:55]، وقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾ [النساء:157-158]، وقوله:﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:50]، وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ، أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [المُلك:16-17].

والآيات في إثبات علو الله كثيرة وقد تنوعت ألفاظها فمنها ما فيه التصريح بعلو الله عز وجل، ومنها ما جاء بلفظ صعود الأشياء إليه، ومنها ما جاء بلفظ نزول الأشياء منه.

وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات علو الله عز وجل مع اختلاف ألفاظها. فمن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء"(1).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم، فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون"(2).

---

(1) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب: بعث علي بن أبي طالب. ومسلم في كتاب الزكاة، باب: ذكر ر الخوارج وصفاهم.

(2) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾. ومسلم في كتاب المساجد، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لما قضى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي" وفي رواية: "غلبت غضبي"[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع يوم عرفة: "ألا هل بلغت؟ فقالوا: نعم. فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكبها، إليهم ويقول: اللهم اشهد"[2].

وقد أجمع السلف-رحمهم الله- على الإيمان والإقرار بأن الله تعالى مستو على عرشه، عال على جميع مخلوقاته[3].

وأما الفطرة فقد فطر الله عز وجل الخلق على أن الله في جهة العلو، فإنهم يجدون ضرورة في قلوبهم إلى العلو كلما كربهم كرب، أو حلت بهم شدة.

وقد نقل ذلك جمع من أهل العلم منهم الحافظ بن عبد البر حيث يقول: "إن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر، أو نزلت بهم شدة، رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم -تبارك وتعالى-. وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد ولا ينكره عليهم مسلم"[4].

وقد استفاضت النقول عن أئمة السلف الصالح في تقرير علو الله عز وجل على خلقه، وأنه تعالى عال علو ذات، وعلو قهر، وعلو قدر. والمقصود إثباته هنا بيان تقريرهم لعلو الذات.

والمحققون من أئمة المالكية يقررون هذه الصفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله، وأقوالهم ومؤلفاتهم في ذلك أكثر من أن تحصر. فمن تقريراتهم ما يلي:

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾، ومسلم في كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب:حجة النبي صلى الله عليه وسلم.

(3) وقد نقل إجماعهم شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ونقض التأسيس، وابن القيم في اجتماع الجيوش، والذهبي في العلو، وغيرهم. وانظر المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع -مجموعة من الباحثين، (ص/368) وما بعدها.

(4) التمهيد، (134/7).

بِسْـــــــــــــــ . أقوال الإمام مالك –رحمه الله تعالى–. فقد قرر –رحمه الله– إثبات علو الله عز وجل على خلقه. فمما جاء عنه في ذلك:

- قوله –رحمه الله– في إجابته لمن سأله عن الاستواء: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة". وقد تواتر نقل ذلك عنه –رحمه الله–[(1)].
- و قوله –رحمه الله–: "الله في السماء، وعلمه في كل مكان"[(2)].

ما رواه في الموطأ بسنده عن عمر بن الحكم[(3)] أنه قال: "أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إن جارية لي كانت ترعى غنما لي، فجئتها وقد فقدت شاة من الغنم، فسألتها عنها فقالت: أكلها الذئب، فأسفت عليها. وكنت من بـــني آدم فلطمت وجهها، وعلي رقبة أفأعتقها؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين الله؟ فقالت: في السماء. فقال: من أنا؟ فقالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة"[(4)].

فرواية الإمام مالك لهذا الحديث في موطئه الذي ألفه من أجل الرد على الجهميـــة وفي باب ما يجوز من العتق في الرقاب، من أكبر الأدلة على تقريره لهذه الصفة.

2. وممن قرر ذلك **الإمام ابن أبي زيد القيرواني–رحمه الله–** حيث قال في مقدمة الرسالة: "أنه فوق عرشه المجيد، وهو في كل مكان بعلمه"[(5)].

وقال: "فمما أجمعت الأئمة عليه من أمور الديانة والسنن التي خلافها بدعة وضلالة،

---

(1) انظر منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة (ص:237-240).

(2) ترتيب المدارك، (89/1).

(3) المحفوظ في هذا الحديث أن الصحابي الراوي له هو: معاوية بن الحكم السلمي، وما ذكر في سند الموطأ وَهْم كما في تهذيب الكمال، (310/21)، وبهذا الإسناد أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة.

(4) الموطأ،(772/2)، كتاب العتق والولاء، باب ما يجوز في عتق الرقاب الواجبة، وانظر المصدرين السابقين.

(5) الرسالة: ابن أبي زيد القيرواني، (ص/56). تقديم: بكر أبو زيد –رحمه الله–.

أن الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته... إلى أن قال: ...وأنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه"[1].

قَوْمًا . وممن قرر ذلك **العلامة أبو بكر محمد بن موهب المالكي** في شرحه لرسالة ابن أبي زيد حيث قال: "أما قوله: أنه فوق عرشه المجيد بذاته، فمعنى فوق وعلى عند جميع العرب واحد، وفي الكتاب والسنة تصديق ذلك وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:54]، وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:5]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[النحل:50]. وساق حديث الجارية، والمعراج إلى سدرة المنتهى" إلى أن قال: "وقد تأتي لفظة (في) في لغة العرب بمعنى فوق كقوله: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك:15]، وقوله: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:71]، وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:16]. قال أهل التأويل: يريد فوقها. وهو قول مالك مما فهمه عمن أدرك من التابعين مما فهموه عن الصحابة مما فهموه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله في السماء، ومعنى فوقها، عليها. فلذلك قال الشيخ أبو محمد: إنه فوق عرشه، ثم بين أن علوه فوق عرشه إنما هو بذاته؛ لأنه تعالى بائن عن جميع خلقه بلا كيف، وهو في كل مكان بعلمه، لابذاته، لا تحويه الأماكن، وأنه أعظم منها"[2].

وهذا تقرير من ابن موهب –رحمه الله– لإثبات صفة العلو لله عز وجل بما لا مزيد عليه، وهو بذلك يوافق ما عليه أهل السنة سلفاً وخلفاً.

لَدًّا . ومن ذلك ما قرره **الإمام أبو عمرو أحمد بن محمد الطلمنكي المالكي –رحمه الله–** حيث قال: "أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:4]، ونحو ذلك من القرآن أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السماوات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء. وقال أهل السنة في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:5]،

---

(1) كتاب الجامع، (ص/139-141).

(2) شرح الرسالة، –لم أطلع عليه– وقد نقل ذلك عنه الإمام الذهبي في العلو (ص/264).ط،أضواء السلف بعناية: أشرف بن عبد المقصود.

إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، فقد قال قوم من المعتزلة والجهمية: لا يجوز أن يسمى الله عز وجل بهذه الأسماء على الحقيقة ويسمى بها المخلوق، فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه وأثبتوها لخلقه، فإذا سئلوا: ما حملهم على هذا الزيغ؟ قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه. قلنا: هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها، لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا تحصل بالتسمية، وإنما تشبيه الأشياء بأنفسها أو بهيئات منها..."[1].

فقد قرر-رحمه الله- علو الله عز وجل على عرشه مستدلاً بالآيات المصرحة بعلوه عز وجل، ثم نقل إجماع أهل السنة على ذلك ، مما يدل على أنه يقرر هذه الصفة لله عز وجل.

(٩٧). وممن قرر ذلك **الإمام ابن أبي زمنين -رحمه الله-** حيث قال في كتابه: أصول السنة

في باب الإيمان بصفات الله وأسمائه: "اعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علمًا، والعجز عما لم يدع إيمانًا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه وعلى لسان نبيه". ثم أورد الايات وذكر بعضًا من الصفات ثم قال: "الظاهر العالي فوق كل شيء"[2].

وقال: باب في الإيمان بالعرش. قال محمد -يعني نفسه-: "ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ، لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه:5-6]، وفي قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ﴾ [الحديد:4]. فسبحان من بعد فلا

---

(1) الوصول إلى معرفة الأصول، وهو كتاب مفقود، وقد نقل ذلك عنه الإمام الذهبي في العلو، انظر العلو للعلي الغفار (ص/46)، كما نقل عنه شيخ الإسلام في الفتاوى، انظر: (11/37).

(2) أصول السنة مع رياض الجنة، (ص/60-61).

يرى، وقرب بعلمه وقدرته فسمع النجوى"[1].

وقال بعد أن ذكر حديث النزول، قال محمد: "وهذا الحديث بين أن الله عز وجل على عرشه في السماء دون الأرض، وهو أيضًا بين في كتاب الله وفي غير ما حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".

قال الله عز وجل: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:5]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ، أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [المُلك: 16-17]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:10]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:18]، وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:55] ، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:157-158].

ثم أخرج بسنده حديث الجارية وفيه: قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أين الله؟ فقالت: في السماء ..."[2].

وهذا يدل على أنه -رحمه الله- يقرر إثبات علو الله عز وجل على خلقه كما هو معتقد أهل السنة.

6. وممن قرر صفة العلو لله عز وجل **القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي-رحمه الله-** حيث ذكر صفة العلو لله عز وجل وقرره عند شرحه للرسالة لابن أبي زيد. فقال عند قول ابن أبي زيد: "على العرش استوى، وعلى الملك احتوى"، قال: "وهذه العبارة الآخرة التي هي قوله: "على العرش" أحب إلي من الأولى التي هي قوله: "أنه فوق عرشه المجيد بذاته"، لأن قوله على عرشه هو الذي ورد فيه النص، ولم يرد النص بذكر فوق، وإن كان المعنى واحدًا. وكان المراد بذكر الفوق في هذا الموضع: أنه بمعنى على، إلا أن ما طابق النص أولى بأن يستعمل إذا ثبت هذا.

والذي يدل على صحة ما ذكره -رحمه الله- من أنه على عرشه دون كل مكان،

---

(1) المصدر السابق، (ص/92).

(2) المصدر السابق، (ص/112-114).

ورود النص بذلك في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:5]. وهذا يمنع أن يقال بأنه على غيره، وقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:10]. ثم ذكر حديث الجارية وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم لها بقوله: "أين الله؟" فقالت: في السماء. ثم قال: "...فلم ينكر عليها، وحكم بإيمانها، ولإجماع الأمة على أنا متعبدون في الدعاء برفع أيدينا إلى جهة العلو دون السفل، ودون اليمين والشمال وسائر الجهات، وهذا ينفي أن يكون في كل مكان، ولا يعترض على هذا بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [الزُّخرُف:84]، وأنه إله في الموضعين، وذلك لا يوجب كونه في كل موضع كان فيه إله، وذلك كما يقال: فلان سيد بالعراق وبالشام، وفلان ملك بالعراق وخراسان، يريدون كونه ملكًا عند أهلها ومطاعًا عندهم، وليس يريدون: ذاته في كل موضع يكون فيه ملكًا مطاعًا"[1].

وهذا من أقوى الأدلة على أن القاضي -رحمه الله- يقرر صفة العلو الله عز وجل على العرش الذي هو أعلى المخلوقات كما هو معتقد أهل السنة.

7. وممن قرر منهج السلف في هذه الصفة **الحافظ الإمام ابن عبد البر** حيث قال عند شرح حديث النزول الذي رواه مالك في الموطأ: "... وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله عز وجل في كل مكان، وليس على العرش.

والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك قول الله عز وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:5]. وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ﴾ [السجدة:4]. وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فُصِّلَت:11]. وقوله: ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:42]. وقوله تبارك اسمه: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:10]. وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف:143]. وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [المُلك:16]. وقال جل ذكره: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى:1].

(1) شرح الرسالة، (ص/26-27).

وهذا من العلو، وكذا قوله: ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:255]، ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:9]، ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر:15]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:50]، والجهمي يزعم أنه أسفل.

قال جل ذكره: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:5]. وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾. وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:55]. وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:158]. وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فُصِّلَت:38]. وقال: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء:19]. وقال: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج:2-3]، والعروج هو الصعود. وأما قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [المُلك:16]، فمعناه من على السماء، يعني على العرش، وقد يكون بمعنى على، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة:2]، أي على الأرض. وكذلك قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:71]. وهذا كله يعضده قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:4]، وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب"(1).

وبعد أن استدل بهذه الآيات على إبطال قول المعتزلة وبين أن ادعاءهم المجاز في الاستواء وتأويلهم له بالاستيلاء بيَّن معنى الاستواء في اللغة التي يفهمها العرب قال: الاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه. قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾، قال: علا. قال: وتقول العرب: استويت فوق الدابة، واستويت فوق البيت. وقال غيره: استوى أي: انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد.

ثم قرر العلو بقوله: قال أبو عمر -يعني نفسه-: الاستواء الاستقرار في العلو. وبهذا خاطبنا الله عز وجل وقال: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾

---

(1) التمهيد، (7/129-130).

[الزُّخرُف:13]. وقال: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ [هود:44]. وقال: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [المؤمنون:28]. وقال الشاعر:

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة　　　وقد حلق النجم اليماني فاستوى.

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى؛ لأن النجم لا يستولي.

وقد ذكر النضر بن شميل وكان ثقة مأمونًا جليلا في علم الديانة، واللغة، قال: "حدثني الخليل وحسبك بالخليل قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم من رأيت، فإذا هو على سطح، فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا: استووا، فبقينا متحيرين، ولم ندر ما قال؟ قال: فقال لنا أعرابي إلى جنبه: إنه أمركم أن ترتفعوا. فقال الخليل: هو من قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فُصِّلَت:11]. قال: فصعدنا إليه"[1].

ثم ذكر أبو عمر احتجاج المعتزلة بأثر يروى عن ابن عباس –رضي الله عنهما– في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:5]، قال:
"على جميع بريته فلا يخلو منه مكان. وأجاب بأن هذا الأثر منكر عن ابن عباس، ورد عليهم استدلالهم بهذا الأثر الضعيف مع أنهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول فقال: فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا أو أنصفوا؟ أما سمعوا الله عز وجل حيث يقول:

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ، أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر:36-37]

فدل على أن موسى –عليه السلام– كان يقول: إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذبا.

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره　　　ومن هو فوق العرش فرد موحد
مليك على عرش السماء مهيمن　　　لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت، وفيه يقول في وصف الملائكة:

فمن حامل إحدى قوائم عرشه　　　ولولا إله الخلق كلوا وأبلدوا
قيام على الأقدام عانون تحته　　　فرائصهم من شدة الخوف ترعد

قال أبو عمر:

فإن احتجوا بقول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ

---

(1) المصدر السابق، (ص/131-132).

ﵟٱلۡعَلِيمُﵞ [الزُّخرُف:84]، وبقوله: ﵟوَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَﵞ [الأنعام:3]، وبقوله: ﵟمَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡﵞ [المجادلة:7] الآية؛ وزعموا أن الله تبارك وتعالى في كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى، قيل لهم: لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته، فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجتمع عليه وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير. فظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش، والاختلاف في ذلك بيننا فقط، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر.

وأما قوله في الآية الأخرى: ﵟوَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞﵞ، فالإجماع والاتفاق قد بين المراد بأنه معبود من أهل الأرض، فتدبر هذا فإنه قاطع إن شاء الله. ومن الحجة أيضًا في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم. وقد قال صلى الله عليه وسلم للأمة التي أراد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة، فاختبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن قال لها: أين الله؟ فأشارت إلى السماء. ثم قال لها: من أنا؟ قالت: رسول الله. قال "أعتقها فإنها مؤمنة".

فاكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها برفعها رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه"[1].

مما تقدم يتضح تقرير الحافظ الإمام ابن عبد البر لصفة العلو، وأنها ثابتة لله عز وجل، حشد لذلك الأدلة من القرآن والسنة وأهل اللغة، كما استدل بالفطرة التي فطر الله الناس عليها.

8. وممن قرر صفة العلو لله عز وجل على ما يليق بجلاله **الشيخ أحمد بن مشرف الوهبي**

---

(1) المصدر السابق، (ص/132-133).

التميمي المالكي حيث أنه نظم قصيدة في بيان معتقد أهل السنة والجماعة، والرد على المعطلة والجهمية. قال: في مقدمتها:

"لما كان في سنة ست وثلاثين بعد المائتين والألف كثر في بلدنا[1] الخصوم والجدل من أهل التجهم والاعتزال، وفشت عقائد الضلال، وأرادوا أن يصدوا الواردين عن ورد منهل الوحي العذب الزلال، نظمت هذه العقيدة اللامية وسميتها: "الشهب المرمية على المعطلة والجهمية" وهي هذه.

قال فيها مقرراً علو الله عز وجل على عرشه:

وقد جاء في إثباته عن نبينا — من الخبر المأثور ما ليس يشكل
فصرح أن الله جل جلاله — على عرشه منه الملائك تنزل[2]
يخافونه من فوقهم[3]، وعروجهم[4] — إليه، وهذا في الكتاب مفصل
وتعرج حقاً روح من مات مؤمناً — إليه فتحظى بالمنى، ثم ترسل[5]
بالمصطفى أسري إلى الله فارتقى — على هذه السبع السماوات في العلو
ومنه دنا الجبار حقاً فكان قا — ب قوسين أو أدنى كما هو منزل
وفي ذا حديث في صحيح[6] محمد — صحيح صريح ظاهر لا يؤول[7]
وقد رفع الله المسيح بن مريم — إليه[8]، ولكن بعد ذا سوف ينزل
فيكسر صلبان النصارى بكفه — وما دام حياً للخنازير يقتل
وليس له شرع سوى شرع أحمد — فيقضي به بين الأنام، ويعدل
وزينب زوج المصطفى افتخرت على — بقية أزواج النبي بلا غلو
فقالت: تولى الله عقدي بنفسه — فزوجني من فوق سبع من العلو[9]

---

(1) يعني الأحساء.

(2) كما في قوله عز وجل: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل:2].

(3) كما في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:50].

(4) كما في قوله عز وجل: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:4].

(5) كما في حديث البراء بن عازب في قبض روح المؤمن وروح المرتاب، خرجه الإمام أحمد.

(6) هو محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب الصحيح.

(7) كما في حديث الإسراء والمعراج، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات.

(8) كما في قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:158].

(9) كما في حديث زينب أنها افتخرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ...الحديث. أخرجه

وإن سفيري روحه وكفى بذا ... لزينب فخراً شامخاً، فهو أطول
ولما قضى سعد الرضى في قريظة ... بأن يسترقوا والرجال تقتل
وأمضى رسول الله في القوم حكمه ... لقد قال ما معناه إذ يتأمل:
ألا إن سعداً قد قضى فيهم بما ... قضى الله من فوق السماوات فافعلوا(1)
وقد صح أن الله في كل ليلة ... إذا ما بقي ثلث من الليل ينزل
إلى ذي السما الدنيا ينادي عباده ... إلى أن يكون الفجر في الأفق مشعل
يناديهم: هل تائب من ذنوبه؟ ... فإني لغفار لها متقبل
وهل منكم داع، وهل سائل لنا ... فإني أجيب السائلين، وأجزل(2)
وقد فطر الله العظيم عباده ... على أنه من فوقهم فله سلوا
لهذا تراهم يرفعون أكفهم ... إذا اجتهدوا عند الدعاء إلى العلو
أقروا بهذا الاعتقاد جبلة ... ودانوا به ما لم يصدوا ويخذلوا
على ذا مضى الهادي النبي وصحبه ... وأتباعهم خير القرون وأفضل(3)

فقد قرر رحمه الله- إثبات صفة العلو لله عز وجل، وذكر أمثلة لذلك، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة.

9. قول الشيخ **محمد الأمين الشنقيطي**.

قال -رحمه الله- مقرراً صفة العلو لله عز وجل:

"قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة:255].

وصف نفسه جل وعلا في هذه الآية الكريمة، بالعلو والعظمة، وهما من الصفات الجامعة كما قدمناه في سورة الأعراف، في الكلام على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الأعراف:54].

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من وصفه تعالى نفسه بهاتين الصفتين الجامعتين المتضمنتين لكل كمال وجلال، جاء مثله في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ

البخاري في كتاب التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾.

(1) كما في قصة بني قريظة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لقد حكمت فيهم بِحكم الملك من فوق سبع سماوات". أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: إذا أنزل العدو على حكم رجل، ومسلم في كتاب السير، باب: جواز قتال من نقض الحق، وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم.

(2) كما في حديث النزول، وقد تقدم.

(3) الشهب المرمية، ضمن أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة، (ص/113-115).

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة:255]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء:34]، وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد:9]، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الجاثية:37]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال صاحب التتمة –رحمه الله–:

"قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك:16]. قال ابن جرير: هو الله تعالى اهـ.

ومعتقد السلف هو طبق ما قاله ابن جرير لحديث الجارية: "أين الله؟" قالت: في السماء، قال: "اعتقها فإنها مؤمنة" ولعدة آيات في هذا المعنى.

وقد يقال: إن معنى في هو الظرفية، فنجعل السماء ظرفاً لله تعالى، وهذا يقتضي التشبيه بالمتحيز. فيقال: إنه سبحانه منزه عن الظرفية بالمعنى المعروف والمنصوص في حق المخلوق، وقد دلت النصوص من السنة على نفي ذلك عنه تعالى واستحالته عقلاً عليه سبحانه في حديث: "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة أو دراهم في ترس، وما الكرسي في العرش إلا كحلقة في فلاة وما العرش في كف الرحمن إلا كحبة خردل في كف أحدكم"[(1)]، فانتفت ظرفية السماء له سبحانه على المعروف لنا، ولأنه سبحانه مستو على عرشه.

وفيما قدمه الشيخ–رحمة الله تعالى علينا وعليه– في هذا المبحث شفاء وغناء، ولله الحمد والمنة.

قال القرطبي:

"إن في السماء بمعنى فوق السماء كقوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة:2]أي فوقها لا بالمماسة والتحيز. وقيل: في بمعنى على كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه:71] أي عليها" إلى أن قال: "والأخبار في هذا الباب كثيرة صحيحة منتشرة مشيرة إلى العلو لا

---

(1) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأظنه ملفق من عدة روايات، وروى ابن جرير في تفسير آية الكرسي نحوه بدون ذكر آخره بسند ضعيف فيه عبد الرحمن بن زيد، وقد صحح الشيخ الألباني –رحمه الله– في السلسلة الصحيحة (109) نحوه بلفظ: "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على الحلقة، وقال: "لا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث.

يدفعها إلا ملحد أو جاهل أو معاند، والمراد بها توقيره وتتريهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو" ا هـ. وهذا الذي ذكره هو عين مذهب السلف"[1].

فقد قرر رحمه الله- إثبات صفة العلو لله عز وجل مستدلاً بالآيات، وبحديث الجارية وإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لها حينما أشارت إلى علو الله عز وجل.

مما تقدم يتبين لنا أن أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون صفة العلو لله عز وجل على ما يليق بجلاله، وهم بذلك يوافقون ما عليه السلف الصالح في هذا الباب.

قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله-:

"قد ثبتت بالفطرة التي اتفق عليها أهل الفطر السليمة، وبالنقول المتواترة عن المرسلين من الأخبار، وما نطقت به كتب الله واتفق عليه المؤمنون بالرسل قبل حدوث البدع: أن الله فوق العالم، وثبت أيضاً بالكتاب والسنة والإجماع أنه استوى على العرش؛ فالعلو على العالم معروف بالفطرة والمعقول، وبالشرع والمنقول"[2].

---

(1) أضواء البيان، (406/8-407).

(2) نقض التأسيس، (355/1)، تعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط: دار القاسم بالرياض، ط/2، 1421هـ.

المسألة السادسة: صفة العلم

العلم صفة ذاتية لله عز وجل ثابتة بالكتاب والسنة، ومن أسماء الله تعالى الحسنى: العلام، والعليم، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:255]. وقوله: ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة:109]. وقوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف:7]، وقوله: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه:98].

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاستخارة" اللهم إني أستخيرك بعلمك..."(1). وقوله: في حديث موسى-عليه السلام- مع الخضر:" إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه"(2).

وقد أخذ أهل العلم، ومنهم المالكية من هذه الآيات والأحاديث، وما في معناها أن الله متصف بالعلم الذي لم يسبقه جهل، ولا يلحقه نسيان، وأنه موصوف بالعلم كغيره من الصفات اللائقة بجلاله، وجماله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وأئمة المالكية كغيرهم من أهل السنة يقررون ذلك في دروسهم، ومؤلفاتهم فمن ذلك:

1. ما قرره **الإمام ابن أبي زيد القيرواني** حيث قال-رحمه الله- في كتابه الجامع في بيان بعص الصفات لله عز وجل:"...فمما أجمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة أن الله-تبارك وتعالى-له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته-وهو سبحانه وتعالى-موصوف بأن له علما، وقدرة، وإرادة، ومشيئة لم يزل بجميع صفاته وأسمائه"(3).

وقال في مقدمة الرسالة: "خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:59]. علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره، لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾

---

(1) أخرجه البخاري في أبواب التهجد، باب: ما جاء في التطوع مثنى مثنى.

(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ ، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضل الخضر عليه السلام.

(3) الجامع، (ص/139).

[الملك:14][1].

فقد قرر-رحمه الله- صفة العلم لله عز وجل، وأنه من صفاته سبحانه وتعالى كما هو منهج أهل السنة والجماعة

2. ومن قرر إثبات صفة العلم لله عز وجل **ابن أبي زمنين** حيث قرر ذلك في مواضع من كتابه أصول السنة، فمن ذلك:

أ- في باب الإيمان بالعرش بعد أن أورد الآيات الدالة على استواء الله على العرش قال: "فسبحان من بعُد فلا يرى، وقرب بعلمه وقدرته فسمع النجوى"[2]. فقوله: "وقرب بعلمه" دليل على تقريره لعلم الله عز وجل.

ب- وقال في باب الإيمان بالنـــزول بعد أن أورد الآيات والأحاديث قال: "قال محمد: والحديث مثل هذا كثير جداً، فسبحان الله من علمه بما في الأرض كعلمه بما في السماء، لا إله إلا هو العلي العظيم"[3]. وفي ذلك دليل على تقريره -رحمه الله- لصفة العلم لله عز وجل.

ج- وقال في باب الإيمان بالقدر: "قال محمد بن عبد الله: ومن قول أهل السنة أن المقادير كلها، خيرها وشرها، حلوها ومرها، من الله عز وجل، فإنه خلق الخلق وقد علم ما يعملون وما إليه يصيرون"[4].

فمما تقدم يتبين تقرير الإمام بن أبي زمنين لصفة العلم لله عز وجل كما هو معتقد أهل السنة.

3. ومن قرر ذلك **القاضي عبد الوهاب البغـــــــــدادي-رحمه الله-** حيث قال: في شرح الرسالة"...وكذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [النحل:128] معناه بالرعاية والحفظ والحياطة، لا أن ذاته معهم، ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ [المجادلة:7] معناه أنه لا يخفى عليه شيء يكون في ملكه، بل يعلم جميعه. وهذا يدل على ما قاله-رحمه الله- أنه جل وعز يوصف بأنه في كل مكان بعلمه على معنى العلم، فإن قال قائل: فما معنى ذكر أبي محمد عقيب هذا القول الآيتين الآتيتين،

(1) الرسالة، (ص/6-7).

(2) أصول السنة، (ص/88).

(3) المصدر السابق، (ص/114).

(4)المصدر السابق، (ص/197).

وهما قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق:16]، وقوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام:59]. وأي فرق بين هاتين الآيتين، وبين غيرهما حتى اختص هذا الموضع بالاستشهاد بهما! فالجواب: أن هذا قول معتب غرضه ثلب الشيوخ والوقيعة فيهم فاستشهاده-رحمه الله- في أحسن مواضعه، وأبلغ مواقعة، وذلك أنه لما قال:"وهو في كل مكان بعلمه" ذكر دليلا، وحجة له، وهو قوله: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ يريد في الموضع الذي به الإنسان حال مقيم توسوس إليه نفسه بما وسوست فيعلم ما توسوسه، وهو في ذلك المكان، فيكون الله تعالى كالكائن في ذلك المكان الشاهد بالحلول؛ إلا أنه عز وجل هو كذلك في العلم، وأبلغ من علم الحاضر لله الحال، وأبلغ من علمه بنفسه، ثم قال: وكذلك الآية الأخرى هي تنبيه على أنه لا يخفى عليه شيء قرب، أو بعد، ظهر للحس، أو خفي عنه، وهو قوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ لأن هذا مما يعجز عن علمه الخلق كافة، وكذلك الحبة في ظلمات الأرض، فأي شيء أبلغ من هذا المعنى في الاستشهاد بما ذكره"[1].

وبهذا يتضح تقرير القاضي إثبات صفة العلم لله عز وجل، وأنه عالم بالكليات والجزئيات، كما هو معتقد أهل السنة والجماعة.

4. وقال ابن بطال في شرح باب قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن:26] من صحيح البخاري:

"في هذا الباب إثبات علم الله تعالى صفة لذاته؛ إذ العلم حقيقة في كون العالم عالمًا، إذ من المحال كون العالم عالمًا ولا علم له، وكذلك سائر أوصافه المقتضية للصفات التي هي حقيقة في ثبات الأوصاف المجراة عليه تعالى من كونه حيًا وقادرًا وما شابه ذلك خلافًا لما تقوله القدرية[2] من أنه عالم قادر حي بنفسه لا بقدرة ولا بعلم ولا بحياة، ثم إذا ثبت كون علمه قديمًا وجب تعلقه بكل معلوم على حقيقته، وقد نص الباري تعالى على إثبات علمه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان:34] [لقمان: 34]، وبقوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء:166]، وبقوله: ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾

---

(1) شرح الرسالة، (ص/27-28).

(2) القدرية هم القائلون بأن العبد يخلق فعل نفسه، وأن أفعال العباد مقدورة لهم على جهة الاستقلال، وهم طائفتان: المتقدمون منهم ينكرون علم الله بالأشياء قبل وجودها، ومنهم معبد الجهني، وهم الذين كفرهم السلف؛ وأما المتأخرون فهم يثبتون العلم وينازعون في مرتبة الخلق، ومن أشهر فرقهم المعتــزلة. انظر: مقالات الإسلاميين (298/1)، الملل والنحل (43/1)، ولوامع الأنوار البهية (297/1-302). وانظر: عقيدة الإمام بن عبد البر للغصن، (ص/148)، حاشية (1).

[فاطر:11]، وبقوله: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فُصِّلَت:47]، فمن دفع علم الباري تعالى الذي هو حقيقة في كونه عالمًا، وزعم أنه عالم بنفسه لا بعلم فقد رد نصه تعالى على إثبات العلم الذي هو حقيقة في كونه عالمًا، ولا خلاف بين رد نصه على أنه ذو علم وبين نصه على أنه عالم، فالنافي لعلمه كالنافي لكونه عالمًا، واجتمعت الأمة على أن من نفى كونه عالمًا فهو كافر، فينبغي أن يكون من نفى كونه ذا علم كافرًا؛ إذ من نفى أحد الأمرين كمن نفى الآخر، والقول فى العلم بهذا كاف من القول به في جميع صفاته.

وتضمن هذا الباب الرد على هشام بن الحكم[1]، ومن قال بقوله من أن علمه تعالى محدث وأنه لا يعلم الشيء قبل وجوده. وقد نبه الله تعالى على خلاف هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان:34] وجميع الآيات الواردة بذلك، وأخبرنا النبي- صلى الله عليه وسلم- بمثل ذلك في حديث ابن عمر وعائشة فلا يلتفت إلى من رد نصوص الكتاب والسنة"[2].

فقد قرر رحمه الله- إثبات صفة العلم لله عز وجل، وأنه لا يجوز إنكار ذلك، وقرر كفر من أنكر علم الله عز وجل لأنه منكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

5. وممن قرر ذلك الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر حيث حكى إجماع العلماء على إثبات صفة العلم لله جل وعلا مع الإقرار باستوائه على عرشه، فقال:

"أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:7] هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله"[3].

مما تقدم يتبين أن الحافظ ابن عبد البر يقرر إثبات علم الله عز وجل وينقل إجماع العلماء على ذلك.

---

(1) هو: هشام بن الحكم الكوفي الرافضي المجسم، وله نظر، وجدل. قال ابن حزم: جمهور متكلمي الرافضة كهشام بن الحكم، وتلميذه أبي علي الصكاك، وغيرهما يقولون: بأن علم الله محدث، وأنه لم يعلم شيئا في الأزل، فأحدث لنفسه علما. هلك بعد نكبة البرامكة بمديدة مستترا، ويقال عاش إلى خلافة المأمون. سير أعلام النبلاء، (10/543-544)، ولسان الميزان للحافظ ابن حجر، (8/334).

(2) شرح ابن بطال، (10/407-408)

(3) انظر:التمهيد، (7/139) بشيء من التصرف.

6. وممن قرر صفة العلم لله عز وجل **الشيخ العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي -رحمه الله-** حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف:7].

"بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه يقص على عباده يوم القيامة ما كانوا يعملونه في الدنيا، وأخبرهم جل وعلا أنه لم يكن غائباً عما فعلوه أيام فعلهم له في دار الدنيا، بل هو الرقيب الشهيد على جميع الخلق، المحيط علمه بكل ما فعلوه من صغير وكبير، وجليل وحقير، وبين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:7]، وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:4]، وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:61].

وفي هذه الآية الكريمة الرد الصريح على المعتزلة النافين صفات المعاني، القائلين: إنه تعالى عالم بذاته، لا بصفة قامت بذاته، هي العلم، وهكذا في قولهم: قادر مريد، حي سميع، بصير متكلم، فإنه هنا أثبت لنفسه صفة العلم بقوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ﴾ [الأعراف:7]، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء:166] الآية، وهي أدلة قرآنية صريحة في بطلان مذهبهم الذي لا يشك عاقل في بطلانه وتناقضه"(1).

---

(1) أضواء البيان، (343/2-344).

وقال في موضع آخر بعد أن قرر شيئاً من صفات الله عز وجل: "وقال في وصف نفسه بالعلم: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:282] ، ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء:166] الآية، وقال: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف:7][1].

وقال في موضع آخر: "قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة:143]الآية. ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون. وقد بين أنه لا يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه بقوله جل وعلا: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران:154]، فقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران:154]، بعد قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ [آل عمران:154]، دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئا لم يكن عالماً به، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً؛ لأن العليم بذات الصدور غني عن الاختبار، وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي يذكر الله فيها اختباره لخلقه. ومعنى ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: علماً يترتب عليه الثواب والعقاب، فلا ينافي أنه كان عالما به قبل ذلك، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس؛ أما عالم السر والنجوى فهو عالم بكل ما سيكون كما لا يخفى[2].

مما تقدم يتضح أن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي يقرر صفة العلم لله عز وجل، وأنه من الصفات الذاتية التي لا تنفك عنه سبحانه وتعالى كما هو معتقد أهل السنة والجماعة.

وبهذه النقول يتبين لنا ما عليه أئمة المالكية سلفاً وخلفاً من إثبات صفة العلم لله عز وجل على ما يليق بجلاله شأنهم في ذلك شأن إخوانهم من أهل السنة والجماعة قديما وحديثا، ومن جميع أتباع المذاهب.

---

(1) المصدر السابق، (363/2).
(2) المصدر السابق، (104/1).

يقول الشيخ عبد العزيز بن يحيى الكناني[1] مقرراً لصفة العلم لله عز وجل، وذلك عند مناظرته لبشر المريسي: "ولكني أبدأ بما هو أشنع وأظهر فضيحة لمذهبك وأدفع لبدعتك، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة:255]، وقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:166]، وقال عز وجل: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود:14]وقال عز وجل: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر:11] ... أَتُقِرّ يا بشر أن لله علماً كما أخبر أو تخالف التنـــزيل؟[2].

---

(1) عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي أبو الحسن، روى عن سفيان، وتفقه بالشافعي واشتهر بصحبته، خرج إلى اليمن ثم عاد إلى مكة، وقدم بغداد في أيام المأمون فجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن. من مؤلفاته: الحيدة. توفي سنة 240هـــ.

انظر ترجمته في تاريخ بغداد، (449/10)، والفهرست لابن النديم (184/1)، وطبقات الشافعية للسبكي (265/1)، وكشف الظنون (ص/694)، ومعجم المؤلفين (171/2).

(2) الحيدة، (ص/31).

المسألة السابعة: صفتا السمع والبصر

يثبت أهل السنة والجماعة لله تعالى صفتي السمع والبصر على الحقيقة، وعلى الكيفية اللائقة بالله تعالى، وهما صفتان ثابتتان لله سبحانه وتعالى بالكتاب والسنة والإجماع.

فقد ورد إثبات صفة السمع لله عز وجل في كتابه الحكيم في سبع وخمسين آية، وورد إثبات صفة البصر لله جل وعلا في خمسين آية[1].

ومن تلك الآيات قوله عز وجل: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:46]، وقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، وقوله: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:1].

وما الأدلة من السنة فكثيرة جدا منها:

حديث أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه- قال: كنا مع النبي- صلى الله عليه وسلم- في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: "أربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائبا، تدعون سميعا بصيرا قريبا"[2].

وحديث عائشة-رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: :إن جبريل عليه السلام ناداني، قال: إن الله قد سمع قول قومك، وما ردوا عليك"[3].

وحديث عائشة-رضي الله عنها-: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة:1].[4]

---

(1) انظر: المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، (ص/351).

(2) أخرجه البخاري، في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾، ومسلم في كتاب الذكر، باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

(3) أخرجه البخاري، في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي-صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين.

(4) أخرجه البخاري تعليقا، في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ وأحمد(46/1)، والنسائي في السنن، (186/6)، والحاكم، (48/3)، وغيرهم من طرق به، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

وكلام أهل السنة والجماعة في تقرير هاتين الصفتين، ومنهم أئمة المالكية مشهور، وفي كتبهم، ومؤلفاتهم منثور، فمن ذلك:

1) ما قرره **الإمام ابن أبي زيد القيرواني** حيث قال في مقدمة الرسالة، وهو يذكر صفات الله عز وجل مقررا لها:" وهو العلي العظيم العالم الخبير المدبر القدير، السميع البصير، العلي القدير...وأنه يسمع، ويرى، ويقبض ويبسط"(1).

فقوله: السميع البصير، فيه تقرير لعقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات السمع والبصر لله عز وجل؛ وأنه سبحانه موصوف بأنه سميع وبصير على الحقيقة من غير مشابهة للمخلوقين في ذلك.

وفي قوله: أنه يسمع ويرى، فيه تقرير لهاتين الصفتين؛ وأن الله له سمع يسمع به، وبصر يبصر به، وهذا هو ما دل عليه الكتاب والسنة كما تقدم، وهو منهج السلف الصالح الذين يثبتون لله عز وجل الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة، ويجيروها من التأويل، والتعطيل والتحريف، والتكييف والتمثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

2) ومن ذلك ما قرره **القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي** في هاتين الصفتين، حيث أثبتهما لله عز وجل، ورد على المعتزلة الذين يؤولون صفتي السمع والبصر بالعلم، وبين أن مثل هذا القول ضلال، وأنه خلاف ما اجتمعت عليه الأمة، ولم يخالف فيه إلا من لا يعتد بمخالفته، وقال في شرحه لمقدمة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني:" فأما كونه سميعا بصيرا، فلا خلاف فيه بين الأمة، إلا عند البلخي(2)، ومن تابعه من معتزلة البغداديين؛ فإنهم يزعمون أن وصفه تعالى لنفسه بأنه سميع بصير يرجع إلى أنه عالم، وليس بمعنى زائد عليهن وهذا ضلال من راكبه،والصائر إليه"(3).

فقد قرر-رحمه الله- صفتي السمع والبصر لله عز وجل، وبين أن إثبات هاتين الصفتين

(1) مقدمة ابن أبي زيد القيرواني، تقديم الشيخ بكر أبو زيد، (ص/56).

(2) هو: عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المعتزلي البغدادي المعروف بأبي القاسم الكعبي من نظراء أبي علي الجبائي، له تصانيف، منها:المقالات، والاستدلال بالشاهد على الغائب، والسنة والجماعة، (ت:329هـ)، انظر: ترجمته في السير، (313/14)، تاريخ بغداد (384/9)، وفيات الأعيان (45/3).

(3) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير ابن أبي زيد، (ص/25).

لله عز وجل لا خلاف فيه بين الأمة، ولم يخالف فيه إلا أهل الضلال من المعتزلة ومن نحا نحوهم.

3) وممن قرر ذلك أيضاً **أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني–رحمه الله–** حيث قال في رسالته

الوافية في تقرير الصفات لله عز وجل" والسمع والبصر اللذان أدرك بهما جميع المسموعات والمبصرات"[1].

ثم ساق الأدلة على هذه الصفات من القرآن العظيم، فقال في ذكر الأدلة على هاتين الصفتين:" وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:46] وقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنفال:61]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1]"[2].

وهكذا يقرر–رحمه الله– هاتين الصفتين لله عز وجل مستدلا بأقوى الأدلة موافقا بذلك لأهل السنة والجماعة في إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالى؛ وأنهما صفتان حقيقيتان مبينا آثار هاتين الصفتين.

4) وقال ابن بطال–رحمه الله– عند شرحه باب قوله تعالى:﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء:134]: "غرضه –أي: البخاري–فى هذا الباب أن يرد على من يقول: إن معنى سميع بصير معنى عليم لا غير؛ لأن كونه كذلك يوجب مساواته تعالى للأعمى والأصم الذى يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، وأن فى العالم أصواتاً ولا يسمعها، ولا شك أن من سمع الصوت وعلمه ورأى خضرة السماء وعلمها أدخل فى صفات الكمال ممن انفرد بإحدى هاتين الصفتين، فصح أن كونه سميعاً بصيراً يفيد قدراً زائداً على كونه عليماً. وكونه سميعاً بصيراً يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر كما تضمن كونه عليماً أنه يعلم بعلم، ولا فرق بين إثبات كونه سميعاً بصيراً وبين كونه ذا سمع وبصر، كما أنه لا خلاف بين إثباته عالماً وبين إثباته ذا علم؛ فإن من نفى أحد الأمرين كمن نفى الآخر، وهذا مذهب أهل السنة والحق"[3].

---

(1) الرسالة الوافية، (ص/45).

(2) المصدر السابق، (ص/46).

(3) شرح صحيح البخارى، (10/ 416-417)، وانظر فتح الباري لابن حجر، (385/13).

وقال: "ومعنى حديث أبي بكر في هذا الباب[1] هو أن دعاءه الله بما علمه النبي – عليه السلام- يقتضى اعتقاد كونه تعالى سميعاً لدعائه ومجازياً له عليه"[2].

وقال عند شرحه باب قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ [فُصِّلَت:22]، غرضه: أي البخاري- في هذا الباب إثبات السمع لله تعالى والعلم بنيات الكلام له في هذه الآية ومن سائر الآيات فى الأبواب المتقدمة، وإذا ثبت أنه سميع فواجب كونه سامعًا بسمع، كما أنه لما ثبت كونه عالمًا وجب كونه عالمًا بعلم خلافًا لمن أنكر صفات الله من المعتزلة.

وقالوا: معنى وصفه بأنه سامع للمسموعات: بمعنى وصفه بأنه عالم بالمعلومات ولا سمع له، ولا هو سامع حقيقة، وهذه شناعة ورد لظواهر كتاب الله وسنن رسوله، وموجب كون المخلوق أكمل أوصافًا من الخالق؛ لأن السامع منا يسمع الشيء ويعلمه حقيقة، وكذلك البصير منا يرى الشيء ويعلمه حقيقةً، فلو كان الباري سامعًا لما يسمعه ويعلمه بمعنى أنه عالم فقط؛ لكنا أكمل وصفًا منه تعالى من حيث أدركنا الشيء من جهة السمع والعلم، وأدركه هو من جهة العلم فقط، ومن أدرك الشيء من وجهين أولى بصفة الكمال من مدركه من وجه واحد، وهذا يوجب عليهم أن يكون خالقهم بصفة الأصم الذي يعلم الشيء ولا يسمعه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا"[3].

وهكذا نجد أن ابن بطال-رحمه الله- يقرر صفتي السمع والبصر لله تعالى على الحقيقة دون تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في صفتي السمع والبصر وغيرهما من صفات الله عز وجل.

---

(1) يريد حديث أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- أنه قال للنبي صلى الله عليه و سلم: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: قل: "اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم" أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء: باب: استحباب خفض الصوت بالذكر.

(2) شرح صحيح البخاري، (10/417-418)

(3) المصدر السابق، (10/525).

5) وممن قرر صفتي السمع والبصر لله عز وجل على ما يليق بجلاله **الإمام الشاطبي** **–رحمه الله–** حيث قال في معرض رده على الذين ينفون بعض صفات الله عز وجل: "وأما معاني الخطاب فإن العرب لا تفهم من قوله: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ و﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أو ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ وما أشبه ذلك، إلا من له سمع وبصر وعلم وقدرة اتصف بها، فإخراجها عن حقائق معانيها التي نزل القرآن بها خروج عن أم الكتاب إلى اتباع ما تشابه منه من غير حاجة"(1)

فنجد الشاطبي–رحمه الله– يقرر صفتي السمع والبصر على الحقيقة كما هو منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وهو الذي دل عليه القرآن العظيم، والسنة المطهرة.

6) وممن يقرر صفتي السمع والبصر لله عز وجل **العلامة محمد الأمين الشنقيطي** حيث يقول–رحمه الله–"ووصف الله نفسه بالسمع والبصر، قال:﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان:28]،﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج:75] ،﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]. ووصف بعض خلقه بالسمع والبصر. قال:"﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:2]﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ﴾ [مريم:38]، فلله سمع وبصر حقيقيتان لائقتان بكماله وجلاله، وللمخلوق سمع وبصر لائقان بحاله، وبين سمع الخالق وبصره، وسمع المخلوق، وبصره من المنافاة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق"(2).

وقال –رحمه الله– عند تفسير قوله تعالى:﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف:26] "أي ما أبصره وما أسمعه جل وعلا. وما ذكره في هذه الآية الكريمة من اتصافه جل وعلا بالسمع والبصر، ذكره أيضا في مواضع أخر، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، وقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:1] وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج:75]،

---

(1) الاعتصام، (45/2) تحقيق مشهور آل سليمان.

(2) العذب النمير، (265/3-266).

والآيات بذلك كثيرة جدا"[1].

وهكذا نجد أن أئمة المالكية-رحمهم الله-يقررون صفتي السمع والبصر لله عز وجـــل، ويثبتونهما على الحقيقة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل كغيرهـــا من الصفات الثابتة لله عز وجل، وقد وافق متأخروهم متقدميهم مما يدل على أنهم جميعا موافقون للسلف الصالح في إثبات صفات الله عز وجل وتقريرها، ومما يدل على ذلك ما نقله الإمام المقدسي الحنبلي-رحمه الله- حيث قال مقررا لصفتي السمع والبصر:" اعلـــم وفقنا الله وإياك لما يرضيه من القول والنية والعمل، وأعاذنا، وإياك من الزيغ والزلـــل أن صالح السلف، وخيار الخلف، وسادة الأئمة، وعلماء الأمة اتفقت أقـــوالهم وتطابقـــت آرائهم على الإيمان بالله عز وجل، وأنه أحد فرد صمد، حي قيوم، سميع بصير"[2].

---

(1) أضواء البيان، (105/4-106).

(2) الاقتصاد في الاعتقاد، (ص/78).

المسألة الثامنة: صفة الحياة والقيومية

الحياة والقيومية من صفات الله الذاتية[1] يثبتهما أهل السنة والجماعة لله عز وجل على الحقيقة، وعلى ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على وصف الله عز وجل بالحياة وبالقيومية.

فمما ورد في الكتاب من صفة الحياة والقيومية له سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:255]، وقال: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:58]، وقال: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ [طه:111].

وأما الأدلة من السنة فكثيرة أيضا فمنها:

- حديث ابن عباس-رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون"[2].

- وحديث ابن عباس-رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تهجد من الليل قال: "اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق ..."[3] الحديث.

---

(1) صفة القيومية صفة ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار آخر، فالله سبحانه وتعالى قائم بنفسه جل وعلا، ومقيم لغيره

(2) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل.

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾، ومسلم في كتاب الصلاة، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

وأئمة المالكية كغيرهم من أهل السنة والجماعة يقررون صفة الحياة والقيومية لله عز وجل على ما يليق بجلاله، ومؤلفاتهم ورسائلهم شاهدة بذلك، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

1. ما قرره **الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي زمنين الأندلسي،** حيث: أفرد في كتابه-السنة- بابا في ذكر الإيمان بصفات الله وأسمائه، قال فيه:

"واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علما، والعجز عما لم يدع إيمانا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيه، وقد قال: وهو أصدق القائلين...ثم استعرض الآيات الدالة على صفات الله عز وجل، وذكر منها ما يدل على صفة الحياة والقيومية، وهو قول الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ [البقرة:255]، وقال بعد ذكر الآيات... ومثل هذا في القرآن كثير، فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض، كما أخبر عن نفسه، ...حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم"(1).

فقرر-رحمه الله- صفتي الحياة والقيومية، وأثبتهما لله عز وجل كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، و لم يتعرض لها بتعطيل ولا تمثيل.

2. ومن ذلك ما ذكره **أبو عمرو الداني-رحمه الله-** حيث قال مقرراً لصفة الحياة كغيرها من الصفات:" وأنه الحي الذي لا يموت، والدائم الذي لا يزول، إله كل مخلوق ومبدعه، ومنشئه ومخترعه. وأنه لم يزل مسمياً لنفسه بأسمائه، وواصفاً لها بصفاته، قبل إيجاد خلقه، وأنه قديم بأسمائه وصفات ذاته التي منها: الحياة التي بان بها من الأموات والموات... (2)، ثم ذكر الأدلة من القرآن على ما أورد من الصفات، ومنها قوله عز وجل:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة:255]، وقوله:﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:58]"(3).

---

(1) أصول السنة، (ص/60-61).

(2) هذه ليست من عبارات السلف وطريقتهم حيث أنهم يرون الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات.

(3) الرسالة الوافية، (ص/45).

وبهذا يتبين أن أبا عمرو يقرر صفة الحياة لله عز وجل على ما يليق بجلالــه وجمالــه سبحانه وتعالى.

3. وممن قرر صفتي الحياة والقيومية لله عز وجل على منهج السلف الصالح **الإمام المفسر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي** حيث قال عند تفسير آية الكرسي: "الحي القيــوم: نعت لله عز وجل...قال الطبري عن قوم : إنه يقال حي قيوم كما وصف نفسه، ويسلم ذلك دون أن ينظر فيه... وقال قتادة : الحي الذي لا يموت. وقال السدي: المراد بالحي الباقي"(1).

وقال-رحمه الله-:" الحي جل جلاله، وتقدست أسماؤه، ورد به التــتريل، وجــاء في حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-(2)، وأجمعت عليه الأمة، ويجوز إجراؤه على المخلوق، والحياة ضد الموت، والحي ضد الميت، فالله سبحانه الحي الباقي الذي لا يجوز عليه الموت، والفناء-عز وجل، وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، ولا تعرف العرب من الحي، والحياة غير هذا...إلى أن قال: والحي اسم من أسمائه سبحانه وتعالى، سمى به نفسه، وهو من صفات الذات، وليس في الوجود موجود له حياة من ذاته لذاته، إلا الله وحده، فصفة الحياة لــه ذاتية"(3).

وبعد كلام له عن معنى الحياة في اللغة، وعلى من تطلق نقل عن بعض العلماء أقوالا في معنى الحي ثم قال: وقال الخطابي في صفة الله سبحانه بأنه: "الحي الذي لم يزل موجودا، وبالحياة موصوفا لا تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحيــاة، ســائر الأحياء يعتورهم الموت والعدم في أحد طرفي الحياة، أو فيهما معــا: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص:88]، ثم قال: فيجب على كل مكلف: أن يعتقد أن الله سبحانه حي كما أخبر عن نفسه، وأن كل حياة فمن عنده..."(4)

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، (272/2).

(2) أخرجه البخاري في كتاب الوكالة، باب: إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل، فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز.

(3) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ص/301-302).

(4) المصدر السابق، (ص/302-303).

ثم ذكر القيومية، فقال: القيوم جل جلاله، وتقدست أسماؤه نطق به القرآن، وجاء في حديث أبي هريرة، وأجمعت عليه الأمة، وقيوم، وقيام، وقائم، ومقيم كله ورد في حقه سبحانه، ويجوز وصف العبد بأنه قائم، ومقيم كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران:75]، ولا يجوز قيوم على العبد، لا منكرا، ولا معرفا... ثم قال... واختلفت عبارات العلماء في معنى القيوم فحكى الطبري عن مجاهد: القيوم القائم على كل شيء، وقال قتادة: القائم بتدبير ما خلق، وقال الحسن القائم على كل نفس بما كسبت، حتى يجازيها بعملها من حيث هو عالم بها لا يخفى عليه شيء منها... وقال الربيع بن خيثم: القائم على كل شيء يكلأه ويرزقه، ويحفظه تفضلا منه، فيكون قول الحسن خرج مخرج الوعيد، والثاني مخرج الامتنان.

وقال الشاعر:

إن ذا العرش للذي يرزق الناس وحي عليهم قيوم

وقال الحليمي [(1)] في معنى القيوم: إنه القائم على كل شيء من خلقه يدبره بما يريد.[(2)] وعلى هذا يكون من صفات الفعل، وإذا كان القائم والقيوم في وصفه: القائم بنفسه المستغني عن غيره، فهما من أوصاف الذات[(3)].

وقال الخطابي: القيوم القائم الدائم بلا زوال، وروي هذا القول عن ابن عباس، والضحاك، وعلى هذا يكون بمعنى الباقي الدائم.

وقيل القيوم: الذي لا تفنيه الدهور بانقلاب الأمور، فعلى هذا يكون بمعنى القدوس، ويقال: هو القائم على كل نفس بالرعاية لها، والمدبر لجميع أمور العالم، فعلى هذا يكون بمعنى"الحفيظ" و"المدبر"، ومنه قول النبي-صلى الله عليه وسلم- في تهجده: "اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض"[(4)].

---

(1) هو: الحسين بن الحسن بن محمد، أبو عبد الله ولد بجرجان، ونشأ ببخاري، وكان فقهيا شافعيا إماما متقنا. قال الذهبي : كان صاحب وجه في المذهب، و رأس الشافعين فيما وراء النهر. من تصانيفة:المنهاج في شعب الإيمان، (ت: 403هـ) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، (147/3)، والعبر في خبر من غبر، (84/3).

(2) المنهاج في شعب الإيمان، (200/1).

(3) والذي يظهر لي أنه لا مانع من الأمرين، فيجوز أن يكون صفة ذات، وصفة فعل.

(4) تقدم تخريجه.

ثم قال-رحمه الله- مقررا لهذه الصفة: "فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه هو القائم على كل مخلوق"القيوم" بمنافعهم، وأرزاقهم، وحاجاتهم، وسد خلاتهم، الحافظ لملكه وإن اتسع، المحصي لأنفاس العباد وآجالهم، وأعمالهم إلى غير ذلك"(1).

4. وممن قرر صفتي الحياة والقيومية **الإمام عبد الله بن محمد القحطاني الأندلسي المالكي** في نونيته التي قرر فيها صفات الله عز وجل وفق منهج السلف الصالح ورد على المخالفين من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم ممن خالف الحق حيث قال:

وكما يقول الله ربي لم يزل   حيا وليس كسائر الحيوان

وحياة ربي لم تزل صفة له   سبحانه من كامل ذي الشأن

فقوله-رحمه الله-: "لم يزل ربي حيا": فيه إثبات صفة الحياة لله عز وجل، وأنها حياة حقيقية لم تسبق بعدم، ولا يلحقها فناء، واستدل-رحمه الله- على إثبات صفة الحياة بقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:122]، ولا يمكن أن يصف الله عز وجل مثل نفسه؛ إذ هو سبحانه أعلم بنفسه من خلقه، وقد جاء في الكتاب في أكثر من موضع وصفه عز وجل بصفة الحياة كما تقدم ذكر طرف من الآيات الدالة على ذلك.

وفي قوله: "وليس كسائر الحيوان" فيه تنـزيه صفات الله عز وجل عن مشابهة صفات المخلوقين، حيث إنه سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، كما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته لا تشبه صفاتهم، وصرح-رحمه الله- في البيت الثاني أن الله عز وجل لم يزل متصفا بالحياة، وأنها حياة كاملة تليق به سبحانه.

وقد رد على أولئك الذين ينفون صفة الحياة عن الله خوفا من التشبيه بزعمهم، وأن إثبات الصفات يلزم منه التركيب كما زعموا، وأنهم إذا أثبتو لله الصفات لزم من ذلك لوازم فاسدة، وهذا سببه راجع إلى ما وقع في نفوسهم من التمثيل الذي جرهم إلى التعطيل؛ فكانوا كما قال الأول:

رام نفعا فضر من غير قصد   ومن البر ما يكون عقوقا(2)

وهكذا نجد أن الإمام القحطاني يقرر صفة الحياة لله عز وجل على ما يليق بجلاله

---

(1) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ص/396-398).

(2) ديوان الشافعي، (ص/67) جمع محمد الزعبي.

وكماله؛ وأنه حي حياة كاملة لم تسبق بعدم، ولن تلحق بفناء مع تتريهه عـــن مشـــابهة المخلوقين، وهذا هو منهج السلف الصلح، ومن سار على نهجهم.

5. وممن قرر ذلك الشيخ العلامة **محمد بن الأمين الشنقيطي** حيث قال-رحمه الله- عند تفسيره قوله تعالى:﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه:111] "الحي: المتصف بالحياة الذي لا يموت أبدا. والقيوم صيغة مبالغة؛ لأنه جل وعلا هو القائم بتدبير شئون جميع الخلـــق. وهو القائم على كل نفس بما كسبت. وقيل: القيوم الدائم الذي لا يزول"(1).

وقال في وصف نفسه بالحياة : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقـــرة:255] ، ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر:65]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:58]، ونحو ذلك من الآيات.

وقال في وصـــف المخلـــوق بهـــا :﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:15]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء:30]، ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم:19]، فله جل وعلا حياة حقيقية تليق بجلاله وكماله، وللمخلوق أيضا حياة مناسبة لحاله؛ وبين حياة الخالق والمخلوق من المنافاة مـــا بـــين ذات الخـــالق والمخلوق(2).

فقد قرر رحمه الله- صفة الحياة و القيومية لله عز وجل على ما يليق بجلاله كما هـــو منهج أهل السنة والجماعة.

وبهذه النقول يتبين أن متقدمي أئمة المالكية ومتأخريهم يقررون صفتي الحياة والقيومية لله عز وجل؛ وأنهما صفتان حقيقيتان تليقان بجلال الله عز وجل وكماله، وهذا هو منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان، وقد نقـــل إجمـــاعهم شـــيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- حيث قال:"ومن المعلوم باتفـــاق المســـلمين أن الله حـــي حقيقة"(3)، وقال أيضا:" وقد اتفق جميع أهل الإثبات على أن الله حي حقيقة"(4).

---

(1) أضواء البيان، (644/4).

(2) المصدر السابق، (363/2).

(3) مجموع الفتاوى، (46/3، 218).

(4) المصدر السابق، (196/5).

المسألة التاسعة: صفة القدرة

صفة القدرة من صفات الله تعالى الذاتية يثبتها أهل السنة والجماعة على الوجه اللائق به سبحانه تعالى.

وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على ثبوتها، ووصف الله بها، ومن أسمائه سبحانه وتعالى: القدير، والقادر، والمقتدر.

ومن أدلة الكتاب على هذه الصفة ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:20]، وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ [الأنعام:65]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ، فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر:54-55].

ومن السنة، حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي- رضي الله عنه- أنه شكا إلى النبي- صلى الله عليه وسلم وجعاً يجده فى جسده منذ أسلم. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل باسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله، وقدرته، من شر ما أجد وأحاذر"[1].

وحديث أبي مسعود البدري-رضي الله عنه:" قال: كنت أضرب غلاما لي فسمعت من خلفى صوتا:" اعلم أبا مسعود: لله أقدر عليك منك عليه"، فالتفت فإذا هو رسول الله- صلى الله عليه وسلم-..."[2].

وقد أجمع أهل العلم على ثبوتها لله عز وجل حقيقة حكى ذلك الإجماع غير واحد من أهل العلم[3].

والمحققون من أئمة المالكية كغيرهم من أهل السنة والجماعة يثبتون صفة القدرة لله تعالى على ما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ومن أمثلة ذلك:

---

(1) رواه مسلم في كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء

(2) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب صحبة المماليك، وكفارة من لطم عبده.

(3) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، (385/1).

1. ما قرره **الإمام ابن أبي زيد القيرواني** حيث قال في كتابه الجامع: "فمما أجمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة أن الله-تبارك وتعالى- له الأسماء الحسنى، والصفات العلى لم يزل بجميع صفاته، وهو-سبحانه- موصوف بأن له علما، وقدرة، وإرادة، ومشيئة لم يزل بجميع صفاته وأسمائه"[(1)].

فقد قرر-رحمه الله-صفة القدرة لله عز وجل على ما يليق بجلاله كما هو منهج أهل السنة والجماعة حيث ذكر أن هذه الصفة مما أجمعت الأئمة عليه، وأنه يجب إثباتها لله عز وجل، وأن من خالف ما عليه أهل السنة والجماعة، ونفى هذه الصفة، أو غيرها من الصفات الثابتة لله تعالى، فقد وقع في البدعة والضلالة.

2. ما قرره **ابن بطال-رحمه الله-** في شرحه لصحيح البخاري عند قول البخاري: باب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:58]، قال ابن بطال:

"وقد تضمن هذا الباب الرد على من أنكر أن لله صفة ذات هى قدرة وقوة لاعتقادهم أنه قادر بنفسه لا بقدرة، والله تعالى قد نص على أن له قدرة بخلاف ما تعتقد القدرية من أنه قوى بنفسه لا بقوة. وفيه : رد على المجسمة القائسين للغائب على الشاهد قالوا : كما لم نجد قويا ولا ذا قوة فيما بيننا إلا جسمًا كذلك الغائب حكمه حكم الشاهد، فيقال لهم إن كنتم على الشاهد تقولون وعليه تعتمدون في قياس الغائب عليه، فكذلك لم تجدوا جسمًا إلا ذا أبعاض وأجزاء مؤلفة، فيصح عليه الموت والحياة والعلم والجهل والقدرة والعجز، فاقضوا على أن الغائب حكمه حكم هذا فإن مروا عليه ألحدوا، وإن أبوه نقضوا استدلالهم، ولا انفكاك لهم من أحد الأمرين .

ومن هذه الجهة دخل على المعتزلة الخطأ في قياسهم صفات الله على صفات المخلوقين، والله تعالى لا يشبه المخلوقين؛ لأنه الخالق ولا خالق له، وقد أعلمنا الله تعالى بالحكم في ذلك فقال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11]، فكيف يشبه الخالق بالمخلوق؟ ومن ليس كمثله شيء كمن له مثل من الأشياء المخلوقة؟ وهذا ما لا يخفى فساده، وإبطاله"[(2)].

فقد قرر-رحمه الله- إثبات صفة القدرة لله عز وجل على ما يليق بجلاله، ورد على

---

(1) الجامع، (ص/139).

(2) شرح صحيح البخاري، (406/10).

المنكرين لهذه الصفة كغيرها من الصفات، وبين سبب ضلالهم، وهو القِياس الفاسد.

3. ما ذكره **القرطبي** مقرر لهذه الصفة حيث قال-رحمه الله-:"القادر، والقدير، والمقتدر جل جلاله، وتقدست أسماؤه، اتفقت عليه الأمة، وجاء في الكتاب والسنة فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:20]، وقال:﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:،55]،وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ [الأنعام:65]، ونقل عن الجوهري قوله: فالله جل جلاله مقتدر على كل شيء ممن يقبل الوجود والعدم، "والقدير" اسمه، والقدرة صفته، والاقتدار فعله. وعن الحليمي، قوله: "القدير: المظهر قدرته بفعل ما يقدر عليه، وقد كان ذلك من الله تعالى فيما أمضاه، وإن كان يقدر على أشياء كثيرة لم يفعلها، ولو شاء لفعلها، فاستحق بذلك أن يسمى مقتدرا". وعن الخطابي قوله:" المقتدر: هو التام الذي لا يمتنع عليه شيء، ولا يحتجز عنه شيء بمنعة، وقوة، ومقتدر، وزنه مفتعل من القدرة.

ثم قال بعد ذكر جملة من النقول: فيجب على كل مكلف أن يعلم: أن الله-سبحانه قادر له قدرة واحدة بها يفعل ما يشاء من المقدورات وفق علمه، واختياره"(1).

قال: "وأجمعت الأمة على تسمية الله تعالى بالقدير، فهو سبحانه قدير قادر مقتدر، والقدير أبلغ في الوصف من القادر، قاله الزجاجي.

وقال الهروي: والقدير والقادر بمعنى واحد، يقال: قدرت على الشيء، أقدر قدْراً وقدراً ومقدرة ومقدِرة وقدراناً، أي: قدرة، والاقتدار على الشيء: القدرة عليه ... وإنما خص هنا تعالى صفته القدرة بالذكر دون غيرها؛ لأنه تقدم ذكر فعل مضمنه الوعيد والإخافة، فكان ذكر القدرة مناسباً لذلك"(2).

وقال عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:28]: "يعني بالعلماء: الذين يخافون قدرته، فمن علم أنه عز وجل قدير، أيقن بمعاقبته على المعصية"(3).

4. وممن قرر صفة القدرة لله على ما يليق بجلاله **الشيخ الطاهر بن عاشور** المالكي حيث

---

(1) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، (ص/245-247).

(2) الجامع لأحكام القرآن، (224/1).

(3) المصدر السابق، (343/7).

قرر هذه الصفة في مواضع من تفسيره، من ذلك:

- أنه قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [هـود:4] "أي: فما ظنكم برجوعكم إلى القادر على كل شيء وقد عصيتم أمره، أليس يعذبكم عـذاباً كبيراً ... المرجوع إليه لما كان موصوفاً بتمام القدرة على كل شيء هو أيضاً موصوف بإحاطة علمه بكل شيء للتلازم بين تمام القدرة وتمام العلم"[(1)].

- وقال عند قوله تعـالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [الرعـد:14] "استئناف ابتدائي بمنـزلة النتيجة ونهوض المدلل عليه بالآيات السالفة التي هي براهين الانفراد بالخلق الأول ثم الخلق الثاني، وبالقدرة التامة التي لا تدانيها قدرة قدير، وبالعلم العام، فـلا جـرم أن يكون صاحب تلك الصفات هو المعبود بالحق، وأن عبادة غيره ضلال"[(2)].

فقد قرر-رحمه الله- صفة القدرة لله عز وجل، وأنه القادر على عذاب من كفر بـه وعاند أمره، كما أن اتصافه بصفات الكمال ومنها القدرة مستلزم لعبادته وحـده دون من سواه.

5. وممن قرر صفة القدرة **العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي** حيث قال-رحمه الله-: "فقد قال الله تعالى في وصف نفسه بالقـدرة،﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [هـود: 4]، وقال في وصف الحادث بهـا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [المائـدة:34] فأثبت لنفسه قدرة حقيقية لائقة بجلاله وكماله، وأثبت لبعض الحوادث قـدرة مناسـبة لحالهم من الضعف والافتقار والحدوث والفناء، وبين قدرته، وقدرة مخلوقه من المنافاة ما بين ذاته، وذات مخلوقه"[(3)].

---

(1) التحرير والتنوير، (204/11).
(2) المصدر السابق، (158/12)
(3) أضواء البيان، (362/2).

وقال:" وهذه الصفة التي هي صفة القدرة هي التي يوجد الله بها الممكنات، وهو تعالى قادر على ما يشاء، وما لم يشأ، مثال ذلك: أنه تعالى شاء إيمان أبي بكر، وهدايته للإيمان، ولم يشأ إيمان أبي جهل، وهو قادر عليه، ولم تتعلق به مشيئته، فلم يوجده، وكل صفات الله عز وجل من الكمال بحيث لو تصور شيء من المبالغة في الصفة، فهي فوق ذلك"(1).

وبهذا يتبين لنا تقرير المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً لصفة القدرة، وإثباتها لله عز وجل على ما يليق بجلاله وجماله، وهو ما أجمع عليه أهل الإسلام كما نقل ذلك غير واحد من العلماء، فممن نقل ذلك الإجماع الإمام ابن الحداد من أئمة الشافعية(2)-رحمه الله- حيث قال في إجابته لمن سأله عن الاعتقاد الحق، والمنهج الصدق الذي يجب على العبد المكلف أن يعتقده، ويلتزمه فأجابه قائلا:" الذي يجب على العبد اعتقاده، ويلزمه ظاهره، وباطنه اعتماده ما دل عليه كتاب الله وسنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وإجماع الصدر الأول من علماء السلف، وأئمتهم الذين هم أعلام الدين، وقدوة من بعدهم من المسلمين، وذلك أن يعتقد العبد، ويقر ويعترف بقلبه، ولسانه أن الله واحد أحد...موصوف بصفات الكمال من الحياة والقدرة..."(3).

---

(1) معارج الصعود، (ص/44).

(2) هو عبيد الله بن الحسن بن أحمد الأصبهاني الحداد، أبو نعيم محدث حافظ، سمع، ونسخ الكثير، ولد سنة، (463هـ)، (ت:517هـ)، من مؤلفاته: أطراف الصحيحين، انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء، (486/19)، وتذكرة الحفاظ، (59/4).

(3) انظر المسائل العقدية التي حكى فيها شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع، (ص/354).

المسألة العاشرة: صفة العزة

يثبت أهل السنة والجماعة صفة العزة لله عز وجل، وأنها صفة حقيقية على ما يليق بجلاله، وهي من الصفات الذاتية اللازمة لله عز وجل، وقد دل عليها الكتاب والسنة فمن الكتاب:

⇐ قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:129].

⇐ وقوله: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ﴾ [آل عمران:26].

⇐ وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:139].

⇐ وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:8].

ومن السنة:

◆ حديث الشفاعة الذي رواه أنس بن مالك-رضي الله عنه-أن النبي-صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم ببعض... ثم ذكر الحديث، وفيه: فيقول وعزتي وجلالي، وكبريائي، وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله"[1].

◆ حديث ابن عباس-رضي الله عنهما قال: إن رسول الله-صلى الله عليه وسلم كان يقول: اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون"[2]

حديث أنس بن مالك-رضي الله عنه- أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال:"لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قط، قط، وعزتك، ويزوي بعضها بعضا"[3].

ويقرر المحققون من أئمة المالكية هذه الصفة لله عز وجل، دون تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كغيرهم من أهل السنة. فممن قرر ذلك:

---

(1) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة.

(2) سبق تخريجه.

(3) سبق تخريجه.

1. **الإمام مالك** حيث روى في الموطأ عن عثمان بن أبي العاص-رضي الله عنه-أنه أتى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال عثمان: وبي وجع قد كاد يهلكني، قال: فقال رسول الله-صلى الله عليه و سلم-" امسحه بيمينك سبع مرات، وقل: أعوذ بعزة الله، وقدرته، من شر ما أجد، قال: فقلت ذلك، فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر بها أهلي، وغيرهم"[1].

فهو -رحمه الله- قد روى هذا الحديث الصحيح الصريح في إثبات هذه الصفة، و لم يؤولها، بل أثبتها مقررا لها كصنيعه في بقية الصفات موافقا في ذلك أهل السنة والجماعة.

2. وممن قرر هذه الصفة **ابن بطال المالكي-رحمه الله-** حيث قال في شرح حديث أنس بن مالك الذي رواه البخاري في كتاب التوحيد: وإن جهنم تقول: قط، قطن وعزتك، قال-رحمه الله-: "العزيز متضمن للعزة، والكلام عليها من وجهين: أحدها: أن تكون صفة ذات بمعنى القدرة والعظمة. والثاني: أن تكون صفة فعل بمعنى القهر لمخلوقاته والغلبة لهم... ثم قال: فبان الفرق بين الحالف بعزة الله التي هي صفة ذاته، وبين من حلف بعزة الله التي هي صفة فعله أنه حانث في حلفه بصفة الذات دون صفة الفعل؛ بل هو منهي عن الحلف بصفة الفعل كقول الحالف: وحق السماء وحق زيد؛ لقوله- صلى الله عليه وسلم-: من كان حالفًا فليحلف بالله"[2][3].

فقد قرر-رحمه الله- هذه الصفة، وأنها صفة ذات لله عز وجل، ومما يدل على ذلك أنه بين جواز الحلف بصفة الذات، دون صفة الفعل، ومن المعلوم أن أهل الحق يرون جواز الحلف بصفة الذات كما تقدم؛ فابن بطال لم يخرج عما يقرره أهل السنة في هذه الصفة.

3. وممن قرر صفة العزة لله عز وجل، **أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي** حيث قال: "العزيز جل جلاله وتقدست أسماؤه، وجاء في الكتاب والسنة، وأجمع عليه علماء الأمة ...وجاء معرفا ومنكرا في غير ما آية، ولا خلاف في جواز إجرائه على غير الله تعالى كما قال تعالى في كتابه:"﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف:51]، ويحتمل أن يكون وصفا.

---

(1) رواه في الموطأ، في كتاب الجامع، باب التعوذ، والرقية في المرض، (120/2).

(2) رواه البخاري في كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف. ومسلم في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى.

(3) شرح صحيح البخاري لابن بطال، (412/10-413).

قال ابن الحصار: ولا أعلم خلافا في جواز التسمي به منكرا، وإجرائه وصفا، ولا أجيزه معرفا؛ لأن الألف واللام في أسماء الباري تعالى، إما للحصر فيها لا مشاركة فيه، وإما للمزية، يقال: عز يعز برفع العين في المستقبل، فهو عزيز، إذا غلب، ومنه قول الحق: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:23] أي غلبني، والمعازة: المغالبة، ويقرأ"وعازني" على معنى وغالبني، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

هناك إما تعز الهوى وإما إثرهم تكمد

وفي المثل: من عز بز، أي من غلب سلب، وينشد للخنساء:

وكنا قديما حمى نتقى إذ الناس إذ ذاك من عز بزا(1)

ثم ذكر-رحمه الله- أقوال أهل اللغة في معنى العزيز، وقال بعد ذلك:" قلت: فهذه ثمانية معان، يجوز وصف الله تعاى بها كلها في قول علمائنا، يقال: الله العزيز بمعنى الغالب القاهر، فهو من صفات الأفعال، ومنه قوله تعالى:﴿حمٓ ، تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجاثية:1-2] أي من الله القاهر المحكم خلق الأشياء، وإذا قيل: في العزيز: إنه من القوة، فهو صريح في الدلالة على الاقتدار، ويتضمن سائر الصفات التي لا تصح القدرة إلا بها كالحياةن وغيرها، وإذا قيل في العزيز: إنه لا مثل له ولا نظير له، فهو يدل في حق الله تعالى على وجود تكامل حتى لا يماثل، وإذا قيل: إنه الجليل، فهو يدل في حق الله تعالى على شرف الذات، وكمال الصفات، وإذا قيل، إنه الممتنع الذي لا يرام، فهو يدل على الملك الأعلى القاهر الصمد، ويتضمن ذلك قهر من سواه، ومعجز من دونه... فهو سبحانه المختص في كل معنى من هذه المعاني بما يجب له، ويستحيل على غيره، فهذا الاسم له بكل اعتبار، ولغيره مجاز بكل اعتبار، وإذا عز المخلوق فوصف بالعزة فهذا الاسم له مستعار، وحقيقته للواحد القهار، فهو العزيز الذي لا يضام جاره، ولا يذل أنصاره، وهو الممتنع عن الأبصار أن تدركه، وعن الأوهام أن تكيفه، وهو القوي الذي لا يغالب، والقوي الذي لا يناهض،، لا إله إلا هو العزيز الحكيم المعز لأوليائه المانع لهم، وعنهم"(2).

---

(1) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، (ص/182).
(2) المصدر السابق، (ص،183-184).

وقال: "فيجب على كل مكلف أن يعلم أن العزة لله جميعا بكل اعتبار كما تقـــدم، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:10]، وظاهر هذا إيئاس السامعين من عزته، وتعريفهم أن ما وجب له من ذلك لا مطمع فيه لغيره، فتكون الألف واللام للعهد عند العالمين به سبحانه وبما وجب له من ذلك.

وهكذا نجده-رحمه الله- يقرر صفة العزة لله عز وجل، ويبين أن لها معـــاني كـــثيرة كلها ترجع حقيقة إلى الله جل جلاله.

وقال-رحمه الله-قال الله تعالى:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر:10]، وذكر الله أقواما طلبوا العزة عند من ســـواه، فقـــال:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:139]، فأنباك صريحا لا إشكال فيه، أن العزة له يعز من يشاء، ويذل من يشاء"[1].

وهكذا نجد أنه-رحمه الله- يقرر صفة العزة لله عز وجل، وأن لها معاني كثيرة كلها تدل على إثبات هذه الصفة لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله.

4. وممن قرر صفة العزة لله عز وجل العلامة محمد الأمين الشنقيطي.

قال-رحمه الله- في تقرير صفات الله عز وجل، وأن وصفه عز وجل بالصفات الثابتة له لا يقتضي مشابهة من وصف بها من خلقه: "... قال في وصف نفسه بالعزة: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقـــــــرة:209]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة:1]، ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ [ص:9].

وقال في وصف الحادث بـــالعزة: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [يوســـف:51]، ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:23].

(1) المصدر نفسه، (ص/186).

ثم قال مقرراً اتصاف الله عز وجل بهذه الصفة وغيرها: "وأمثال هذا من الصفات الجامعة كثيرة في القرآن، ومعلوم أنه جل وعلا متصف بهذه الصفات المذكورة حقيقة على الوجه اللائق بكماله، وجلاله. وإنما وصف به المخلوق منها مخالف لما وصف به الخالق، كمخالفة ذات الخالق جل وعلا لذوات الحوادث، ولا إشكال في شيء من ذلك"[(1)].

فقد قرر-رحمه الله- اتصاف الله عز وجل بصفة العزة كغيرها من الصفات على ما يليق بجلاله وكماله كما هو معتقد أهل الحق.

ومن خلال هذه النقول يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون صفة العزة لله عز وجل، ويثبتونها على ما يليق بجلاله كغيرهم من أهل السنة والجماعة الذين يثبتون صفات الله عز وجل، ومنها: صفة العزة، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

يقول ابن القيم-رحمه الله- تعالى في بيان اتصاف الله تعالى بالعزة، وبيان آثارها، وهو أنه سبحانه العزيز الذي يقضي بما يشاء، وأنه لكمال عزه حكم على العبد، وقضى عليه بأن قلب قلبه، وصرف إرادته على ما يشاء، وحال بين العبد وقلبه، وجعله مريدا شائيا لما شاء الله العزيز الحكيم، وهذا من كمال العزة؛ إذ لا يقدر على ذلك إلا الله[(2)].

وهو العزيز فلن يرام جنابه … أنى يرام جناب ذي السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم … يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفه … فالعز حينئذ ثلاث معان
وهي التي كملت له سبحانه … من كل وجه عادم النقصان[(3)]

---

(1) أضواء البيان، (2/370-371).
(2) مدارج السالكين، (1/222).
(3) النونية، (ص/142).

المسألة الحادية عشرة: صفة الكلام

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يتكلم بما شاء متى شاء، وأن كلام الله تعالى صفة ذاتية باعتبار أصل الكلام، وفعلية باعتبار آحاد الكلام، وأن كلامه أحسن الكلام، وأنه لا يشبه كلام المخلوقين، وأن كلماته لا نهاية لها، وأن من كلامه: التوراة، والإنجيل، والقرآن الكريم، أنزله على رسله، فالتوراة بالعبرانية، والإنجيل بالسريانية، والقرآن الكريم بالعربية، والقرآن غير التوراة، والتوراة غير الإنجيل، وسورة الفاتحة بعض القرآن، وآية الكرسي بعض سورة البقرة، وسورة البقرة غير سورة آل عمران، وآية الكرسي أعظم آية في القرآن،، وسورة الفاتحة لم يُنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في القرآن مثلها، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن.

كما أن كلامه تعالى يتعاقب، ويتلو بعضه بعضا، كـ:بسم الله الرحمن الرحيم، فكلمة "الله" عقب "بسم"، السين عقب الباء، والميم عقب السين، وكل كلام الله تعالى غير مخلوق بألفاظه، وحروفه، ولا يشبه كلام الخلق؛ لأنه صفة الله، وصفاته تعالى لا تشبه صفات خلقه كما أن ذاته لا تشبه ذوات خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، وقد دل على إثبات صفة الكلام لله عز وجل الكتاب والسنة، وأجمع عليه السلف الصالح، فمن الأدلة من القرآن الكريم: قوله جل جلاله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:164]، وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص:30]، وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:109]، وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:6]، والآيات في إثبات الكلام أكثر من أن تحصر[1].

(1) انظر العقيدة السلفية في كلام رب البرية، تأليف: عبد الله بن يوسف الجديع، (ص/81-83).

وأما الأدلة من السنة فكثيرة جداً، منها:

قوله-صلى الله عليه وسلم- في حديث محاجة آدم وموسى عليهما السلام، وفيه"قال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده"[1].

وقوله-صلى الله عليه وسلم-: إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا، وسعديك، فيقول: هل رضيتم، فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك، فيقول أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا"[2].

وقوله-صلى الله عليه وسلم-يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم: فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت؛ إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار"[3].

وقوله-صلى الله عليه وسلم-: إذا أحب الله العبد نادى جبريل؛ إن الله يحب فلانا فأحببه؛ فيحبه جبريل؛ فينادي جبريل في أهل السماء؛ إن الله يحب فلانا فأحبوه؛ فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض"[4].

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الكلام لله عز وجل[5]، وقرروا أن الله يتكلم بما شاء، كيف شاء متى شاء، وممن قرر ذلك أئمة المالكية حيث حفلت كتبهم، ورسائلهم بإثبات ذلك، وتقريره، فمن ذلك:

---

(1) رواه البخاري في كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله. ومسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى.

(2) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، ومسلم في كتاب الجنة، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

(3) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾. ومسلم في كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار.

(4) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل، ونداء الملائكة. ومسلم في كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده.

(5) انظر: المسائل العقدية التي حكى فيها شيخ الإسلام الإجماع، (ص/462).

1. ما رواه **الإمام مالك** في موطئه في مواضع عدة منها:

- ما رواه بلاغا عن يعقوب بن عبد الله بن الأشج[1] بسنده عن خـــولة بنـــت حكيم[2]-رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"من نـــزل منـــزلا فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ فإنه لن يضره شيء، حتى يرتحل"[3].
- وما رواه عن يحيى بن سعيد أنه قال: بلغني أن خالد بن الوليد، قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم: إني أروع في منامي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وســلم: "قــل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه، وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشــياطين، وأن يحضرون"[4].
- ما رواه عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا من أسلم قال: ما نمت هذه الليلة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أي شيء؟" فقال: لدغتني عقرب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك إن شاء الله"[5].

فهذه الأحاديث يرويها الإمام مالك في موطئه الذي صنفه من أجل الرد على الجهمية حتى لا يضلوا الناس كما تقدم. وفيها إثبات صفة الكلام لله فلو لم تصح عنده لم يدخلها في موطئه، كما أن فيها جواز الاستعاذة بكلمات الله، فلو لم تكن كلمات الله من صفاته لما جاز الاستعاذة بها؛ لأن من المتقرر عند السلف أنه لا يجوز الاستعاذة إلا بالله، أو باسم

---

(1) هو: أبو يوسف يعقوب بن عبد الله بن الأشج الفقيه، (ت:122هـ)، وثقه بعضهم، واحتج به مسلم، وقال عنه الحافظ في التقريب: ثقة من الخامسة. انظر: ترجمته في في التاريخ الكبير، (393/8)، وخلاصة تهذيب الكمال، (ص/436).

(2) هي: الصحابية خولة بنت حكيم بن أمية السلمية أم شريك-رضي الله عنها-امرأة عثمان بن مظعون، وليست هي الأنصارية، لها صحبة روى عنها سعد ابن أبي وقاص، وعروة، وسعيد بن المسيب، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر، (620/7-621)، وإسعاف المبطأ برجال الموطأ للسيوطي، (ص/34).

(3) الموطأ، (128/2)، ووصله مسلم في الصحيح في كتاب الذكر والدعـــاء والتوبة، باب في
التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.

(4) المصدر السابق.

(5) الموطأ، (130/2).

من أسمائه، أو بصفة من صفاته.

- كما جاءت روايات عن الإمام مالك-رحمه الله- فيها إثبات أن كلام الله غير مخلوق، كما أن فيها التشديد على من قال: إن القرآن مخلوق. فمن ذلك:

ما رواه ابن أبي أويس قال: "قال مالك: القرآن كلام الله وكلام الله من الله وليس من الله شيء مخلوق. زاد غيره عنه، ومن قال القرآن مخلوق فهو كافر، والذي يقف[1] أشد منه يستتاب، وإلا ضربت عنقه"[2].

- وقال عبد الله بن نافع عنه: "يجلد ويحبس من قال ذلك"[3].

روى القاضي عياض في المدارك أن رجلا جاء إلى مالك فقال: ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق؟ قال: زنديق فاقتلوه. فقال: يا أبا عبد الله ليس هو كلامي، إنما هو كلام سمعته. قال: لم أسمعه أنا إلا منك"[4].

فهذه الأحاديث التي رواها الإمام مالك وهذه الآثار المروية عنه، وشدته على من قال: إن القرآن مخلوق تدل دلالة واضحة على أنه —رحمه الله- يقرر صفة الكلام لله عز وجل على الحقيقة على ما يليق بجلاله وجماله وعظمته كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

---

(1) الوقف هو السكوت عن قول: القرآن مخلوق، أو غير مخلوق. ومنهج أهل السنة هو قولهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولما ظهرت بدعة القول بخلق القرآن ردّ عليهم أهل السنة وصرّحوا بأن القرآن كلام الله غير مخلوق. ولكن طائفة من المنتسبين إلى العلم لم يفقهوا حقيقة هذه العبارة، فقالوا: نتوقف فنقول: القرآن كلام الله، ونسكت؛ وقد ردّ على هؤلاء أئمة أهل السنة. قال إسحاق بن راهويه، الإمام الفقيه الحافظ: "من قال لا أقول: القرآن مخلوق، ولا غير مخلوق؛ فهو جهمي"، انظر العقيدة السلفية في كلام رب البرية، (ص/149-156). وقال القحطاني المالكي: "والوقف في القرآن خبث باطل وخداع كل مذبذب حيران"، نونية القحطاني، (ص/27).

(2) ترتيب المدارك، (1/89).

(3) ترتيب المدارك، (1/89).

(4) ترتيب المدارك، (1/90).

2. ومن قرر صفة الكلام لله عز وجل **الإمام ابن أبي زيد القيرواني –رحمه الله–**. فقد قال في مقدمته: "... تعالى أن تكون صفاته مخلوقة، أو أسمائه محدثة، كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته، لا خلق من خلقه، وتجلى للجبل فصار دكا من جلاله، وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد"(1).

وقال: "وإن كلامه صفة من صفاته، ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد، وأن الله عز وجل كلم موسى بذاته وأسمعه كلامه، لا كلامًا قام في غيره"(2).

فقد قرر –رحمه الله– صفة الكلام لله عز وجل وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وهذه هي عقيدة السلف الصالح.

3. ومن ذلك ما قرره **الإمام ابن أبي زمنين** حيث قال: "... من قول أهل السنة: أن القرآن كلام الله وتنـــزيله، ليس بخالق ولا مخلوق، منه تبارك وتعالى بدأ وإليه يعود"(3).

ثم نقل كلام محمد بن وضاح: "... ولا يسع أحد أن يقول كلام الله قط حتى يقول: ليس بخالق ولا مخلوق، ولا ينفعه علم حتى يعلم ويوقن أن القرآن كلام الله، ليس بخالق ولا مخلوق، منه عز وجل بدأ وإليه يعود، ومن قال بغير هذا كفر بالله العظيم.

وقال مسلمة بن القاسم –رحمه الله–: كلام الله عز وجل منـــزل مفروق، ليس بخالق ولا مخلوق، لا تدخل فيه ألفاظنا وإن تلاوتنا له غير مخلوقة؛ لأن التلاوة هي القرآن بعينه، فمن زعم أن التلاوة مخلوقة فقد زعم أن القرآن مخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن علم الله مخلوق، ومن زعم أن علم الله مخلوق فهو كافر"(4).

مما تقدم يتبين أن ابن أبي زمنين يقرر صفة الكلام لله عز وجل كما هو منهج أهل الحق.

مِن . ومن ذلك ما قرره **الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني** حيث قال:
"... ومن قولهم –يعني أهل السنة والجماعة– أن كلام الله صـــفة لذاتـــه، لم يـــزل

---

(1) مقدمة ابن أبي زيد (ص/57)، تقديم: بكر أبو زيد.
(2) الجامع، (ص/140).
(3) أصول السنة، (ص/82).
(4) المصدر السابق، (ص/86-87).

موصوفًا به. قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان:27]. وقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف:109]. وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح:15]. وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام:115]. وقال: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [البقرة:75]. وقال: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف:144].

وسامع كلام منه بلا واسطة كجبريل وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم سمعه من الله غير متلو ولا مقروء(1)، فهو القائل جل جلاله لموسى -عليه السلام-: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:14]. وكذلك قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[النساء:164]. فأكد الفعل بالمصدر الذي يزيل المجاز ويوجب الحقيقة"(2). وقال: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة:253]. ومن عداهم ممن لا يتولى الله خطابهم بنفسه فإنما يسمع كلامًا متلوًّا ومقروءًا. وقال عز وجل:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:6]، يريد متلوًّا ومقروءًا"(3).

ثم عقد فصلا بعنوان: "القرآن كلام الله غير مخلوق"، ثم قال: "ومن قولهم أن القرآن كلام الله وصفة لذاته، جديد لا يبلى ولا يفنى، ولايخلق على كثرة الرد، منزل مفروق، ليس بخالق ولا مخلوق. وقال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزُّمَر:28] (4).

ثم نقل روايات متعددة عن أهل السنة تدل على أن القرآن كلام الله، وأنه غير مخلوق، مما يدل على أنه -رحمه الله- يقرر أن الكلام صفة لله عز وجل وأن القرآن كلام

(1) الصواب أن كلام الله متلو ومقروء ومسموع بصوت وحرف.

(2) الصواب: أن الفعل إذا أكد بالمصدر لا يكون مجازًا. قال النحاس: "أجمع النحويّون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً، فلما قال: ﴿تَكْلِيمًا﴾، وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذي يعقل. انظر الرسالة الوافية، (ص/66) حاشية (3).

(3) الرسالة الوافية، (ص/66).

(4) المصدر السابق، (ص/67).

الله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته كغيره من الصفات الثابتة في الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

ضَلَكَلٍ.وممن قرر هذه الصفة لله عز وجل **الإمام ابن عبد البر–رحمه الله–**.

قال–رحمه الله–: "والقرآن عندنا صفة من صفات الله، وهو كلام الله ..."[1].

وقال: "والقرآن عندنا مع هذا كله، كلام الله وصفة من صفاته، ليس بمخلوق"[2].

وقال: "والذي عليه جماعة أهل السنة والجماعة أنه لم يزل بصفاته وأسمائه، ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء، وهو على العرش استوى... وأن القرآن كلام الله وما فيه حق من عند الله يلزم الإيمان بجميعه واستعمال محكمه"[3].

وقال بعد أن ذكر حديث الأسلمي المتقدم: "وفي هذا الحديث من الفقه أيضاً أن كلام الله عز وجل غير مخلوق، وعلى ذلك أهل السنة أجمعون، وهم أهل الحديث والرأي في الأحكام، ولو كان كلام الله أو كلمات الله مخلوقة ما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً أن يستعيذ بمخلوق، دليل ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا﴾ [الجن:6]"[4].

وقال في موضع آخر: "وفي الاستعاذة بكلمات الله أبين دليل على أن كلام الله منه –تبارك وتعالى– وصفة من صفاته، ليس بمخلوق؛ لأنه محال أن يستعاذ بمخلوق، وعلى هذا جماعة أهل السنة والحمد لله.

ثم روى بسنده عن عمرو بن دينار قال: "أدركت الناس منذ سبعين سنة –وكان قد أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن دونهم– يقولون: الله عز وجل الخالق وما سواه مخلوق؛ إلا القرآن فإنه كلام الله، منه خرج وإليه يعود"[5].

وقال في موضع آخر: "الكلام كلام الله الذي كلم به موسى عليه السلام من وراء

---

(1) التمهيد، (261/7).

(2)المصدر السابق، (231/19).

(3) جامع بيان فضل العلم وفضله، (93/1).

(4) التمهيد، (241/21).

(5) التمهيد، (186/24).

حجاب"[1].

وهكذا نجد ابن عبد البر-رحمه الله- يقرر أن القرآن كلام الله، وأنه صفة من صفاته، وأن صفاته عز وجل يجب الإيمان بها، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة.

مُّبِينٍ . وممن قرر هذه الصفة **الإمام عبد الله بن محمد القحطاني الأندلسي المالكي** حيث قال

في نونيته التي اشتملت على عقيدة أهل السنة والجماعة:

ولأتلون حروف وحيك في الدجى   ولأحرقن بنوره شيطاني
أنت الذي يا رب قلت حروفه   ووصفته بالوعظ والتبيان
ونظمته ببلاغة أزلية   تكييفها يخفى على الأذهان
وكتبت في اللوح الحفيظ حروفه   من قبل خلق الخلق في أزمان
فالله ربي لم يزل متكلما   حقا إذا ما شاء ذو إحسان
نادى بصوت حين كلم عبده   موسى فأسمعه بلا كتمان
وكذا ينادي في القيامة ربنا   جهرا فيسمع صوته الثقلان
أن يا عبادي أنصتوا لي واسمعوا   قول الإله المالك الديان
هذا حديث نبينا عن ربه   صدقا بلا كذب ولا بهتان
لسنا نشبه صوته بكلامنا   إذ ليس يدرك وصفه بعيان
لا ريب فيه بأنه تنزيله   وبداية التنزيل في رمضان
الله فصله وأحكم آيه   وتلاه تنزيلا بلا ألحان
هو قوله وكلامه وخطابه   بفصاحة وبلاغة وبيان[2].

وهكذا نجد أن هذا الإمام قد قرر أن القرآن كلام الله، وأنه منه نزل، وأنه قوله، وأن الله يتكلم بما شاء وكيف شاء، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

﴿٢٢﴾. قول الشيخ **محمد المكي بن عزوز البرجي المالكي**[3].

---

(1) الاستذكار، (492/2).

(2) النونية، ضمن أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة، (ص/25-27).

(3) هو العلامة أبو عبد الله محمد بن المكي بن محمد بن عزوز البرجي الجزائري المالكي، ولد ببلدة (نفطة) وتعلم بتونس، وولي الافتاء بنفطة، ثم قضاءها. ثم رحل إلى الاستانة فتولى بها تدريس الحديث في دار الفنون ومدرسة الواعظين. توفي سنة أُوْلَٰٓئِكَ فِي أُوْلَٰٓئِكَ ٱللَّهِ هــ. من مؤلفاته: إرشاد الحيران، وعقيدة التوحيد. انظر ترجمته في الأعلام (﴿٢٣﴾/نَزَّلَ ذِكۡرِ ٱللَّهِ)، وله ترجمة في

قال-رحمه الله-في كتابه عقيدة التوحيد: "القرآن كلام الله نفسه، وهو المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور، المقروء على الألسنة، نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم معجزاً كل من يعارضه، أو يريد الإتيان بمثله ... والتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الصحف: كلها كلام الله مثل القرآن، إلا الكلمات التي حرّفوها"[1].

وهكذا يقرر الشيخ ابن عزوز صفة الكلام لله عز وجل، وأنه صفة من صفاته سبحانه، تكلم به على الحقيقة، كما هو معتقد أهل السنة.

ٱللَّهُ . ومن قرر صفة الكلام لله عز وجل **الشيخ عبد الحميد بن باديس**[2] حيث قال وهو

يقرر صفات الله عز وجل: "ومن صفاته تعالى: الكلام الذي يدل على جميع المعلومات، لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[النساء:164]"[3].

فقد أثبت-رحمه الله- صفة الكلام لله عز وجل مستدلاً بأقوى الأدلة، وهو كتاب الله عز وجل.

نَزَّلَ . ومن قرر صفة الكلام لله عز وجل على ما يليق بجلاله **العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي** حيث قال –رحمه الله- بعد ذكر الآيات التي وصف الله بها نفسه بالكلام: "... فله جل وعلا كلام حقيقي يليق بكماله وجلاله، وللمخلوق كلام أيضاً مناسب

مقدمة عقيدة التوحيد الكبرى للدكتور محمد رشيد أبو غزالة، (ص/٢٢)

(1) عقيدة التوحيد، (ص/أَضَلَٰلِ ٱللَّهِ -ضَلَٰلِ ضَلَٰلِ ٱللَّهِ).

(2) هو عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، كان شديد الحملات على الاستعمار، توفي سنة نَزَّلَ ضَلَٰلِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱللَّهِ هـ. من مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم، اشتغل في تدريسه ما يزيد على فِي ٱللَّهِ عاماً، وأصدر مجلة (الشهاب). انظر ترجمته في الأعلام (أُوْلَٰٓئِكَ /نَزَّلَ ٱللَّهُ)، وانظر ترجمة له موسعة في مقدمة فتح رب البرية بشرح العقائد الإسلامية، للشيخ سامي بن نصر الدين الجزائري.

(3) فتح رب البرية بشرح العقائد الإسلامية، (ص/200).

لحاله، وبين كلام الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق"[1].

---

(1) أضواء البيان، (264/2).

وقرر ذلك في موضع آخر فقال: "... ووصف نفسه جل وعلا بـالكلام فقـال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[النساء:164]، ووصف بعض المخلوقين بـالكلام فقـال تعـالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ [يوسـف:54]، وقـال: ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [يس:65]؛ ولا ريب أن للخالق كلاماً حقيقياً لائقاً بكماله وجلاله، كمـا أن للمخلوقين كلاماً حقيقياً مناسباً لحالهم"[1].

وقال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:6]، "هذه الآية الكريمة من سورة براءة نص صريح في أن هذا الذي نقرؤه ونتلـوه بعينـه كـلام الله، فالصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري؛ لأن الله صرح أن هذا المشرك المستجير يسمع كلام الله يتلوه عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم. هذا المحفوظ في الصدور، المقروء بالألسنة، المكتوب بالمصاحف، هو كلام الله جل وعلا بمعانيه وألفاظه. ولا شك أن أصل الكلام صفة الله جل وعلا، ونحن لا نحب إكثار الخوض فيه ولكن نقول: إن الكلام صفة الله التي لم يزل متصفًا بها، ولم يتجرد يومًا عن كونه متكلمًا، وهو في كل وقت يتكلم بما شاء، وكيف شاء، على الوجه اللائق بكماله وجماله، فكلامه صفته ليس بمخلوق"[2].

فقد قرر -رحمه الله- صفة الكلام لله عز وجل، وإن الله يتكلم بما شاء، وكيف شاء، متى شاء، ولم يتعرض للكيفية، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعـة في هـذه الصـفة وغيرها.

ومن خلال هذه النقول عن هؤلاء الأئمة يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً كغيرهم من أئمة أهل السنة والجماعة يقررون صفة الكلام لله ويثبتونها من غـير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، على حد قولـه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

---

(1) صفات الله عز وجل في ضوء القرآن الكريم، (ص/37).

(2) العذب النمير، (281/5).

وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة التي بينوها من خلال مؤلفاتهم ودروسهم وتقريراتهم. فمن ذلك ما ذكره ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله- حيث يقول: "والحق أن التوراة والإنجيل، والزبور، والقرآن كلام الله حقيقة، وكلام الله تعالى لا يتناهى؛ فإنه لم يزل يتكلم بما شاء، وإذا شاء، وكيف شاء، ولا يزال كذلك ... بل كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسن، مكتوب في المصاحف كما قاله أبو حنيفة في الفقه الأكبر، وهو في هذه المواضع كلها حقيقة"[1].

(1) شرح الطحاوية، (ص/141).

الفصل السادس: جهود علماء المالكية في تقرير الصفات الفعلية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: جهودهم في تعريف الصفات الفعلية.

المبحث الثاني: جهودهم في إثبات الصفات الفعلية، وفيه اثنتا عشرة مسألة

- **المسألة الأولى: صفة الاستواء.**
- **المسألة الثانية: صفة النزول.**
- **المسألة الثالثة: صفة المجيء.**
- **المسألة الرابعة: صفة الرضا.**
- **المسألة الخامسة: صفة الرحمة.**
- **المسألة السادسة: صفة الغضب.**
- **المسألة السابعة:صفة المحبة.**
- **المسألة الثامنة:صفة الكراهة.**
- **المسألة التاسعة: صفة الضحك.**
- **المسألة العاشرة: صفة العجب.**
- **المسألة الحادية عشرة: صفة الغيرة.**
- **المسألة الثانية عشرة: صفة الحياء.**

المبحث الأول: **جهودهم في تعريف الصفات الفعلية**.

سبق في الفصل الخامس بيان ما كان عليه السلف الصالح فيما يتعلق بتقسيم صفات الله عز وجل وأنهم لم يكونوا يقسمون الصفات، وإنما يقررون صفات الله عز وجل الثابتة في الكتاب والسنة.

حتى ظهر أهل الكلام وابتدعوا تقسيم الصفات إلى خبرية ونفسية وثبوتية وسلبية؛ فاضطر المتأخرون من أهل السنة إلى الكلام في تقسيم الصفات من حيث تعلقها بالله عز وجل إلى قسمين:

1- ذاتية: وقد تقدم الكلام عليها في الفصل الخامس.

2- فعلية: وهي المتعلقة بمشيئة الله تعالى مثل الاستواء والنـــزول، والضحك والمجيء، والعجب والفرح والرضا، والحب والكره، والسخط والمقت، وقد يكون بعض هذه الصفات ذاتية من جهة، وفعلية من جهة أخرى، فهي ذاتية من حيث اتصاف الله عز وجل بها، وفعلية من حيث آحادها.

ومن خلال البحث في أقوال أئمة المالكية لم أجد عندهم تعريفًا لهذه الصفات إلا أنهم من خلال تقريرهم لصفات الله عز وجل قد يشيرون إلى أن هذه الصفة صفة فعل، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي حيث قال مبيناً أقسام الصفات عند المتكلمين: "ثم اعلموا أن المتكلمين الذي خاضوا في علم الكلام جاءوا بأدلة عقلية ركبوها في أقسية منطقية، قسموا صفات الله جل وعلا إلى ستة أقسام هي: صفة نفسية، صفة سلبية، صفة معنى، صفة فعلية، صفة معنوية، وصفة جامعة.

والصفات الإضافية تتداخل مع الصفات الفعلية لأن كل صفة فعلية من مادة متعدية إلى المفعول كالخلق، والإحياء، فهي صفة إضافية، وليس كل صفة إضافية فعلية، فبينهما عموم وخصوص من وجه، ويجتمعان في نحو الخلق والإحياء والإماتة، وتنفرد الفعلية في نحو الاستواء، وتنفرد الإضافية في نحو كونه تعالى كان موجودًا قبل كل شيء، وأنه فوق كل شيء؛ لأن القبلية والفوقية من الصفات الإضافية وليستا من صفات الأفعال"[(1)].

---

(1) صفات الله عز وجل في ضوء القرآن الكريم، والرد على المخالفين، تحقيق: عبد الله الدغيثر، (ص/29-30).

ثم عرف الصفات الفعلية فقال: " وأما الصفات الفعلية فقد جاء وصف الخالق والمخلوق بها كثير في القرآن ومعلوم أن فعل الخالق مناف لفعل المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق. ومن ذلك وصفه جل وعلا نفسه بأنه يرزق الخلق فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:58]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة:11]. ووصف بعض المخلوقين بصفة الرزق فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء:8]، وقال: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ [البقرة:233]. ولاشك أن ما وصف الله به نفسه من هذا الفعل مخالف لما وصف به منه المخلوق كمخالفة الله لذات المخلوق.

ثم ذكر أمثلة لصفات الأفعال مبينًا منافاة صفات الخالق لصفة المخلوق فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس:71]. ووصف بعض المخلوقين بصفة الفعل الذي هو العمل فقال: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم:7]. ووصف نفسه بأنه يعلم خلقه فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ، عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ، خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ، عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن:1-4]. ووصف بعض خلقه بصفة الفعل الذي هو التعليم فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:2]. وجمع المثالين في قوله: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:4].

وقد وصف نفسه جل وعلا بأنه ينبئ، ووصف المخلوق بأنه أيضًا ينبئ، وجمع بين صفة الفعل على المثالين في قوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم:3].

ووصف نفسه بالفعل الذي هو الإيتاء فقال: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:269]، وقال: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود:3]. ووصف المخلوق بالفعل الذي هو الإيتاء فقال جل وعلا: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء:20]، وقال: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء:2].وأمثال هذا كثير في القرآن الكريم[1].

---

(1) المصدر السابق، (ص/58-61).

المبحث الثاني: جهودهم في إثبات الصفات الفعلية، وفيه اثنتا عشرة مسألة.

سبق في المبحث الأول تعريف المالكية للصفات الفعلية وأنها الصفات المتعلقة بمشيئة الله تعالى وقدرته، فهو يفعلها كما يشاء وكيف يشاء، وقد يكون بعض هذه الصفات ذاتية من جهة وفعلية من جهة.

وأنهم يثبتونها لله عز وجل على المعنى الحقيقي من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما أثبتها الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وسوف يكون الحديث في هذا المبحث مقتصراً على ثنتي عشرة صفة من صفات الله الفعلية وهي: الاستواء، والنـــزول، والمجيئ، والرضا، والغضب، والرحمة، والمحبة، والكراهة، والضحك، والعجب، والغيرة، والحياء.

ولا يعني الحديث عن هذه الصفات أن أئمة المالكية لا يثبتون غيرها من صفات الله عز وجل؛ ولكن اقتصرت في الحديث عن هذه الصفات لأن هذه الصفات هي التي كثر الخوض فيها من قبل أهل الزيغ والضلال؛ فأردت أن أبيِّن مخالفة المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً لهؤلاء. وأمر آخر وهو أن القول في بعض الصفات كالقول في الصفات الأخرى، فالمنهج واحد والطريقة واحدة.

ولبيان تقرير المالكية لهذه الصفات قسمت الكلام على هذه الصفات إلى ثنتي عشرة مسألة وذلك وفق الآتي:

المسألة الأولى: **صفة الاستواء**.

يقرر أهل السنة والجماعة أن الله تعالى مستو على عرشه استواءً يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كتقريرهم لبقية الصفات. ومستندهم في ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

ا- فأما الكتاب، فقد وصف الله تعالى نفسه بالاستواء على العرش في سبعة مواضع من كتابه:

1. يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:54].

2. ويقول عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [يونس:3]

3. ويقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٍ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الرعد:2].

4. ويقول عز من قائل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:5].

5. ويقول وهو أصدق القائلين: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:59]

6. ويقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [السجدة:4]

7. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ [الحديد:4]

ففي جميع هذه الآيات يصف الله عز وجل نفسه بالاستواء على عرشه، ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثاً.

ب- وأما السنة، ففيها ما لا يحصى من الأدلة على استواء الله عز وجل على عرشه. ومن أمثلة ذلك:

ما رواه الإمام البخاري في الصحيح من طريق شيخه قتيبة بن سعيد المالكي بسنده عن أبي هريرة –رضي الله عنه-: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي"(1).

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على وصف الله عز وجل بالاستواء على عرشه(2) على ما يليق بجلاله. وقد قرر المحققون من أئمة المالكية إثبات صفة الاستواء لله عز وجل على ما يليق بجلاله كغيرهم من أهل السنة والجماعة، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

1- **قول الإمام مالك –رحمه الله–** حيث ثبت عنه بطرق متواترة أنه قد جاءه رجل فقال له: الرحمن على العرش استوى، كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك مليًّـــا حتى علاه الرحضاء، ثم رفع رأسه وقال: "الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالاّ، أخرجوه عني". وقد روى هذه المقولة عن الإمام مالك الأثبات من أصحابه في روايات متعددة(3).

وأصبحت هذه المقالة قاعدة عند أهل السنة والجماعة في جميع الصفات، يرجع إليها في الرد على كل مبتدع، وينطلق منها في إثبات صفات الله عز وجل حيث لا تكاد تجد مؤلفًا لهم في العقيدة إلا وفيه هذه المقولة مثبتة.

كما أن هذه القاعدة الذهبية فيها إقناع لمن أراد الله به الخير ممن اشتبه عليه الأمر في باب الأسماء والصفات. وقد ذكر القاضي عياض في المدارك، بعد إيراده لهذه القصة، أن هذا الرجل بعد أن أمر الإمام بإخراجه ناداه يا أبا عبد الله! والله الذي لا إله إلا هو، لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق، فلم أجد أحدًا وفق لما وفقت له(4).

---

(1) خرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، ومسلم في كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه.

(2) انظر إجماع أهل السنة على إثبات صفة الاستواء في كتاب المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، تأليف: خالد بن مسعود الجعيد، وعلي بن جابر العلياني، وناصر بن حمدان الجهني، (ص/376-380).

(3) قد جمع هذه الروايات الدكتور سعودبن عبد العزيز الدعجان–حفظه الله–في كتابه الماتع، منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة، انظر: (ص/237) وما بعدها.

(4) انظر: ترتيب المدارك، (1/87-88).

2- ما ذكره الإمام ابن أبي زيد القيرواني في مقدمة الرسالة حيث قرر هذه المسألــــة بقوله: "...وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو بكل مكان بعلمه، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، على العرش استوى وعلى الملك احتوى وله الأسماء الحسنى..."[1].

فقوله –رحمه الله- على العرش استوى تقرير لهذه الصفة، وإيضاح ما بعده إيضاح، وفيه اقناع لمن أراد الله هدايته كما أنه موافق لما عليه السلف الصالح، ومن تبعهم بإحسان.

3- ما جاء عن أبي القاسم خلف بن عبد الله المقرئ الأندلسي حيث قـــال: بعد أن ذكر حديث أبي هريرة –رضي الله عنه- في النـــزول: "وفيه دليل على أنه تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات من غير مماسة، ولا تكييف، كما قال أهل العلم". ثم قرر هذه المسألة، واستدل بأقوال العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، ورد على المبتدعة الذين يحرفون النصوص عن ظاهرها لما وقع في قلوبهم من التشبيه حيث قال: "وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:5]، أي علا، وتقول العرب استويت فوق الدابة، وفوق البيت. وكل ما قدمت دليل واضح على إبطال قول من يقول بالمجاز في الاستواء، وأن استوى بمعنى استولى؛ لأن الاستيلاء في اللغة المغالبة وإنه لايغالبه أحد. ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة على أنه أريد به المجاز؛ إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا سبحانه وتعالى إلا بذلك".

ثم قال مبينا الموقف من المجاز، وأن الأصل أن يوجه الكلام إلى الأظهر من وجوهه، وأنه لو ادعي المجاز في الكلام لبطل كثير من العبادات. والله عز وجل يخاطب العباد بما تفهمه قلوبهم، وتدركه عقولهم حيث قال: "وإنما يوجه كلام الله تعالى إلى الأشهروالأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له من التسليم. ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع لما ثبت شيء من العبادات. وجل الله تعالى أن يخاطب إلا بما تعرفه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين".

---

(1) الرسالة مع شرحها للأمين الحاج محمد أحمد، (ص/17).

ثم بين معنى الاستواء فقال: "... والاستواء معلوم في اللغة، وهو العلو والارتفاع والتمكن من الشيء..."[1] انتهى.

وهكذا نجد أن الإمام المقري يقرر صفة الاستواء لله على ما يليق بجلاله وفق معتقد أهل السنة والجماعة.

4- **قول ابن أبي زمنين.** قرر –رحمه الله- في أصول السنة قول أهل السنة والجماعة في صفة الاستواء ولم يخرج عما قرروه في هذه الصفة كغيرها من الصفات حيث قال: "...ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ، لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه:5-6]، وفي قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ﴾ [الحديد:4]. فسبحن من بعد فلا يرى، وقرب بعلمه وقدرته فسمع النجوى"[2].

وهكذا نجد أن الإمام ابن أبي زمنين يقرر هذه الصفة على ما يليق بالله جل جلاله دون تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف. شأنه في ذلك شأن بقية أئمة المالكية، كما هو منهج أهل السنة الذين يثبتون ما أثبت الله لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم على حقيقته، ويقفون حيث وقف الكتاب والسنة.

5- **قول الحافظ بن عبد البر.**

قال –رحمه الله- في كتابه القيم التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، بعد أن ذكر الحديث الثامن الذي رواه الإمام مالك –رحمه الله- من طريق شيخه ابن شهاب –رحمه الله-: "...وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة. وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: -إن الله عز وجل في كل مكان وليس على العرش-. والدليل على ما قالوه[3]، أهل الحق

---

(1) الاهتداء لأهل الحق والاقتداء، وعنه نقل ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية، (ص/113).

(2) أصول السنة مع رياض الجنة بتخريج أصول السنة، تحقيق: عبد الله بن محمد البخاري، (ص/88).

(3) كذا في الأصل. وهي لغة قليلة عند العرب، وهي ما يعرف عند النحويين بلغة أكلوني البراغيث.

في ذلك، قول الله عز وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه:5]، وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة:4] ، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فُصِّلَت:11]، قوله: ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:42]، وقوله تبارك اسمه: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:10]، وقوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف:143]، ثم ذكر الآيات الدالة على العلو والتي سوف نوردها في موضعها —إن شاء الله—.

ثم قال: "وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة. وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء، وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة. ومعنى الاستيلاء في اللغة: المغالبة، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز؛ إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل علينا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله عز وجل إلى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم. ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبادات، وجل الله عز وجل أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم. وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه.

قال أبو عبيدة في قوله تعالى: قال: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾، علا. تقول العرب: استويت فوق الدابة، واستويت فوق البيت. وقال غيره: استوى أي انتهى شبابه، واستقر فلم يكن في شبابه مزيد. قال أبو عمر: يعني نفسه.الاستواء الاستقرار في العلو، وبهذا خاطبنا الله عز وجل وقال: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾[الزُّخرُف:13]، وقال: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾ [هود:44]، وقال: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [المؤمنون:28].

وقال الشاعر:

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى.

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى؛ لأن النجم لا يستولي. وقد ذكر النضر بن شميل وكان ثقة مأمونا جليلا في علم الديانة قال:

حدثني الخليل، وحسبك بالخليل قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم من رأيت،

فإذا هو على سطح ، فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا: استووا، فبقينا متحيرين و لم ندر ما قال؟ قال: فقال لنا أعرابي إلى جنبه: إنه يأمركم أن ترتفعوا. قال الخليل: هو من قول الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [فُصِّلَت:11][1].

وهكذا نجد أن هذا الإمام يقرر صفة الاستواء لله عز وجل على ما يليق بالله سبحانه، مستدلاً على ذلك بقول الله عز وجل. ثم يستشهد بقول العرب؛ إذ أن الاستواء تعرفه العرب من لغتها، والقرآن لا يخاطب العرب إلا بما يعرفونه من لغتهم حيث أن القرآن أنزل بلسان عربي مبين. و لم يحصل الاختلاف في كثير من المسائل إلا لما أعرض كثير ممن يتصدون للعلم والافتاء عن لسان العرب إما بسبب التأثر بلسان العجم، وإما بسبب العجمة أصلا.

ثم رد الإمام أبو عمر على الذين يؤولون الاستواء بالاستيلاء مسفها أحلامهم واصفًا لهم بعدم العدل بسبب الاعراض عن فهم الكتاب والسنة فقال: "وأما نزع من نزع منهم بحديث يرويه عبد الله بن واقد الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:5] على جميع بريته، فلا يخلو منه مكان".

فالجواب عن هذا أن هذا حديث منكر عن ابن عباس، ونقلته مجهولون ضعفاء. فأما عبد الله بن واقد الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان، وأما إبراهيم بن عبد الصمد فمجهول لايعرف. وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا أو أنصفوا؟ أما سمعوا الله عز وجل حيث يقول: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ، أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:36-37]، فدل على أن موسى –عليه السلام- كان يقول إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذبًا[2].

6- قول القرطبي صاحب التفسير –رحمه الله-.

وممن قرر منهج السلف في الاستواء أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

---

(1) التمهيد، (7/129-132).

(2) التمهيد، (7/132-133).

حيث قال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:54] بعد أن ذكر قول المتكلمين: "وقد كان السلف الأول –رضي الله عنهم- لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى، كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى حقيقة، وخص العرش لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته[1].

وهكذا يقرر –رحمه الله- هذه الصفة لله تعالى مثل بقية الصفات متبعًا بذلك القاعدة الذهبية للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس –رحمه الله-.

7- قول الشيخ أحمد بن مشرف.

قال-رحمه الله- في لاميته الموسومة بِ"الشهب المرمية على المعطلة والجهمية" مقرراً صفة الاستواء لله عز وجل على وفق منهج أهل السنة والجماعة:

نفيتم صفات الله فالله أكمل	**فسبحانه عما يقول المعطل**
زعمتم بأن الله ليس بمستو	**على عرشه والاستواء ليس يجهل**
فقد جاء في الأخبار في غير موضع	**بلفظ استوى لا غير يا متأول**
وقد جاء في إثباته عن نبينا	**من الخبر المأثور ما ليس يشكل**
فصرح أن الله جل جلاله	**على عرشه منه الملائك تنزل.**

فقد قرر-رحمه الله- أن الله مستو على عرشه، وأن الاستواء غير مجهول لِوُروده في الكتاب العزيز وفي السنة المطهرة، كما قرر ذلك الإمام مالك-رحمه الله- في مقولته المشهورة.

8- قول الشيخ محمد المكي بن عزوز البرجي –رحمه الله-.

قال رحمه الله تعالى في رسالته عقيدة التوحيد الكبرى مقررًا لصفة الاستواء ووجوب الإيمان بذلك على الحقيقة دون التعرض للكيفية التي لا يمكن العلم بها، وأن الإيمان بذلك واجب لورود الشرع به، مبينًا أن هذا هو منهج أئمة السلف ومنهم الأئمة الأربعة: "فالله مستو على عرشه بائن من خلقه قريب لهم بعلمه وملائكته. واستواؤه تعالى على عرشه يجب الإيمان به دون التعرض لكيفيته كالسمع والبصر وسائر صفاته تعالى الثابتة بلسان

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، (219/7).

الشرع؛ هذا الذي اتفق عليه الأئمة الأربعة وغيرهم من أساطين السنة"[1].

---

(1) عقيدة التوحيد الكبرى، تحقيق: محمد رشيد علي أبو غزالة، (ص/70-73).

9- قول الشيخ عبد الحميد بن باديس.

قال-رحمه الله- مقرراً صفة الاستواء لله عز وجل وفق منهج أهل السنة والجماعة: "ونثبت الاستواء والنزول ونحوهما، ونؤمن بحقيقتهما على ما يليق به تعالى بلا كيف، وبأن ظاهرهما المتعارف في حقنا غير مراد"(1).

وهذا هو المنهج الذي سار عليه -رحمه الله- حيث قال مبيناً منهجه في إثبات الأسماء والصفات لله عز وجل: "نثبت ما أثبته لنفسه على لسان رسوله من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه، وننزهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته"(2).

10- قول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

قرر-رحمه الله- هذه الصفة في تفسيره العظيم أضواء البيان فيقول بعد أن ذكر جملة من صفات الله عز وجل مقررًا لها: "...فإذا حققت ذلك علمت أنه جل وعلا وصف نفسه بالاستواء على العرش، ووصف غيره بالاستواء على بعض المخلوقات، فتمدح جل وعلا في سبع آيات من كتابه باستوائه على عرشه، ولم يذكر صفة الاستواء إلا مقرونة بغيرها من صفات الكمال والجلال القاضية بعظمته وجلاله جل وعلا، وأنه الرب وحده، المستحق لأن يعبد وحده". ثم قال بعد ذكر المواضع التي ورد فيها وصفه تعالى نفسه بالاستواء: "...وقد علمت مما تقدم أنه لا إشكال في ذلك وأن للخالق جل وعلا استواءًا لائقًا بكماله وجماله، وللمخلوق أيضًا استواءًا مناسبًا لحاله، وبين استواء الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق على نحو ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]كما تقدم ...."(3).

وقال في موضع آخر مقررًا لهذه الصفة رادًّا على الذين ينفون هذه الصفة معتمدين على أدلة عقلية منطقية ، معرضين عن دلالة الكتاب والسنة و منهج السلف الصالح في

---

(1) شرح العقائد الإسلامية، (ص/203).
(2) المصدر السابق (ص:167).
(3) أضواء البيان، (2/373-375).

إثبات ما يجب إثباته لله من صفات الكمال والجلال، ونفي ما يجب تنـــزيهه عنـــه مـــن صفات النقص: "فهذه صفة الاستواء تجرأ الآلاف ممن يدعون الإسلام ونفوها عـــن رب السماوات والأرض بأدلة منطقية يركبون منها قياسًا استثنائيًّا مركبًا من شرطية متصـــلة ولزومية واستثنائية يستثنون فيه نقيض التالي، ينتجون في زعمهم الباطل نقيض المقدم بناء على أن نفي اللازم يقتضي نفي الملزوم.

فيقولون مثلاً: لو كان مستويًا على عرشه لكان مشابهًا للخلق ، لكنه لم يكن مشـــابهًا للخلق، فينتجون –ليس مستويًا على العرش–، وعظم هذا الافتراء كما ترى.

ثم قال: اعلموا أن هذه الصفة التي هي صفة الاستواء صفة كمال وجلال تمدح بهـــا رب السماوات والأرض، والقرينة على أنها صفة كمال وجلال أن الله مـــا ذكرهـــا في موضع من كتابه إلا مصحوبة بما يبهرالعقول من صفات جلاله وكماله التي هي منها"[1].

وهكذا نجد أن علماء المالكية سلفاً وخلفاً يقررون صفة الاستواء لله عز وجل علـــى ما يليق بجلاله كما جاء في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، إثباتًا بـــلا تمثيل ومن غير تأويل ولاتحريف ولا تكييف على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. وهذا هو قول أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا.

قال عبد الله بن المبارك–رحمه الله–: "نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية"[2].

وقال الأوزاعي: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى فوق عرشه، ونـــؤمن بما وردت به السنة"[3].

---

(1) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ضمن مجموع القواعد الطيبات، جمع وتعليق:أشرف ابن عبد المقصود، (ص/66).

(2) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، (1080/3).

(3) المصدر السابق، (1079/3).

المسألة الثانية: **صفة النزول**.

صفة النـــزول من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل، يثبتها أهل السنة والجماعة لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به سبحانه من غير تحريف ولا تشبيه، ومن غير تأويل ولا تكييف، كغيرها من الصفات الثابتة لله عز وجل.

وقد تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول الله تبارك وتعـــالى إلى السماء الدنيا. وقد روى هذه الأحاديث أكثر من ثمانية وعشرين صحابيًّا، حيث أنه صلى الله عليه وسلم كان يكرر ذكر النـــزول في أكثر من موطن[1].

والمحققون من أئمة المالكية –رحمهم الله- يقررون صفة النـــزول لله عز وجل علـــى ما يليق بجلاله، شأنهم بذلك شأن بقية السلف الصالح. ويتجلى ذلك مـــن خـــلال مـــا سطروه في مؤلفاتهم وما نقلوه لتلاميذهم وقرروه في دروسهم. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

3- **ما رواه مالك** عن أجل شيوخه ابن شهاب الزهري عن أبي سلمة بن عبدالرحمن وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وســـلم قال: "ينـــزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"[2].

قال ابن عبد البر في شرح الموطأ: هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الاسناد، ولا يختلف أهل العلم في صحته؛ رواه أكثر الرواة عن مالك هكذا"[3].

---

(1) انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، اختصار: محمد بن الموصلي، تخريج: الدكتور الحسن بن عبد الرحمن العلوي، (1108/3-1239)، وانظر صفة النـــزول الإلهي وردّ الشبهات حولها، تأليف: عبد القادر بن محمد الجعيدي، (ص/56-220).

(2) رواه البخاري في أبواب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل؛ ومسلم في كتاب الصلاة، باب:الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه.

(3) التمهيد، (127/7).

2- **قال الإمام ابن أبي زمنين** في كتابه أصول السنة: باب في الإيمان بالنــزول: "ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل ينــزل إلى السماء الدنيا، ويؤمنون بذلك من غــير أن يحدوا فيه حدًّا[1].

ثم ساق بسنده حديث مالك المتقدم من طريقين ثم قال: وأخبرني وهب عــن ابــن وضاح عن زهير بن عباد قال: كل من أدركت من المشايخ: مالك وسفيان وفضيل بــن عياض وعيسى وابن المبارك ووكيع يقولون: النــزول حق. وقال ابن وضاح: وســألت يوسف بن عدي عن النــزول فقال نعم: أُقِرُّ به ولا أَحُدُّ حدًّا. وسألت ابن معين فقــال نعم: أقربه ولا أَحُدُّ فيه حدًّا"[2].

فقد قرر-رحمه الله- صفة النــزول لله عز وجل على ما يليق بجلاله، وبين أن تقرير صفة النــزول لله عز وجل هو قول أهل السنة والجماعة.

---

(1) استعمال الحد من الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل؛ وذلك أن الجهمية يقولون: إن الخالق لا يتميز عن الخلق، فيجحدون صفاته التي يتميز بها، وزعموا أنه ليس له حد ولا حد له ولا يباين المخلوقات ولا يكون فوق العالم؛ وهم بذلك ينفون وجود الخالق –عز وجل-. فرد عليهم السلف وأثبتوا ذلك لما فيه من مباينة الخالق لخلقه وقالوا: أنه حد لا يعلمه إلا الله. قال شيخ الإسلام بعد أن نقل الآثار الواردة عن السلف في إثبات الحد: "فهذا وأمثاله مما نقل عن الأئمة كما قد بسط في غير هذا الموضع. وبينوا أن ما أثبتوه له من الحد لا يعلمه غيره كما قال مالك وربيعة وغيرهما: "الاستواء معلوم والكيف مجهول". فبين أن كيفية استوائه مجهولة للعباد. فلم ينفوا ثبوت ذلك في نفس الأمر، ولكن نفوا علم الخلق به. وكذلك مثل هذا في كلام عبد العزيز بن عبد الله الماجشون، وغير واحد من السلف والأئمة ينفون علم الخلق بقدره وكيفيته، تعارض العقل والنقل، (235/2). فإثبات الحد عند أهل السنة والجماعة ثابت من حيث أن الله يوصف بأنه في جهة العلو، ولكنهم ينفون إدراك حقيقة ذلك، فهذا معنى قولهم: لا نحد فيه حدًّا. فتنبه!

وانظر في هذا الباب: بيان تلبيس الجهمية، (6/3) وما بعدها، وانظر كتاب إثبات الحد لله عز وجل، تأليف: أبو محمد محمود بن أبي القاسم الدشني، ت:665هـــ، تعليق وتقديم: مسلط ابن بندر العتيبي، وعادل بن عبد الله آل حمدان.

(2) شرح أصول السنة مع رياض الجنة، تحقيق: عبد الله بن محمد البخاري، (ص/113).

3- **قال الحافظ بن عمرو الداني** في أرجوزته:

ومن صحيح ما أتى به الخبر وشاع في الناس قديما وانتشر

نـــزول ربنا بلا امـــتراء في كل ليلـة إلى السمـــاء

من غيـر ما حد ولا تكييف سبحانـــه من قـادر لطيف[1].

فقوله: "من صحيح ما أتى به الخبر" أي أن الأخبار التي جاءت بذكر النزول صحيحة. وبين أن هذه الأخبار قد تواترت بين الناس وشاعت واشتهرت فوجب الإيمان بذلك.

وفي قوله: "من غير ما حد ولا تكييف"، يشير إلى نفي العلم بالكيفية حيث أن النصوص جاءت بذكر النـــزول دون الكيفية والعقول قاصرة عن العلم بذلك. فوجب الإيمان بحقيقة النـــزول وأنه ثابت لله عز وجل مع جهل حقيقة الكيفية كما في القاعدة الذهبية للإمام مالك –رحمه الله- في الاستواء: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

وهكذا نجد أن هذا الإمام -رحمه الله- يقرر صفة النـــزول على حقيقتها دون التعرض لكيفيتها كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

4- **قال الإمام الحافظ بن عبد البر–رحمه الله-**: "والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة[2] أنهم يقولون: ينـــزل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويصدقون بهذا الحديث، ولا يكيفون، و القول في كيفية النـــزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء، والحجة في ذلك واحدة"[3].

وقال: روى بن المبارك عن أبي بكر بن عثمان قال: حدثني أبو عقيل عن عائشة قالت: يوم عرفة يوم المباهاة. قيل لها : وما يوم المباهاة؟ قالت: ينـــزل الله يوم عرفة إلى السماء الدنيا ثم يدعو ملائكته ويقول: "انظروا إلى عبادي، شعثًا غبرا، بعثت إليهم رسولا فآمنوا به، وبعثت إليهم كتابًا فآمنوا به، يأتوني من كل فج عميق، يسألوني أن

---

(1) الرسالة الوافية، (ص/26).

(2) قوله هنا –جمهور أهل السنة- أي أكثر أهل السنة وهو خلاف قول الأشاعرة من إطلاقهم جمهور أهل السنة على الأشاعرة. فتنبه!

(3) التمهيد، (142/7).

أعتقهم من النار، فقد أعتقتهم، فلم ير يوم أكثر أن يعتق فيه من النار من يوم عرفة"[1].

وقال مبينًا موقف السلف من نصوص الصفات –وهو وجوب إثباتها كما جاءت وعدم التعرض للكيفية والتحديد- : "وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" عندهم مثل قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف:143]، ومثل قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:22]. كلهم يقول ينزل ويتجلى بلا كيف، ولا يقولون كيف يجيء؟ وكيف يتجلى؟ وكيف ينزل؟ ولا من أين جاء؟ ولا من أين يتجلى؟ ولامن أين ينزل؟ لأنه ليس كشيء من خلقه، تعالى الله عن الأشياء ولا شريك له"[2].

5- قول الإمام عبد الله بن محمد القحطاني الأندلسي المالكي.

قرر-رحمه الله- صفة النزول لله عز وجل في نونيته التي قرر فيها صفات الله عز وجل وردّ على الجهمية والأشاعرة وغيرهم من طوائف الضلال. فقال-رحمه الله- في تقرير صفة النزول:

والله ينزل كل آخر ليلة لسمائه الدنيا بلا كتمان
فيقول هل من سائل فأجيبه فأنا القريب أجيب من ناداني
حاشا الإله بأن تكيف ذاته فالكيف والتمثيل منتفيان
والأصل أن الله ليس كمثله شيء تعالى الرب ذو الإحسان

فقد قرر-رحمه الله- أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة، وهو يشير بذلك إلى حديث أبي هريرة الصحيح، والذي أخبر فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا.

ثم قرر-رحمه الله- معتقد أهل السنة والجماعة في نزول الله عز وجل لأن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، فالنزول حق، والإيمان به واجب، والكيف مجهول، والسؤال عن الكيفية بدعة؛ كما قرر ذلك الإمام مالك في صفة الاستواء.

6- قول الشيخ أحمد بن مشرف الوهبي التميمي المالكي.

حيث قرر في منظومته اللامية التي ردّ فيها على الجهمية والمعتزلة وسماها: "الشهب

---

(1) التمهيد، (120/1).
(2) المصدر السابق، (153/7).

المرمية على المعطلة والجهمية" يقول فيها مقرراً صفة النـــزول لله عز وجل على ما يليـــق بجلاله:

وقـد صـح أن الله في كـل لـيلـة ... إذا مـا بقـي ثلـث من الليـل ينـزل
إلى ذي السمـا الدنيـا ينادي عبـاده ... إلى أن يكـون الفجـر في الأفـق مشعـل
ينـاديهـم: هـل تـائب من ذنـوبـه؟ ... فـإنــي لـغـفـار لـهـا مـتـقـبـل
وهـل منكـم داع، وهـل سـائـل لنـا ... فـإنــي أجـيـب السـائليـن، وأجـزل

ثم بين-رحمه الله- قاعدة عامة فيما يجب نحو صفات الله عز وجل، ومنها النـــزول فقال:

على ذا مضى الهادي النبي وصحبه ... وأتبـاعـهـم خيـر القـرون وأفـضـل
فاخـلـف قـوم آخـرون فـحـرفـوا ... نصـوص كتـاب الله جهـلا وأولـوا
فجـاؤوا بقـول سـيئ سـره ومـا ... بـدا منـه يـزهـو بالآلـي مكـلـل
هم عطلـوا وصـف الإلـه وأظهـروا ... بـذلـك تنـزيهـاً لـه، وهـو أكمـل
ومن نـزه البـاري بنفـي صفـاتـه ... فمـا هـو إلا جـاحـد ومـعـطـل
فيـا أيهـا النـافي لأوصـاف ربـه ... لقـد فـاتك النهـج الذي هو أمثـل
تحيـد عـن الذكـر الحكيـم ونصـه ... وتـزور عن قـول الرسـول وتعـدل
وتنفي صفـات الله بعـد ثبـوتهـا ... بنـص من الوحيين مـا فيـه مجمـل
إذا جـاء نـص محكـم في صفـاتـه ... جحـدت لـه أو قلـت: هـذا مـؤول
ألا تقتـفـي آثـار صحـب محـمـد ... فمنهاجهم أهـدى، وأنجـى، وأفضل
فمـا مذهـب الأخـلاف أعلم بالهـدى ... من القوم لو أنصفت أو كنت تعدل
ولكنـه من بعض مـا أحـدث الـورى ... ومن يبتدع في الـدين فهو مضلـل

فمما تقدم يبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون صفة النـــزول لله عز وجل، وأنه ينـــزل نزولا يليق بجلاله، فلا يعطلـــون ولا يمثلـــون، ولا يؤولـــون ولا يكيفون،شأنهم في ذلك شأن إخوانهم من أئمة السلف. فهذا الإمام محمد بـــن إدريـــس الشافعي-رحمه الله- يقول مبينًا هذه العقيدة التي تلقاها عن سلفه الكرام من الصـــحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، داعيًا من جاء بعده للزومها والتمسك بها: "القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها، أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنـــهم مثـــل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف يشاء، وأن الله تعالى ينـــزل إلى السماء الدنيا

كيف يشاء"[1]. انتهى.

(1) مختصر العلو، (ص/176).

المسألة الثالثة: صفة المجيء.

من الصفات الفعلية التي يثبتها أهل السنة والجماعة صفة المجيء والإتيان، وهما بمعنى واحد. وهي من الصفات المتعلقة بمشيئته تعالى. فأهل السنة والجماعة يعتقـــدون أن الله تعالى يأتي بنفسه كيف شاء؛ لأنه سبحانه وتعالى ذكر المجيء في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، ورسوله أعلم الخلق بربـــه ولا ينطق عن الهوى.

يقول الله عز وجل: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [البقرة:210] ، ويقول ســـبحانه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ﴾ [الأنعام:158] ، ويقول عز وجـــل: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ، وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: 21-22].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشـــمس الشـــمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها، أو منافقوها –شك إبراهيم- فيـــأتيهم الله فيقـــول: أنـــا ربكـــم، فيقولون:هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته الـــتي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه..." الحديث(1).

وتصديقًا لهذه النصوص وغيرها مما في حكمها يثبت أهل السنة والجماعة، ومنـــهم أئمة المالكية، هذه الصفة لله تعالى على ما يليق بجلاله، كغيرها من صفات الله عز وجل. ومن أمثلة ذلك:

لِّذِى- ما ذكره **الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني** في خطبة الرسالة حيث قال: باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجـــب أمـــور الـــديانات- إلى أن قال:"... وأن الله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة والملك صـــفًا صـــفًا لعـــرض الأمـــم وحسابهم"(2).

---

(1) خرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة:22-23]؛ ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

(2) مقدمة الرسالة مع شرحها، إعداد: الأمين الحاج محمد أحمد، (ص/17)؛ والجامع،

فهذا القول من أبي محمد-رحمه الله- يدل دلالة واضحة على إثبات هذه الصفة لله عز وجل، وأنه يجب إثباتها له عز وجل كغيرها من صفاته؛ كما يدل على اهتمام أئمة المالكية بهذا الأمر، وهو توحيد الله عز وجل. فهذه الرسالة التي ألفها مؤلفها لتعلم للصغار لينشؤوا عليها وعلى تحقيقها ليكون ذلك أسبق إلى قلوبهم مما يكون أدعى لرسوخه فيها؛ ولذا فقد اهتم بها أئمة المذهب قديمًا وحديثًا كما تقدم.

2- قال **القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي البغدادي-رحمه الله-** أثناء شرحه للرسالة عند قول ابن أبي زيد المتقدم -وأن الله يجيء يوم القيامة والملك صفًّا صفًّا-: "وهذا لقوله عز وجل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22]، فأثبت نفسه جائيًا؛ ولا معنى لقول من يقول: إن المراد به جاء أمر ربك؛ لأن ذلك إضمار في الخطاب يزيله عن مفهومه، ويحيله عن ظاهره، لاحاجة بنا إليه"[1].

فقد صرح -رحمه الله- بوجوب إثبات صفة المجيء لله تعالى لأن الله صرح في كتابه بمجيئه، ثم أنكر على الأشاعرة ومن نحى نحوهم ممن يحرفون كلام الله عز وجل ويصرفونه عن ظاهره ليتوصلوا إلى إنكار هذه الصفة، مبينًا أن الأصل في الكلام حمله على ظاهره ما لم يدل دليل صحيح صريح على خلاف ذلك، ولا وجود لمثل هذا في هذا الموضع، فدل على أنه لا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره وأنه لا حاجة لذلك.

(٥)- قال **الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر** في معرض رده على الذين ينكرون بعض صفات الله عز وجل كالعلو والاستواء: "... ومثل قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ كلهم يقول: ينزل ويتجلى ويجيء بلا كيف. لا يقولون كيف يجيء؟ وكيف يتجلى؟ وكيف ينزل؟ ولا من أين جاء؟ ولا من أين يتجلى؟ ولامن أين ينزل؟ لأنه ليس

(ص/140).

(1) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير-أبي محمد عبد الله بن أبي زيد- للقاضي عبد الوهاب البغدادي، (ص/95-96).

كشيء من خلقه، تعالى عن الأشياء"[1].

(1) التمهيد، (153/7).

فقد صرح –رحمه الله– أن إثبات هذه الصفة كغيرها من صفات الله عز وجل هو منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وإجرائها على ظاهرها دون التعرض لكيفيتها أو تعريضها للتأويل والتحريف حيث قال عنهم أنهم قالوا: "يجيء بلا كيف"، والمعنى بلا كيف يعرف. وهذا منه إثباتًا للقاعدة الذهبية للإمام مالك في الاستواء.

ألم– وقال **الإمام عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني المالكي** في النونية مقرراً صفة المجيئ لله عز وجل على ما يليق بجلاله:

والله يومئذ يجيء لعرضنا — مع أنه في كل وقت دان
والأشعري يقول يأتي أمره — ويعيب وصف الله بالإتيان
والله في القرآن أخبر أنه — يأتي بغير تنقل وتدان
وعليه عرض الخلق يوم معادهم — للحكم كي يتناصف الخصمان
والله يومئذ نراه كما نرى — قمراً بدا للست بعد ثمان(1)

فقد قرر –رحمه الله– أن الله عز وجل يجيئ يوم القيامة لمحاسبة الخلائق، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:22]. ثم ردّ على الأشاعرة الذين يؤولون مجيئه بمجيئ أمره، خوفاً من التشبيه بزعمهم؛ وقد وقعوا فيما هو شر مما فروا منه حيث أنهم شبهوا الله بخلقه أولاً، ثم أرادوا التنزيه بزعمهم؛ فعطلوا الله من صفة من صفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، ولم يكتفوا بذلك؛ بل عابوا على أهل الحق الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه من صفة المجيئ، ويصفونهم بالأوصاف المنفرة حيث يقولون عنهم: مجسمة وممثلة–تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً–.

ثم بين المنهج الذي يجب أن يُسلك في إثبات هذه الصفة وغيرها، ألا وهو الوقوف مع النص حيث أن الله أخبرنا بأنه يأتي، لم يبيِّن كيفية الإتيان؛ فوجب الوقوف حيث وقف النص، وعدم تجاوز ذلك أو تسليط طاغوت النفي أو التمثيل.

فجزى الله أبا محمد خير الجزاء، وجعل الجنة منزلنا ومنزله، وأتم علينا النعمة برؤية ربنا في جنات النعيم.

---

(1) النونية، (ص/29).

ثَرَ- قال **العلامة محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-** عند قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام:158] ، أي: يأتيهم لفصل الخطاب يوم القيامة فيعذبهم العذاب الأكبر عندما يأتي ليحاسب الناس على أعمالهم. وإتيان الرب هنا هو معنى قوله جل وعلا: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:22]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة:210]. وهذه الآيات ونحوها من الآيات، كمجيء الرب في هذه الآيات الذي أخبر به عن نفسه، كنزوله إلى السماء الدنيا ثلث الليل الآخر: "يقول: هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له؛كل هذه من آيات الصفات وأحاديثها أشكلت على آلاف الخلف وضل فيها ملايين الناس من حذاق النظار الفحول العلماء؛ لأن التوفيق بيد الله"[1].

فبين-رحمه الله- أن الواجب على المسلم أن يقف مع النصوص ولا يتجاوزها، فما أثبتته لله أثبته على الوجه اللائق. وهذه قاعدة في جميع نصوص الصفات: فما يقال في النزول يقال في المجيء وغيره من الصفات.

وهكذا يقرر علماء المالكية سلفاً وخلفاً إثبات صفة المجيء لله عز وجل كما أجمع عليه أهل السنة والجماعة و لم يشذ عنهم إلا من ضل عن الصراط المستقيم وامتلأ قلبه بنجاسة التشبيه والتحريف والتأويل، عياذاً بالله.

يقول شيخ الاسلام أبو العباس بن تيمية -رحمه الله-: "وأما كون إتيانه ومجيئه ونزوله ليس مثل إتيان المخلوق، فهذا أمر ضروري متفق عليه بين علماء السنة، ومن له عقل، فإن الصفات والأفعال تتبع الذات المتصلة الفاعلة. فإذا كانت ذاته مباينة لسائر الذوات، ليست مثلها، لزم ضرورة أن تكون صفاته مباينة لسائر الصفات، ليست مثلها؛ ونسبة صفاته لذاته كنسبة صفة كل موصوف إلى ذاته"[2].

---

(1) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، (562/2).
(2) الفتاوى، (422/16)

المسألة الرابعة: **صفة الرضى**.

أهل السنة والجماعة يثبتون صفة الرضى لله عز وجل، وأنه يوصف بالرضا، وأنها من صفاته الفعلية المتعلقة بمشيئته وإرادته كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة في إثبات هذه الصفة لله عز وجل مما يضيق المجال عن حصرها. فمن ذلك: قوله عز وجل: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة:119]. وقوله عز وجل: ﴿فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:96].وقوله سبحانه: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:18].

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا"(1).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً"(2).

وقد أجمع أهل السنة على وصف الله عز وجل بالرضى على ما يليق بجلاله(3).

والمحققون من أئمة المالكية -رحمهم الله- يقررون هذه الصفة لله تعالى كغيرها من الصفات على الوجه اللائق بالله عز وجل، شأنهم في ذلك شأن سلف الأمة. ومن أمثلة ذلك:

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب النهي عن السائل.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة.

(3) انظر المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، (ص/440-449).

أَخْبَارِكُمْ - قول الإمام مالك-رحمه الله تعالى-.

أ- فقد روى في الموطأ عن شيخه يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم ابن الحارث التيمي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "كنت نائمة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتفقدته من الليل، فلمسته بيدي، فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد، وهو يقول: "أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءًا عليك، أنت كما أثنيت على نفسك"[(1)].

ب- وأخرج بسنده عن بلال بن الحارث المزني -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه"[(2)].

فرواية الإمام مالك هذين الحديثين وغيرهما في موطئه الذي صنفه من أجل حماية العقيدة من الجهمية الذين يحرفون النصوص ويشبهون الصفات، وينفون عن الله ما أثبته لنفسه، يدل على تقريره لهذه الصفة، وأنه يرى أنها ثابتة لله عز وجل على ما يليق بجلاله كغيرها من الصفات.

ج- قول الإمام ابن أبي زيد القيرواني.

قال-رحمه الله- مقرراً لصفات الله عز وجل، مبيناً أن الأئمة قد أجمعوا على تقرير صفات الله عز وجل ومنها صفة الرضى: "فمما أجمعت الأمة عليه من أمور الديانة والسنن التي خلافها بدعة وضلالة: أن الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته" ... ثم ذكر عدداً من الصفات فقال: "وأنه يرضى عن الطائعين ويحب التوابين"[(3)].

---

(1) رواه مالك في الموطأ، باب الدعاء، برقم (620)؛ ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.

(2) الموطأ، (164/2)، كتاب الكلام، باب: ما يؤمر به من التحفظ في الكلام.

(3) الجامع، (ص/129-140).

فقرر-رحمه الله- صفة الرضى لله عز وجل كما هو معتقد أهل السنة والجماعـــة، و لم يسلط عليها التأويل كما هي طريقة المبتدعة؛ وهذا من أكبر الأدلة على إثباته-رحمه الله- لصفة الرضى لله سبحانه.

وَسَيَرَى- قول القاضي عياض.

قال -رحمه الله تعالى- عند شرحه لحديث أبي ذر-رضي الله عنه- قال: قيل لرســول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: "تلك عاجل بشرى المؤمن"[1].

قال القاضي عياض-رحمه الله-: "وقوله للرجل يعمل الخير ويحمده النـاس: "تلـك عاجل بشرى المؤمن"، أي: عنوان على رضى الله عنه وحبه له بدليل الحديث المتقدم: "ثم يوضع له القبول في الأرض"[2][3].

ٱللَّهُ- قول الشيخ محمد بن الأمين الشنقيطي -رحمه الله-.

قال-رحمه الله- وهو يقرر صفات الله عز وجل، مبيناً أن من صفات الله عـز وجـل الرضى وأن اتصافه بذلك لا يماثل رضى المخلوقين؛ فرضاه سبحانه وتعالى يليق بجلالـه وعظمته، ورضى المخلوق يناسب حاله وضعفه، فقال: "ووصف نفســه جـل وعـلا بالرضى، ووصف الحادث بـه أيضـاً فقـال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة:119] ... ثم قال: والمقصود عندنا ذكر أمثلة كثيرة من ذلك، مع إيضاح أن كل ما اتصف به جل وعلا من تلك الصفات بالغ من غايات الكمال والعلو والشـرف مـا يقطع علائق جميع أوهام المشابهة بين صفاته جل وعلا، وبين صفات خلقـه، سـبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً"[4].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: إذا أُثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره.

(2) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: إذا أحب الله عبداً من عباده.

(3) إكمال المعلم، شرح صحيح مسلم، (58/8).

(4) أضواء البيان، (372/2).

ومن خلال هذه النقول عن أئمة المالكية يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يثبتون لله عز وجل صفة الرضى، وأنها من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته سبحانه وتعالى، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، يدل لذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- حيث قال: "ومن المعلوم أنه قد دل الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة على أن الله يحب ويرضى ما أمر بفعله من واجب ومستحب وإن لم يكن ذلك موجوداً"[1].

(1) مجموع الفتاوى، (75/10).

المسألة الخامسة: **صفة الرحمة**.

من عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات صفة الرحمة لله تعالى، وأنه موصوف بالرحمة على ما يليق بجلاله. وهذه الصفة من الصفات الفعلية الذاتية. فهي ذاتية باعتبار أن الله تعالى موصوف بها أبدًا، فالرحمة لا تنفك عنه؛ وفعلية باعتبار تعلقها بمشيئته، فهو يرحم من يشاء ويعذب من يشاء.

وقد دل الكتاب والسنة على اتصاف الله بالرحمة. ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف:58]، وقوله: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:92]، وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:156]، وقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:56]، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:7]، وقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:43].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى"[(1)]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها"[(2)]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يرحم الله من لا يرحم الناس"[(3)]، وقوله عليه الصلاة والسلام: "إنما يرحم الله من عباده الرحماء"[(4)]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله كتب كتابًا عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي"[(5)] وفي رواية: "غلبت غضبي"، وغير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على اتصاف الله عز وجل بالرحمة.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته؛ ومسلم في كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه.

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب:﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾؛ ومسلم في كتاب الفضائل، باب: رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك.

(4) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه؛ ومسلم في كتاب الجنائز، باب: البكاء على الميت.

(5) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء.

وأهل السنة مجمعون على إثبات صفة الرحمةلله تعالى كغيرها من الصفات، إثباتًا بلا تمثيل ومن غير تحريـــف ولا تكييـــف ولا تعطيـــل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]. والأئمة من المالكية لا يخرجون عما يقرره أهل السنة والجماعة من إثبات هذه الصفة لله تعالى. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

1- **قول الإمام مالك.**

- فقد روى-رحمه الله- في موطئه بسنده عن أبي هريرة-رضي الله عنـــه- قـــال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتـــاب فهي خداج. هي خداج غير تمام". قلت[1]: يا أبا هريرة، إني أحيانًا أكون خلف الإمام؟ قال: فغمز ذراعي، ثم قال: اقرأ بها في نفسك يا فارسي، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تبارك وتعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبـــدي نصـــفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل. قال رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم: اقرؤوا. يقول العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، يقول الله: حمدني عبدي. يقول العبد: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾، يقول الله أثنى علي عبدي. يقول العبـــد: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾، يقول الله: مجدني عبدي. يقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾، يقول الله: هـــذه بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. يقول العبد: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾، يقول الله: هؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل"[2].

فهذا النص قد جمع أمهات الصفات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الفاتحة إنها أم القرآن، وذلك -والله أعلم- لجمعها أصول الأسماء والصفات خاصـــة، وأصـــول الدين والعبادة وجزاء المتقين والمخالفين. وهذا الحديث العظيم يتضمن الثناء بصفة الرحمة من العبد على ربه وإجابته تبارك وتعالى بقوله:"أثنى علي عبدي".

(1) القائل هو أبو السائب مولى هشام بن زهرة كما في الموطأ.

(2) الموطأ، (1/94-95)، باب: العمل في القراءة فيما لم يجهر فيه.

- وروى عن نافع عن عبد الله بن عمرأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم ارحم المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله! قال: اللهم ارحم المحلقين قالوا: والمقصرين يا رسول الله قال: والمقصرين"[1].

- وروى عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه سمع عمر بن الخطاب، وهو على المنبر، يعلم الناس التشهد، يقول: قولوا: التحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات الصلوات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله"[2].

فهذه الأحاديث فيها الدلالة على إثبات اتصاف الله بالرحمة، وفي رواية الإمام أبي عبد الله لها تقرير لهذه الصفة كما هو مذهب أهل السنة.

2- قول أبي عبد الله القرطبي، صاحب التفسير.

قال-رحمه الله- مقرراً صفة الرحمة لله عز وجل: "فالرحمن يدل على صفته العامة المختصة به جل جلاله، ويستحيل أن يوجد مخلوق تعم رحمته جميع المخلوقين من أوليائه وأعدائه، والرحيم وصف يدل على الفعل الذي تقع المشاركة فيه؛ ولذلك وصف نفسه بأنه خير الراحمين، وأرحم الراحمين كما في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون:118]، وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:64]. وقال لعبده ونبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾ [المائدة:110]، فلما وقعت المشاركة فيه قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:14]كما قال: ﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ و﴿خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾"[3].

---

(1) الموطأ، (536/1)، باب: العمل في الحلاق.

(2) الموطأ، (90/1)، باب التشهد في الصلاة.

(3) وكأنه يشير-رحمه الله- أن الاشتراك هنا بالوصف لا يعني المماثلة في حقيقة الصفة؛ فللمخلوق من الرحمة ما يناسب حاله وضعفه، وللخالق ما يناسب كماله وجماله وقدرته سبحانه، فالمماثلة في الصفة لا تعني المماثلة في حقيقتها. والأمثلة على ذلك كثيرة. انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة محمد بن صالح العثيمين، (ص/64-65)، القاعدة السادسة.

وهذان الاسمان يدلان على أنه سبحانه راحم، وأن له رحمة ومرحوم؛ فيوصف سبحانه بأنه "رحمان" بصفته الخاصة به، ويوصف بأنه "رحيم" بفعله الذي يرحم به من يشاء"[1].

مما تقدم يتبين أن القرطبي-رحمه الله- يقرر صفة الرحمة لله عز وجل وأن الله موصوف بالرحمة على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه رحمان رحيم، وأنه يرى صفة الرحمة لله عز وجل صفة ذاتية: فهو سبحانه وتعالى رحمان، وهي صفة فعلية من حيث تعلقها بالمرحوم، فهو يرحم من يشاء سبحانه وتعالى.

3- قول الحافظ بن عبد البر.

قال-رحمه الله- مقرراً صفة الرحمة لله عز وجل: "فالذي أجمع عليه العلماء في هذا الباب هو أنه من حلف بالله، أو باسم من أسماء الله، أو بصفة من صفاته، أو بالقرآن، أو بشيء منه فحنث؛ فعليه كفارة يمين على ما وصف الله في كتابه من حكم الكفارة، وهذا ما لا خلاف فيه عند أهل الفروع وليسوا في هذا الباب بخلاف. وأجمع العلماء على أن تصريح اليمين بالله هو قول الحالف: بالله أو والله أو تالله، واختلفوا فيمن قال: والله والله والله، أو والله والرحمن، أو والرحمن والرحيم، أو والله والرحيم الرحمان. فتحصيل مذهب مالك وأصحابه في ذلك وهو قول الأوزاعي والبتي: أنها يمين واحدة أبداً إذا كرر شيئا مما ذكرنا.

فقد قرر-رحمه الله- أن الحلف بالرحمن والرحيم كالحلف بالله عز وجل؛ لأنه يرى أن الرحمان والرحيم اسمان لله عز وجل متضمنان صفة الرحمة لله عز وجل كما هو منهج أهل العلم؛ ولأن الباب واحد فالقول في الصفات تبع للقول في الذات. ويوضّح ذلك قوله-رحمه الله- بعد أن ذكر أقوال أهل العلم في الكفارة: "قال أبو عمر: لا يختلفون فيمن قال: والله العظيم الرحمن الرحيم، ونحو هذا من صفاته عز وجل أنها يمين واحدة؛ وإنما اختلفوا إذا أدخل الواو، وقال زفر: إذا قال: والله الرحمان، كانت يميناً واحدة"[2].

---

(1) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، (ص/408).

(2) التمهيد، (14/369-370).

وقال في مقدمة كتاب الاستذكار: "الحمد لله رب العالمين الذي لا يبلغ وصف صفاته الواصفون، ولا يدرك كنه عظمته المتفكرون ... يقضي بالحق وهو خير الفاصلين، ذو الرحمة والطول، وذو القوة والحول ..."

فأثنى-رحمه الله تعالى- على ربه عز وجل بذكر صفاته التي لا يحيط الخلق بشيء منها، ومنها: الرحمة، فوصفه بأنه ذو الرحمة أي: المتصف بالرحمة؛ وهذا يدل على إثباته وتقريره لهذه الصفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وكماله.

4- **قول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-** حيث يقول: "قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، هما وصفان لله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أشد مبالغة من الرحيم، لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، و ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة. وعلى هذا أكثر العلماء"[1].

فقد قرر-رحمه الله- صفة الرحمة لله عز وجل وأنه متصف بها وهي من صفات ذاته، وأفرادها من صفات فعله، فالله عز وجل ذو الرحمة، وهو الرحمن الرحيم كما وصف نفسه بذلك في كتابه وكما وصفه -أعلم خلقه به ، الذي لا ينطق عن الهوى- صلى الله عليه وسلم.

وبهذا يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون إثبات صفة الرحمة لله عز وجل ويثبتونها له على ما يليق بجلاله على الحقيقة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل كما أثبت ذلك لنفسه سبحانه، وهذا هو منهج السلف الصالح. ومن أمثلة ذلك ما قرره ابن القيم-رحمه الله- حيث يقول: "إن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل. فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته"[2].

---

(1) أضواء البيان، (23/1-24).

(2) بدائع الفوائد، (27/1).

المسألة السادسة: صفة الغضب.

الغضب من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل، المتعلقة بمشيئته تعالى؛ يثبتها أهل السنة والجماعة كغيرها من الصفات، على الحقيقة دون تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف. وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله عز وجل: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:93]وقال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة:14]. والآيات في إثبات صفة الغضب لله أكثر من أن تحصر؛ والمتتبع لذلك يجد أنها جاءت بلفظ الغضب تارة كما تقدم، وتارة بلفظ السخط كما في قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:80] وقوله: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:162]، وأخرى بلفظ الأسف كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزُّخرُف:55]، وجميعها تدل على اتصاف الله بالغضب على ما يليق بجلاله.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه –يشير إلى رباعيته–، اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله"[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: "من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو عليها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان"[2].

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الغضب لله على ما يليق بجلاله[3].

وأئمة المالكية يقررون هذه الصفة لله عز وجل، فيثبتون صفة الغضب لله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن دون تمثيل ولا تكييف. وقد جاء ذلك في مؤلفاتهم وأقوالهم، ومن ذلك:

---

(1) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب: ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد؛ ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: اشتد غضب الله على من يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(2) رواه البخاري في كتاب المساقاة، باب: الخصومة في البئر والقضاء فيها؛ ومسلم في كتاب الإيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة.

(3) انظر المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، (ص/443-444)

وَدِيَةٌ -تقرير الإمام مالك.

فقد روى في الموطأ مقررًا له على قاعدته في بقية الأسماء والصفات.

وإليك بعض روايات مالك التي رواه عن شيوخه في هذا الباب:

أ- عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[1].

ب- عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي عن عائشة – رضي الله عنها- قالت: "كنت نائمة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتفقدته من الليل، فلمسته بيدي، فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد، وهو يقول: "أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءًا عليك، أنت كما أثنيت على نفسك"[2].

ج- عن يحيى بن سعيد قال: بلغني أن خالد بن الوليد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أروع في منامي. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون"[3].

ج- الإمام أبو محمد بن أبي زيد -رحمه الله-.

فقد ذكر في مقدمة كتابه الجامع صفة الغضب لله، وأنها مما أجمع عليه أئمة أهل السنة والجماعة، واصفًا من خالف ذلك بالبدعة والضلالة، فقال -رحمه الله-: "...فمما أجمعت الأئمة عليه من أمور الديانة ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة، أن الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته. وهو سبحانه وتعالى موصوف بأن له علمًا وقدرة وإرادة ومشيئة، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه". ثم ذكر بعضًا من صفات الله عز وجل إلى أن قال: "...وأنه يرضى عن الطائعين ويحب التوابين ويسخط على من كفر به، ويغضب فلا يقوم شيء لغضبه..."[4].

---

(1) الموطأ، (223/1).

(2) الموطأ، (244/1).

(3) الموطأ، (128/2).

(4) الجامع في السنن والآداب والحكم والمغازي والتاريخ وغير ذلك، (ص/ 139-140).

فقد أثبت –رحمه الله– صفة الغضب لله عز وجل؛ وأنها كغيرها من الصفات الفعلية التي يتصف الله عز وجل بها، وأنها متعلقة بمشيئته؛ وأن غضبه عز وجل شديد على من كفر به – نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه–. والإمام أبو محمد لا يخرج في ذلك عن دلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

وَسَيَرَى– **العلامة المفسر الأصولي الشيخ محمد الأمين الشنقيطي** قرر صفة الغضب لله على ما

يليق بجلاله، مبينًا منهج أهل السنة والجماعة في ذلك؛ وأنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، ولا يكذبون بشيء من صفاته التي وردت في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مع تنـزيه الله جل وعلا عن صفات النقص التي هي صفة المخلوق الضعيف.

قال –رحمه الله–: "واعلم أن الغضب صفة وصف الله بها نفسه إذا انتهكت حرماته، تظهر آثارها في المغضوب عليهم. نعوذ بالله من غضبه جل وعلا. ونحن معاشر المسلمين نمرها كما جاءت، ونصدق ربنا في كل ما وصف به نفسه، ولا نكذب بشيء من ذلك مع تنـزيهنا التام له جل وعلا عن مشابهة المخلوقين سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرا"(1).

وبين –رحمه الله– أن الله تعالى قد وصف نفسه بالغضب ووصف بعض خلقه بالغضب، وأن صفاته تعالى تليق بجلاله وعظمته وعزته، وصفات المخلوق تليق بضعفه مما ينفي المشابهة بين الخالق والمخلوق. وهو يرد –رحمه الله– على أولئك الذين ينفون صفات الله عز وجل لما انقدح في أذهانهم من تشبيه الله تعالى بخلقه فيقول:

"ووصف نفسه بأنه يغضب إن انتهكت حرماته فقال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة:60]، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ﴾ [النساء:93]. وقال في وصف الحادث بالغضب: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [الأعراف:150]. وأمثال هذا كثير

---

(1) أضواء البيان، (607/4).

جدًّا.

والمقصود عندنا ذكر أمثلة كثيرة من ذلك مع إيضاح أن كل ما اتصف به جل وعلا من تلك الصفات بالغ غايات الكمال والعلو والشرف ما يقطع علائق جميع أوهام المشابهة بين صفاته جل وعلا، وبين صفات خلقه، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيراً"[1].

وبهذه النقول يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون إثبات صفة الغضب لله عز وجل على ما يليق بجلاله، وينزهونه عن مشابهة المخلوقين. فهم يوافقون السلف الصالح في هذا الباب ويخالفون المبتدعة الذين ينفون صفات الله تعالى لما ينقدح في عقولهم من التشبيه، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

فيقول الأمام أبو حنيفة -رحمه الله-: "لا يوصف الله بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف[2]"[3].

---

(1) أضواء البيان، (372/2).

(2) قوله: "بلا كيف"، يريد بذلك نفي معرفة الكيفية لا حقيقتها.

(3) الفقه الأكبر بشرح الملا علي قاري، (ص/68).

الصفة السابعة: صفة المحبة.

يثبت أهل السنة والجماعة صفة المحبة لله تعالى؛ وأنه سبحانه يحب ويحب. فهو يحب أنبياءه ورسله، ويحب عباده المؤمنين، ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب الطاعات. وهذه المحبة محبة حقيقية تليق بجلال الله تعالى وعظمته. وهي من الصفات الفعلية التي يتصف بها متى شاء وكيف شاء. فأهل السنة يثبتون هذه الصفة لله تعالى كغيرها من الصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل على حد قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:11]، وعلى وفق قول الأمام مالك –رحمه الله– في الاستواء: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

ويستدل أهل السنة والجماعة على إثبات صفة المحبة لله بالكتاب والسنة. فمن الأدلة: قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:195]، وقوله تعالى: ﴿ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:222]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:146]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:159]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:4]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحُجُرات:9]، وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:54]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:4].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"(1).

وقوله صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–: "أن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها،

---

(1) رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين، باب: إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصرح؛ ومسلم في كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف الرد عليهم.

وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته"(1).

وأقوال أهل السنة وتقريراتهم في هذا أكثر من أن تحصر، و لم يخرج محققو المالكية عن هذه القاعدة. فقد قرروا إثبات صفة المحبة لله تعالى على ما يليق بجلاله. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

1- **تقرير الإمام مالك-رحمه الله-** لهذه الصفة حيث نقل في الموطأ الأحاديث التي تدل على إثبات هذه الصفة لله عز وجل. فمن ذلك:

أ- ما رواه الإمام مالك-رحمه الله- في الموطأ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة-رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله تبارك وتعالى: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه"(2).

ب- ما رواه بسنده عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أيضًا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أحب الله العبد قال لجبريل: إني قد أحببت فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض الله العبد، قال مالك: لا أحسبه إلا أنه قال في البغض مثل ذلك"(3).

ج- ما رواه بسنده عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين في، والمتجالسين في، والمتزاورين في، والمتباذلين في"(4).

فروايته -رحمه الله- لهذه الأحاديث في موطئه الذي ألفه من أجل حفظ العقيدة كما تقدم يدل على تقريره لهذه الصفة كعادته في تقرير صفات الله عز وجل.

---

(1) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع.

(2) الموطأ، (392/1)، جامع الجنائز.

(3) الموطأ، (132/2)، باب: المتحابين في الله.

(4) المصدر السابق، (133/2).

2- **قول ابن أبي زيد القيرواني-رحمه الله-** حيث قرر هذه الصفة كغيرها من صفات الله عز وجل و لم يتعرض لها بما يخالف ما عليه السلف؛ بل بين أن من خالف ذلك فقد خالف السلف ووقع في البدعة فقال: "...فمما أجمعت الأئمة عليه من أمور الديانة ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة، أن الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته...وأنه يرضى عن الطائعين ويحب التوابين ويسخط على من كفر به، ويغضب فلا يقوم شيء لغضبه..."[1].

3- ومن قرر صفة المحبة لله عز وجل على ما يليق بجلاله **الحافظ ابن عبد البر** حيث نقل في كتابه التمهيد آثارًا تدل على إثبات هذه الصفة، فمن ذلك:

أ- ما نقله عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم:96]، أنه قال: "يحبهم ويحببهم". وقال عز وجل فيما يعدد من نعمته على موسى نبيه وكليمه عليه السلام: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ [طه:39]، قال: حببتك إلى عبادي"[2].

ب- ما نقله عن الربيع قال: "إذا أحب الله عبدًا ألقى له مودة في قلوب أهل السماء ثم ألقى له مودة في قلوب أهل الأرض"[3].

ج- ما نقله عن كعب قال: "والله ما استقر لعبد ثناء في أهل الدنيا حتى يستقر له في السماء"[4].

د- ما نقله عن كعب أيضًا قال: "قرأت في التوراة أنه لم تكن محبة لأحد من أهل الأرض إلا كان بدؤها من الله ينزلها على أهل السماء ثم ينزلها على أهل الأرض، ثم قرأت القرآن فوجدت فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم:96]"[5].

---

(1) الجامع، (139-140).

(2) التمهيد، (239/21).

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر نفسه.

فهذه الآثار تدل على إثبات صفة المحبة لله عز وجل، وقد أوردها الحافظ –رحمه الله– للدلالة على تقرير هذه الصفة؛ و لم يتعرض لها بردّ أو تأويل.

4- **قول أبي عبد الله القرطبي** حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة:165]، لأن الله أحبهم أولا ثم أحبوه؛ ومن شهد له محبوبه بالمحبة كانت محبته أتم. قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾"(1).

فقد أثبت لله تعالى المحبة؛ وأن الله تعالى متصف بالمحبة، مما يدل على أنه يقرر صفة المحبة لله عز وجل كغيرها من الصفات لله عز وجل.

5- وممن يقرر صفة المحبة لله عز وجل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي حيث يقول –رحمه الله– "ووصف نفسه جل وعلا بالمحبة، ووصف الحادث بها، فقال: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة:54]، وقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:31]". ثم قال بعد أن ذكر عددًا من الصفات: "والمقصود عندنا ذكر أمثلة كثيرة من ذلك مع إيضاح أن كل ما اتصف به جل وعلا من تلك الصفات بالغ من غايات الكمال والعلو والشرف ما يقطع علائق جميع أوهام المشابهة بين صفاته جل وعلا، وبين صفات خلقه، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً"(2).

فقد قرر–رحمه الله– هذه الصفة لله عز وجل على طريق أهل السنة والجماعة(3).

ومما تقدم يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية يقررون صفة المحبة لله عز وجل على ما يليق بجلاله، وقد اتفق على ذلك سلفهم وخلفهم. وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة في إثبات هذه الصفة كغيرها من صفات الله عز وجل.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، (304/2).

(2) أضواء البيان، (28/2)

(3) اجتماع الجيوش لابن القيم، (ص/171).

وقد حكى إجماعهم إمام الشافعية في وقته أبو العباس ابن سريج-رحمه الله- بقوله: "وقد صح وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا ... ثم عد جملة من الصفات وذكر منها: الرضى والغضب، والمحبة والكراهة، والسخط والضحك والتعجب"[1].

(1) اجتماع الجيوش لابن القيم، (ص/171).

المسألة الثامنة:صفة الكراهة.

صفة الكراهة من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله تعالى. وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الكراهة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته؛ فلا يعطلون ولا يمثلون ولا يكيفون ولا يحرفون. وقد دل الكتاب والسنة على إثبات هذه الصفة لله عز وجل كغيرها من الصفات.

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة:46].

ويقول صلى الله عليه وسلم كما في حديث المغيرة بن شعبة –رضي الله عنه– في الصحيحين: "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعًا وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"[1].

وعن عائشة –رضي الله عنه– قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"[2]. الحديث.

والمحققون من أئمة المالكية يقررون صفة الكراهة لله عز وجل على وفق منهج أهل السنة والجماعة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. ويدل على ذلك:

1. ما رواه **الإمام مالك** في الموطأ مستدلا به على إثبات هذه الصفة. ومن ذلك:

ما رواه بسنده عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله تبارك وتعالى: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه"[3].

وبعد البحث في مصادر عدة لم أجد للمالكية أقوالاً خاصة في هذه الصفة، ولكن أئمة المالكية كغيرهم من أهل السنة والجماعة يذكرون قواعد عامة في باب أسماء الله وصفاته، يرجع إليها في كل ما لم يذكر من صفات الله عز وجل.

---

(1) رواه البخاري في كتاب الاستقراض، باب:ما ينهى عن إضاعة المال؛ ومسلم في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل.

(2) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه؛ ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

(3) الموطأ، (392/1)، جامع الجنائز، وقد تقدم.

2. فمن ذلك ما قرره **الإمام أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الأندلسي الشهير بابن أبي زمنين–رحمه الله تعالى–** حيث عقد باباً في كتابه أصول السنة، قال فيه: "باب في الإيمان بصفات الله وأسمائه. قال محمد: واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علماً، والعجز عما لم يدع إيماناً، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيه". ثم ذكر عدداً من صفات الله عز وجل، ثم قال: "قال محمد : فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. لم تره العيون فتحده كيف هو كينونيته ، لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به"(1).

فهذا قول أحد أئمة المالكية المتقدمين، ويؤكد ذلك عَلَم من متأخريهم وهو:

كَانَ. **العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي** حيث يذكر في محاضرته المشهورة في تقرير توحيد الأسماء والصفات فيقول:

"ثم اعلموا أن مبحث آيات الصفات قد دل القرآن العظيم على أنه يتركز على أسس من أتى بها جميعاً فقد وافق الصواب والحق، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، والسلف الصالح، ومن أخلّ بأحدها فقد ضلّ.

الأسس التي يتركز عليها مبحث آيات الصفات:

الأمر الأول: هو تنزيه الله جلّ وعلا عن أن يُشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:4]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:74].

الأمر الثاني: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:140]، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال في حقه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:3-4].

---

(1) رياض الجنة بتخريج أصول السنة، (ص/تَعْلَمُونَ وَسَفَرًا -عَرَضًا قَاصِدًا).

الأمر الثالث: قطع الإدراك عن حقيقة كيفية هذه الصفات؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه:110]؛ فيلزم على كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، ويُنـزِّه ربَّه جل وعلا عن أن تُشبه صفته صفة الخلق؛ لأن من تنطّع بين يدي رب السماوات والأرض وتجرّأ هذه الجرأة العظيمة، ونفى عن ربه وصفاً أثبته ربه لنفسه، فهذا يعتبر مجنوناً.

فالله جل وعلا يُثبت لنفسه صفات كمال وجمال، فكيف يليق بمسكين جاهل أن يتقدم بين يدي رب السماوات والأرض ويقول: هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك ويلزمه من النقص كذا كذا ... فأنا أُءَوِّله وأنفيه وآتي ببدله من تلقاء نفسي من غير إسناد إلى كتاب أو سنة .. سبحانك هذا بهتان عظيم!.

ومن ظن أن صفة خالق السماوات والأرض تُشبه شيئاً من صفات المخلوق فهذا أيضاً مجنون جاهل وملحد ضال.

ومن آمن بصفات ربه جل وعلا منـزهاً ربَّه عن مشابعة صفات الخلق فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنـزيه عن مشابهة الخلق، سالمٌ من ورطة التشبيه والتعطيل.

وهذا التحقيق هو مضمون قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، وهذا لم نقله لكم من تلقاء أنفسنا، وإنما هو تعليم خالق السماوات والأرض في المحكم المنـزل؛ لأن الله أوضح هذا في هذه الآية الكريمة غاية الإيضاح، وبيَّنه غاية البيان.

وهذه الآية فيها تعليم عظيم يجيب عن جميع الأسئلة ويحل جميع الإشكالات حول الموضوع. وذلك أن الله قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ بعد قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾.

وظاهر السر في تعبيره بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ دون أن يقول مثلاً: وهو العلي العظيم، أو غير ذلك من الصفات الجامعة؛ أن السمع والبصر يتصف بهما جميع الحيوانات؛ فبيّن سبحانه أنه متصف بهما، ولكن وصفه بهما على أساس نفي المماثلة بين وصفه تعالى وبين صفات الخلق، فكأن الله سبحانه وتعالى يشير للخلق بأن يقول لهم:

لا تنفوا عني صفة سمعي وبصري لأجل أن الحوادث تسمع وتبصر، وأن ذلك يُعتبر تشبيهاً، لا وكلا، بل أثبتوا لي صفة سمعي وبصري على أساس: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ ؛ فيكون إثباتك للسمع والبصر إثبات تنزيه عن مشابهة أسماع الخلائق وأبصارهم، نظراً لقولي قبلُ مقترناً به: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾؛ فأول الآية الكريمة وهو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ تنزيه تام عن مماثلة صفات المخلوقين من غير أن يفضي ذلك التنزيه إلى التعطيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ إيمان بالصفات على الحقيقة إيماناً تاماً من غير أن يفضي ذلك الإيمان إلى التشبيه ولا إلى التعطيل.

فالله جل وعلا له صفات لائقة بجلاله وكماله، والخلق لهم صفات مناسبة لحالهم وعجزهم وفناهم وافتقارهم، وكل هذا حق ثابت لا شك فيه؛ إلا أن صفة رب السماوات والأرض أعلى وأكمل من أن تُشبه شيئاً من صفات المخلوقين. فمن نفى عن الله عز وجل وصفاً أثبته لنفسه في كتابه العزيز، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم زاعماً أن ذلك الوصف لا يليق بالله جل وعلا؛ فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله جل وعلا... فسبحانك هذا بهتان عظيم![1].

ومما تقدم نخلص إلى أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون صفة الكراهة لله عز وجل كغيرها من صفات الله عز وجل، وذلك انطلاقاً من القواعد التي ساروا عليها في إثبات جميع صفات الله عز وجل، وهم بذلك لا يخرجون عما عليه أهل السنة والجماعة في هذه الصفة وغيرها.

وقد بين اتفاق أهل السنة على إثبات هذه الصفة لله عز وجل شيخ الإسلام بن تيمية حيث قال: "والأمة متفقة على أن الله يكره المنهيات دون المأمورات، وأنه يمقت الكافرين ويغضب عليهم"[2].

---

(1) صفات الله عز وجل جمع الدغيثر، (ص/24-29).

(2) انظر المنهاج، (160/3).

المسألة التاسعة: صفة الضحك.

صفة الضحك ثابتة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وجماله، وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته. يثبتها أهل السنة والجماعة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، .

وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الصفة. منها:

ما رواه أبوهريرة –رضي الله عنه– : أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر الحديث. وفيه: فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما"(1).

وما رواه أيضًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه؛ فإذا ضحك منه قال له: ادخل الجنة"(2). الحديث.

و روى أبوهريرة –رضي الله عنه– أيضًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة"(3). الحديث.

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على إثبات صفة الضحك لله تعالى كغيرها من الصفات. وأهل السنة والجماعة ومنهم محققو المالكية يثبتون هذه الصفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فمن ذلك:

1- ما رواه **الإمام مالك** في موطئه بسنده عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل فيستشهد"(4).

---

(1) رواه البخاري في كتاب فضائل الصلاة، باب: قول الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ ومسلم في كتاب الأشربة، باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره.

(2) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب:الصراط جسر جهنم؛ ومسلم في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريقة الرؤية.

(3) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب: الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل؛ ومسلم في كتاب الإمارة، باب: بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة.

(4) الموطأ، (460/2)

فرواية الإمام مالك-رحمه الله- لهذا الحديث في كتابه الذي ألفه لتقرير التوحيد والردّ على الجهمية حتى لا يضلوا الناس-كما تقدم بيانه- يدل على تقريره-رحمه الله- لهـــذه الصفة، وأنها ثابتة.

2- ومن يقرر هذه الصفة لله عز وجل **الإمام ابن القاسم -رحمه الله-**.

قال: "سألت مالك عن الحديث في جنازة سعد بن معاذ في العرش فقال: لا نتحدث به، وما يدعو الإنسان أن يتحدث به وهو يرى ما فيه من التغرير. وعن الحديث : إن الله خلق آدم على صورته، وعن الحديث في الساق، وذلك كله قال ابن القاسم: لا ينبغي لمن يتقي الله ويخافه أن يحدث بمثل هذا، فقلت: إن الله تبارك وتعالى يضحك فلم يره من هذا وأجازه وقال: قد جاء فيه حديثان، وحديث ينـــزل مثل ذلك"[1].

وقال يحيى بن مزين[2]: "بلغني عن ابن القاسم أنه لم ير بأسًا برواية الحديث: إن الله ضحك[3] وذلك لأن الضحك من الله، والتنـــزل، والملالة[4]، والتعجب[5] منه ليس على جهة ما يكون من عباده"[6].

فقد قرر الإمام ابن القاسم هذه الصفات لله عز وجل، وفيها صفة الضحك على ما يليق بجلاله إثباتاً بلا تمثيل على حد قوله عز وجـــل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

---

(1) البيان والتحصيل، (504/18). ومسائل العقيدة التي قررها الأئمة المالكية، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحمادي، (ص/161).

(2) يحيى بن إبراهيم بن مزين رحل إلى المشرق ولقي مطرف بن عبد الله وروى عنه الموطأ، وسمع في العراق من القعنبي وبمصر عن أصبغ بن الفرج، كان حافظًا للموطأ فقيهًا فيه، انظر ترجمته في ترتيب المدارك (441/1)، والديباج المذهب (177/1).

(3) حديث أبي هريرة المتقدم.

(4) حديث الملالة، رواه البخاري، ومسلم لفظه: "عليكم من الأعمال ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا".

(5) حديث أبي هريرة المتقدم حيث جاء في بعض ألفاظه: "لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانة".

(6) التمهيد لابن عبد البر، (152/7).

3- ومن يقرر صفة الضحك لله عز وجل **الحافظ أبو عمر ابن عبد البر** حيث قال- رحمه الله- في كتابه التمهيد: "قال عباس بن محمد الدوري: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام وذكر له رجلا من أهل السنة أنه كان يقول: هذه الأحاديث التي تروى عن الرؤية والكرسي موضع القدمين، وضحك ربنا من قنوط عباده، وإن جهنم لتمتلئ، وأشباه هذه الأحاديث وقالوا: إن فلانًا يقول: يقع في قلوبنا أن هذه الأحاديث حق، فقال:ضعفتم عندي أمره حيث الأحاديث حق لا شك فيها يرويها الثقاة بعضهم عن بعض، إلا أنا إذا سئلنا عن تفسير هذه الأحاديث لم نفسرها و لم نذكر أحدًا يفسرها"[1].

وروى بسنده إلى أحمد بن نصر أنه سأل ابن عيينة قال: حديث عبد الله "إن الله عز وجل يجعل السماء على أصبع" "وإن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق" و"أنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة" ونحو هذه الأحاديث؟ فقال: هذه الأحاديث نرويها ونقر بها كما جاءت بلا كيف"[2].

فرواية الحافظ لهذه الآثار في كتابه التمهيد يدل على تقريره لصفة الضحك لله عز وجل على الحقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته.

4- ومن يثبت صفة الضحك لله عز وجل على ما يليق بجلاله وجماله **الشيخ عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني** حيث قال في النونية مقرراً هذه الصفة بعد أن ذكر جملة من صفات الله عز وجل:

والله يضحك لا كضحك عبيده والكيف ممتنع على الرحمن[3].

فقد صرح رحمه الله بأن الله يوصف بالضحك وأنه سبحانه يضحك، كما يثبت ذلك في أحاديث كثيرة وكما هو منهج أهل السنة، ضحكاً يليق بجلاله مع تنزيهه عن مشابهة الخلق، كما أنه لا يمكن العلم بكيفية هذه الصفة كغيرها من الصفات.

فهذا يدل دلالة واضحة أن متقدمي المالكية يثبتون لله عز وجل صفة الضحك على ما يليق بجلاله، وأن ضحكه لا يماثل ضحك المخلوقين؛ ذلك لأنه سبحانه وتعالى﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

---

(1) التمهيد، (7/149-150).

(2) المصدر السابق، (7/148-149).

(3) النونية، (ص/57)، البيت رقم (58).

أما متأخرو المالكية فلم أجد نصاً صريحاً لدى أحد منهم، غير أن **العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي** قد ذكر قاعدة عامة في باب الأسماء والصفات حيث قال: وينبغي للناظر في هذه المسألة التأمل في أمور:

الأمر الأول: أن جميع الصفات من باب واحد؛ لأن الموصوف بها واحد ولا يجوز في حقه مشابهة الحوادث في شيئ من صفاتهم، فمن أثبت مثلاً أنه سميع بصير، وسمعه وبصره مخالفان لأسماع الحوادث وأبصارهم؛ لزمه مثل ذلك في جميع الصفات كالاستواء، واليد، ونحو ذلك من صفاته جل وعلا، ولا يمكن الفرق بين ذلك بحال.

الأمر الثاني: أن الذات والصفات من باب واحد أيضاً، فكما أنه جل وعلا له ذات مخالفة لجميع ذوات الخلق، فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق.

الأمر الثالث: في تحقيق المقام في الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من آيات الصفات كالاستواء واليد مثلاً.

اعلم أولاً: أنه غلط في هذا خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين، فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلاً في الآيات القرآنية: هو مشابهة صفات الحوادث، وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعاً؛ لأن اعتقاد ظاهره كفر، لأن من شبه الخالق بالمخلوق فهو كافر؛ ولا يخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله والقول فيه بما لا يليق به جل وعلا.

والنبي صلى الله عليه وسلم الذي قيل له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:44] لم يبين حرفاً واحداً من ذلك مع إجماع من يعتد به من العلماء على أنه صلى الله عليه وسلم: لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وأحرى في العقائد ولا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين. حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين، فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق، والنبي صلى الله عليه وسلم كتم أن ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه، وكل هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة، ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:16].

ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال، ومن أعظم الافتراء على الله جل وعلا، ورسوله صلى الله عليه وسلم، والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل وصف وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، فظاهره المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان: هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث.

فبمجرد إضافة الصفة إليه-جل وعلا- يتبادر إلى الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق، وبين شيء من صفات المخلوقين؛ وهل ينكر عاقل أن السابق على الفهم المتبادر لكل عاقل: هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته؟ لا والله، لا ينكر ذلك إلا مكابر.

والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله لأنه كفر وتشبيه، إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق؛ فأدّاه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله جل وعلا، وعدم الإيمان بها، مع أنه جل وعلا هو الذي وصف بها نفسه؛ فكان هذا الجاهل مشبِّهاً أولاً، ومعطلاً ثانياً، فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء؛ ولو كان قلبه عارفاً بالله كما ينبغي، معظماً لله كما ينبغي، طاهراً من أقذار التشبيه، لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه: أن وصف الله جل وعلا بالغ من الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعداً للإيمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق على نحو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11] (1).

وبهذه النقول يتضح لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون هذه الصفة لله عز وجل من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل كغيرها من صفات المولى جل وعلا، وهذه هو منهج السلف الصالح ومن تبعهم واقتدى بهم. وقد نقل إجماعهم أبو عثمان الصابوني –رحمه الله- حيث قال بعد أن ذكر عددًا من الصفات كالرضا والسخط، والحب والبغض، والفرح والضحك: "وهذه الجمل التي أثبتها في هذا

(1) انظر: أضواء البيان، (2/272-288)، ومنهج ودرسات لآيات الأسماء والصفات.

الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم بعضا، بل أجمعوا عليها كلها"[1].

---

(1) عقيدة السلف أصحاب الحديث، (ص/قَرِيبًا وَسَفَرًا ﴿٤١﴾ -قَرِيبًا ﴿٤١﴾كَانَ).

المسألة العاشرة: صفة العجب.

من الصفات التي يثبتها أهل السنة والجماعة صفة التعجب؛ فيصفون الله بالتعجب. والعجب من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل على ما يليق بجلاله. وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل بأنه يعجب في أحاديث كثيرة منها:

قوله صلى الله عليه وسلم: "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل"[(1)]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "يعجب ربك عز وجل من راعي غنم في رأس شظية للجبل يؤذن بالصلاة ويصلي"[(2)].

والمحققون من أئمة المالكية يقررون صفة العجب لله عز وجل ويستدلون لذلك بالنصوص الواردة في صفة الضحك حيث أنه جاء في بعضها "يعجب ربك" بدل "يضحك"، وفي حديث صاحب الضيف المتقدم: "عجب الله من صنيعكما الليلة". ومن ذلك:

(٤١). ما رواه **الحافظ ابن عبد البر** في التمهيد مقررًا له عن أبي عبيد القاسم بن سلام وقد ذكر له رجلا من أهل السنة أنه كان يقول: هذه الأحاديث التي تروى عن الرؤية والكرسي موضع القدمين، وضحك ربنا من قنوط عباده، وإن جهنم لتمتلئ، وأشباه هذه الأحاديث وقالوا: إن فلانًا يقول: يقع في قلوبنا أن هذه الأحاديث حق، فقال: ضعفتم عندي أمره حيث الأحاديث حق لا شك فيها يرويها الثقاة بعضهم عن بعض، إلا أنا إذا سئلنا عن تفسير هذه الأحاديث لم نفسرها و لم نذكر أحدًا يفسرها"[(3)].

وساق بسنده إلى أحمد بن نصر أنه سأل ابن عيينة قال: حديث عبد الله "إن الله عز وجل يجعل السماء على أصبع"، "وإن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق" و"أنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة" ونحو هذه الأحاديث؟ فقال: هذه الأحاديث نرويها ونقر بها كما جاءت بلا كيف"[(4)].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: الأسارى في السلاسل.

(2) أخرجه الإمام أحمد في المسند (61/7)، وابن حبان في صحيحه (397/6) وقال عنه شعيب الأرنؤوط: اسناده حسن، وأبو داوود في كتاب صلاة السفر، باب: الأذان في السفر، والنسائي في كتاب الصلاة، باب: الأذان لمن يصلي وحده، وقال عنه الألباني: صحيح.

(3) التمهيد، (149/7-150).

(4) التمهيد، (148/7-149).

لَوَ. ومن قرر صفة العجب لله عز وجل **العلامة محمد الأمين الشنقيطي–رحمه الله–** عند تفسير قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات:12] : قرأ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير حمزة والكسائي: عجبت بالتاء المفتوحة، وهي تاء الخطاب، المخاطب بها النبي صلى الله عليه وسلم. وقرأ حمزة والكسائي:
بل عجبت بضم التاء، وهي تاء المتكلم ، وهو الله جل وعلا.

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك –يريد التفسير المسمى أضواء البيان– أن القراءتين المختلفتين يحكم لها بحكم الآيتين [1].

وبذلك تعلم أن هذه الآية الكريمة على قراءة حمزة والكسائي[2] فيه إثبات العجب لله تعالى؛ فهي إذاً من آيات الصفات على هذه القراءة.

فهذا الإمام الجليل يثبت صفة العجب لله تعالى على ما يليق بجلاله، وفق قاعدة أهل السنة والجماعة. ومن المعلوم أن الاستدلال بالقرآن من أقوى أنواع الاستدلال.

---

(1) أضواء البيان، (742/6-743).

(2) قال ابن جرير –رحمه الله– في التفسير: "قوله: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ . اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة:(بل عجبت ويسخرون) بضم التاء من عجبت، بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة(بل عجبت) بفتح التاء بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟ قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه". انتهى.

وقد روى الحاكم في المستدرك (420/2) ومن طريقه البيهقي في "الأسماء والصفات" (225/2) بسند صحيح عن الأعمش ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : "قرأها عبد الله بن مسعود : (بل عجبتُ ويسخرون) . قال شريح : إن الله لا يعجب من شيء ، إنما يعجب من لا يعلم . قال الأعمش : فذكرته لإبراهيم ، فقال : إن شريحا كان يعجبه رأيه ، إن عبد الله كان أعلم من شريح ، وكان عبد الله يقرؤها (بل عجبت)". قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. انتهى. قلت: هذا وما قبله يدل على صحة هذه القراءة، وهو دليل على اتصاف الله بالعجب على ما يليق بجلاله.

وهذا الذي يقرره أئمة المالكية من إثبات صفة العجب لله عز وجل على مـــا يليـــق بجلاله وكغيرها من الصفات هو منهج أهل السنة والجماعة المنتسبين إلى ائمة المـــذاهب الفقهية الأخرى.

فقد قال أبو يعلى الفراء في كتابه: "**إبطال التأويلات**" بعد أن ذكر ثلاثة أحاديث في إثبات صفة العجب لله عز وجل: "اعلم أن الكلام في هذا الحديث يعـــني -الحـــديث الثالث- كالكلام في الذي قبله؛ وأنه لا يمتنع إطلاق ذلك عليه وحمله على ظـــاهره؛ إذ ليس في ذلك ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه؛ لأنا لا نثبت عجبًا هـــو تعظـــيم لأمر همه استعظمه، لم يكن عالمًا به؛ لأنه مما لايليق بصفاته، بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا غيرها من صفاته"[1].

---

(1) إبطال التأويلات، (ص/245).

المسألة الحادية عشرة: صفة الغيرة.

يثبت أهل السنة والجماعة صفة الغيرة لله عز وجل؛ وأنه يوصف بالغيرة. وهي صفة فعلية تليق بجلاله وعظمته عز وجل كغيرها من الصفات.

وقد دلت السنة على وصف الله عز وجل بالغيرة كما في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله"(1).

وحديث المغيرة بن شعبة –رضي الله عنه– قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن..."(2). الحديث.

وعلماء المالكية كغيرهم من أهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات على الحقيقة ومنها صفة الغيرة، فلا يعطلون ولا يمثلون صفاته بصفات المخلوقين، ولا يكيفون ولا يحرفون المعنى عن ظاهره؛ وإنما يثبتون ذلك على حد قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

ومما يدل على تقرير أئمة المالكية لصفة الغيرة لله عز وجل على ما يليق بجلاله ما يأتي:

بِسْمِ –ما رواه **الإمام مالك** في الموطأ بسنده عن عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم كسفت الشمس: "يا أمة محمد! ما من أحد أغير

---

(1) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب: الغيرة؛ ومسلم في كتاب التوبة: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش.

(2) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب:قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا شخص أغير من الله؛ ومسلم في كتاب اللعان، برقم (وَلَٰكِنْ وَلَٰكِنْ عَرَضًا ﴿٤١﴾).

من الله أن يزني عبده أو تزني أمته"[1].

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ – ومن علماء المالكية الذين أثبتوا صفة الغيرة لله تعـالى، **الإمـام عبد الجليل بن**

موسى ابن عبد الجليل الأندلسي المعروف بالقصري حيث قال –رحمه الله– في كتابه "شعب الإيمان" بعد أن ذكر حديث سعد بن عبادة في الغيرة وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه لغيور وأنا أغير منه، والله أغير مني"...فجعل –يعني النبي صلى الله عليه وسلم – الغيرة من صفات الله وصفات رسوله وصفات المؤمنين. والأخبار في ذلك كثيرة"[2].

فقد أثبت صفة الغيرة لله، ولم يتعرض لها بتأويل، ولا تحريف مما يدل على تقريره لهـذه الصفة، والله الموفق.

ومن القاعدة المعروفة عن الإمام مالك –رحمه الله– في صفة الاستواء: "الاستواء غـير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

ٱلرَّحِيمِ – ومما يدل على ذلك ما قالـه **العلامة محمد الأمين الشنقـيطي–رحمه الله–**:

"...فيلزم على كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وينـزه الله جل وعلا عن أن تشبه صفته صفة الخلق. وحيث أخـل بأحـد هذين الأصلين وقع في هوة ضلال، لأن من تنطع بين يدى رب السموات والأرض وتجرأ على الله بهذه الجرأة العظيمة ونفى عن ربه وصفاً أثبته لنفسه فهذا مجنون. فالله جل وعلا يثبت لنفسه صفات كمال وجلال فكيف يليق لمسكين جاهل أن يتقدم بين يـدي رب السموات والأرض ويقول هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك ويلزمه من الـنقص كذا وكذا، فأنا أؤوله وألغيه وآتى ببدله من تلقاء نفسي من غير استناد إلى كتـاب أو سنة. سبحانك هذا بهتان عظيم!

ومن ظن أن صفة خالق السموات والأرض تشبه شيئا من صفات الخلق فهذا مجنـون جاهل، ملحد ضال، ومن آمن بصفات ربه جل وعلا منـزها ربه عن تشـبيه صـفاته بصفات الخلق فهو مؤمن منـزه سالم من ورطة التشبيه والتعطيل. وهذا التحقيـق هـو مضمون: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[الشورى:11] .

---

(1) الموطأ، (180/1)، كتاب صلاة الكسوف، باب: العمل في صلاة الكسوف.

(2) شعب الإيمان، (ص/237).

فهذه الآية فيها تعليم عظيم يحل جميع الإشكالات ويجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع. ذلك لأن الله قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ بعد قوله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾. ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات؛ فكأن الله يشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن الحوادث تسمع وتبصر وأن ذلك تشبيه بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:11] ... فالله جل وعلا له صفات لائقة بكماله وجلاله، والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم، وكل هذا حق ثابت لا شك فيه. إلا أن صفة رب السموات والأرض أعلى وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقين، فمن نفى عن الله وصفًا أثبته لنفسه فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله، سبحانك هذا بهتان عظيم. ومن ظن أن صفة ربه تشبه شيئًا من صفة الخلق فهذا مجنون ضال ملحد لا عقل له يدخل في قوله: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ ﴿إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:97-98]"[1].

وقال: "وعلى كل حال فلا يجوز للإنسان أن يتنطع إلى وصف أثبته الله جل وعلا لنفسه فينفي هذا الوصف عن الله متهجمًا على رب السموات والأرض مدعيًا عليه أن هذا الوصف الذي تمدح به أنه لا يليق به وأنه هو ينفيه عنه ويأتيه بالكمال من كيسه الخاص، فهذا جنون وهوس ولا يذهب إليه إلا من طمس الله بصائرهم"[2].

وقال: "فالحاصل أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد الذي يحل جميع الشبه ويجيب عن جميع الأسئلة وهو: أن الإنسان إذا سمع وصفًا وصف به خالق السموات والأرض نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم امتلأ صدره من التعظيم، فيجزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون القلب منزهاً معظمًا له جل وعلا غير متنجس بأقذار التشبيه، فتكون أرض قلبه قابلة للإيمان والتصديق بصفات الله التي تمدح بها أو أثنى عليه بها نبيه صلى الله عليه وسلم

---

(1) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ضمن المحاضرات، إشراف: بكر أبو زيد، (ص/88-89).

(2) المصدر السابق، (ص/102).

على غرار﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11] . والشر كل الشر في عدم تعظيم الله وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق؛ فيضطر المسكين أن ينفي صفة الخالق بهذه الدعوى الكاذبة الفاجرة الخائنة"(1).

وبين –رحمه الله- أن القول في صفة من صفات الله عز وجل هو القول في كل الصفات؛ لأن الباب واحد. وهذه قاعدة مهمة تبين منهج الشيخ-رحمه الله- في الصفات التي لم يرد لها ذكر، وهو منهج جميع الأمة من المالكية وغيرهم. يقول-رحمه الله-: " ولا بد في هذا المقام من نقط يتنبه إليها طالب العلم:

أولا: أن يعلم طالب العلم أن جميع الصفات من باب واحد إذ لا فرق بينها البتة لأن الموصوف بها واحد، وهو جل وعلا لا يشبه الخلق في شيء من صفاتهم البتة. فكما أنكم أثبتتم له سمعًا وبصرًا لائقين بجلاله لا يشبهان شيئًا من أسماع الحوادث وأبصارهم، فكذلك يلزم أن تجروا هذا بعينه في صفة الاستواء والنزول والمجيء إلى غير ذلك من صفات الجلال والكمال التي أثنى الله بها على نفسه"(2).

والمتتبع لأقوال المحققين من أئمة المالكية في جميع الصفات يرى أن أقوالهم لا تخالف ما عليه أهل السنة والجماعة، وأنهم يعتقدون أن باب الصفات واحد، وأن القول في صفة من الصفات الثابتة لله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم يقال في غيرها من الصفات، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الله يوصف " بالغيرة " وهي مشتقة من: التغير فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "لا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته" وقال أيضا " لا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث الرسل، وأنزل الكتب، ولا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن". وقال:" أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه، والله أغير مني "(3)

---

(1) المصدر السابق، (ص/110).
(2) المصدر السابق، (ص/111).
(3) مجموع الفتاوى (253/6)

المسألة الثانية عشرة: صفة الحياء.

الحياء صفة فعلية لله تعالى، يثبتها أهل السنة والجماعة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وكماله وعظمته وكبريائه كغيرها من الصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

وقد دل على هذه الصفة الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾ [البقرة:26]

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأحزاب:53].

وعن أبي واقد الليثي –رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا. فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه"[1].

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردها صفرا"[2].

فهذه النصوص تدل على اتصاف الله عز وجل بالحياء على ما يليق بجلاله وكماله. والله عز وجل أعلم بنفسه، ثم رسوله أعلم بربه.

---

(1) رواه البخاري في كتاب العلم، باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها؛ ومسلم في كتاب السلام، باب: من أتى مجلسًا فرأى فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم.

(2) رواه أبو داوود في كتاب الصلاة، باب الدعاء؛ والترمذي في كتاب الدعوات، باب: إن الله حيي كريم. وقال هذا حديث حسن غريب. ورواه بعضهم ولم يرفعه. والترمذي في كتاب الدعاء، باب: رفع اليدين. والإمام أحمد في مسنده (438/5)، والحاكم في المستدرك في الدعاء والتكبير (718/1)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي،. والبيهقي في الأسماء والصفات (241/2). وصححه الألباني.

ولذا، فإن أهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة لله عز وجل. والمحققون من أئمة المالكية لا يخرجون عن ذلك، فقد قرروا هذه الصفة لله عز وجل على وفق معتقد أهل الحق. فممن قرر هذه الصفة:

- **الإمام مالك–رحمه الله–.**

فقد أخرج في الموطأ حديث أبي واقد الليثي المتقدم وفيه: "وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه"[1] مقررًا لهذه الصفة كما هو منهجه في بقية الصفات.

وَأَلْقَى - ومن قرر هذه الصفة لله عز وجل **ابن جزي–رحمه الله تعالى–** حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:26]: ﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ تأول قوم : أن معناه لا يترك، لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله؛ لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع في أمر، وليس كذلك؛ وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب، ويرد عليهم قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله حيي كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا"[2].

فقد قرر–رحمه الله– صفة الحياء لله عز وجل وأنها ثابتة لله على ما يليق بجلاله، وردّ على الذي تأولها خوفاً من التشبيه، واستدل على ذلك بصريح السنة.

ٱلْأَلْوَاحَ - **ابن باديس–رحمه الله–** حيث قال عند تقريره للقاعدة العامة في إثبات

صفات الله عز وجل مع تنزيهها عن مشابهة صفات المخلوقين: "نثبت له ما أثبته لنفسه على لسان رسله من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه، وننزهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته، لقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:28]، ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة:116][3].

وَأَخَذَ -ومن قرر ذلك **العلامة محمد الأمين الشنقيطي** حيث قال في خاتمة محاضرته العظيمة في صفات الله عز وجل في ضوء القرآن الكريم والردّ على المخالفين، بعد أن قرر

---

(1) الموطأ، (444/2)، كتاب الجامع، باب جامع السلام.
(2) التسهيل لعلوم التتريل، (81/1).
(3) فتح رب البرية بشرح العقائد الإسلامية، (ص/167).

صفات الله عز وجل وأنها مبنية على ثلاثة أسس:

الأول: هو تنـــزيه الله جلّ وعلا عن أن يُشبه شيء من صفاته شيئاً مـــن صـــفات المخلوقين، واستدل على ذلك بقولـــه عـــز وجـــل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

الثاني: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، لقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة:140]، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال في حقه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:3-4].

الأمر الثالث: قطع الإدراك عن حقيقة كيفية هذه الصفات؛ واستدل علـــى ذلـــك بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:110].

ثم قال مؤكداً على لزوم هذه العقيدة في أسماء الله وصفاته المتضمنة لجميع صفات الله عز وجل: "وأنا أؤكد لكم بمعرفة القرآن ونحن في دار الدنيا أن من مات منكم وحشـــر ونشر ولقي الله جل وعلا على هذه العقيدة السلفية التي نلقنكم إياها في دار الدنيا، أنـــه يأتي آمناً من كل توبيخ وتقريع يأتيه من قبل هذه الأسس الثلاثة"، ثم أعاد ذكر الأسس الثلاثة المتقدمة، ثم قال: "فهذه عقيدة السلف الصحيحة الصافية من كل شائبة تشـــبيه، ومن كل شائبة تعطيل، فهي طريقة سلامة محققة، كلها عمل بنور القـــرآن العظـــيم، لا يختلجها شكوك ولا تتطرق إليها أوهام؛ لأن أساسها تنـــزيه خالق السماوات والأرض عن مشابهة الخلق، فهي مبنية على ثلاثة أسس كلها واضحة من نور القـــرآن العظـــيم. فالذي نوصي به أنفسنا وإخواننا المسلمين تقوى الله، وأن لا يتهجموا على صـــفات الله بأن ظاهرها غير لائق، وأنه ظاهر خبيث، وأن لا يتهجموا بنفيها؛ بل ينـــزهون خالقهم أولاً ثم يصدقونه فيما مدح به نفسه، فيؤمنون بما أثبت لنفسه إيماناً مبنياً على أساس ذلك التنـــزيه على نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ويعلمون أن عقـــولهم المسكينة لها حد تقف عنده، فهي عاجزة عن إدراك الإحاطة وكيفية الكنه. وإنما أكثرنا من تكرار هذه المسألة لشدة الحاجة إليها، ولأن كثيراً من الناس يدعي على صـــفات الله

أن ظاهرها غير لائق به، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً[1].

فقد قرر هؤلاء الأئمة أن صفات الله عز وجل بابها واحد، فكل ما ثبت في الكتاب والسنة فيجب إثباته لله عز وجل، ومن ذلك صفة الحياء فهي كغيرها من صفات الله عز وجل، جاء النص بإثباتها، فوجب إثبات ذلك.

ومن خلال هذه النقول نجد أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون صفة الحياء لله عز وجل على ما يليق بجلاله كما هو معتقد أهل السنة.

وهذه العقيدة في أسماء الله وصفاته هي التي يجب على كل مسلم أن يعتقدها، فهي عقيدة أهل السنة والجماعة والتي يدل عليها الكتاب والسنة وإجماع الأئمة من أتباع المذاهب الفقهية وغيرهم. وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في **"الفتاوى"** طرفًا من تقرير أولئك الأعلام. فمن ذلك ما نقله عن محمد بن عبد الملك الكرجي- الشافعي- حيث قال-رحمه الله-:

"ومن ذلك : ما ذكره شيخ الحرمين: أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي في كتابه الذي سماه "الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزامًا لذوي البدع والفضول" -وكان من أئمة الشافعية -، ذكر فيه من كلام الشافعي ومالك والثوري وأحمد بن حنبل والبخاري-صاحب الصحيح- وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك والأوزاعي والليث بن سعد وإسحاق بن راهويه في أصول السنة ما يعرف به اعتقادهم .

وذكر في تراجمهم ما فيه تنبيه على مراتبهم ومكانتهم في الإسلام وذكر أنه اقتصر في النقل عنهم – دون غيرهم – لأنهم هم المقتدى بهم والمرجوع شرقًا وغربًا إلى مذاهبهم؛ ولأنهم أجمع لشرائط القدوة والإمامة من غيرهم وأكثر لتحصيل أسبابها وأدواتها: من جودة الحفظ والبصيرة والسند ولغات العرب ومواضعها والتاريخ والناسخ والمنسوخ والمنقول والمعقول والصحيح والدخول في الصدق والصلابة وظهور الأمانة والديانة ممن سواهم".

قال: " وإن قصر واحد منهم في سبب منها جبر تقصيره قرب عصره من الصحابة

---

(1) صفات الله عز وجل في ضوء القرآن الكريم والردّ على المخالفين، جمع: عبد الله الدغيثر (ص/133- 134).

والتابعين لهم بإحسان، باينوا[1] هؤلاء بهذا المعنى من سواهم، فإن غيرهم من الأئمة – وإن كانوا في منصب الإمامة – لكن أخلوا ببعض ما أشرت إليه مجملا من شرائطها إذ ليس هذا موضعا لبيانها". قال: " ووجه ثالث لا بد من أن نبين فيه فنقول : إن في النقل عن هؤلاء إلزامًا للحجة على كل من ينتحل مذهب إمام يخالفه في العقيدة، فإن أحدهما لا محالة يضلل صاحبه أو يبدعه أو يكفره؛ فانتحال مذهبه – مع مخالفته له في العقيدة – مستنكر والله شرعًا وطبعًا. فمن قال : أنا شافعي الشرع أشعري الاعتقاد قلنا له: هذا من الأضداد، لا بل من الارتداد، إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد.

ومن قال: أنا حنبلي في الفروع معتزلي في الأصول قلنا: قد ضللت إذًا عن سواء السبيل فيما تزعمه، إذ لم يكن أحمد معتزلي الدين والاجتهاد". قال : " وقد افتتن أيضا خلق من المالكية بمذاهب الأشعرية، وهذه والله سبة وعار وفلتة تعود بالوبال والنكال وسوء الدار على منتحل مذاهب هؤلاء الأئمة الكبار. فإن مذهبهم ما رويناه من تكفيرهم: الجهمية والمعتزلة والقدرية والواقفية وتكفيرهم اللفظية".

ثم قال: "لما تتبعت أصول ما صح لي روايته فعثرت فيها بما قد ذكرت من عقائد الأئمة، فرتبتها عند ذلك على ترتيب الفصول التي أثبتها، وافتتحت كل "فصل" بنيف من المحامد، يكون لإمامتهم إحدى الشواهد داعية إلى اتباعهم ووجوب وفاقهم وتحريم خلافهم وشقاقهم. فإن اتباع من ذكرناه من الأئمة في الأصول في زماننا بمنزلة اتباع الإجماع الذي يبلغنا عن الصحابة والتابعين؛ إذ لا يسع مسلما خلافه، ولا يعذر فيه، فإن الحق لا يخرج عنهم لأنهم الأدلاء وأرباب مذاهب هذه الأمة والصدور والسادة والعلماء القادة، أولوا الدين والديانة والصدق والأمانة والعلم الوافر والاجتهاد الظاهر. ولهذا المعنى اقتدوا بهم في الفروع، فجعلوهم فيها وسائل بينهم وبين الله حتى صاروا أرباب المذاهب في المشارق والمغارب. فليرضوا كذلك بهم في الأصول فيما بينهم وبين ربهم وبما نصوا عليه ودعوا إليه"[2].

ثم قال: "ليعلم المستن أن سنة العقائد على " ثلاثة أضرب ": ضرب يتعلق بأسماء الله وذاته وصفاته. وضرب يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه ومعجزاته وضرب يتعلق بأهل الإسلام في أولاهم وأخراهم. أما الضرب الأول: فلنعتقد أن لله أسماء

---

(1) هذه لغة قليلة.

(2) يريد –رحمه الله- تحريم خلافهم في العقيدة لا في الفروع والأحكام كما بينه لاحقًا.

وصفات قديمة غير مخلوقة جاء بها كتابه وأخبر بها الرسول أصحابه فيما رواه الثقات وصححه النقاد الأثبات ودل القرآن المبين والحديث الصحيح المتين على ثبوتها ... وهي أن الله تعالى أول لم يزل وآخر لا يزال، أحد قديم وصمد كريم عليم حليم علي عظيم رفيع مجيد، وله بطش شديد، وهو يبدئ ويعيد، فعال لما يريد، قوي قدير منيع نصير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]. ، إلى سائر أسمائه وصفاته من النفس والوجه والعين والقدم واليدين والعلم والنظر والسمع والبصر والإرادة والمشيئة والرضى والغضب والمحبة والضحك والعجب والاستحياء والغيرة والكراهة والسخط والقبض والبسط والقرب والدنو والفوقية والعلو والكلام والسلام والقول والنداء والتجلي واللقاء والنزول والصعود والاستواء، وأنه تعالى في السماء، وأنه على عرشه بائن من خلقه. قال مالك: "إن الله في السماء وعلمه في كل مكان".

وقال عبد الله بن المبارك: "نعرف ربنا فوق سبع سمواته على العرش بائنا من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه ههنا - وأشار إلى الأرض". وقال سفيان الثوري: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:4]، قال: "علمه".

قال الشافعي: "إنه على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء" .قال أحمد: "إنه مستو على العرش عالم بكل مكان". وإنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء، وإنه يأتي يوم القيامة كيف شاء، وإنه يعلو على كرسيه، والإيمان بالعرش والكرسي وما ورد فيهما من الآيات والأخبار. وأن الكلم الطيب يصعد إليه وتعرج الملائكة والروح إليه. وأنه خلق آدم بيديه، وخلق القلم وجنة عدن وشجرة طوبى بيديه، وكتب التوراة بيديه، وأن كلتا يديه يمين.

وقال ابن عمر: "خلق الله بيديه أربعة أشياء : آدم والعرش والقلم وجنة عدن وقال لسائر الخلق: كن فكان". وأنه يتكلم بالوحي كيف يشاء. قالت عائشة -رضي الله عنها-:"لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحي يتلى". وأن القرآن كلام الله بجميع جهاته، منزل غير مخلوق، ولا حرف منه مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. قال عبد الله بن المبارك: "من كفر بحرف من القرآن فقد كفر. ومن قال: لا أؤمن بهذه اللام فقد كفر". وأن الكتب المنزلة على الرسل -مائة وأربعة كتب- كلام الله غير مخلوق. قال أحمد: "وما في اللوح المحفوظ وما في المصاحف وتلاوة الناس وكيفما يقرأ وكيفما يوصف فهو كلام الله غير مخلوق".

قال البخاري: "وأقول: في المصحف قرآن، وفي صدور الرجال قرآن؛ فمن قال غير هذا يستتاب؛ فإن تاب وإلا فسبيله سبيل الكفر".

قال وذكر الشافعي المعتقد بالدلائل فقال: " لله أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته؛ لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها – إلى أن قال – نحو إخبار الله سبحانه إيانا أنه سميع بصير، وأن له يدين لقوله: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:64]، وأن له يمينا بقوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ [الزُّمَر:67]، وأن له وجها لقوله: ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص:88]، وقوله: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن:27]. وأن له قدما لقوله: "حتى يضع الرب فيها قدمه" يعني: جهنم. وأنه يضحك من عبده المؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم للذي قتل في سبيل الله: "إنه لقي الله وهو يضحك إليه". وأنه يهبط كل ليلة إلى سماء الدنيا لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. وأنه ليس بأعور لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذكر الدجال فقال: "إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور". وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر. وأن له إصبعا لقوله صلى الله عليه وسلم: "ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن". إلى غيرها من الأحاديث هالتنا أو لم تهلنا، بلغتنا أو لم تبلغنا، اعتقادنا فيها وفي الآي الواردة في الصفات أنا نقبلها ولا نحرفها ولا نكيفها ولا نعطلها ولا نتأولها، وعلى العقول لا نحملها، وبصفات الخلق لا نشبهها، ولا نعمل رأينا وفكرنا فيها، ولا نزيد عليها، ولا ننقص منها؛ بل نؤمن بها ونكل علمها إلى عالمها، كما فعل ذلك السلف الصالح وهم القدوة لنا في كل علم"[1]. انتهى.

وهذا هو الاعتقاد الذي يجب على كل مسلم أن يعتقده فيما يتعلق بالله عز وجل وصفاته. وهو ما يقرره المحققون من أئمة المالكية الذين ذكرنا أقوال بعض منهم، رحم الله المتقدم والمتأخر، ووفق من جاء بعدهم للزوم طريقتهم والتمسك بما كانوا عليه من الهدى المستقيم؛ إنه خير مسؤول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(1) الفتاوى، (185-175/1).

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات أحمده أولا وآخرا، وأثني عليه الخير كله بيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، لامانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وبعد:

فبعد تطواف على كتب سلف الأمة وأئمتها- من خلال هذا البحث الذي أسأل الله أن يكون لبنة جديدة تضاف في مسار تصحيح معتقد الأمة الإسلامية بالعودة بها إلى عقيدة السلف الصالح تلك العقيدة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان- يمكن الخلوص إلى الأمور الآتية:

أولاً: أنه لا خلاص ولا نجاة من الحيرة والاضطراب في الدنيا والعذاب في الآخرة إلا بتحقيق توحيد الله عز وجل، وإفراده في العبودية والألوهية والأسماء والصفات.

ثانياً: أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أنواع، توحيد الربوبية وهو إفراد الله تعالى بما يختص به من الخلق والملك والتدبير، وتوحيد الأسماء والصفات وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العلى إثباتاً بلا تعطيل ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تكييف، والقاعدة في ذلك قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]. وتوحيد الألوهية وهو: إفراد الله بالعبادة الصادرة من العباد، وهو لازم إثبات توحيده في ربوبيته وأسمائه وصفاته، والميزان في ذلك كله أن التوحيد هو مفتاح الدخول في الإسلام، ومفتاح دخول الجنة لمن ختم له بها حياته (لا إله إلا الله).

ثالثاً: أن توحيد الأسماء والصفات هو الذي كثرت فيه المنازعات والاختلافات بين أهل القبلة، وقد وفق الله أهل السنة والجماعة، وهم الطائفة المنصورة الذين هم في الأمة كمثل هذه الأمة بين سائر الأمم للحق؛ لأن منهجهم قائم على اتباع الكتاب والسنة، وما عليه الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان من أهل القرون المفضلة. وهذا المنهج الذي هو أساس الاعتقاد يقوم على إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله، فما ثبت في الكتاب والسنة لله وجب إثباته، وما نفاه الكتاب والسنة تعين نفيه، وما سكت عنه الكتاب والسنة وجب السكوت عنه وعدم التعرض له لا بالنفي ولا بالإثبات امتثالاً لقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:36].

رابعاً: أن نصوص الاعتقاد خاصة والشرع عامة يجب أن تفهم عل فهم الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من علماء الأمة؛ فإن الصحابة هم أعمق الأمة علماً وأشدهم نصحاً وأكثرهم فقهاً، فقد كانوا عرباً وبلغتهم نزل القرآن، وعليهم نزل، وعن مبلغ الوحي أخذوا، وإياه جالسوا وعنه فهموا، ثم أخذ عنهم تلامذتهم من التابعين ممن كانوا عرباً خلّصاً أو تعرّبوا في اللسان وتفقهوا على خير القرون.

خامساً: الإمام مالك بن أنس-رحمه الله- الذي نشأ في دار الهجرة وأدرك الأئمة من أهلها وأخذ عنهم العلم قد حرر مسائل الاعتقاد وألزم الناس بها، وحمى حِمى التوحيد، وذب عنه كل دخيل، وبذل نفسه في المحافظة عليه، وعزّر من خالف نصوص الكتاب والسنة كما فعل مع الرجل الذي سأله عن الاستواء، فأجابه إجابة شافية أصبحت بعد عصره وإلى أن يأذن الله بخراب الأرض قاعدة ذهبية يفيئ إليها أهل السنة والجماعة، ومنها ينطلقون في تقرير توحيد الله بأسمائه وصفاته، حيث قال رحمه الله: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، ثم أمر بالرجل فأخرج من مجلسه تعزيراً له وتأديباً لغيره، فلم يتسوّر بعد ذلك أحد على حمى توحيد الأسماء والصفات، وتابعه من لحق به من إخوانه من أهل السنة، أهل الحق والعدل والإنصاف.

سادساً: أن تلامذة الإمام مالك ومقلِّديه ساروا على منهجه العقدي الذي هو المنهج النبوي، وقد يسر الله لي من خلال هذا البحث الوقوف على نماذج وقواعد ومنارات للهدى من أئمة المالكية كلهم على نهج إمامهم في إثبات توحيد أسماء الله وصفاته، والذب عنه كغيرهم من أئمة الإسلام حرّاس العقيدة وخلفاء الرسل في تبليغ دين الله ونفي التحريف عنه. وقد تواطأ على هذا المنهج متقدمو المالكية ومتأخروهم.

وقد نقلت ما تيسر لي الوقوف عليه من أقوال أئمة المالكية سلفاً وخلفاً مما يستدل به على أن محققي متأخريهم يوافقون متقدميهم في هذا الباب؛ وهذا هو ما عليه أهل السنة قاطبة مهما تعددت مدارسهم الفقهية.

سابعاً: أن بعض متأخري المالكية قد خالفوا إمامهم؛ وذلك بسبب تأثرهم بعلم الكلام وأخذهم عن علمائه دون التقيد بقاعدة الإمام رحمه الله مما سبّب لهم التذبذب في باب أسماء الله وصفاته.

ثامناً: إني لأرجو أن يكون هذا البحث المتواضع بمثابة دعوة لأهل السنة عامة، والمالكية خاصة، بوجوب الرجوع إلى ما عليه الأئمة المتقدمون أصحاب القرون المفضلة في باب التوحيد عامة، وبالأخص توحيد الأسماء والصفات؛ وكما أن البعض يقلِّد إماماً في مسألة فقهية قابلة للأخذ والرد، فلِم لا يتّبعه في مسائل الاعتقاد التي لا خلاف فيها بين أهل العلم الذين يُعتد بأقوالهم.

تاسعاً: قد خُضت في هذا الموضوع الخطير، وعانيت من خلال جمع مادته؛ وذلك يرجع إلى أمور منها:

1. ندرة المصادر التي تبيِّن جهود أئمة المالكية في باب الأسماء والصفات.
2. صعوبة الوصول إلى المعلومة إن وجدت من خلال تلك المصادر.
3. تذبذب متأخري المالكية في هذا الباب مما يجعل الانتقاء من أقوالهم الموافقة لما عليه السلف الصالح أمر يحتاج إلى جهد جهيد.
4. صعوبة الموضوع نفسه؛ لأنه يتحدث عن أسماء الله وصفاته، ولا شك أن هذا من أخطر المسائل؛ إذا القدم فيه على خطر، والقلم على خوف من الزلل، كيف وقد ضل عن الصواب فيه أقوام كان يُضرب بهم المثل في قوة مداركهم!

هذا، والله أسأل العفو عن التقصير، ومنه وحده أرجو المغفرة، فحسبي أنني اجتهدت في بيان كلام المحققين من أئمة المالكية لتوحيد الأسماء والصفات، وموافقتهم لأهل السنة والجماعة، وبذلت في ذلك قصارى جهدي، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس العلمية

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ الآية	105	289
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾	11	147
﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾	145	294
﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	146	544
﴿ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	154	474
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾	159	544
﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	162	540
﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	18	349
﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾	191	174
﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾	26	363، 393
﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾	28	45، 121، 123، 321، 397
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾	31	547
﴿ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾	54	319
﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾	55	125، 127، 455، 460، 462
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾	64	40
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾	7	88،110، 178، 197، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 212، 215، 253

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾	59	469، 471،
﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾	65	89، 433، 488
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾	68	183
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾	93	294
سورة الأعراف		
﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾	143	105، 249، 282، 461، 517، 525
﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾	144	391
﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾	148	128
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾	150	542
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	156	535
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾	172	23، 286
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	180	30، 123، 309، 316، 327، 328، 330، 338، 346، 362، 364، 365، 367، 369، 382، 384،
﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾	195	129
﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾	205	314
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ	33	321، 396

الآية	رقمها	الصفحة
وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾		
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾	53	211، 212، 215، 220
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	54	29، 122، 282، 390، 458، 466، 513، 519
﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	56	535
﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	6	202
﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾	7	123، 469، 473، 474
سورة الأنفال		
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾	30	317
﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾	32	363
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ الآية	50	294
﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	61	123، 878
سورة التوبة		
﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾	128	352
﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾	2	462، 467،
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	4	544
﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾	46	549
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾	6	119، 295، 391، 498، 503، 507
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾	72	406

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	7	410
سورة يوسف		
﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾	100	212، 215
﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	101	269
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾	106	36
﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾	21	212
﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾	37	212
﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾	38	127
﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾	40	313
﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾	40، 76	284
﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾	44	212
﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾	51	494، 496
﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾	54	511
﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾	6	212
﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	64	535، 537
﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾	82	240،231، 241
﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾	95	429
سورة الرعد		
﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾	14	491
﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾	16	29
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾	2	513
﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾	4	429

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	6	411
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾	9	461،410، 466
سورة إبراهيم		
﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ﴾	11	364
﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ﴾	34	407
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾	8	429
سورة الحِجر		
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾	29	45، 121، 123، 321، 391، 397
﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾	50-49	348، 411
﴿لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾	75	302
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	9	115، 0293، 292، 446
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	92	202
سورة النحل		
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾	103	268
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾	128	125، 470
﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧)﴾	17	128
﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ﴾	18	15
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾	40	123
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	44	248، 279، 556
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	50	125، 126، 455، 458، 461،
﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾	53	350

الصفحة	رقمها	الآية
173	60	﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾
30، 255، 550	74	﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
248	89	﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾
285	93	﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
117،118	98	﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾
		سورة الإسراء
123، 360، 478	1	﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾
30، 309، 314، 315، 316، 327، 368	110	﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾
231، 242	24	﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾
321، 396	36	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾
127، 461، 517	42	﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾
234، 235، 240،	44	﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾
118	45	﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا
199	85	﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾
		سورة الكهف
277	100	﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾
333، 498، 503	109	﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾
482	26	﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾
131	55	﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾	46	45، 121، 123، 125، 321، 397، 476، 478
﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾	6-5	103، 121، 122، 124، 126، 203، 243، 263، 398، 459، 460، 462، 463، 513، 515، 516، 517، 518،
﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾	71	458، 462، 467،
﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾	8	30، 309، 327
﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾	89	128
﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾	98	469
سورة الأنبياء		
﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	112	386
﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾	19	462
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾	30	487
سورة الحج		
﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾	26	391، 393
﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾	75	480
سورة المؤمنون		
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾	101	285
﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾	118	537
﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾	14	537
﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾	28	462، 517
﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ	89-84	29

الآية	رقمها	الصفحة
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾		
سورة النور		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾	20-11	91
﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾	16	425، 556
﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾	24	234
﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾	32	429
﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	35	45، 121، 322، 397
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	1	360
﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾	12	235
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾	58	123، 482، 483، 487،
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾	59	126، 256، 513
سورة الشعراء		
﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾	193-195	266
﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	215	242
﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾	76	429
﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ، إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	98-97	563
سورة النمل		
﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾	18	235
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾	19	15

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا﴾	21-20	349
﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾	59	402
سورة القصص		
﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	30	498
﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾	32	242
﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾	78	202
﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾	88	45، 121، 123، 397، 433، 436، 484، 571
سورة العنكبوت		
﴿وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾	13	285
﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	69	125
سورة الروم		
﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾	19	487
﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾	30	43، 153
﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ﴾	38	438
﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ﴾	39	438
﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾	54	123
سورة لقمان		
﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ﴾	11	394
﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾	12	15

الآية	رقمها	الصفحة
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	29	44
﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾	5	37
﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ﴾	75	108، 110، 124، 140، 141، 148، 225، 226، 251، 252، 291، 439، 440، 441، 444، 446، 447
﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	82	304، 391
﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾	9	496
سورة الزُّمَر		
﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾	14-15	30
﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	17-18	176
﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾	23	278
﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾	2-3	30
﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾	28	266، 503
﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾	42	294
﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾	46	363
﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾	53	344
﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾	62	29
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	67	45، 108، 120، 121، 124، 226، 252، 291، 321،

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا﴾	6	162، 164، 166، 167، 168
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾	9	544
سورة ق		
﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾	1	353
﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾	16	123، 409، 471
﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾	3	44
﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾	30	234، 235، 453
﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾	35	293، 437
سورة الذاريات		
﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾	56	2، 153، 412
﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾	58	123، 304، 393، 489، 511
﴿إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ، يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ﴾	9-8	278
سورة الطور		
﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾	48	45، 121، 124، 321، 397، 448
سورة النجم		
﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾	10	360
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ، إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾	4-3	115، 145، 279، 280، 425، 550، 567
سورة القمر		
﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾	14	124، 448
﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ، فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾	55-54	488، 490،
سورة الرحمن		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ، عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ، خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ، عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾	4-1	511
﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾	27	123، 433، 436، 571
﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ﴾	39	202، 285
﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾	78	313
سورة الواقعة		
﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ، ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾	59-58	292، 293، 446
﴿ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ﴾	69	292، 293، 446
﴿ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ﴾	72	292، 293، 446
﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾	74	315،314
سورة الحديد		
﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾	3	45، 121، 322، 397، 429
﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾	4	69، 121، 124، 149، 282، 458، 459، 473، 513، 516، 570
سورة المجادلة		
﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾	1	320، 371، 476، 480
﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾	7	103، 125، 463، 470، 472، 473
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾	14	540
سورة الحشر		
﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾	22	358
﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ، هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ	24-22	327، 347، 349، 358، 359

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾	4-1	112،39، 350، 389، 550
سورة الناس		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾	3-1	29

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الغريب

فهرس المذاهب والفرق

فهرس المصادر والمراجع

1- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: بشير محمد عيول، مكتبة المؤيد ومكتبة دار البيان، ط/3، 1411هـ1990م.

2- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تأليف: ابن بطة العكبري، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ط/2، 1426هـ2005م.

3- ابن أبي زيد القيرواني: حياته ومنهجه الاجتهادي من خلال النوادر والزيادات، دار ابن حزم، ط/1، 1430هـ2009م.

4- ابن أبي زيد القيرواني: عقيدته ومواقفه من الفرق ومقاومة البدع، رسالة دكتوراه، في جامعة أم القرى، محي الدين بن سليمان، 1422هـ.

5- ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، إعداد: عبد الله عبد الرشيد عبد الجليل، 1420هـ.

6- أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي وتأصيله الفقهي للمذهب المالكي، تأليف/ د: خالد وزاني، دار ابن حزم، ط/1، 1427هـ2006م.

7- أبو عبيد القاسم بن سلام ومنهجه في تقرير أنواع التوحيد والإيمان، رسالة ماجستير في جامعة الإمام، إعداد: راجح بن عبد العزيز الراجح، عام، 1418هـ.

8- أبو عمران الفاسي حافظ المذهب المالكي "مجموعة بحوث" صدرت من مركز الدراسات والأبحاث، دار إحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب، ط/1، 1431هـ2010م.

9- الإتقان في علوم القرآن، تأليف الحافظ السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، ط/1، 1424هـ2003م.

10- الآثار العقدية الواردة عن السلف في كتاب التمهيد لابن عبد البر، رسالة

دكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، إعداد: أبي بكر سالم شهال، 1422هـ.

11- الآثار المروية عن السلف في العقيدة في كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تأليف: توفيق بن كمال طاس، دار العلوم والحكم بالمدينة، ط/1،1426هـ.

12- إثبات الحمد لله عز وجل، تأليف: محمد بن أبي القاسم الدشتي، الطبعة الأولى: 1430هـ، بدون ذكر الدار.

13- اجتماع الجيوش الإسلامية للإمام ابن القيم، تحقيق: بشير محمد عيول، مكتبة دار البيان، دمشق، ط/1، 1414هـ 1993م.

14- اجتماع الجيوش الإسلامية للإمام ابن القيم، مكتبة الرشد، ط/3، 1419هـ 1999م.

15- الإجماع لأبي بكر ابن المنذر النيسابوري، تحقيق د: أبو حماد صغير أحمد محمد حنيف، مكتبة الفرقان، ط/2، 1420هـ 1999م.

16- إجماعات ابن عبد البر في العبادات، تأليف عبد الله بن مبارك آل سيف، دار طيبة، ط/1، 1420هـ 1999م.

17- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة، تأليف أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق مجدي محمد الشهاوي، دار الكتب العلمية، ط/1، 1426هـ 2005م.

18- الأجوبة على المسائل المستغربة من كتاب البخاري، تاليف: الحافظ جمال الدين أبي عمر القرطبي، وقف السلام، ط/1، 1425هـ 2004م.

19- أحاديث في ذم الكلام وأهله لأبي الفضل المغربي، دراسة: د/ ناصر بن عبد الرحمن الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط/1، 1417هـ 1996م.

20- أحكام القرآن للقاضي أبي بكر ابن العربي، تحقيق: علي محمد البيجاوي، دار المعرفة، بيروت.

21- أحكام أهل الذمة، تأليف الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق طـه عبـد الـرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/2، 1423هـ-2002م.
22- الإحكام في أصول الأحكام، تأليف سيف الـدين علـي الآمـدي، تحقيـق: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الأوقاف الجديدة، بيروت، ط/1400هـ.
23- آداب البحث والمناظرة تأليف: الشـيخ محمـد الأمـين الشـنقيطين، تحقيـق سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد، ط/1، 1426هـ.
24- الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقادن تأليف: سـعود بـن عبـد العزيـز العريفي، دار عالم الفوائد، ط/1، 1419هـ.
25- الآراء الأندلسية في العقائـد، تـأليف، د: خالـد بـن ناصـر آل حسـين الغامدي، دار الطحاوية، ط/1، 1431هـ-2010م.
26- آراء القرطبي والمازري الاعتقادية من خـلال شـرحيهما لصـحيح مسـلم، تأليف: عبد الله بن محمد الرميان، دار ابن الجوزي، ط/1، 1427هـ.
27- أربح البضاعة في عقيدة أهل السنة والجماعة، جمـع: علـي بـن سـليمان آل يوسف، ط/1316،1هـ، بدون اسم الناشر.
28- أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة، جمـع: إبـراهيم بـن عبـد الله الحازمي، دار الشريف، ط/1، 1414هـ-1993م.
29- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصـول للإمـام محمـد بـن علـي الشوكاني، بتعليق، د: رمضان محمد إسماعيل، المكتبة التجاريـة، ومطبعـة المـدني، ط/1، 1413هـ-1992م.
30- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد علـى أهـل الشـرك والإلحـاد، تـأليف الشيخ، د: صالح فوزان الفوزان، ط/1424هـ.
31- الاستذكار لابن عبد البر، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1414هـ.
32- الاستقامة تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيـق محمـد رشـاد سـالم، دار الفضيلة، ط/1، 1425هـ-2005م.
33- الاستقصـاء لأخبـار دول المغـرب الأقصـى، تـأليف: أبـو العبـاس

أحمد بن خالد الناصر، دار الكتاب، الدار البيضاء، طبعة: 1418هـ-1997م.

34- الأسماء الحسنى والصفات العلى، تأليف: عبد الهادي بن حسن وهبي، توزيع دار الدليل الأثرية، ط/1، 1428هـ-2007م.

35- أسماء الحسنى، رسالة ماجستير، جامعة الإمام، إعداد: عيد بن صالح الغصن، 1413هـ.

36- الأسماء والصفات لأبي بكر البيهقي تحقيق عمر عبد الله بن عامر، دار الحديث، القاهرة، ط/1، 1423هـ-2002م.

37- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، تأليف: أبي عبد الله القرطبي، تحقيق: عرفان سليم، المكتبة الحضرية، ط/4،1427هـ-2006م.

38- الإشارة في أصول الفقه، تأليف: القضي أبو الوليد الباجي، تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية-بيروت، ط/1،1424هـ-2003م.

39- الأصول التي بنى عليها الغلاة مذهبهم، تأليف: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط/2، 1420هـ-2000م.

40- أصول السنة، تأليف: ابن أبي زمنين، مع شرحها رياض الجنة لعبد الله بن محمد البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، ط/1، 1415هـ.

41- الأصول الفكرية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: خالد بن عبد الرحمن العك، المكتب الإسلامي، ط/1، 1415هـ-1995م.

42- أصول فقه الإمام مالك وأدلته العقلية، تأليف: د/فاديغا موسى، دار التدمرية، ط/1، 1428هـ-2007م.

43- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: الشيخ محمد الأمين الشنقيطين دار عالم الفوائد، ط/1، 1426هـ.

44- إظهار الحق المبين بتأييد إجماع الأئمة الأربعة على تحريم مس القرآن لغير المتطهرين، للإمام محمد علي المالكي المكي، ط/1، 1425هـ-2004م.

45- إظهار الحق، تأليف الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي، تحقيق، د: محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، رئاسة البحوث في المملكة العربية السعودية، ط/4، 1424هـ-2003م.

46- الاعتصام، تصنيف: أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، الدار الأثرية، ط/2، 1428هـ-2007م.

47- اعتقاد أهل السنة أصحاب الحديث شرح جملة ما حكاه عنهم أبو الحسن الأشعري، تأليف/ د:محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، ط/1، 1424هـ-2003م.

48- الاعتقاد والهداية إلى سبل الرشاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة للإمام أحمد بن حسين البيهقي، تحقيق: د/زين بن صالح الهلال، الرئاسة العامة للبحوث العلمية للمملكة العربية السعودية، ط/2، 1424هـ-2007م.

49- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، تأليف: حافظ الحكمي، تعليق أحمد علي علوش مدخلي، مكتبة الرشد، ط/1414هـ-1994م.

50- الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/16، 2005م.

51- الأغاني، تأليف: علي بن الحسين الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/2، 1419هـ-1998م.

52- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق،د: ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، ط/5، 1417هـ-1996م.

53- الإمام أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن حماد البغدادي، تأليف: د/ سليمان بن عبد العزيز العريني، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى: 1420هـ - 2000م.

54- الإمام أبو الوليد الباجي وآراؤه الأصولية، تأليف: د/صالح بوبتشيش، مكتبة الرشد، ط/1، 1426هـ2005م.
55- الإمام الشاطبي- عقيدته وموقفه من البدع وأهلها، تأليف: عبد الرحمن آدم علي، مكتبة الرشد، ط/1، 1418هـ1998م.
56- الإمام مالك مفسران جمع حميد أحمدن دار الفكر، ط/1415هـ1995م.
57- الإمام مالك وعلمه بالحديث من خلال كتابه: الموطأ، إعداد: محمد بن يحيى مبروك، دار ابن حزم، ط/1، 1430هـ2010م.
58- الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة، تأليف ابن عبد البرن عناية: عبد الفتاح أبو غدةن مكتب مطبوعات الإسلامية بحلب، ط/1، 1417هـ1997م.
59- الإنصاف في ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تأليف: أبي بكر بن الطيب الباقلاني، دار عالم الكتب، ط/1، 1407هـ1986م.
60- الإنصاف للباقلاني، مؤسسة الخانجي، ط/2، 1382هـ.
61- الأنوار السنية في الأفاظ السنية، تأليف الحافظ محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي، دار ابن حزم، ط/1431،1هـ2010م.
62- الأنيس الطرب لروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تأليف: علي بن أبي زرع الفاسي، دار المنصور، الرباط، ط/1973م.
63- أهل السنة والجماعة: النشأة، الأهداف، المنهج، الخصائص، تأليف: د/صالح بن عبد الرحمن الدخيل، دار الهدي النبوي ودار الفضيلة السعودية، ط/1، 1430هـ2009م.
64- أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، تأليف الشيخ أبي بكر جابر الجزائري، دار راسم، ط/2، 1407هـ1987م.
65- إيصال السالك إلى أصول الإمام مالك، تأليف: محمد يحيى الولاتي، مكتبة المعارف المتحدة، ط/1، 1427هـ2006م.
66- الإيمان الأوسط، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق أبي يحيى محمود

ابو سعد، دار طيبة، ط/1، 1422هـ.

67- الإيمان بالقضاء والقدر، تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ط/3، 1419هـ1998م.

68- البحث الصريح في أيمة هو الدين الصحيح، تأليف: الشيخ ريادة بن يحيى الراسي، تحقيق: د/سعود بن عبد العزيز الخلف، عمادة البحث العلمي لجامعة الإسلامية بالمدينة، ط/1، 1423هـ 2003م.

69- بدائع الفوائد لابن القيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون ذكر تاريخ الطبع.

70- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تأليف أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: ماجد الحموي، دار ابن حزم، بيروت، ط/1، 1416هـ.

71- البدع والنهي عنها، تأليف: محمد بن وضاح القرطبي، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة بن تيمية- القاهرة، ط/1416،1هـ.

72- البدعة ضوابطها وأثرها السيئ في الأمة، تأليف: د/ علي بن محمد فقيهي، دار المنهاج- القاهرة، الطبعة الأولى: 1423هـ2002م.

73- بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، تأليف: عبد الله الجميلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط/2، 1414هـ1994م.

74- براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين، تأليف: د/ عبد العزيز بن أحمد الحميدي، دار ابن عفان، ط/1420،1هـ1999م.

75- البرهان في علوم القرآن، تأليف بكر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، ط/1، 1424هـ2003م.

76- البعلبكية، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق مريم بنت عبد العالي الصاعدي، دار الفضيلة، ط/1، 1424هـ2004م.

77- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تأليف: أحمد بن يحيى الضبي، تحقيق،د: روحيه عبد الرحمن،دار الكتب العلمية، ط/ 1417هـ1997م.

78- بلغة الساغب وبغية الراغب، تأليف محمد بن الخضر، تحقيق الشيخ بكر أبو زيد، وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، ط/1، 1417هـ—1997م.

79- بهجة النفوس لابن أبي جمرة، دار الجيل، ط/3، بيروت.

80- بيان تلبيس الجهمية لتأسيس بدعهم الكلامية، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ.

81- بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري، تأليف أحمد بن محمد بن صديق الغماري، تحقيق علي بن الحسن عبد الحميد، دار الصميعي، ط/1، 1413هـ—1993م.

82- البيان والتحصيل لابن رشد القرطبي، تحقيق، د: محمد العرائشي، دار الغرب الإسلامي، ط/2، 1408هـ—1988م.

83- التاج والإكليل لمختصر خليل، تأليف أبي عبد الله محمد بن يوسف العبدري المواق، مكتبة النجاح، طرابلس- ليبيا.

84- تاريخ الجدل، تأليف: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط/2003م.

85- تاريخ الحياة العلمية في المدينة النبوية خلال القرن الثاني، تأليف:د: سعد موسى الموسى، دار القاسم، ط/1، 1428هـ—2007م.

86- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تأليف الحافظ عبد الله بن محمد الأزدي ابن الفرضي، تحقيق: عزت العطاء، مكتبة الخانجي، ط/2، 1408هـ.

87- تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب للشيخ عبد الحي الكتاني، المطبعة الوطنية، ط/2، 2005م.

88- تاريخ خليفة بن خياط، تأليف عمرو خليفة بن أبي هبيرة بن خياط، تحقيق: أكرم العمري، دار طيبة، ط/3، 1405هـ.

89- تاريخ قضاة الأندلس، تأليف ابن أبي الحسن النباهي، تحقيق: مريم قاسم

طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1415هـ.

90- التأويل في الصفات الإلهية وموقف السلف منه، تأليف، د: دخيل الله بن محمود الأزوري، ط/1431هـ.

91- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن القيم ودار ابن عفان، ط/1، 1427هـ 2006م.

92- تأويل مشكل القرآن للإمام أبي محمد بن قتيبة، دار التراث، ط/1، 1973م.

93- التبرك: أنواعه- أحكامه، تأليف، د:ناصر بن عبد الرحمن الجديع، مكتبة الرشد، ط/5، 1421هـ 2000م.

94- التبيان في أقسام القرآن، تأليف ابن قيم الجوزية، عناية أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ط/2004م.

95- تحفة الأطراف بمعرفة الأطراف، تأليف: الحافظ المزي، تحقيق عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، ط/2، 1403هـ 1983م.

96- التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية، تأليف: أ.د/عبد الرزاق البدر، دار المفتي للنشر والتوزيع، ط/2، 1425هـ.

97- التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات والجمع بين القدر والشرع، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الشيخ محمد بن عودة السعودي، ط/1، 1405هـ 1985م.

98- تدوين علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة- مناهجه ومصنفاتهن رسالة دكتوراه، جامعة الإمام، إعداد: يوسف بن علي الطريف، 1422هـ.

99- تدوين علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة، تأليف: د/يوسف بن علي الطريف، دار ابن خزيمة، ط/1، 1430هـ 2009م.

100- التراث المالكي الندلسي في آثار الدارسين المعاصرين للدكتور قطب الريسوني، دار الإمام مالك، ط/1، 1427هـ 2006م.

101- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي

عياض، دار الكتب العلمية -بيروت، ط/1418،1هـ-1998م.

102- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، تأليف: عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، دار الهجرة، ط/2، 1411هـ.

103- التسعينية، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق، د: محمد بن إبراهيم العجلان، مكتبة المعارف، الرياض، ط/1، 1420هـ-1999م.

104- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الغرناطي، دار الكتب الحديثة، بدون التاريخ.

105- التعريف بأصحاب مالك، تأليف: ابن عبد البر، تحقيق: أحمد المزيدي، الناشر: مكتبة الأمصار، بدون التاريخ.

106- التعريفات الاعتقاديةن تأليف: سعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، دار الوطن، ط/1، 1422هـ-2002م.

107- التعريفات، تأليف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط/1، 1411هـ-1991م.

108- التفريع لابن الجلاب البصرين تحقيق د: حسين سالم الدهماني، داغر الغرب الإسلامي، ط/1، 1987م.

109- تفسير ابن خويز منداد، جمع: د/عبد القادر محجوبي، دار ابن حزم، ط/1، 1430هـ-2009م.

110- تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، دارالفاروق الحديثة، ط/1، 1423هـ-2002م.

111- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، تحقيق مصطفى السيد وآخرون، وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، ط/1، 1425هـ-2004م.

112- تفسير القرآن الكريم للسيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط/1، 1423هـ.

113- تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء، تأليف شيخ الإسلام ابن

تيمية، تحقيق عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد، ط/1، 1417هـ 1996م.

114- تفسير سورة الإخلاص، تأليف: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، دراسة إبراهيم الوافي، مركز الدراسات والأبحاث، الرباط، ط/1، 1430هـ 2009م.

115- تفسير غريب الموطأ، تأليف: عبد الملك بن حبيب الندلسي، مكتبة العبيكان، ط/1، 1421هـ 2001م.

116- التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، تأليف: د/ محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن الجوزي، ط/1426،1هـ.

117- التفسير والمفسرون، تأليف/ د: محمد بن حسين الذهبي، وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، ط/1، 1424هـ 2003م.

118- تقريب التهذيب لابن حجر، دراسة: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا-حلب، ط/1412،4هـ 1992م.

119- تقريب التهذيب للحافظ ابن حجرن تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا وآخرين، دار المعرفةن بيروت، ط/1، 1407هـ 1996م.

120- تقريب المعاني على مقدمة..... الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، تأليف: عبد المجيد بن إبراهيم الأزهري، دار الكتب العلمية-بيروت، ط/1، 1418هـ 1998م.

121- تقريب الوصول إلى علم الأصول، تأليف: أبي القاسم محمد بن أحمد الغرناطي المالكي، بدون ذكر الدار، ط/2، 1423هـ 2002م.

122- تقرير علماء الحنفية لعقيدة السلف في الأسماء والصفات، إعداد: إسماعيل بن محمد بن عبد الغفار، رسالة ماجستير- الجامعة الإسلامية، 1423هـ.

123- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري لابن تيمية، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط/1417،1هـ 1998م.

124- التلقين في الفقه المالكي تأليف أبي محمد عبد الوهاب بن علي البغدادي، دار الكتب العلمية، ط/1420،1هـ1999م.

125- التلقين في الفقه المالكي، تأليف: القاضي عبد الوهاب البغدادي، مكتبة نزار مصطفى الباز.

126- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تأليف: أبي بكر الباقلاني، تحقيق عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط/1987م.

127- التمهيد في الكلام على التوحيد، تأليف: جمال الدين يوسف بن حسن الدمشقي الحنبلي، دار بلنسية، ط/1، 1417هـ1997م.

128- التمهيد لابن عبد البر، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، مكتبة المؤيد، ط/ 1407هـ1987م.

129- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، تأليف: عبد العزيز بن ناصر الرشيد، مكتبة الرياض الحديثة، ط/2، 1400هـ1980م.

130- تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة للتتائي، ط/1، 1409هـ.

131- تهذيب اللغة للعلامة الأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة بدون التاريخ.

132- التوحيد، تأليف أبي منصور الماتوريدي، تحقيق، د: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، بدون التاريخ.

133- التوضيحات الأثرية على متن الرسالة التدمرية، تأليف: فخر الدين ابن الزبير المحيسي، إشراف الشيخ محمد بن عبد الرحمن الخميس، مكتبة الرشد، ط/1، 1420هـ1999م.

134- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ سلمان بن عبد الله بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهابن تحقيق أسامة بن عطايا العتيبي، دار الصميعي، ط/1، 1428هـ2007م.

135- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار الرسالة،

ط/1، 1423هـ2002م.

136- الثقاة لأبي حاتم البستي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الهند، بدون التاريخ.

137- الثمر الداني على عقيدة ابن أبي زيد القيرواني، تأليف: أحمد بن محمد العريني، مكتبة الرشد، ط/1429،1هـ2008م.

138- الثمر الداني في تقريب المعاني، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، جمع: صالح بن الأبي الأزهري، المكتبة العصرية، بيروت، ط/، 1424هـ2003م.

139- الثمرات الزكية في العقائد السلفية جمع وترتيب وتحقيق أحمد فريد، الدار السلفية للنشر والتوزيعن الإسكندرية، ط/1421،1هـ2000م.

140- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود شاكر، بتخريج أحمد شاكر، دار ابن حزم، بيروت، 1423هـ.

141- جامع الترمذي للإمام الترمذي، دار السلام، ط/1، 1420هـ1999م.

142- الجامع الفريد لكتب ورسائل أئمة الدعوة الإسلامية، شركة الجميح، ط/4، 1420هـ.

143- جامع المسائل تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، ط/1427،2هـ.

144- جامع بيان العلم وفضله، تأليف ابن عبد البر، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط/2، 1430هـ.

145- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، اعتناء: الشيخ هشان سمير البخاري، دار عالم الكتب، ط/1423هـ2003م.

146- جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، تأليف: قاسم علي سعد، دار البحوث للدرسات الإسلامية-الإمارات، ط/1423هـ2002م.

147- الجموع البهية في العقيدة السلفية، جمع: محمود بن محمد المنياوي، مكتبة

ابن عباس، ط/1، 1426هـ‍ـ2005م.
148- جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، تأليف: د/محمد أحمد لوح، دار ابن عفان، ط/1، 1418هـ‍ـ1997م.
149- الجهل بمسائل الاعتقاد حكمه، تأليفك عبد الرزاق بن طاهر بن طاهر معاشن دار الوطن، 1417هـ‍ـ196م.
150- جهود الإمام ابن قيم الجوزية في تقرير توحيد الأسماء والصفات، تأليف، د: وليد ابن محمد العلي، دار البشائر الإسلامية، ط/1، 1425هـ‍ـ2004م.
151- جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة، تأليف: د/ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، دار التوحيد للنشر- الرياض، ط/1425،1هـ‍ـ2004م.
152- جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، تأليف: الدكتور عبد العزيز بن صالح الطويان، مكتبة العبيكان، ط/1، 1419هـ‍ـ1998م.
153- جهود علماء السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها "القرن السادس الهجرس"، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام، إعداد: محمد بن مجدوع القرني، 1421هـ‍ـ.
154- جهود علماء السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها"القرن الخامس الهجري" رسالة دكتوراه من جامعة الإمام للباحث علي بن حسين يحيى موسى حسن، عام، 1419هـ‍ـ.
155- جهود علماء السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها"القرن السابع الهجري" رسالة دكتوراه من جامعة الإمام للباحث علي بن محمد بن سعيد الشهراني، عام، 1420هـ‍ـ.
156- جهود علماء السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها"القرن السادس الهجري" رسالة دكتوراه من جامعة الإمام للباحث محمد بن مجدوع القرني، عام، 1421هـ‍ـ.
157- جهود علماء القرن الثالث الهجري في تقرير عقيدة السلف والدفاع،

رسالة دكتوراه في جامعة الإمام، إعداد: نسية شخده ياسين، العام الجامعي، 1415هـ.

158- جهود علماء المالكية في المغرب في إنكار بدع العبادات الأربع"الصلاة والزكاة والصوم والحج" رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للباحث أحمد جمال الدين عمير، عام، 1423هـ.

159- جهود علماء المالكية في تقرير توحيد العبادة، تأليف: د/ عبد الله بن فهد العرفج، دار التوحيد للنشر- الرياض، ط/1428،1هـ2007م.

160- جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، تأليف: إبراهيم التهامي، مؤسسة الرسالة، ط،1، 1426هـ -2005م.

161- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د/عبد العزيز بن إبراهيم العسكا وآخران، دار الفضيلة، ط/1، 1424هـ2004م.

162- الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة للعلامة حسن محمد المشاط، دار الغرب الإسلامي، ط/1، 1406هـ1986م.

163- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تأليف/ قوام السنة الأصبهاني، دار الراية، ط/2، 1419هـ1999م.

164- حجية خبر الآحاد في العقيدة، رسالة ماجستير في جامعة الملك سعود، إعداد: منيرة بنت فراج العقلا، العام الجامعي، 1418هـ1999م.

165- الحدود في الأصول، تأليف سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: نزيه حماد، مؤسسة الزعبي، بيروت، ط/1، 1392هـ1983م.

166- حسن عقيدة المسلمين في صفات رب العلمين بمنهج أهل السنة والجماعة، تأليف: علي محمد محمد، دار البيارق، ط/1، 1418هـ1997م.

167- حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، تأليف: عبد الرحيم بن صمايل السلمي، دار المعلمة، الرياض، ط/1،

1421هـ2001م.
168- حقيقة التوحيد والفرق بين الربوبية والألوهية، تأليف: د/علي بن نفيع العلياني، دار الوطن، ط/1، 1419هـ1998م.
169- الحكمة من إرسال الرسل، تأليف الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار العصيمي، ط/2، 1420هـ.
170- الحلية بشرح القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة، تأليف: عيسى مال الله فرج، مطبعة غراس، ط/1، 1428هـ2007م.
171- حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، تأليف: د/محمد بن عبد الله زربان الغامدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط/1، 1423هـ2003م.
172- الحوادث والبدع، تأليف: أبو بكر الطرطوشي، تعليق: علي بن الحسن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، ط/1417،2هـ1997م.
173- حوار مع أشعري، تأليف: د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار المعارف، الطبعة الأولى: 1426هـ - 2005م.
174- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تأليف: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط/4، 1418هـ1997م.
175- الخطط المقريزية"أو المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثارن تأليف: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق، د: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1981م.
176- الدر المنتقد من كتاب العشق لأبي بكر البيهقي، تأليف أبي محمد عيسى الجزائري، دار ابن القيمن ودار ابن عفان، ط/1424،1هـ2003م.
177- درء تعارض العقل والنقل، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د/محمد رشاد سالم، ط/2، بدون ذكر التاريخ.
178- دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، تعليق/ د:

ناصر بن عبد الكريم العقل، دار إشبيليا، ط/1، 1417هـ ـ1997م.
179- دراسات في النبوة والرسالة، تأليف/ الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، مكتبة المعارف، ط/1، 1404هـ ـ1984م.
180- درسات في الفرق، تأليف، د: طعيمة، مكتبة المعارف، ط/2، 1404هـ ـ1983م.
181- الدعاء المأثور وآدابه للطرطوشي، دار الفكر المعاصر، ط/1، بيروت بدون التاريخ.
182- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب،ويليه منع جواز المجاز في المترل للتعبد والإعجاز، تأليف: الشيخ محمد الأمين الشنقيطين دار عالم الفوائد، ط/1، 1426هـ.
183- دفع إيهام التشبيه عن أحاديث الصفات، تأليف: د/محمد بن عبد الله السمهري، دار بلنسية، ط/2، 1421هـ.
184- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تأليف: ابن فرحون المالكي، تحقيق محمد أبو النور، دار التراث، بدون التاريخ.
185- ديوان حسان بن ثابت "مع الشرح"، ضبط وتصحيح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، ط/1410هـ ـ1990م.
186- الذخيرة للقرافي، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط/1، 1414هـ.
187- ذم الأشاعرة والمتكلمين والفلاسفة، تأليف: الشيخ أحمد بن الصديق الفخاري الحسيني، دار التوحيد للنشر- الرياض، ط/1428،1هـ ـ2007م.
188- ذم الكلام وأهله، تأليف إسماعيل بن عبد الله الهروي، تحقيق عبد الرحمن بن عبدالعزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، ط/1، 1416هـ ـ1995م.
189- ذم تقديم العقل على النقل، تأليف: د/ بدر بن عبد الله الناصر،

ط/2،1414هـ.

190- رؤية الله جل وعلا، تأليف: علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: أحمد مزيد المزيدي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط/1،1426هـ 2005م.

191- رحلة الحج إلي بيت الله الحرام، تأليف: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، ط/1، 1426هـ.

192- الرحلة إلى أفريقيا بآخره: الفتاوى، والمحاضرات للشيخ محمد الأمين الشنقيطين، بإشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، ط/1، 1426هـ.

193- الرد على الجهمية للإمام الحافظ بن منده، تحقيق: د/علي بن محمد الفقيهي، مكتبة الغرباء الأثرية، ط/3، 1414هـ1994م.

194- الرد على الجهمية، تأليف: أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، ط/2، 1416هـ1995م.

195- الرد على المنطقيين، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط/1، 1424هـ2003م.

196- الرد على من يقول القرآن مخلوق تأليف ابن النجاد الحنبلي، تحقيق عبد السلام عمر علي، دار الضياء، طنطا.

197- الردود والتعقبات على ما وقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات، تأليف: مشهور بن حسن آل سلمان، دار الهجرة، ط/1، 1413هـ1993م.

198- الرسالة العرشية، تأليف: ابن تيمية، تحقيق: محمد بن حامد بن عبد الوهاب، دار البصرة الإسكندرية، ط/2002م.

199- الرسالة المدنية، تأليف: ابن تيمية، تحقيق: محمد بن حامد بن عبد الوهاب، دار البصرة الإسكندرية، ط/،2002م.

200- الرسالة الوافية لمذاهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، تأليف: أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، دار ابن الجوزي، ط/2، 1429هـ.

201- رسالة في أن القرآن غير مخلوق، تأليف: الحافظ إبراهيم بن إسحاق الحربي، تحقيق: د/ علي بن عبد العزيز الشبل، دار العاصمة، ط/1416،1هـ1995م.

202- الرسل والرسالات تأليف، د: عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، ط/15، 1423هـ2002م.

203- الرضاء والغضب في الكتاب والسنة، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، إعداد: حنان الحسين، العام الجامعي، 1420هـ.

204- الروض الأنف للسهيلي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط/1410هـ.

205- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيا، تأليف: عبد الله بن محمد المالكي، تحقيق: بشير الكوسي، دار الغرب الإسلامي، ط/1414،1هـ1993م.

206- زاد المعاد في هدي خير العباد، تأليف ابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، دار ريان للتراث، ط/15، 1407هـ1987م.

207- سراج الملوك، تأليف: ابن سلعر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي، تحقيق، د: نعمان الصالح، دار ابن عفان، دار العاذرية، الرياض، ط/1415هـ.

208- السلفية في موريتانيا، تأليف: الشيخ الطيب بن عمر الحسين، دار ابن حزم، بيروت، ط/1، 1416هـ1995م.

209- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق، د: عطية الزهراني، دار الراية، ط/1، 1410هـ1989م.

210- السنة لأبي بكر الخلال، إعداد: أبو عاصم الحسن بن عباس بن قطب، مكتبة الفاروق الحديثة، ط/1، 1428هـ2007م.

211- سنن ابن ماجه، للإمام ابن ماجه، دار السلام، ط/1، 1420هـ1999م.

212- سنن أبي داود للإمام أبي داود السجستاني، دار السلام، ط/1،

1420هـ-1999م.

213- سنن الدارمي، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ط/1404هـ.

214- السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط/1، 1414هـ.

215- سنن المهتدين في مقامات الدين، تأليف: محمد بن يوسف العبدري المشهور بالمواق، تحقيق: هشام الحسني، مركز التراث المغربين داراب‍ن حزم، ط/1، 1431هـ-2010م.

216- سنن النسائي للإمام النسائي، دار السلام، ط/1، 1420هـ-1999م.

217- سير أعلام النبلاء، تأليف: شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1409هـ-1988م.

218- شرح أسماء الله الحسنى عند ابن منظور، دار الصحابة- مصر، الطبعة الأولى: 1412هـ - 1992م.

219- شرح أسماء الله الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، تأليف، د: حصة بنت عبد العزيز الصغير، دار القاسم، ط/1، 1420هـ.

220- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تأليف/ هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق/ د: أحمد بن سعيد الغامدي، دار طيبة، ط/2، 1423هـ-2003م.

221- شرح الزرقاني على موطأ مالك، تأليف: محمد بن عبد الباقي الزرقاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث -القاهرة، ط/،1427هـ-2006م.

222- شرح العقيدة الأصبهانية، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتبة العصرية، ط/1، 1425هـ-2005م.

223- شرح العقيدة السفارينية "الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية" لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، ط/1، 1426هـ.

224- شــرح العقيــدة الطحاويــة لابــن أبي العــز، المكتــب الإســلامي، ط/9، 1408هـ-1998م.

225- شرح العقيدة النونية لابن القيم لمحمــد خليــل هــراس، دار الإمــام أحمــد، ط/1، 1429هـ-2006م.

226- شرح العقيدة الواسطية، تأليف: الشيخ صالح بــن فــوزان الفــوزان، مكتبــة المعارف، ط/4، 1407هـ-1987م.

227- شرح العلامة أحمد بن محمد البرنسي الفاســي زروق علــى مــتن الرســالة، المكتبة العصرية-بيروت، ط/1، 1428هـ-2007م.

228- شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة شرح الإمام المــلا علــي، تعليــق علــي محمد، دار الكتب العربية، بيروت، ط/2، 1428هـ-2007م.

229- شرح القيروانية الميسر، تأليف: د/ محمــد بــن عبــد الــرحمن الخمــيس، دار الوطن، ط/1414،1هـ.

230- شرح المعلقات العشر المذهبات، تأليف: يحي بــن علــي الشــيباني التبريــزين تحقيق، د: عمر فاروق الطباع، ط/ دار الأرقم بدون التاريخ.

231- شرح المنظومة الرائية في السنة للإمام أبي القاسم ســعد بــن علــي الزنجــاني، اعتنــاء: أ.د/عبــد الــرزاق بــن عبــد المحســن البــدر، دار المنــهاج، ط/1، 1430هـ.

232- شرح جوهرة التوحيد مع تحفة المريد، تأليف: إبــراهيم اللقــاني، دار الكتــب العلمية، بيروتن ط/1، 1403هـ.

233- شرح حديث النــزول، تــأليف: شــيخ الإســلام ابــن تيميــة، المكتــب الإسلامي، ط/6، 1402هـ-1982م.

234- شرح عقيدة الإمام ابن ابي زيد القيرواني للقاضي عبــد الوهــاب البغــدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

235- شرح فتح القدير لكمال الدين بــن الهمــام، وزارة الشــؤون الإســلامية في المملكة العربية السعودية، ط/1427هـ-2006م.

236- شرح مراقي السعود تأليف: الشيخ محمد الأمين الشنقيطين، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، ط/1، 1426هـ.

237- شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة، إعداد: الأمين الحاج محمد أحمد، دار الصفوة، ط/1، 1428هـ-2007م.

238- شعب الإيمان، تأليف: الإمام أبي محمد عبد الجليل الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط/1، 1416هـ-1995م.

239- شعراء الجزائر في الوقت الحاضر، تأليف: محمد الهادي الظاهري، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاغة، عدد 53 تونس ط/1، 1344 ه-1926م.

240- الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، تأليف: القاضي أبي الفضيل عياض بن موسى اليحصبي، دار ابن رجب، ط/1، 1423هـ-2003م.

241- شيوخ عبد الله بن وهب القرشي للإمام أبي القاسم بن بشكوال القرطبي المالكي، دار البشائر الإسلامية، ط/1، 1428هـ-2007م.

242- الصارم المنكي في الرد على السبكي، تأليف: محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق عقيل بن محمد بن زيد المقطري، مؤسسة الريان، ط/2، 1424هـ-2003م.

243- الصحاح للجوهري، دار العلم للملايين، ط/2، 1399هـ.

244- صحيح الإمام البخاري، دار الأفكار، 1419هـ-1998م.

245- الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم، تأليف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، مكتبة المعارف- الرباط، ط/1،1426هـ-2005م.

246- الصراع العقائدي في الأندلس، تأليف: د/خالد بن ناصر الغامدي، مكتبة الكوثر، ط/1، 1429هـ.

247- صريح السنة، تأليف: الإمام ابن جرير الطبري، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، دار الخلفاء، ط/1.

248- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية، تأليف: د/محمد أمان الله الجامي، دار المنهج، ط/1، 1426هـ-2005م.
249- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، تأليف: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة، ط/3، 1426هـ-2005م.
250- صفات الله عز وجل في ضوء القرآن الكريم والرد على المخالفين للشيخ محمد الأمين الشنقيطين، جمع عبد الله بن عبد العزيز الدغيثر، مكتبة دار ابن حزم، ط/21427هـ-2006م.
251- صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها، تأليف: عبد القادر بن محمد بن يحيى الغامدي الجعيدي، مكتبة دار البيان الحديثة، ط/1، 1421هـ-2000م.
252- الصوارف عن الحقن تأليف: حمد بن إبراهيم العثمان، دار الإمام أحمد، ط/2، 1426هـ.
253- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تأليف ابن حجر الهيثمي، تحقيق عبد الرحمن التركي وكامل الخراط، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1417هـ-1997م.
254- الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، تاليف: العلامة سلمان بن سحمان، تحيق عبد السلام البرجس، دار العاصمة، الرياض، ط/1، 1409هـ.
255- صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان، تأليف محمد بشير الصهواني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط/4، 1410هـ.
256- الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، تأليف الشيخ سليمان بن سحمان، تحقيق عبد السلام البرجس، رئاسة الإفتاء في المملكة العربية السعودية، ط/1414هـ.
257- طبقات المالكية، تأليف: محمد مخلوف، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية -بيروت، ط/1424،1هـ-2003م.

258- طبقات المفسرين، تأليف الحافظ السيوطي، تحقيق علـي محمـد عمـر، وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، ط/1، 1424هـ2003م.
259- الطرق الحكمية للسياسة الشرعية، تأليف: ابن قيم الجوزيـة، تحقيـق: بشـير محمد عيون، مكتبة المؤيد، ط/1، 1410هـ1989م.
260- عارضة الأحوذي، تـأليف القاضـي أبي بكـر ابـن العـربي، دار الفكـر، بيروت.
261- عبد الله كنون-شخصيته وفقهه، تأليف: عبد الرحيم بـن سـلامة، الجمعيـة المغربية للتضامن، ط/2، 1428هـ2007م.
262- العذب النمير من مجـالس الشـنقيطي في التفسـير للشـيخ محمـد الأمـين الشنقيطي، تحقيق،د: خالـد بـن عثمـان السـبت، دار عـالم الفوائـد، ط/1، 1426هـ.
263- العرف الناشر في شرح وأدلة فقه متن ابن عاشر في الفقـه المـالكي، تـأليف: المختار ابن العربي الشنقيطي، دار ابن جزم، ط/1، 1425هـ2004م.
264- العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، تـأليف: أحمـد بـن حجـر آل ابـو طامي، دار الكتب القطرية، ط/1، 1415، 1994م.
265- عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، تأليف: جـلال الـدين عبـد الله نجم بن شاس، تحقيق، د: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي.
266- العقيدة الإسلامية وتاريخها، تأليف: محمـد أمـان بـن علـي الجـامي، دار المنهاج- القاهرة، ط/،1425هـ2004م.
267- عقيـدة الإمـام ابـن عبـد الـبر في التوحيـد والإيمـان، تـأليف، د: سلمان بن صالح الغصن، دار العاصمة، ط/1، 1416هـ1996م.
268- عقيدة الإمام الأزهري، تأليف: د/علـي بـن نفيـع العليـاني، دار الـوطن، ط/1، 1418هـ1997م.
269- عقيدة الإمام مالك السلفية، تـأليف: مصـطفى أبـو سـفيان، دار الضـياء للنشر- مصر، ط/1424،1هـ2003م.

270- عقيدة التوحيد الكبرى، تأليف: محمد المكي بن عزوز، تحقيق: محمد رشيد أبو غزالة الجزائري، مؤسسة الريان، ط/1429،1هـ2008م.

271- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم تأليف، د: محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي، مكتبة الرشد، ط/1425هـ2004م.

272- عقيدة السلف مقدمة ابن أبي زيد القيرواني ونظمها لأحمد بن مشرف الأحسائي المالكي، تقديم: بكر أبو زيد، دار العاصمة-الرياض، ط/1، 1414هـ.

273- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تأليف الإمام ابي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق، د: ناصر الجديع، دار العاصمة، ط/2، 1419هـ1998م.

274- العقيدة السلفية في كلام رب البرية، تأليف: عبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الرياض، ط/2، 1430هـ2009م.

275- العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية، تأليف: د/ محمد بن عبد الرحمن المغراوي، دار المنار للنشر، ط/1412،1هـ1992م.

276- العقيدة السلفية والرد على المنحرفين عنها، تأليف: الطيب بن عمر الجكني، المكتب الإسلامي- دار ابن حزم، ط/1420،1هـ1999م.

277- عقيدة إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي، تأليف: د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار طيبة- الرياض، ط/1419،1هـ1998م.

278- العقيدة في الله، تأليف، د: عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، ط/15، 1423هـ2002م.

279- علم أصول البدع، تأليف: علي بن حسن بن عبد الحميد، دار الراية، الرياض، ط/1417،2هـ.

280- علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة، تأليف: د/محمد يسري، دار طيبة، ط/1، 1427هـ2006م.

281- علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم، تأليف: مصطفى جو، جريدة السبيل، ط/2، 1428هـ2007م.
282- العمل الأسنى نظم وشرح أسماء الله الحسنى على أوضح المعاني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تأليف الشيخ زيد بن محمد المدخلي، دار المنهاج، ط/1، 1427هـ2006م.
283- العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي، تحقيق: د/عمار طالبي، مكتبة التراث، ط/1، 1417هـ1997م.
284- عيون المجالس، تأليف: القاضي عبد الوهاب، مكتبة الرشد، ط/1، 1421هـ.
285- الفتاوى التونسية في القرن الرابع عشر الهجري، جمع: د/ محمد بن يونس السويسي، دار سحنون-دار بن حزم، الطبعة الأولى: 1430هـ - 2009م.
286- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الريان للتراث، القاهرة، ط/1، 1408هـ1988م.
287- فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط/1425هـ2004م.
288- فتاوى قاضي الجماعة لأبي القاسم بن سراج الأندلسي، دار ابن حزم، ط/2، 1427هـ2006م.
289- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الريان، ط/1، 1407هـ1986م.
290- فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر، تأليف: د/محمد بن عبد الرحمن المغراوي، مجموعة التحف والنفائس الدورية، ط/1، 1416هـ1996م.
291- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، تأليف محمد بن علي الشوكاني، دار إحياء التراث، بيروت، بدون التاريخ.

292- فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، تأليف: العلامة حامد بن محمد بن حسن بن محسن، تحقيق الشيخ بكر أبو زيد، دار المؤيد، ط/1417،1هـ1996م.

293- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق، د: الوليد الفريان، دار الصميعي، ط/1، 1410هـ.

294- فتح رب البرية بشرح العقائد الإسلامية، تأليف عبد الحميد بن باديس، تعليق عبد الرحمن سامي بن نصر الدين، مكتبة الرشد، ط/1، 1430هـ2009م.

295- الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق، د: حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي، ط/1، 1416هـ1998م.

296- الفرق الإسلامية بين القديم والحديث، تأليف: السيد المرابط بن عبد الرحمن، مركز التراث المغربي ودار الحديث، ط/1428هـ2007م.

297- الفرق الكلامية المشبهة-الأشاعرة-الماتريدية، تأليف/ د:ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن، ط/1، 1422هـ2001م.

298- الفرق بين الفرق، تأليف عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد مكتبة التراث، القاهرة، ط/1428هـ2007م.

299- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تأليف شيخ الإسلام ابن تيميةن تحقيق سليم بن عيد الهلالي، مكتبة دار الأخيار، ط/2، 1424هـ2003م.

300- الفروع للإمام القرافي، وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، ط/1424هـ.

301- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تأليف: الإمام علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/2، 1420هـ1999م.

302- فصول الأحكام للقاضي أبي الوليد الباجي، مكتبة التوبة- دار ابن حزم ط/1، 1422هـ2002م.

303- الفصول في أركان الإسلامن تأليف: ناصر الدين اللقاني المالكين تحقيق مصطفى عكلي، دار ابن حزم، ط/1، 1430هـ2010م.

304- فقه أسماء الله الحسنى، تأليف: د/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار التوحيد- المغرب، ط/1430،1هـ2010م.

305- فقه الإمام البخاري في فتح الباري، تعليق: عكاشة عبد المنان الطيبي، دار الكتب العلمية، ط/1، 1418هـ1998م.

306- فقه أهل العراق وحديثهم، تأليف: محمد زاهد الكوثري، تحقيق عبد الفتاح أبوغدة، مؤسسة الريان، بيروت، ط/2، 1424هـ2003م.

307- فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي، دار إحياء السنة النبوية بدون التاريخ.

308- القاضي أبو يعلى وكتابه مسئل الإيمان، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، دار العاصمة، ط/1، 1510هـ.

309- القاعدة المراكشية، تأليف: ابن تيمية، تحقيق: دغش العجمي، دار ابن حزم، ط/1422،1هـ2002م.

310- القاموس المحيط تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، بدون التاريخ.

311- قانون التأويل، تأليف القاضي أبي بكر ابن العربي الإشبيلي، تحقيق: محمد السلماني، دار القبلة، جدة ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط/1، 1406هـ1986م.

312- القدرية والمرجئة: نشأتهما وأصولهما وموقف السلف منهما، تأليف: د/ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن، ط/1، 1418هـ1997م.

313- قدوم كتائب الجهاد لغزو أهل الزندقة والإلحاد، تأليف عبد العزيز بن فيصل الراجحي، دار الصميعي، ط/1، 1419هـ1998م.

314- القرآن فوق كل شيء للعلامة محمد بن الحسن الثعالبي الفاسمي، دار ابن حزم، ط/1، 1426هـ2005م.

315- القصيدة النونية القحطانية للإمام محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني، تحقيق: عبد الله بن محمد الجربوع، دار الذكرى، ط/1426،1هـ.

316- قضاة قرطبة، تأليف: محمد بن الحارث الأندلسي القرطبي، تحقيق: ياسر سلامة أبو طعمة، دار الصميعي، ط/1429،1هـ2008م.

317- قلادة الزبرجد في نظم ما يعتقده ابن معقد، تأليف: فهد بن معقد بن حاسن العتيبي، دار بلنسية، ط/1، 1421هـ.

318- قمع أهل الزيغ والإلحاد عن الطعن في تقليد أئمة الاجتهاد، تأليف: محمد الخضر بن عبد الله الجكني الشنقيطي، المكتبة الأزهرية، ط/2008م.

319- القواعد الطيبات في الأسماء والصفات لابن الفقيه، والشنقيطي، وابن عثيمين، جمع وتعليق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، ط/1، 1416هـ1995م.

320- القواعد الفقهية الكبرى المستنبطة من المدونة الكبرى، تأليف، د: أحسن زقور، دار ابن حزم، ط/1، 1426هـ2005م.

321- القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، تأليف: د/إبراهيم بن محمد البريكان، دار ابن القيم، ط/1، 1425هـ2004م.

322- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تأليف الشيخ محمد الصالح العثيمين، تعليق وتخريج أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، ط/1، 1416هـ1995م.

323- القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، د/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط/1414،1هـ.

324- القول المبين في إثبات الصورة لرب العالمين، سليمان نب ناصر العلوان،

دار الأمصار ببريدة، ط/1414،1هـ1993م.
325- القول المفيد على كتاب التوحيد، تأليف الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط/3، 1419هـ1999م.
326- الكافي في فقه أهل المدينة المالكي لابن عبد البر، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/3، 1427هـ - 2006م.
327- كتاب أرسله ابن القيم على بعض إخوانه، يليه مختصر تفسير المعوذتين، تحقيق إياد ابن عبد اللطيف القيسي، دار ابن حزم، ط/1، 1424هـ2003م.
328- كتاب الإيمان من إكال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض اليحصبي، تحقيق، د: الحسين بن محمد شواظ، دار الوطن، ط/1، 1417هـ.
329- كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تأليف: محمد بن أحمد الملطي، تصحيح، سن ويدرينغ، مؤسسة الريان، ط/2009م.
330- كتاب التوحيد للحافظ بن منده، تحقيق: محمد بن عبد الله الذهبي وموسى بن عبد العزيز، دار الهدي النبوي ودار الفضيلة، ط/1، 1428هـ2007م.
331- كتاب التوحيد من صحيح البخاري" المسمى البيان السديد"، تأليف محمد بن إبراهيم الزعبي، مؤسسة الريان، ط/1، 1425هـ2004م.
332- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تأليف: إمام الأئمة ابن خزيمة، تحقيق: د/عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، دار الرشد، ط/1، 1408هـ1998م.
333- كتاب الجامع في السنن والآداب والحكم والمغازي والتاريخ، تأليف: ابن أبي زيد القيرويني، تحقيق: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، ط/1990،1م.
334- كتاب الدلائل في غريب الحديث، تأليف/ أبي محمد القاسم بن ثابت السرقسطي، تحقيق/ د: محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، ط/1،

1422هـ2001م.

335- كتاب السنة للإمام أبي عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن حنبل، مادي للنشر، ط/2، 1414هـ1994م.

336- كتاب السنن الواردة في الفتن، تأليف: عثمان بن سعيد الداني، الناشر: بيت الأفكار الدولية، لم يذكر التاريخ.

337- كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تأليف: خلف بن عبد الملك بن بشكوال، المكتبة العصرية، بيروت، ط/1، 1423هـ2003م.

338- كتاب العرش، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، أضواء السلف، ط/1، 1410هـ1999م.

339- كتاب العلو للعلي العظيم، تأليف: الإمام الذهبي، تحقيق: عبد الله بن صالح البراك، وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، 1424هـ2003م.

340- كتاب المحصول في علم الأصول، تأليف: الحسن بن رشيق المالكين تحقيق محمد غزالي عمر جاي، دار البحوث والدرسات، ودار إحياء التراث، ط/1، 1422هـ2001م.

341- كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم لأبي العباس أحمد الأنصاري القرطبي، مطبعة الكرامة، ط/1، 1426هـ2005م.

342- كتاب النزول وكتاب الصفات، تأليف: الإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: د/علي بن ناصر الفقيهي، ط/1، 1403هـ1983م.

343- كتاب تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدارسي والحلبي، تأليف: أحمد بن إبراهيم ابن عيسىن مكتبة لينة، ط/1413هـ1993م.

344- الكتب المشرقية والأصول النادرة في الأندلس للدكتور محمد ابن زين العابدين رستم، دار ابن حزم، ط/1، 1430هـ2009م.

345- الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي "تكملة الصارم المنكي"

تأليف: محمد ابن حسين بن سليمان الفقيه، تحقيق، د: صالح بن علي المحسن، ود: أبو بكر سالمشهال، دار الفضيلة، ط/1، 1422هـ-2002م.

346- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تأليف: أحمد بابا التمبكتي، تحقيق: د/علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط/1، 1425هـ-2004م.

347- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، تأليف عبد العزيز محمد السلمان، ط/17، 1410هـ.

348- الكيلانية، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تخريج: محمد بن رياض الأثري، عالم الكتب، ط/1، 1426هـ-2005م.

349- لسان العرب، تأليف العلامة ابن منظور الأفريقي المصري، وزراة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، 1424هـ.

350- الماتريدية-دراسة وتقويما، تأليف: د/أحمد بن عوض الحربي، دار الصميعي، ط/3، 1421هـ-2000م.

351- مالك بن أنس، تاليف عبد الغني الدقر، دار القاسم، دمشقن ط/1، 1430هـ-2009م.

352- مباحث العقيدة في سورة الزمر، تأليف: ناصر بن علي عايض، مكتبة الرشد، ط/1، 1415هـ-1995م.

353- المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع، تأليف، د: عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة بالقاهرة.

354- المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة محمد الصالح العثيمين، تأليف: كاملة الكواري، دار ابن حزم، ط/1، 1422هـ-2002م.

355- المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد، تأليف:محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس، ط/1، 1418هـ-1997م.

356- المحدثون المغاربة في دمشق، تأليف: د/محمد بن عزوز، دار ابن حزم، 1431هـ-2010م.

357- المحرر في الحديث، تأليف: محمد بن أحمد بن عبد الهادي، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1424هـ-2003م.
358- المختار من رسائل الأئمة الكبار، إعداد: منصور الراشد، دار ابن الأثير، ط/1، 1428هـ-2007م.
359- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، دار الحديث-القاهرة، ط/1414هـ-1994م.
360- مختصر العلو للعلي العظيم، تأليف: الحافظ شمس الدين الذهبي، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط/2، 1412هـ-1991م.
361- مدارج السالكين، تأليف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط/7، 1423هـ-2003م.
362- مدخل الدراسة العقيدة الإسلامية، تأليف: د/عثمان جمعة ضميرية، مكتبة السواري، ط/3، 1420هـ-1999م.
363- المدرسة البغدادية للمذهب المالكي-نشأتها-أعلامها-منهجها-أثرها، د/محمد العلمي، دار البحوث، ط/1، 1424هـ-2003م.
364- المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثاني-نشأة وخصائص، مصطفى الهمروي، ط/1418هـ-1997م.
365- مدرسة فقه الحديث بالمغرب الإسلامي، تأليف، د: خالد الصهري، منشورات وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، 1427هـ-2006م.
366- المدونة الكبرى، رواية سحنون عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة، 1424هـ-2003م.
367- مذكرة التوحيد، تأليف الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار العصيمي، ط/1، 1429هـ-2008م.

368- مذكرة في أصول الفقه تأليف: الشيخ محمد الأمين الشنقيطين دار عالم الفوائد، ط/1، 1426هـ.

369- مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، تأليف:د: أحمد بن عبد الرحمن القاضي، دار الجوزي، ط/2، 1424هـ.

370- المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، إعداد: خالد الجعيد وزميله، دار الهدي النبوي -مصر- دار الفضيلة، ط/1428،1هـ2007م.

371- مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها ودورهم في الذب عن مذهب السلف فيها، تأليف: فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة، ط/1، 1417هـ1997م.

372- المستدرك على الصحيحين، تأليف أبي عبد الله الحاكم مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الهند، بدون التاريخ.

373- مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1418هـ.

374- المسودة في أصول الفقه لآل تيمية لأبي البركات عبد السلام بن تيمية وولده وحفيده، المكتبة العصرية، ط/1، 1428هـ2008م.

375- مشاهير علماء الأمصار، تأليف: أبو حاتم بن حبان البستي، تعليق: مجدي بن منصور بن سعيد الشورى، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/1416،1هـ 1995م.

376- المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية، د/ محمد بن عبد الرحمن المغراوي، دار الراية للنشر والتوزيع، ط/1417،1هـ.

377- مصباح الأريب في تقريب الرواة الذين ليسوا في التقريب، تأليف: محمد بن أحمد المصنعي، مكتبة الفاروق الحديثة، ط/1، 1426هـ2005م.

378- مصطلحات في كتب العقائدن تأليف محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن حزيمة، ط/1، 1427هـ2006م.

379- المطلب الأسنى من أسماء الله الحسنى، تأليف عبد الرحمن عصام بن عبد المنعم المري، مكتبة الفرقان، عجمان، ط/1، 1420هـ1999م.

380- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، تأليف: حافظ الحكمي، تعليق عمر بن محمد أبو عمر، دار ابن القيم، ط/2، 1413هـ-1992م.

381- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، تأليف: عواد بن عبد الله المعتق، مكتبة التراث، ط/2، 1416هـ-1995م.

382- معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، أ.د/محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، ط/1، 1419هـ-1999م.

383- معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضى كحالة، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1414هـ-1993م.

384- معجم المطبوعات المغربية، د/إدريس بن المساحي الإدريسي، مطابع سلا، ط/1998م.

385- المعجم المفصل لمواضع القرآن المنزل، تأليف محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط/1، 1421هـ-2000م.

386- المعجم المفهرس لأفاظ الحديث النبوي لمجموعة من الباحثين، دار الندوة، إستنبول، 1986م.

387- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط/1، 1417هـ-1996م.

388- المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، إعداد حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، بدون تاريخ.

389- المعجم الوسيط لمجموعة من الباحثين، المكتبة الإسلامية، تركيا، ط،2، 1392هـ-1972م.

390- معجم مقاييس اللغة لابن فارس المالكي، دار إحياء التراث العربي، 1429هـ-2008م.

391- المعونة على مذهب عالم المدينة، تأليف: القاضي عبد الوهاب البغدادي، تحقيق عبد الحق حميش، مكتبة نزار مصطفى الباز.

392- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، تاليف: أحمد بن يحيى الونشريسي، دار الغرب الإسلامي.

393- مفتاح دار السعادة، تأليف: ابن قيم الجوزية، مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد -بيروت، بدون تاريخ سنة الطبع.

394- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد عيناني، دار المعرفة، ط/1، 1418هـ-1998م.

395- المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، تأليف: محمد بن عبد الرحمن المغراوي، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1420هـ-2000م.

396- المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم لأبي العباس أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق محي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير، دمسق، ط/1، 1417هـ.

397- مقاصد المكلفين فيما يتعبد به رب العالمين، تأليف عمر سليمان الأشقر، دار النفائس ومكتبة الفلاح، ط/2، 1411هـ-1991م.

398- المقاصد في المذهب المالكي خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، تأليف: د/ نور الدين محمد الحازمي، مكتبة الرشد، ط/1، 1423هـ - 2002م.

399- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري، المكتبة العصرية- بيروت، ط/1، 1426هـ-2005م.

400- مقالة التعطيل والجعد بن درهم، تأليف: د/ محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الطبعة الأولى: 1418هـ - 1997م.

401- مقدمات المراشد إلى علم العقائد لابن الخمير السبتي، مطبعة الخليج العربي، ط/1، 1425هـ-2005م.

402- مقدمة ابن خلدون، تأليف: العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار الجيل، بدون تاريخ.

403- المقدمة القرطبية ليحيى القرطبي على مذهب السادة المالكية، دار التراث،

ط/1، 1426هـ-2005م.

404- مقدمة إملاء الاستذكار لابن عبد البر، تأليف الحافظ أبي طاهر السلفي الأصفهاني، تحقيق عبد اللطيف الجيلان، دار البشائر الإسلامية، ط/1، 1422هـ-2001م.

405- مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن، تأليف: أحمد حسن فرحات، دار البيارق، ط/1، 1418هـ-1997م.

406- الملحة في اعتقاد أهل الحق" ضمن رسائل في التوحيد" تأليف عز الدين عبدالعزيز ابن عبد السلام، تحقيق خالد الطباعن دار الفكر المعاصرن بيروت، 1999م.

407- من خزانة المذهب المالكي "مجموعة من الرسائل للعلماء المالكية"، عناية جلال علي القذافي الجهاني، دار ابن حزم، ط/1، 1427هـ-2006م.

408- من نوادر تراث المالكية، عناية: محمد بن شايب الجزائري، دار ابن حزم، ط/1، 1424هـ-2003م.

409- من نوادر مخطوطات المكتبة المغربية، د/نجالة المريني، مطبعة النجاح، ط/1، 1422هـ-2001م.

410- منازل الأئمة الأربعة، تأليف: يحيى بن إبراهيم السلماني الفقيه، دار ابن حزم، ط/1، 1420هـ-1999م.

411- مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، تأليف، د: محمد الشيخ عليو محمد، دار المنهاج، ط/1، 1427هـ.

412- منتخب الأحكام، تأليف: الإمام محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، المكتبة الملكية، ط/1، 1419هـ-1998م.

413- منحة الجليل في أسماء الله الحسنى من السنة والتنزيل، إعداد: إبراهيم أبو شنب، دار القمة ودار الإيمان، ط/2005م.

414- المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي، مؤسسة قرطبة، ط/1، 1412هـ-1991م.

415- منــــهج ابـــن القـــيم في شـــرح أسمـــاء الله الحســـنى، تـــأليف: مشـــرف بـــن علـــي بـــن عبـــد الله الغامـــدي، دار ابـــن الجـــوزي، ط/1، 1426هــ2005م.

416- منهج ابن عطية في أصول الدين، رسالة ماجستير، جامعــة الإمــام، إعــداد: علي بن عبد الرحمن القرعاوي1412هــ.

417- منهج الاســتدلال علــى مســائل عنــد أهــل الســنة والجماعــة، تــأليف عثمـــان بـــن علـــي حســـن، مكتبـــة الرشـــد، شـــركة الريـــاض، ط/4، 1418هــ1997م.

418- منهج الإمام الحرمين في دراسة العقيدة، تــأليف، د: أحمــد بــن عبــد الله آل عبداللطيف، مركز الملك فيصل للبحوث، 1414هــ1993م.

419- منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة، تأليف: د/محمــد بــن عبــد الوهــاب العقيل، أضواء السلف، ط/2، 1425هــ2004م.

420- منهج الإمام مالك في إثبات العقيــدة، تــأليف د: ســعد بــن عبــد العزيــز الدعجان، دار الآثار، القاهرة، ط/1، 1427هــ2006م.

421- منهج الحافظ بن رجب في العقيدة، تأليف: علي بــن عبــد العزيــز الشــبل، بدون بيانات.

422- منهج السالك إلى بيــت الله المبجــل في أعمــال المناســك، تــأليف: محمــد البيومي الدمنهوري، دار بلنسية، ط/1، 1417هــ.

423- منهج السلف في الأسماء والصفات بقلم شاكر بــن توفيــق، مــادي للنشــر، ط/1، 1417هــ1996م.

424- المنهج السلفي: تعريفه، تاريخــه، مجالاتــه، قواعــده، خصائصــه، تــأليف: د/مفرح بن سليمان القوسي، دار الفضيلة، ط/1، 1422هــ2002م.

425- منهج الطاهر بن عاشور في أصول الاعتقاد، رســالة مــا جســتير في جامعــة الإمام، إعداد: محمد بن حسن بن سعيد العمري، 1417هــ.

426- المنهج المبين في شرح الأربعين، تأليفك تاج الدين عمر بــن علــي الفاكهــاني

المالكي، تحقيق شوكت بن رفضي بن شوكت، دار الصميعي، ط/1، 1428هـ2007م.

427- منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله، تأليف: خالد بن عبداللطيف نور، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط/1، 1416هـ1995م.

428- الموافقات، تأليف: إبراهيم بن موسى الشاطبي، تعليق: مشهور بن حسن آل سلمان، وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، 1424هـ.

429- موافقة شيخ الإسلام ابن تيمية لأئمة السلف في تقرير الضوابط المتعلقة بباب السماء والصفات، رسالة ماجستير، إعداد: أحمد بن محمد بن الصادق النجار، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، 1429هـ.

430- موسوعة الأسماء والصفات لمجموعة من العلماء، إعداد أبي عبد الرحمن عادل بن سعود، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط/1، 1426هـ2005م.

431- موسوعة الأسماء والصفات، إعداد: عادل بن سعد وعمر بم محروس، دار الكتي العلمية، بيروت، ط/1، 1427هـ2006م.

432- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف، د: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط/5، 1424هـ2003م.

433- موطأ الإمام مالك، مؤسسة الرسالة، ط/2، 1418هـ - 1998م.

434- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، تأليف، د: عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، ط/1، 1415هـ1995م.

435- موقف ابن حزم من المذهب الأشعري، تأليف: عبد الرحمن بن محمد دمشقية، دار الصميعي، ط/1418،1هـ1998م.

436- موقف الإمام ابن القيم من الصوفية، تأليف: مصطفى مراد، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط/1، 1421هـ2000م.

437- موقف الإمام أبي الوليد الباجي من دليل الخطاب وأثره في اجتهاداته الفقهية، تأليف: ربيع لصور، دار ابن حزم، ط/1، 1430هـ-2009م.

438- موقف الإمام مالك من العقيدة السلفية، تأليف: د/ محمد بن عبد الرحمن، دار الفتح- الشارقة، ط/1416،1هـ-1996م.

439- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، تأليف: سليمان صالح الغصن، دار العاصمة، ط/1، 1416هـ-1996م.

440- موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، تأليف، د: إبراهيم بن عامر الرحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، ط/1، 1415هـ.

441- موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفةن ومنهجه في عرضها، تأليف: صالح بن غرم الله الغامدي، مكتبة المعارف، ط/1، 1424هـ-2003م.

442- النبوات، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د/عبدج العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، ط/1، 1420هـ-2000م.

443- نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكي للشيخ محمد النابغة الشنقيطي، دار ابن حزم، ط/1، 1430هـ-2009م.

444- نفائس الصول في شرح المحصولن تأليف شهاب الدين القرافين تحقيق عادل عبدالموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة مصطفى الباز، مكة المكرمة، 1995هـ.

445- النفي في باب صفات الله عز وجل بين أهل السنة والجماعة والمعطلة، تأليف: أبي محمد أرزقي سعيداني، مكتبة دار المنهج، ط/1، 1426هـ.

446- نقض أساس التقديس، تأليف: أبي العباس بن تيمية، مكتبة العلوم والحكم، ط/1، 1425هـ.

447- نكت القرآن الدالة على البيان للإمام الحافظ محمد الكرجي القصاب، تحقيق د: علي بن غازي التويجري وزميليه، دار ابن القيم، ط/1، 1424هـ-2003م.

448- النهاية في غريب الحديث للإمام ابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون التاريخ.

449- النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، تأليف: محمد بن حمد الحمود، مكتبة الإمام الذهبي- الكويت، ط/1413،1هـ 1992م.

450- النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني تحقيق، د: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط/1، 1999م.

451- نور الحق الصبيح في شرح بعض أحاديث الجامع الصحيح، تأليف: محمد يحيى بن محمد المختار المالكي، دار الكتب العلمية.

452- نيل الابتهاج لتطريز الديباج، تأليف: أحمد بابا التمبكتي، تحقيق: د/علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط/1، 1425هـ 2004م.

453- وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، تأليف: د/محمد علي مكي، مكتبة الثقافة الدينية، 1424هـ 2004م.

454- وسطية أهل السنة بين الفرق، تأليف: د/محمد با كريم محمد با عبد الله، مكتبة العلوم والحكم، ط/1، 1429هـ 2008م.

455- ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، تأليف: عبد العزيز بن ناصر الجليل، دار طيبة، ط/1، 1429هـ 2008م.

فهرس المحتويات